مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة | حققه هذا السفر
كامل سلمان الجبوري | مهدي النجم

الجزء الرابع والعشرون

دولة الحسنيين والحسينيين - الدولة العباسية - الدولة الأموية
الدولة الأموية في الأندلس حتى سنة ١٣٢هـ


دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR

Classification: Lexicons

Author : Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ʿUmari

Editor : Kāmil Salmān al-Jubūri and: Mahdi al-Najm

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 10240 (15 Volumes)

Size : 17*24

Year : 2010

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**

التصنيف : موسوعات

المؤلف : شهاب الدين ابن فضل الله العمري

المحقق : كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم

الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت

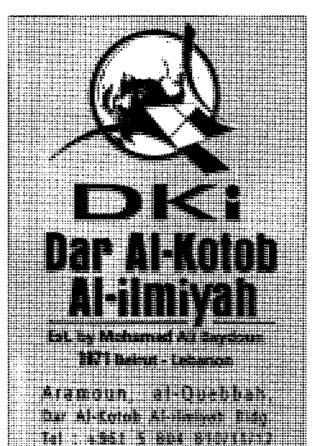
عدد الصفحات : 10240 (27 جزءاً في 15 مجلداً)

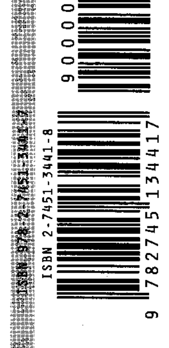
قياس الصفحات: 17*24

سنة الطباعة : 2010

بلد الطباعة : لبنـــان

الطبعة : الأولى





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ربّ يسّر ولا تعسر.

وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع والعشرون من موسوعة:

(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)

لابن فضل الله العمري.

اختصّ هذا الجزء بتاريخ الدول العربية الإسلامية التي أقامها الهاشميون وبنو أمية في العراق والشام ومصر والحجاز والأندلس.

وقد بدأ بدول العلويين، وبعضها لم يتعدّ ثورةً أُخمدت بسرعة، مع ما أضيف إليها من حركات انتسب صانعوها إلى العلويين كثورة الزنج والقرامطة.

ثم بالدولة العباسية، وقد قدّمها على الأموية لأن العباسيين اقرب إلى رسول الله ﷺ وآله من الأمويين نسباً، كما استمر في تدوين تاريخ الخلافة العباسية في مصر بعد انتهائها في بغداد على ايدي التتار عام ٦٥٦هـ.

وانتهى بالدولة الأموية حتى سقوطها على أيدي العباسيين سنة ١٣٢هـ. ثم انتقل إلى تدوين تاريخ دولتهم في الأندلس، تلك الدولة التي تمخض عنها سقوط دولتهم بالشام.

لقد حوى هذا الجزء تراجم خلفاء وأُمراء وملوك هذه الدول، وعرض للجوانب السياسية والاجتماعية والحضارية، وعوامل تقدمها وازدهارها، وكذلك أسباب هبوطها وسقوطها، وصور الحياة الخاصة لهؤلاء الأمراء، والجوانب المشرقة وكذلك

الجوانب الهابطة والمظلمة من سيرتهم، كما صوَّر تلك الجوانب تصويراً صادقاً في عهودهم وأيام حكمهم.

وقدّم ابن فضل الله العمري لكل ترجمة بمقدمة عرض فيها خصائص كل سيرة من سير هؤلاء الخلفاء والأمراء والثوار في أسلوب مسجوع يبدو جميلاً جذاباً، ينم عن قدرة أدبية ممتازة في مواضع، ومتكلفاً سمجاً في مواضع أخرى.

على أنه لم يحاول أن يُبْدِ رأيا مخالفاً لما أجمع عليه المؤرخون أو على الأقل المصادر التي نقل عنها، وقد ذكر في بعض الأحيان مصادره التي اعتمدها في تدوين الأحداث، على أننا يجب أن نؤكد أن المؤلف التزم على الأغلب جانب الحياد وعرض الآراء دون تحيّز إلى بعضها سوى ما شاع في مصنفات سابقيه.

النسخ المعتمدة:

اعتمدتُ في تحقيق هذا الجزء على نسختين:

الأولى: مصوّرة الدكتور فؤاد سزكين عن مخطوطة أحمد الثالث، طوبقابي سراي: استنبول المرقمة ٢٧٩٧/ ١٥، وتتألف من ١٦٩ ورقة في ٣٣٨ صفحة، في الصفحة ٢٣ سطراً، وفي السطر حوالي ١٩ كلمة.

كتب هذا الجزء بخط نسخ واضح مقروء، كما كتبت العنوانات بخط كبير، إلا أن بعض الكلمات، بل أكثرها رسمت بحروف غير معجمة أو بإعجام لا يعتمد عليه، وفيها شكل قليل.وكثر فيها التحريف والتصحيف واللحن، كما سقطت منها كلمات كثيرة سببها سهو الناسخ الذي يبدو أنه كان متعجلاً، كما يبدو أنه قليل الدراية باللغة العربية.

المخطوطة كاملة من الداخل، ليس فيها حذف أو بياضات إلا بعض كلمات في مواضع قليلة، وفي الصفحة ٢١٠ بياض بقدر نصف الصفحة، وهناك خرجات وتصويبات قليلة في الحواشي إلا أن هذا الجزء انتهى بنقص لا نعلم مقداره إذ انتهت الصفحة الأخيرة من المخطوطة بقطعة من شعر المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، وبعدها تعقيبة تقول: (وقد تقدم) مما يدل أن بعدها حذفاً، إذ إن الكلام موصول يقتضي أن يكون له ما بعده، وقد تسبب هذا النقص في عدم معرفتنا اسم الناسخ وتاريخ النسخ الذي غالباً ما يأتي بخاتمة الكتاب.

الثانية: نسخة مكتبة أيا صوفيا ـ استانبول، المرقمة ٣٤٣٦، وتقع في ٢٤٠ صفحة، كاملة البداية والنهاية.

منهجي في التحقيق:

احتوى هذا الجزء على عدد كبير من اسماء المواضع والأعلام والأشعار والنصوص، وفي الأعلام وكذلك في المواضع ما هو معروف مشهور، وفيها المجهول المغمور.

وقد حاولتُ أن اردّ النصوص إلى مصادرها التي اعتمدها المؤلف وإن لم يشر إليها في بعض الأحيان، وأوثق الأحداث واسجل المصادر التي تناوَلَتْها. كما علّقت تراجم الأعلام غير المشهورين في الهامش، ولم أفعل ذلك مع الأعلام المشهورين كبعض الخلفاء وكبار الصحابة والأئمة.

ولكني أشرت على الأغلب إلى مظان ترجماتهم وأخبارهم. كما قمت بتخريج الأشعار ما وجدتُ إلى ذلك سبيلا.

وحاولت أن أخدم النص بالتصويب والتحقيق، وأقدمه إلى أقرب ما أراده المؤلف، وقمت في سبيل ذلك بما يلي:

١ ـ قوّمت ما في النص من أخطاء لغوية ونحوية، وحاولت قراءة الألفاظ الغامضة قراءة صحيحة، وأشرت إلى ما لم استطع قراءته.

وفي المخطوط كثير من الألفاظ والعبارات محرفة وخالية من الإعجام أو أن إعجامها غير صحيح. واشرت إلى كثير من أوهام المؤلف في الأسماء وسني الأحداث، ولربما جاءت جراء سهو الناسخ وعجلته.

كما حاولت جاهداً أن استدرك ماسقط من ألفاظ أو عبارات تسبَّبَ سقوطها في اختلال المعنى، ووضعت ما استدركته بين قوسين ( ) ولربما جاء الاستدراك بعد الرجوع إلى مصدر الخبر، أو مما يقتضيه السياق السليم للعبارة، وأشرت إلى كل ذلك في الهوامش.

٢ ـ وردت اسماء كثيرة لمواضع وأعلام محرّفة ومصحفة، فحاولتُ إرجاعها إلى الصحيح بالرجوع إلى مصدر الخبر الذي أخذ منه المؤلف، كما أن المؤلف وقع في مواضع كثيرة من هذا الجزء بأوهام تتعلّق بالخبر وسنة حدوثه، فأشرت في الهامش إلى الصحيح كما ورد في مصدر الخبر الذي نقل عنه المؤلف.

٣ ـ أكثر الكلمات وردت معجمة، ولكنه إعجام لا يعتمد عليه، فقد يكتب التاء ويريد الياء، ويكتب النون ويريد الباء، أما الأخطاء النحوية واللغوية فكثيرة. وهناك كلمات كثيرة كتبت مهملة، وربما محرفة فحاولت إعجام المهمل وتصويب المحرّف والمصحف.

وكذلك فعلتُ مع الأشعار: فقد حاولتُ إضافةً إلى تخريج النصوص استدراك النقص وتصويب الخلل، إما بالرجوع إلى مصدر النص، أو بما يقتضيه السياق السليم، واشرت إلى ما لم استطع الاهتداء إلى وجه الصواب فيه.

وبعد، فأحسب أني بذلت جهداً غير قليل، وحاولتُ مخلصاً أن أخدم هذا السفر ما وجدتُ إلى ذلك سبيلا، ولا أدعي الكمال، ورحم الله امرءاً اهدى إليّ عيوبي.

وآخر دعواي إن الحمد لله رب العالمين.

مهدي ع . الحسين النجم

المسيب ـ العراق، ص.ب ٤٥

١٣ رمضان ١٤٢٤هـ

١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله توكلت

٣

الصفحة الثانية لنسخة أحمد الثالث

الصفحة الأخيرة لنسخة أحمد الثالث


الجزء الرابع والعشرون
من مسالك الابصار في ممالك الامصار

الجزء الرابع والعشرون

الصفحة الأولى، عنوان نسخة أيا صوفيا

الصفحة الثانية لنسخة أيا صوفيا

الصفحة الأخيرة لنسخة أيا صوفيا

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
كامل سلمان الجبوري

حققه هذا السفر
مهدي النجم

الجزء الرابع والعشرون

دولة الحسنيين والحسينيين - الدولة العباسية - الدولة الأموية
الدولة الأموية في الأندلس حتى سنة ١٣٢ هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

على الله توكلت:

[دول الحسنيين والحسينيين]

وهذا ذكر من تنبَّه من أهل هذا البيت، وملك ملكاً، وإن كان القليل المنقص والحقير المنغّص، وكيف يرثون الأرض، وما ترك جدُّهم لهم تراثاً ؟ أو تعطف عليهم الدنيا وقد طَلَّقها أبوهم ثلاثاً[1] ؟ وما ضرّهم أن تكون لغيرهم الدنيا، وتكون لهم الآخرة، وفيهم النبوّة الدائمة، ولسواهم الدول الدائرة.

وأول ما نبدأ بالحسنيين، ثم بالحسينيين، ثم بمن تعلّق بهما. فدول الحسنيين أولها، وفيها من تقدم في النسب ذكرهم.

---

(١) إشارة إلى قول الإمام علي (عليه السلام) يخاطب الدنيا: قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المورد. «نهج البلاغة» (ص٤٨١).

دول الحسنيين

[١]

ذكر دولة المهدي[١] محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

تقدم ذكره في موضِعِهِ من النَّسَب، وكان يُلَقَّب النفس الزكية، وكان أبو جعفر المنصور قد بايعه في الدولة الأموية[٢]، وأعطاه يمينه، وأمضاه في عقد المبايعة يمينه ـ وكان برّاً تقياً، طاهراً، زكياً، ولهذا كان يسمى النفس الزكية، ولم يقدر له ظهور في تلك الأيام الأول، ولا على عهد السفاح، فلما قبض المنصور على أبيه خرج عليه بالمدينة، واحتجّ عليه بمبايعته المتقدمة، ودارت بينهم كتب[٣] بديعة في إقامة الحجج، وكان المنصور فيها الألدّ الخَصِم، والأشدّ عقداً لا ينفصم، وكان محمد بن عبد الله أيِّداً[٤] شرد لأبيه جمل[٥]، فَعَدا جماعة خلفه، فلم يلحقه أحدٌ سواه، فأمسك بذنبه، فلم يزل يجاذبه حتى انقلع، فرجع بالذنب في يده.

وكان يطلب الخلافة أيام بني أمية، ويَزْعُم أنه المهدي المبشّر به، وكان نهاية في العلم والزهد والشجاعة، وأقام سنين مستتراً في جبال طيّىء مرة يرعى الغنم، ومرة يعمل في المهن، وأمسك المنصور أباه وعمه، وطائفة من أهله، لإحضاره وإحضار أخيه إبراهيم، فجحدوا معرفتهما، فحبسهم، ويقال أن المنصور كان قد بايع أباه عبد

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: «تاريخ الطبري» (٧/ ٥١٧) وما بعدها، «مقاتل الطالبين» (٢٣٢) و«كامل ابن الأثير» (٤/ ٣٧٠) و٥/ ٢ وما بعدها، «الحدائق الوردية» (مخطوط) (١/ ٣١٨) و«أنساب الأشراف» (٢/ ٤١٧) و«تاريخ اليعقوبي» (٣/ ١٢٠) و«الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٩٧) و«ذيل الأمالي» (ص١٢٠) و«نهاية الإرب» (٢٥/ ٧) و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٠١) و«الفخري في الأحكام السلطانية» (ص١٢٠) وانظر كذلك: «تاريخ الفرقة الزيدية» (ص١٢٣) و«ثورات العلويين» (ص١٩٣).

(٢) يشير إلى مؤتمر الأبواء الذي عقده الهاشميون آواخر أيام الأمويين ومبايعة النفس الزكية: انظر: «مقاتل الطالبيين» (ص٢٠٦).

(٣) انظر نصوص هذه الكتب في: «الكامل للمبرد» (٢/ ٣٢٠)، و«أنساب الأشراف» (٢/ ٤٢٠) «وتاريخ الطبري» (٧/ ٥٦٦) و«الحدائق الوردية» (١/ ٣٣٣) و«نثر الدرر للآبي» (١/ ٣٦٩) و«كامل ابن الأثير» (٥/ ٥) و«نهاية الأرب» (٢٥/ ٣١).

(٤) الأيّد: القوي الشديد الصلب.

(٥) الخبر في «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٩٧) ورواه الأصفهاني منسوباً إلى أخيه إبراهيم بن عبد الله «مقاتل الطالبين» (ص٣١٦).

الله ومحمداً ابنه بعده، وكانت له جارية معها ابن له صغير برضوى، ولد له في حال تستره /٣/ فردّى نفسه من الجبل فقال فيه أبوه[١]: [من السريع]

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه أطراف مروٍ حداد
شرّده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حَرَّ الجلاد
قد كان في الموت له راحةٌ والموت حَتْمٌ في رقاب العباد

رواها له ابن مسكويه[٢]، وقد رويت لغيره[٣].

ولما أتاه جيش المنصور يقدمه عيسى بن موسى، خندق عليه الخندق النبويّ وكان يبرز ويرتجز، وهو يقول[٤]: [من الرجز]

لا عار في الغلب على الغلّاب
والليث لا يخشى من الذباب

فلما رأى تضاؤُل أمْرِهِ، أقال الناس بيعته، وكسر ذا الفقار، وكان قد صار إليه، وأحرق الكتب التي كانت ترد عليه بالبيعة خوفاً عليه من المنصور. ثم قاتل حتى (قتل)[٥] عند أحجار الزيت، وحزّ رأسه وحمل إلى المنصور.

وقال[٦] المنصور لاسحاق بن منصور العقيلي، وكان ذا تجريب لا يكهم، وتدريب له يُلْهم: أشِرْ عليّ في خارجيّ خرج عليّ، قال: صف لي الرجل، فقال: رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ذو علم وزهدٍ وَوَرَع، قال: مَنْ تبعه ؟ قال: ولد علي وجعفر وعقيل وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وسائر قريش، وأولاد الأنصار فقال: صف لي البلاد التي خرج، فقال: بلدٌ ليس فيه زرع ولا ضرع، ولا تجارة واسعة قال: يا أمير المؤمنين، إشحن البصرة بالرجال، فقال المنصور: هذا شيخ قد خَرِف أسأله عن خارجيّ بالمدينة، فيقول: إشحن البصرة بالرجال، فلم يكن

(١) الخبر والأبيات في «مقاتل الطالبيين» (ص٢٣٠) و«تاريخ الطبري» (٧/ ٥٣٥) و«الحدائق الوردية» (١/ ٣٤٢) و«أنساب الأشراف» (٢/ ٤٢٧) و«كامل ابن الأثير» (٤/ ٣٧٣) و«نهاية الأرب» (٢٥/ ١٦) و«تاريخ اليعقوبي »(٣/ ١٢٢).
(٢) «تجارب الأمم» (٣/ ٣٨٥).
(٣) رويت لابن الأشعث في «ذيل الأمالي» (١٤٢) و«الأخبار الطوال» (٣١٩) ولزيد بن علي كما في «عيون الأخبار» (١/ ٢٩١) و«اليعقوبي» (٢/ ٧٤).
(٤) الرجز له في «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٩٨).
(٥) (قتل) سقطت من الأصل.
(٦) الخبر في «مروج الذهب» (٢/ ٢٣٣).

إلاّ يسيراً حتى أتاه الخبر بخروج إبراهيم بن عبد الله بالبصرة، فقال المنصور: عليّ بالعقيلي. فذكرّه بما كان، ثم قال له: هل كان عندك من هذا علم ؟ قال: لا، ولكنّي لما ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلّف عنه أحد، ثم ذكرت البلد الذي خرج به فإذا هو لا يحتمل الجيوش، فعلمت أنه سيطلب غير / ٤/ بلده، ففكرت في مصر، فوجدتها مضبوطة، وفي الشام والكوفة، فوجدتهما كذلك، ثم فكرت في البصرة فوجدتها خالية، فخفت عليها، فقال له المنصور: أحسنت وقد خرج بها أخوه، فما الرأي في صاحب المدينة ؟ قال: إرْمِهِ بمثله، إذا قال هذا أنا أبنُ بنت رسول الله قال الآخر: أنا ابن عمّ رسول الله. فقال المنصور لعيسى بن موسى: أما أن أخرج إليه أو أنت، قال: بل أنا أفديك[١] بنفسي، فخرج فنصر عليه كما تقدم ذكره.

[٢]

ذكر دولة أخيه إبراهيم[٢] بن عبد الله بن الحسن

وكان خروجه بالبصرة، وكان لعيسى بن موسى عليه النصرة، وكان مِدْرة خصام وبدرة صمصام، بقلْبٍ قلّب، ولسان لَيْسَتَ عارضته بخلّب، وجبل يدق على الكيد ويقوى على الأيد. لولا إفراط شغفه بالنساء[٣]، وكَلَفَهُ بذوات السناء، وما اقتفاه من سنّة مصعب بن الزبير في المغالات في مهورهنّ، وترك بوارق السيوف لا يماض ثغورهنّ. وإلاّ فقد كان طعمٌ علقم إذا غَضَب، ومسُّ أرقم إذا وَثَب، ومن «كنوز المطالب»[٤] أنه كان تلو أخيه في شدّة البدن والعبادة، وحب العزلة وطلب العلم، وهو أشعر من أخيه، وظهرت له شجاعة وطول صبر على الاغْتراب برّاً وبحراً، حتى أنه دخل على المنصور في هيئة متنصّح، وقد أخفى شكله وقال له: ما لي عندك إن جئتك إبراهيم بن عبد الله، فَوَعَدَهُ بإحسان جزيل، فطلب منه أن يكتب إلى ولاة البحر الفارسي بالإعانة في مقاصده حيث توجّه، فكتب له الكتب، وأوصى الولاة به،

---

(١) الأصل: أفديه.

(٢) انظر خبره وترجمته في: «تاريخ الطبري »(٧/ ٦٢٣)، «مقاتل الطالبين» (٣١٥)، «تاريخ اليعقوبي» (٣/ ١٢٢)، «الحدائق الوردية» (١/ ٣٤٨)، «ومروج الذهب» (٢/ ٢٣٣)، و«أنساب الأشراف» (٢/ ٤٣٧) و«عمدة الطالب» (١٠٨)، و«الوافي بالوفيات» (٦/ ٣١)، و«كامل ابن الأثير» (٥/ ١٥) و«نهاية الأرب» (٢٥/ ٥٠).

(٣) لم يرد في مصادر ترجمته خبر عن شغفة بالنساء، ولربما أخذ المؤلف ذلك عن مصدر لم يصلنا.

(٤) كنوز المطالب في آل أبي طالب، لابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى المتوفى سنة ٦٨٥هـ، ذكره ابن تغري بردي في «المنهل الصافي» (٢/ ٤٥٣)، ولم يصل إلينا.

فتمكن بذلك من الهرب وبثّ الدعوة إلى أن أحكم أمره، ثم أتى البصرة حتى أبطل بناء بغداد، وأعدَّ الجهازات للهرب إلى خراسان لما رأى من إفراط إقبال الناس عليه، وإعراضهم عنه إلى أن هزمه عيسى بن موسى، وقتله في المعركة، فعاد المنصور إلى بناء مدينته، وقال: الآن عرفت رأسي أنّه لي، ولم يُخْطب له بأمير المؤمنين إلا بعد مقتل /٥/ أخيه، وكان خروج أخيه في سنة خمس وأربعين ومائة.

ومن كتاب تجارب الأمم: أنه قاسى شديداً في اختفائه، حتى أنه أكل على موائد المنصور، ووَجَد في بيت مال البصرة ألْفي ألف درهم، فتقوّى بها وصارت له فارس والأهواز، وكان الملتقى بينه وبين جيش المنصور على باخمرا[١] من بلاد الكوفة فانهزم حميد بن قحطبة[٢]، وناشَدَهُ عيسى بن موسى في الثبات، فلم يثبت، ولم يبق معه إلاّ ثلاثة، واتفق من الحديث الغريب أن المنهزمين من جيش المنصور رأوا قدامهم نهراً لم يقدروا على خوضِهِ، فرجعوا، فظن أصحاب إبراهيم أنهم قد ردّوا عليهم، فانهزموا بعد أن حصلوا على الظفر.

ومن شعره قوله في رقيّة بنت الديباج العكانية[٣]، وكان قد تزوج بها وكان كلفاً بها: [من الطويل]

رقيّة همّ النفس لا ذقت فقدها ... فها أنا ذا شوق لها وهي حاضره
وقالوا غَدَتْ شُغْلاً له عن أمورِهِ ... ولو أبصروها لم يردّوا معاذره

وقوله وقد اعتلَّ أخوه[٤]: [من الطويل]

شكوت[٥] فعمّ السقم مَنْ كان مؤمناً ... كما عمّ خلق الله نائلك الغمرُ
فيا ليتني كنت العليل ولم يكُن ... عليلاً وكان السقم لي ولك الأجْرُ

وقوله في رثاء أخيه[٦]: [من البسيط]

---

(١) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب، (معجم البلدان ـ باخمرا) وهي اليوم مدينة القاسم من أقضية محافظة بابل، وبعضهم يرى أنها قرب المسيب وفيها قبر ينسب إلى إبراهيم يزار.

(٢) حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي، من كبار قواد بني العباس، هو وأبوه وأخوه الحسن، ولي الجزيرة ثم مصر ثم خراسان، توفي سنة ١٥٩هـ.
ترجمته في الشذرات ٢٤٧٨ المعارف ٣٧٨ والعبر ١/ ٩٢ النجوم الزاهرة ١/ ٣٤٩ والوافي بالوفيات ١٣/ ١٩٩.

(٣) كذا في الأصل، وأورد أبو الفرج له شعراً في زوجته بحيرة بنت زياد الشيبانية (المقاتل ص٣١٦).

(٤) «البيتان في الوافي» (٦/ ٣٢).

(٥) في الوافي: سقمت.

(٦) «مقاتل الطالبين» (٣٤٢ و٣٧٤) و«شرح ابن الحديد» (١/ ٣٢٤) و«كامل ابن الأثير» (٥/ ٢٢٢) و«مروج الذهب» (٢/ ٢٣٤) و«الحدائق الوردية» (١/ ٣٥٢) وفي بعض هذه المصادر أنه قالها متمثلاً.

أبا المنازل ماهلك الفوارس من … يُفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا
الله يعلم أنّي لو خشيتهم … أو انس القلبُ من تِلْقائهم فَزَعا
لم يقتلوك ولم أُسلم أخيّ لَهُمْ … حتى تعيش جميعاً أو نموت معا

وقوله فيه[1]: [من الطويل]

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا … فإن بها ما يدُرك الواتر الوترا
وإنّا أناسٌ لا تفيض دموعنا … على هالكٍ مِنّا وإن قَصَمَ الظهرا
ولسنا كَمَنْ يبكي أخاه بِعَبْرةٍ … يعصّرها من جفنِ مُقْلَتِهِ عصرا
/٦/ ولكنني أشفي فؤادي بغارةٍ … تلهّب في قطري كتائبها جَمْرا

ومن نثرِهِ وقد قيل: لقد تهتكت في النساء:

حبّ النساء سنّةٌ نبويّة، لم تعطل رسول الله ﷺ عن إدراك الظفر ولم تَحُلْ بينه وبين بلوغ الوطر، وإنّ أعجز الناس من قَعَدت به لذات الدنيا عن البلوغ إلى مراقي العلياء، (ما) انهضم[2] مَنْ جمع بين إدراك لذّاته والفوز بالبلوغ إلى غاياتِهِ. عَقَد الله عنا ألسِنةِ العوام، وأغمد عنهم سيوفنا بالطاعة وحسن الالتئام.

وقوله من خطبة خطبها يوم عيد[3]:

اللهم إنك اليوم ذاكراً أبناءً بآبائهم، فاذكرنا عندك بمحمد ﷺ فيا حافظ الآباء في الأبناء، احفظ ذرّية نبيتك.

قال فلم يقلها حتى اشتدّ بكاء الناس.

وقوله: وقد قيل له حين أشرف على القتل، ألا تفرّ وأمامك فارس والأهواز وهما تحت طاعتك، فقال: مَنْ فرَّ من أهل بيتي حتى أفرّ ؟ أتريدون أن أكون أوّل من فتح هذا الباب على الفاطميين، لا والله إن خلقتُ إلا لسلّ السيوف وشق الصفوف وتجرع الحتوف والمعاد إلى الله وهو خير الحاكمين.

وقوله[4]: كل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو، وكل نظر ليس فيه عبرة فهو غفلة، وكلّ سكوت ليس فيه تفكّر فهو سهو، فطوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره عبراً، وسكوته تفكراً، ووسعهُ بيته، وبكى على خطيئته، وسلم المسلمون منه.

---

(١) «الحدائق الوردية» (١/ ٣٤٦) و«الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٩٨) وفيه: وبعضهم يرويها لأبي الهيذام.
(٢) في الأصل: وانهضم.
(٣) «نثر الدرر» (١/ ٣٧٤) و«المقاتل» (ص٣٣٧)، وفيها: آباءً بابنائهم وأبناء بآباهم.
(٤) «نثر الدرر» (١/ ٣٧٤) و«مقاتل الطالبيين» (٣٣٦).

[ذكر دول بني طباطبا][(١)]

ومنهم الأئمة باليمن، وليس بغير اليمن إلا الخارج بالكوفة، وهو المبدأ بذكره:

[٣]

محمد بن إبراهيم العلوي[(٢)]

بهذا يعرف، وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. بويع بالكوفة يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة، وكان إمام صدْقٍ لو قام، وغمام ودْقٍ لو دام، أزْهَد من أويس[(٣)]، وأحلم /٧/ من قيس[(٤)]، وأكرم من حاتم[(٥)]، وأشجع من قاسم[(٦)]، واشبه بآبائه من الغراب بالغراب، وفي آبائه من الناب بالناب، عليه من سيما سَلَفِهِ شمائل، ومن بقايا سيف جدّه ذي الفقار مثله إلاّ أنه لم يعلق بحمائل، إلاّ أنه كان غرّاً شاباً، برونق الشباب مغرى.

ما عَرَكَتْهُ الأيام عرك الأدِيم، ولا عَرَفَتْهُ كيف يخادع اللئيم، حتى يحذر من يأمن ويتشائم بمن يتيامن، فلا يدخل عليه داخل، ولا يُغْتال من داخل.

قال الطبري[(٧)]: ووافاه في ذلك اليوم أبو السرايا السري بن منصور[(٨)]، ولقبه

---

(١) طباطبا هو إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقبل أن طباطبا لقب ابنه إبراهيم (مقاتل الطالبيين ص١٩٩ وعمدة الطالب ٧٢).

(٢) انظر خبره في: «مقاتل الطالبيين» (٨/ ٥) و«تاريخ الطبري» (٨/ ٥٢٨) و«مروج الذهب» (٢/ ٣٤٥) و«تاريخ اليعقوبي» (٣/ ١٨٥) و«كامل ابن الأثير» (٥/ ١٧٣) و«عمدة الطالب» (ص١٧٢) و«الحدائق الوردية» (١/ ٤١٩) و«نشر الدرر» (١/ ٣٧٦) و«نهاية الأرب» (٢٥/ ٧٣) و«تاريخ الفرقة الزيدية» (ص١٨٧).

(٣) أويس القرني من التابعين، شهد صفين مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل بها شهيداً، يضرب بعبادته وزهده المثل. «ميزان الاعتدال» (ص١٢٩) و«طبقات ابن سعد» (٦/ ١١١) و«حلية الأولياء» (٢/ ٧٩).

(٤) قيس بن عاصم المنقري، عرف بالحلم، وفد على النبي ﷺ وآله سنة ٩هـ وسكن البصرة، وبها مات سنة ٢٠هـ (انظر الإصابة ترجمة ٧١٩٤).

(٥) حاتم بن عبد الله الطائي، الذي يُضرب بكرمه المثل.

(٦) لعلّه أراد أبا دلف القاسم بن عيسى من الأمراء الشجعان أيام العباسيين.

(٧) «تاريخه» (٨/ ٥٢٨).

(٨) أبو السرايا، السري بن منصور الشيباني من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني، لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بأرمينية وكان معه ثلاثون فارساً، فجعله من القواد، واشتهر بشجاعته وجرائته، ثم انتقل إلى معسكر هرثمة بن أعين أيام الفتنة بين الأمين والمأمون، وصار أميراً على ألفي مقاتل، ثم خرج مغاضباً =

الأصفر فقام بحربه وتدبيره، وكان سبب قيامه ومبايعة أهل الكوفة إياه، أن المأمون عزل طاهر بن الحسين[١] عما كان عليه من أعمال البلدان التي افتتحها وصرفها إلىٰ الحسن بن سهل[٢]، فتحدث الناس بأن الحسن بن سهل غَلَبَ على المأمون وحَجَرَ عليه واستبدّ بالأمور، فهاجت الفتنة بالأمصار، وكان أول من خرج وثار ابن طباطبا، فبايعه أهل الكوفة، واستوسق لَهُ أمرها، وأتته الوفود وكثرت له الجموع، وكان عامل الكوفة من قبل سليمان بن جعفر[٣] وخليفته عليها خلاّد بن محجن الدؤلي[٤]، فلما سمع الحسن بن سهل بثورة ابن طباطبا كتب إلى سليمان المذكور يُعنّفه ويُضعِّفه، وجهّز جيشاً من عشرة آلاف فارس وراجل، وأمر عليهم زهير بن المسيب[٥] وأمره بقتال ابن طباطبا، فسار زهير بجيوشه حتى نزل قرية شاهي[٦] قريباً من الكوفة، فخرج إليه محمد بن طباطبا ومعه أبو السرايا، واقتتلوا قتالاً شديداً أذابوا فيه جَنْدلاً

= هرثمة بن أعين عندما أنقص أعطياتهم، فحاصر عامل عين التمر، واستولى على الأنبار، وذهب إلى الرقة فلقيه ابن طباطبا العلوي الذي عزم على الثورة، فبايعه أبو السرايا وتولى قيادة جنده فاستوليا على الكوفة وامتلكا البصرة والأهواز والمدائن وواسطاً، وأرسلا العمال إلى اليمن والحجاز، وحاربه العباسيون بجيوش كثيفة فكسرها، ثم ضعف أمره فترك الكوفة، فأسر واقتيد إلى الحسن بن سهل فقتله وصلبه سنة ٢٠٠هـ. انظر: مقاتل الطالبين ص٥١٨ وتاريخ الطبري ٨/ ٥٢٩ وكامل ابن الأثير ٥/ ١٧٣ والبداية النهاية ١٠/ ٢٤٤.

(١) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، ذو اليمينين، قائد شجاع، قاد جيوش المأمون فاحتل بغداد وقتل الأمين ووطد الحكم للمأمون العباسي، وسكن بغداد فولاه المأمون على شرطته ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والمغرب، ثم خراسان وفيها قطع خطبة المأمون يوم جمعه فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة بمرو، وقيل مات مسموماً سنة ٢٠٧هـ.
انظر أخباره: في تاريخ الطبري في مواضع متفرقة من الجزء الثامن وكامل ابن الأثير الجزء الخامس في مواضع متفرقة منه والبداية والنهاية ١٠/ ٢٦٠ وشذرات الذهب ٢/ ١٦ وتاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣.

(٢) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، وزير المأمون وأبو زوجته بوران، أصيب بمرض السويداء سنة ٢١٠هـ فتغير عقله، وهو أخو ذي الرياستين الفضل بن سهل، كان من أهل بيت الرئاسة في المجوس، ثم اسلما مع أبيهما أيام الرشيد، توفي الحسن في سرخس سنة ٢٣٦هـ. انظر «وفيات الأعيان» (١/ ١٤١) و«تاريخ بغداد» (٧/ ٣١٩) و«تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢١٧) و«كامل ابن الأثير» في مواضع من الجزء (٥).

(٣) كذا في الأصل. وهو كما في تاريخ الطبري: سليمان بن أبي جعفر المنصور، وانظر كذلك «كامل ابن الأثير» (٥/ ١٧٤).

(٤) كذا في الأصل، وهو في «تاريخ الطبري»: خالد بن محجّل الضبي.

(٥) زهير بن المسيب الضبي، من القادة الشجعان أيام العباسيين، شارك في محاصرة بغداد لقتال الأمين، قتل صبراً ببغداد سنة ٢٠١هـ انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٤٧).

(٦) في الأصل (ساهي) بالحروف المهملة.

وحديداً، ثم انهزم زهير هزيمة شنيعة واستباح ابن طباطبا عسكره جميعه، وأخذ ما كان معه من مال وسلاح وكراع، ثم إن أبا السرايا ندم على إقامة ابن طباطبا فسمّه، فأصبح ميتاً.

ومن كنوز المطالب[١]: أنه مرض وأتاه أبو السرايا يعوده وقال له: أوْصني، فأوصاه وصيّة بليغة وذكرها[٢]) وذكر له شعراً منه قوله: [من الوافر]

أينقص حقنا في كل وقتٍ على قربٍ ويأخذه البعيد

/٨/ فيا ليت التقرب كان بُعْداً ولم تجمع مناسبنا الجدودُ

قال الشريف الغرناطي[٣]: ثم قام من بعدِهِ رجُلٌ[٤] من بني الحسين يأتي ذكره إن شاء الله.

وقال مؤلف «كنوز المطالب» وقد ذكر بني الحسن المثنى فذكر منهم: إبراهيم الغمر[٥] قال: ولُقِّبَ بهذا لسعة جودِهِ، وكان فيمن حُمل مصفّداً بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان يقول لأخويه عبد الله والحسن: أعوذ بالله من مَنى طبّهنّ منايا، تمنينا ذهاب سلطان بني أُميّة واستبشرنا بسُلطان بني العباس، ولم تكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه، والعقب منه، فمنهم ابنه اسماعيل الديباج[٦] ولقّب بهذا لجماله، كما لقب محمد[٧] بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان، وكذلك كان يقال لمحمد[٨] بن عبد الله بن الحسن، والعقب منه في رجلين، وهما: إبراهيم طباطبا

---

(١) كنوز المطالب في آل أبي طالب، لابن سعيد ابي الحسن علي بن موسى المتوفى سنة ٦٨٥هـ. ذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي ٢/ ٤٥٣ وانظر مقدمة القدح المعلّى في التاريخ المحلى بتحقيق إبراهيم الإبياري. وقد تقدم ذكره.

(٢) انظر الوصية في «مقاتل الطالبيين» من (٥٣١) «ونثر الدرر» (١/ ٣٧٧).

(٣) سيذكر المؤلف أنه: الشريف أبو العباس أحمد بن الحسن الحسني الغرناطي.

(٤) هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما في «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٢٩).

(٥) إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، انظر ترجمته في مقاتل الطالبيين ص١٨٧ ومشاهير علماء الأمصار رقم ٩٩٥.

(٦) اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن، انظر ترجمته في مقاتل الطالبين ص١٩٩ وفيه: أن الذي لقب بالديباج لحسنه هو محمد بن إبراهيم بن الحسن (انظر ص٢٠٠).

(٧) وأمه فاطمة بنت الحسين، فهو أخو عبد الله بن الحسن لأمه، انظر: «مقاتل الطالبيين» (ص٢٠٢).

(٨) لم يرد في اخباره أنه سمي بالديباج، ووصف بأنه آدم شديد الأدمة، انظر ترجمته في «مقاتل الطالبيين» (ص٢٣٢) ولعل المؤلف أراد محمد بن إبراهيم طباطبا الملقب بالديباج، انظر «مقاتل الطالبيين» (ص٥٣٧) و«تاريخ بغداد» (٢/ ١١٣).

والحسن[١] التج.

فأما طباطبا ففي بنيه كان طلب الإمامة، والنباهة والعلم والشعر والأدب، وذكر بنيه فقال: أصل هذه الشجرة أبو محمد القاسم[٢] الرسي بن طباطبا، والرس ضيعة كانت بالمدينة، لم يسمح له المنصور[٣] بالمقام بها في كفاف من العيش حتى طلبه ففرّ إلى السند وقال: [من البسيط]

لم يروه ما أراق النعى من دمنا   في كلّ أرضٍ ولم يقصد من الطلب
وليس يشفي غليلا في حشاه سوى   ألاّ ترى فوقها ابناً لبنت نبي

وكتب صاحب السند إلى المنصور يخبره أنه وَجَد في بعض خانات الموليان مكتوباً: يقول القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوي، انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن مشيت حتى انتعلت الدم، وقد قلت: [من الطويل]

عسى منهلٌ يصفو فيروي ظميئَةً   أطال مداها المنهل المتكدّر
عسى جابر العظم الكسير بلطفهِ   سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صورٌ أمسى لها الجور دافناً   سيبعثها عَدلٌ يجيء فيظهر
عسى الله ينأى من الله إنه   يُيَسِّرُ منه ما يعزُّ ويَعسُرُ

/٩/ فكتب إليه المنصور: قد فهمتُ كتابك وأنا وعليّ وأهله كما قيل:

[من الطويل]

يحاوِلُ إذلال العزيز لأنّه   بدانا بظلْمٍ واستمرّت مرائرهُ

ولما أنشد مؤلف الكنوز للقاسم بن طباطبا قوله[٤]: [من الوافر]

أرقتُ لبارِقٍ مازال يَسْري   ويبكيني لميسم أمّ عمرو

---

(١) الحسن التج: أبو علي شهد فخ وحبسه الرشيد نيفاً وعشرين سنة ثم خلاه المأمون، ويقال لولده بنو التج، انظر «عمدة الطالب» (ص١٦٣).

(٢) أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من العلماء له تصانيف كثيرة، استتر بمصر ودعى إلى نفسه، وطاف في بلاد كثيرة توفي سنة ٢٤٦هـ.
انظر ترجمته في: «الحدائق الوردية» (٢/ ٤٥٤)، و«الوافي بالوفيات» (٢٤/ ١١١)، و«معجم المرزباني» (٢١٧)، و«تاريخ الأدب العربي لبروكلمان» (٣/ ٣٢٥).

(٣) كانت وفاة المنصور أبي جعفر سنة ١٥٨هـ ووفاة الرسي سنة ٢٤٦هـ ولعل في الأمر وهْم، وفي بعض كتب التاريخ أن الذي هرب إلى السند عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية، فقتل هناكً وأرسل رأسه إلى المدينة: انظر: «مقاتل الطالبيين» (ص٣١٢) و«الطبري» (٩/ ٢٨٠).

(٤) «البيتان في الوافي» (٢٤/ ١١٢).

فلم يتْرك وعيشك لي دموعاً بأجفاني ولا قلْباً بصدرِ

قال: والعقب منه في ثمانية أولاد، هم بالتقدّم: الحسين الزاهد ومن نسْلِهِ أئمة صعدة.

قلت: هم الأئمة باليمن إلى زماننا، وأصْل شجرتهم المباركة:

[٤]

الهادي يحيى[١] بن الحسين بن القاسم بن طباطبا

خُطب له بإمرة المؤمنين في حال أبيه، وكان يقال له في الدعاء على المنبر: اللهم أهْدِ لطاعتك وأقم بالعدل في بريتك، الإمام الهادي أمير المؤمنين يحيى ابن الأمير الزاهد العالم الحسين بن أبي محمد القاسم، ثمرة الشجرة النبوية، وبركة الذريّة الفاطمية.

وبويع بعده لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين، والخليفة إذْ ذاك المعتضد[٢]، وكان أول ما عرف ما أدَبِهِ، وعُلِم من شرفِ مطلبه أن أهُديت إليه جارية، تليق به فقال: [من الكامل]

كفّي لحاظك ليس هذا وقْتُها بل وقت كلّ مهنّد وسنانِ

أَمُطاعِنَ الآساد في غاباتها حاشا ترودُ مرابض الغزلانِ

ثم أعادها إلى سيّدها، وقال له: هذه بضاعتك ردّت إليك. وهذا نظير ما رُمتهُ من الفائدةِ في إهدائها.

وله مصنفات في الفقه، وأدبَ طائل[٣].

قال وهو يخطب: من كمال[٤] إيمانك أن تكون مأموماً لرجل اجتمعت فيه شروط الإمامة، التي أوّلها النسب العلوي، فما استحقنا من قبلنا إلا بما رووه عن

---

(١) الهادي إلى الحق، أبو الحسن يحيى بن الحسين بن القاسم، مؤسس الإمامة الزيدية في اليمن له مصنفات كثيرة ولد سنة ٢٤٥هـ وتوفي سنة ٢٩٨هـ، انظر: «الحدائق الوردية» (٢/ ٨٠) «وبروكلمان» (٣/ ٣٢٧).

(٢) المعتضد بالله العباسي أحمد بن طلحة بن جعفر بن الموفق بالله بن المتوكل، خليفة عباسي حازم شجاع حارب الزنج وأصلح الدولة بعد طول فساد: توفي سنة ٢٨٩هـ انظر ترجمته وأخباره في كتب التاريخ العامة: كالطبري وابن الأثير.

(٣) انظر: «كارل بروكلمان» (٣/ ٣٢٧).

(٤) في الأصل: من كمالك، وهو من وهم الناسخ.

جدّنا ﷺ: (قدّموا قريشاً ولا تقدموها) فكيف لا تقدم قريشٌ أبناء بنت رسول الله ﷺ، بل غمطوهم حقّهم ومنعوهم فيئهم، وتقدموا بهم عليهم /١٠/ وله شعر منه قولُهُ:

[من الطويل]

بني حسن إني نهضتُ بثأركم وثار كتاب الله والحق والسنن
وصيّرتُ نفسي للحوادثِ عُرضةً وغبتُ عن الأخوان والأهل والوطن
لأدرك ثاراً أوْ لأقمع ظالماً أشدَّ على الإسلام من عابد الوثن
فإن يكُ خيراً فهو خيرٌ لكلكم[1] وإن تكن الأخرى فإنا ذوو محن

وتوفي بصورة في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين.

وولي بعده ابنه:

[٥]

محمد المرتضى[2]

وكان خطيباً شاعراً، ولما قام بالأمر، اضطرب عليه الناس، ومن شعره قوله[3]:

[من الرمل]

كَدَرَ الورود علينا والصَدرَ وفعل من بدّل حقاً وكفر
أيّها الأمّة عودي للهدى ودعي عنك أحاديث السّمر
عدمتني البيض والسّحر معاً وتبدّلتُ رقادي بِشهَر
لأجُرَّنّ على أعدائِنا نار حربٍ بضرامِ وشَرَرْ

وتوفي في عاشوراء سنة عشرين وثلاثمائة.

وولي بعده أخوه:

[٦]

أحمد[4] الناصر ابن الهادي

وله شعر فائق منه قوله يخاطب أسعد بن يعفر التبّعي، أمير صنعاء: [من الطويل]

---

(١) الأصل: خيراً.

(٢) المرتضى لدين الله محمد بن يحيى بن الحسين العلوي، ولي بعد أبيه، واستمر ستة أشهر ثم اعتزل لأخيه الناصر أحمد، وانصرف إلى العلم، توفي بصعدة. انظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات» (٥/ ١٨٥) و«وبركمان» (٣/ ٣٣٠) و«الحدائق الوردية» (مخ) (٢/ ٥٤٤).

(٣) الأبيات في «الوافي» و«الحدائق الوردية».

(٤) أحمد الناصر بن يحيى الحصادي، إمام زيدي، من العلماء الشجعان، ولي الإمامة سنة ٣١٠هـ ودخل =

أعاشق هندٍ شفَّ قلبي المهنّدُ به ابصرت عيني يد المعالي تشيَّدُ
إذا جمعت قحطان أنساب مجدها فيكفي معدّاً في المعالي محمّد
به استعبدت أقيالها في بلادها وأصبح فيها خالق الخلق يُعْبَدُ
وسرنا لها في حالِ عُسْرٍ ووحدَةٍ فصرنا على كرسي صعدة نصعد
فإن رجعوا للحق قُلْنا بأننا لدين الهدي وجْهٌ، ومنهم لنا يَدُ
ولكن أبوا إلاّ لجاجاً وقد رأوا بأنّا عليهم كلّ حينٍ نُسوَّد
ولا منبر إلاّ لنافيه خطبةٌ ولاعقد ملك دوننا الدهر يُعْقَدُ

وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة.

وولي بعده ابنه: /١١/ الحسين[١] المنتجب، ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة.

وولي بعده أخوه القاسم[٢] المختار بن الناصر، وقتله أبو القاسم[٣] بن الضحاك الهمداني في شوال سنة أربع وأربعين وثلثمائة.

وولي بعده أخوه محمد الهادي، ثم أخوه العباس الرشيد وثم استولى عليهم بنو حمزة[٤]، الآتي ذكرهم، وشرّدوا هؤلاء إلى جبل قطابة باليمن[٥]، ولم يزل لهم به إمام قائم، وبنو حمزة تحاربهم حتى قام منهم أحمد بنِ الحسين المرطي سنة خمس وأربعين وستمائة، وأخذ صَعْدَة كرسي آبائه، وأذهب دولة بني حمزة، واستولى على قريب عشرين حصناً، وخطب خطبةً عاب فيها بني العباس لتعطيلهم الحجّ، على سعة مالهم وملكهم، ثم قالوا: أنا لا نملك إلاّ هذه الرقعة الغريبة، وقد عملت همتنا لأن

= عدن بجيش كبيرة وقاتل القرامطة فظفر بهم، توفي بصعدة سنة ٣٢٥هـ أو ٣٢٣هـ وله تصانيف في الفقه والأصول، وكان إلى ذلك أديباً شاعراً، انظر: «الوافي بالوفيات» (٨/ ٢٤٢) و«الحدائق الوردية» (مخ) (٢/ ٥٥٤).

(١) الحسين بن أحمد بن يحيى بن القاسم العلوي الملقب بالمنتجب لدين الله ولي بعد أبيه سنة ٣٢٣هـ. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٢١ وعمدة الطالب ص١٧٨ وفيه: الحسن ولعله تصحيف.

(٢) القاسم بن أحمد الناصر الملقب بالمختار ولي سنة ٣٢٩هـ، انظر: الوافي ٢٤/ ١١٣، وقرة العيون ٢٢١، وعمدة الطالب ١٧٨.

(٣) أبو القاسم أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي، غدر بالمختار في ربدة فحبسه ثم قتله بعد شهر انظر: قرة العيون ص٢٢١.

(٤) بنو حمزة: نسبة إلى حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله العالم بن الحسين بن الرسّي، من الأسر العلوية في الحجاز، يقال لولده باليمن بنو حمزة، ومنهم أئمة الزيدية انظر: عمدة الطالب ص١٧٩.

(٥) قطابة: بالباء الموحدة، قرية باليمن (ياقوت ـ قطابة).

نقيم منار الإسلام، ونعزم على الحج في هذا العام، فاستعدوا له كل الاستعداد، فاحتاج المظفر[1] بن رسول صاحب اليمن إلى مداراته، وكتب إلى المستعصم يحرّكه على إقامة الحج.

وله شعر منه: [من الكامل]

ولقد أقول لهم غداة المنحنى والخيل تعثر في القنا المتحطّم

أنا أحمدٌ سأقيم سنّة أحمدٍ وَوُصايةِ بين الحطيم وزمزمِ

[٧]

ذكر دولة القائم بالمدينة أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]

ثار بالمدينة، وتغلّب عليها، وبويع بها، وسوّد السيرة، وأساء في قبح الفعال مسيرة، وقتل كثيراً من أهل المدينة، وسبى، ونهب أموالها، وأظهر الفسق والفجور، وأنواع اللهو وشرب الخمور، وتظاهر بهذه الفضائح في مسجد رسول الله ﷺ نهاراً، وزنى فيه، وما تخفّى استتارا، وأباد الناس بالسيف والجوع، ولم يدع إلا من بان أنه الموجوع، وضع الجماعة والجمعة ودنّس شرف تلك البقعة، ولم يُرَ في أيّامه صلاة قائمة، تؤدى نافلة ولا فرضا.

ولا من يذكر الصاحبين /١٢/ رضي الله عنهما إلا بما يرضى، فضاق الخلق به ذرعا، ولم يطيقوا له دفعا، فغزاه المعتمد[3]، فظفر به وقتله، وكانت مدته في هذا

---

(١) المظفر الرسولي: يوسف بن عمر بن علي بن رسول، التركماني، اليمني، ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن، ولد بمكة، وولي بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧ بصنعاء، وكان اميراً حازماً مظفراً، توفي بقلعة تعز سنة ٦٩٤هـ، انظر: النجوم الزاهرة ٨/ ٧١، وابن الوردي ٢/ ٤٠.

(٢) كذا ورد نسبه في الأصل، ولم يعقب الحسن بن علي عليه السلام إلا من زيد والحسن المثنى، فلعلّ (علي) زائدة، وأما محمد بن الحسن، فقد ورد ذكره في مقاتل الطالبيين ص٦٧٨ فيمن خرج أيام المهتدي، وليس المعتمد، قال: وأسر الحرث بن أسد بالحار محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي وحمله إلى المدينة، فتوفي بالصفراء، فقطع الحرث رجليه، وأخذ قيدين كانا فيهما ورمى بهما.

وفي «عمدة الطالب» (ص٩٧): ومن ولد محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد: محمد بن الحسن بن محمد، مات في الحبس بمكة.

(٣) المعتمد، أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل بويع بالخلافة سنة ٢٥٦هـ بسر من رأى وتوفي سنة ٢٧٩هـ ببغداد. انظر: مختصر ابن الكازروني ص١٦١، وفي المقاتل أن محمد بن الحسن قتل أيام المهتدي الذي حكم سنة ٢٥٥هـ وقتل ستة ٢٥٦هـ.

النسق سنة وأشهر فسبحان من لا يعجّل بمؤاخذة من اجترى، وفي الحديث: أن الله ليمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يكن ليفلته، ولهذا كل ظالم يطرقه ضحى إن لم ينتهِ.

[٨]

ذكر دولة السفاك اسماعيل[١] بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون

ذكره مؤلف «الكنوز»، وجلّى في ذكره الرموز، قال: كان يكتب نفسه السفّاك، ويرضى هذا الاسم لنفسه ويقول: ابتدأت دولة بني العباس بالسفاح، وتبتدي دولة بني علي بالسفاك، وكان يرحل وينزل في اكناف الحجاز. وثار في جموع جمعها، وجنود معه أطمعها، وزحف على المدينة، ليطرد عنها ولاة المعتز، فحموها، فأتى مكّة وملكها، وخطب لنفسه بها بالخلافة، سَفَكَ الدماء، ومنع الحجاج الوقوف، ووقف بالمأزمين.

وقال من تبرّأ من العمّيْن، وسبَّ بني العباس وبني أميّة، خُلِّي، وإلاّ فالسيف وقيل له: أسرفت في قتل المسلمين، فقال: لو اعتقدت أنهم مسلمون ما قتلت منهم أحداً. ثم كان ينشد شعراً منه: [من الوافر]

بنو العباس لو أني بسيفي قتلت جميعهم لم أُشف نفسي

[٩]

ذكر دولة الكبير، ومنهم أهْل اليَنْبع

وسنذكر من أيْنَ نُمي أصلُهم، وهم من ولد أبي الكرام عبد الله بن[٢] موسى الجون ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى.

وكان عبد الله هذا له صيتٌ بالحرمين، فلما حجّ الرشيد، وزار، أبْصَرَ ميل

---

(١) اسماعيل بن يوسف، ظهر بالحجاز وغلب على مكة أيام المستعين، وغوّر العيون واعترض الحاج فقتل منهم جمعاً كثيراً، ونهبهم ونال الناس بسببه بالحجاز جهد كثير، ثم مات على فراشه فجاءة سنة ٢٥٢هـ. عمدة الطالب ١١٣، وانظر: تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٦ وفيه تحامل كثير نقله عنه صاحب عمدة الطالب وانظر كذلك نهاية الأرب ٢٥/ ٧٩.

(٢) عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله الحسني العلوي، كان سيداً جواداً ممدحاً، أرادهُ المأمون على ولاية العهد بعد وفاة الرضا ـ وكان قد تواري ـ فردّ عليه بكتاب رواهُ أبو الفرج منه: فبأي شيء تغرني؟ مافعلته بأبي الحسن ـ صلوات الله عليه ـ بالعنب الذي اطعمته إياه فقتلته، والله ما يقعدني عن ذلك خوف من الموت ولا كراهة له ولكن لا أجد لي فسحه في تسليطك من نفسي.
ولم يزل عبد الله متوارياً حتى مات أيام المتوكل العباسي، انظر: مقاتل الطالبيين ص٦٢٨، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٤٨، وعمدة الطالب ص١١٣.

الناس إليه فحمل حقد هذا عليه، ثم لما أتى الرشيد قبر النبي ﷺ، قال: كالمتكثّر على رؤس الأشهاد: السلام عليك يا بن عم، فعارضه لوقته أبو الكرام وقال: السلام عليك يا أبة[١]، فكاد الرشيد يتميّز من الغيظ، وقال بهذا ارتكبنا من بني علي ما ارتكبناه، ثم طرد فمات، لا يُعرف له مكان، ومن بنيه الكراميون /١٣/ ومنهم الصالحيون[٢]، وصالح وابنُهُ شاعران، جليلان، فأما صالح بن أبي الكرام، فهو الجوّال، وسميّ بذلك لأنه جال أقطار الأرض لخوفه، ونشأ بالمدينة، والإمامةُ في رأسه، والدعاء يأتيه، ولم يمكنه الخروج بجزيرة العرب، فخرج بخراسان، فحمل إلى المأمون، فلما دخل عليه لامَهُ وقال: وما حملك على الخروج عليّ وأنت القائل: [من الطويل]

إنْ كان عندي قوتُ يومٍ وليلةٍ   تفضى همّ قلبي إذا اجتمع

فلست تراني سائلاً عن خليفةٍ   ولا عن وزيرٍ للخليفة ما صنع

ثم حبسه[٣]:

وأما ابنه محمد بن صالح[٤]، فهو شاعر مذكور، وبطل مشهور، وكان يعرف بالأعرابي للزوُمه البادية، ومن شعره: [من الكامل]

طرب الفؤاد فعاده أحزانه[٥]

وكان قد أخذ أيام المتوكل لخروجه فحبس ثم اطلق لقصيدةٍ عرضها له الفتح بن خاقان.

ومما كتب به من حبسه إلى امرأته[٦]: [من الطويل]

لو أن المنايا تشترى لاشتريتها   لأم حُمَيْدٍ بالغلاء على عمد

---

(١) روي هذا الخبر مع الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام انظر: الإرشاد للمفيد ص٢٩٧ وتاريخ بغداد ١٣/ ٣١.

(٢) الصالحيون كما في عمدة الطالب ص١٢٦ من ولد صالح بن محمد بن الحسن بن موسى الثاني بن عبد الله الجون، وكان أميراً فارساً شجاعاً.

(٣) لم يرد خبر خروج صالح بن عبد الله على المأمون فيما بين يديّ من المصادر.

(٤) محمد بن صالح بن عبد الله العلوي الحسني، من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم وشجعانهم خرج بسويقة أيام المتوكل فأخذ وحبس، فمدح المتوكل، فأخرجه من السجن ولم يمكنه من العودة إلى الحجاز فبقي في سر من رأى حتى مات، انظر: الأغاني ١٥/ ٨٨ ومقاتل الطالبيين ص٦٠٠، وعمدة الطالب ص١١٦، ونشر مهدي عبد الحسين النجم شعره محققاً في بيروت عام ١٩٩٩م.

(٥) بقية البيت: وَتَلعّبَتْ شغفاً به أشجانُهُ (ديوانه ص٢٣ وفيه: تشعبت به أشجانه).

(٦) ديوانه ص١٥ نقلاً عن الوافي بالوفيات ٣/ ١٥٥.

ولـكـن بـي أنّـي أعـيـش بـغـبـطـةٍ[١] وقـدمَـتَّ أن يـحـظـى بـهـا أحـدٌ بـعـدي

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في الشعراء:

وفي هؤلاء الصالحيين ملك متوارث بغابة[٢]، وقد ذكرناه في مكانه.

ومنهم: السليمانيون[٣]، من ولد سليمان ابن أبي الكرام المذكور.

ومنهم: الهواشم[٤]، من ولد أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الأكبر بن موسى الثاني بن أبي الكرام، ومن هؤلاء السليمانيين والهواشم، ملوك مكة والينبع.

ومنهم: أغْني بني أبي الكرام، العمقيّون[٥]، من ولد علي العمقي بن أحمد بن أبي الكرام.

ومنهم: الحرانيون[٦] من ولد القاسم والحسن ابني محمد بن أبي الكرام.

ومنهم: الأحمديون، من ولد أحمد بن موسى الجون[٧].

ومنهم: الإدريسيون، من ولد إدريس بن أبي الكرام، وقد ذكر.

ومنهم: المترفيّون[٨]، من ولد علي المترف بن أحمد بن أبي الكرام.

ومنهم: الفاتكيون، من ولد الفاتك[٩] بن عبد الله الكامل

/ ١٤/ ومنهم: المصحفيون: من ولد محمد المصحفي[١٠] بن سليمان المذكور.

ومنهم: الحنظليون، من ولد أبي حنظلة محمد[١١] بن يحيى بن عبد الله الكامل.

---

(١) في الديوان: ولكن أخاف أن تعيش بغبطةٍ.

(٢) في الأصل: غانة، والصواب غابة بالباء الموحدة، وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام (ياقوت ـ غابة).

(٣) السليمانيون: بنو سليمان بن موسى الثاني، عمدة الطالب ص١٣٦.

(٤) الهواشم: نسبة إلى أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني. أمراء مكة بعد السليمانيين، أخذوها منهم بعد حرب دامت سبع سنوات.
انظر: عمدة الطالب ص١٣٦.

(٥) وفي عمدة الطالب ص١٢٠: الغمقيون: بالغين المعجمة، ولد علي الغمقي، ويقال لهم الغموق أيضاً، وهم عدد كثير بالحجاز والعراق، نسبة إلى الغمق منزل بالبادية.

(٦) انظر: عمدة الطالب ص١٣٢.

(٧) الأحمديون، من ولد أحمد بن المسوّر بن عبد الله بن موسى الجون، انظر: عمدة الطالب ص١٢٠.

(٨) ويقال لهم أيضاً: المتارفة من ولد الحسن المترف بن داود بن أحمد المسوّر كذا في عمدة الطالب ص١٢١.

(٩) كذا في الأصل، وفي عمدة الطالب ١٢٣، أبو الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان.

(١٠) كذا في الأصل، وفي عمدة الطالب ص١٢٣: محمد المصفح.

(١١) في عمدة الطالب ص١١٩: الحنظليون نسبة إلى أبي حنظلة إبراهيم بن يحيى بن عبد الله بن موسى الجون.

فأما أصحاب الدول من السليمانيين والهواشم: فسنذكرهم:

[السليمانيون]

فأما السليمانيون، فأوّل مذكور من أمرائهم:

[١٠]

أبو عزيز، قتادة[١] بن إدريس بن مُطاعِنْ بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان المذكور

وهو أساس البيت، جوار البيت المحرم، ومبتني المجد بفناء الحرم المكرَم.

قال الشريف الإدريسي النسّابة: لا أعرف من يساوي أبا عزيز في القعدد[٢] إلى أبي طالب.

ورث دولة الهواشم، وليس منهم إلا من جهة النساء، وكلّهم إلى أبي الكرام وساد الكراميين، وملك معظم الحجاز، واقتنى مماليك من الأتراك، رماة أَذَلَّ بهم العرب.

وذكر الريحاني: أن العرب لما فتكت بالركب العراقي في سنة ثلاث وستمائة بنجد لما بين[٣] الحرمين، كتب الإمام الناصر إلى أبي عزيز كتاباً بخط ابن زيادة وغير خفيّ عن سمعك، وإن خفى عن بصرك

فتك الأَجاود في آرام بكل ريم، وعيث بني حرب بين الحرمين حين غَمُّوا قلب كل محرم بالضميم، فأعجب هذا أبا عزيز فقال: [من الوافر]

بآرامٍ فتنت بكلّ ريم ... كما غمّوا فؤادي بالغميم

وفي وادي العقيق رأوا عقوقي ... كما حَطَمُوا ضلوعي بالحطيم

---

(١) أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني العلوي: أمير مكة اتسعت ولايته حتى حدود اليمن، وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب في تلك البلاد، وكان مهيباً قوي النفس مقداماً أديباً شاعراً توفي سنة ٦١٨هـ عن تسعين عاماً.
انظر: العسجد المسبوك ص٣٨٩ وكامل ابن الأثير ٩/ ٣٤٦ ومرآة الزمان جـ ٨ق٢ص٦١٧ والتكملة للمنذري مجلد ٦ الترجمة ١٧٤٩ وذيل الروضتين ص١٢٣ والبداية والنهاية حـ١٣ص٩٢ وعمدة الطالب ١٤١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٩ والشذرات ٥/ ٧٦ والوافي ٢٤/ ١٩٣ وفي بعض هذه المصادر أن وفاته سنة ٦١٧هـ وفي بعضها ورد اسمه أبو قتادة بن إدريس.

(٢) القعدد: القريب النسب، يقال: رجل قعدد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر.

(٣) في الأصل: لم بين الحرمين.

ثم بدت الوحشة بين أبي عزيز والناصر، وأسرّها البغاددة، فلما أتى أمير الركب إليه بالخلع، سامَهُ التوجّه معه فقال له: حتى انظر، فلما نكّر عليه فأنشدَهُ[(١)]:

[من الطويل]

ولي كفّ ضرغامٍ أصول ببطشها واشتري بها بين الورى وأبيع

تظلّ ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي بطنها للمجد بين ربيع

أأجعلها تحت الرحى ثم ابتَغي لها خلاصاً أني إذاً لرقيع

وما أنا إلاّ المسك في كل بلدةٍ يضوع وأما عندكم فيضيع

/١٥/ فقال له أمير الركب هذا: إلا أبلغُه عنك: وأشار عليه بتجهيز ولدٍ له في مشايخ من الشرفاء يدخلون بغداد ـ وأكفانهم بأيديهم منشورة، وسيوفهم مسلولة، يقبلون العتبة، ويتوسلون برسول الله ﷺ في الصفح، فلما دخلوا على هذه الهيئة والخلائق تضجّ بالبكاء، فعوملوا بكلّ حسنى، فلما بلغ ذلك أبا عزيز كان يقول: لعن الله أول رأي عند الغضب.

وتوفي أبو عزيز في عزّ سلطانه بمكة سنة سبع عشرة وستمائة، وكانت مدّته نحو تسع عشرة سنة، وهي السنة التي استولى فيها المسعود[(٢)] بن الكامل على مكة، وفرّ منها أمامَهُ إمامُها حسن[(٣)] بن أبي عزيز. وكان قد واطأ جارية لأبيه حتى أدخلته إليه فخنقه، وأعانته الجارية، لأنها كانت قد طمعت منه بمال وعدها، وآمال جحدها،

---

(١) الأبيات في كامل ابن الأثير ٩/ ٣٤٦ ومرآة الزمان جـ٨ق٢ص٦١٧ والبداية والنهاية ٩/ ٩٢ والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٩٣ والعسجد المسبوك ص٣٩٠، وذكر ابن الجوزي في الأذكياء ص٤ـ٥ـ٤٦ أنها لوكيل لأحمد بن الخصيب في ضياعه، ونسبها لقتادة ابن عنبة في عمدة الطالب ص١٤١ قال: إن الناصر استدعاه إلى بغداد، فلما وصل العراق خرج أهل الكوفة لتلقيه ومع بعضهم أسد في قفص. فلما رآه قتادة تطير من ذلك فرجع وقال الأبيات.

(٢) الملك المسعود أبو المظفر يوسف بن الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن محمد بن أيوب بن شادي. ملك أبوه اليمن ومكة ولاها ابنه الملك المسعود، فاستناب بها أميراً وأقام باليمن، أساء السيرة، ثم شل ومات شاباً سنة ٦٢٦هـ.

انظر: الحوادث الجامعة تحقيق مهدي عبد الحسين النجم ص٢٥ والمختصر من اخبار البشر ٢/ ٢٢٣ والعسجد المسبوك ٤٣٩ والشذرات ٥/ ١٢٠ وفيه اسمه أفسيس بالفاء الموحدة والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٤ وفيه (أقسيس) بالقاف والوفيات ٥/ ٧٦ و٨٢ وفيه «أطسيس وبهجة الزمن في تاريخ اليمن ص٨٢ وشفاء القلوب ص٣٦٢.

(٣) انظر ترجمة حسن بن قتادة في الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٠٦ والعقد الثمين ٤/ ١٦٦ ومرآة الزمان ٨/ ٦١٠ والكامل لابن الأثير ٩/ وعمدة الطالب ص١٤٢.

وخرج فقعد مكان أبيه، والقلوب منه نافرة، والنفوس له عن البغضاء سافرة، وأكب عليه أخوه راجح[١] بن أبي عزيز، ووجوه الأشراف، أمير[٢] الركب العراقي في حين قدم، وقال كل منهم فيه بما علم، فغلق أبواب مكة، وجمع للامتناع، ثم انسلّ من الجمع فريداً، ونَسَلَ من جناح بني أبيه في البرّ المقفر طريدا، وأتى بغداد، فمرض بها، وكان لايزال يرى أباه يتردد إليه في منامِهِ، ويضع يده في خناقه فينتبه مذعوراً، ويسمعه من معه في البيت يصيح، وهو كالمتخبط، ويقول: بالله لا تفعل، ومات سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

وقام بعده أخوه راجح بن أبي عزيز، وكان لوفور عقله راجحاً، ولحسن فعله حيث يمَّمَ ناجحاً. أخَذَ نفسه بسلوك الطاعة، ولزوم الجماعة.

ثم ولي أبو سعيد الحسين[٣] بن علي بن أبي عزيز وكان جواداً أبيّاً شهماً وفيّاً، أديباً فصيحاً عربياً، ثم أتى دمشق جماز بن حسن بن أبي عزيز. وأبوه حسن المتقدم الذكر، وقد طنّ في رأسه طلب مُلك أبيه بعد كلام شجر بينه وبين أقربيه، وكان قد انحمل على ابن عمه أبي سعيد الحسين بن علي ابن أبي عزيز، وكان قد امتدّ أمرهُ إلى مكة[٤]، وطلب من الناصر بن العزيز أن يجهزه بمال وعسكر ليخطب له بمكة، فأمطله متى ضَجَر، ثَم بعثه مع الركب، فأفسد حال ابن عمه أبي سعيد، ثم آل الأمر إلى أنه وثَبَ عليه فقتله واستولى على مكة، وخطب بها للناصر سنة إحدى وخمسين وستمائة ثم كان يقول: كنت أودّ لي بملك أبي سعيد مثل قوله: [من الطويل]

إلى الخيف من وادي منى والمحصّبِ أحِنّ بقلبٍ فوق جمرٍ مقلّب

واشتاق من أرضِ الحجون معالماً ببطحائها والشوق مذ كنت مَذهبي

---

(١) راجح بن قتادة بن أدريس بن مطاعن، من امراء مكة انتزعها من عمال مصر سنة ٦٢٧هـ ثم استعادوها منه وتوالى ذلك مراراً حتى وليها ثمان مرات. وكان مواليا لبني رسول أصحاب اليمن، فساعده عمر بن علي الرسولي لامتلاكها أول مرة.
وكانت أيامه حافلة بالفتن ثم خرج عليه ابنه غانم واتهمه بالجنون فقيده وحجر عليه، ثم سأله راجح أن يخلي سبيله على أن لا يعارضه في مكة، فقبل وأعطاه جملاً وخرج هارباً، وافر المستعصم للعباسي غانماً على مكة، وقيل أن راجح عادة إلى مكة فمات بها سنة ٦٥٤هـ.
انظر: الوافي بالوفيات ١٤/٥٨ والحوادث الجامعة ص٢١١ وعمدة الطالب والأعلام ٣/ ١٠.

(٢) هو آقباش التركي كما في الوافي ١٢/٢٠٧ وانظر العقد الثمين ٤/ ١٦٧ و٤/ ٣٧٣.

(٣) في عمدة الطالب ص١٤٢: (الحسن)، وكان من الشجعان الأبطال امه أم ولد حبشية، توفي سنة ٦٥١هـ.

(٤) في الأصل: امتدّ إلى امرة مكه.

وفي رشأ أحلى بقلبي من الغنى لدى قلْبِ ذي بخلٍ مجرّب[١]

[الهواشم]

وأما الهواشم: فأول مذكور منهم:

[١١]

محمد بن جعفر بن أبي هاشم[٢]

وهو سيد سادة، ورأس سيادة، ومثقف رأي، لم يعدم سداده، ومسدّد سهم لم يخط خطة سعادة.

قال ابن الحصين: دخلت مكة سنة أربع وخمسين وأربعمائة، والفتنة قائمة بين الحسنيين والسليمانيين منهم، ولم يكن للسليمانيين رأس يقوم بهم بعد الأمير شكر[٣]، فتقدم محمد بن جعفر وأوقع بين بني سليمان، واستولت الهواشم على مكة وطردوا السليمانيين إلى اليمن، واستقلّ بالأمر، وخطب للمستنصر الفاطمي، ثم خطب للقائم العباسي، وأبدل بياض الشعار الفاطمي بسواد الشعار العباسي[٤]، وقال وهو يخطب:

الحمد لله الذي هدانا أهل بيته للرأي المصيب، وعوض بيته بلبسةِ السواد بعد لبسة المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة ومبايعة أمام الجماعة، ثم تكلّم بعد هذا بما يناسب.

فلما انتهى قام محمد بن إبراهيم الأسدي[٥] أمام قبّة العباس، وأنشد: [من الوافر]

بني العباس عاد الأمر فيكم وإرث أبيكم أضحى مستقيما

---

(١) كذا ورد العجز في الأصل مختل والوزن والمعنى، ولعل الصواب أن تكون كلمة (وحرص) قبل (مجرب) ليستقيم الوزن والمعنى.

(٢) محمد بن جعفر بن محمد، أبو هاشم، ولاه الصليحي إمارة مكة سنة ٤٥٦هـ، وانتزعها منه حمزة بن وهاس، ثم استعادها أبو هاشم بعد مدة وكان فارساً شجاعاً أيّداً على غاية من القوّة، توفي سنة ٤٨٧هـ عن نيف وسبعين سنة، انظر: الكامل ٨/ ١٧٣ وصبح الأعشى ٤/ ٢٧٠.

(٣) شكر واسمه محمد بن الحسن بن جعفر، أبو عبد الله تاج المعالي، أمير جليل جواد، مات سنة ٤٥٣ ولم يعقب إلا بنتاً. انظر عمدة الطالب ١٣٤ والأعلام ٣/ ١٧١.

(٤) كذا بالأصل، والصواب: أبدل ببياض الشعار الفاطمي سواد الشعار العباسي لأن الباء تدخل على المتروك.

(٥) محمد بن إبراهيم الأسدي، شاعر من أهل مكة، لقي أبا الحسن التهامي في صباه، وتصدى لمعارضته، وسافر إلى اليمن والعراق، وخدم أبا الحسن المغربي الوزير، ورحل إلى خراسان وتوفي بغزنة سنة ٥٠٠هـ.

انظر: معاهد التنصيص ٣/ ٢٠١ والمنتظم ٩/ ١٥٣.

/١٧/ فزمزم ليس تروي غير تالٍ مديحكم وفخركم القديما

فأظهر له القبول، ثم طلبه خفية، وقال له: ما يدخلك بين بني فاطمة وبني العباس، ثم طرده، ثم هجمَ المدينة، وأخذها، وخطبَ للقائم بها، وسمي أمير الحرمين، وتوفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وكانت مدّته ثلاث وثلاثين سنة.

ثم قام بعده ابنه قاسم[١]: قال مؤلف الكنوز، فزاد في الاضطراب في الخطبة على أبيه، وقطع مدته بما أسأل الله مسامحته فيه، ومات سنة ثمان عشرة وخمسمائة[٢]. بعد عمر متع به التصرف والتقلب بلغ إحدى وثلاثين سنة.

ثم قام بعده أبو فُليته[٣]، فأحسن السياسة وأحْسَب[٤] في الرئاسة، وأسقط المظالم وأسخَطَ بمراضي الله الظالم، وكان جواداً لا يحتجب، وشجاعاً لا يغفل عما يجب، وقال يوماً: اعلموا يا بني الحسن، أني وجدت الرقاب ثلاث، رقبة ملكتها بالمنن، ورقبة ملكتها بالصفع، ورقبة لم ينفع فيها إلا السيف. فقالوا: والله إنك لأعرف بما تقول وتفعل.

وتوفي قتيلا بسكاكين الباطنية سنة ست وخمسين وخمسمائة، ومدته عشرون سنة.

ثم قام بعده ابنه عيسى[٥]، وكان صديقاً للملك الناصر[٦] بن أيوب صداقة لا تنفصم عراها ولا يوقظ كراها.

وفي أيامه كان أخذ الأصطول الناصري لاصطول صاحب الكرك الفرنجي الذي قصد ماردهُ الله بغيظه دونه، وأُخذ ونحر من فيه، بجمرة العقبة حيث تنحر البُدن.

ثم عزله الإمام الناصر لتقصيره في خدمه أمّه لما حَجّتْ.

وولى أخاه المكثر[٧]، ولم يتقدم في اهل بيته أجلّ منه ولا أجلا سناء فيما يؤثر

---

(١) أبو فليتة قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الأصفر، ولي مكة بعد أبيه وتوفي سنة ٥١٧هـ، انظر عمدة الطالب ص١٣٧ والكامل ٨/ ٣١٤.

(٢) في الكامل وهامش عمدة الطالب أنه توفي سنة ٥١٧هـ.

(٣) كذا في الأصل: وهو فليته كما في عمدة الطالب ص١٣٨ والكامل ٨/ ٣١٤.

(٤) أحسب: أي أجزل العطاء حتى يقول الآخذ حسبي.

(٥) قطب الدين، عيسى بن فليتة، ولي مكة بعد أن طرد عنها ابن أخيه قاسم بن هاشم، توفي سنة ٥٧٠هـ انظر عمدة الطالب ١٣٧.

(٦) الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب المتوفي سنة ٥٨٩، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ.

(٧) مكثر بن عيسى، الحسني، ولي مكة بعد أبيه، ونازَعَهُ أخوتهُ ثم استمر له الملك إلى سنة ٥٩٣هـ فقام =

عنه، هذا على قصر مدته، وتخاذل زمانه. وبنى قلعة مكة على جبل أبي قبيس، قال الريحاني: كان ذا شهامة، بعيد الصيت والغور وشعره كثير، ومن حر الكلام قوله:

/١٨/ لا تصحبنّ أخاً يُريدُ لنفسه ... مالا تُريدُ ولا يُعادُ قد يرا
إلا إذا أبصرتَهُ متجنبا ... فاركب لَه حَدَّ الحسام طريرا

وتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة[1].

قال الريحاني: وبموته انقرض ملك الهواشم، وصار في بني مطاعن من السليمانيين المذكورين من قبل.

فأما من ملك قبل هؤلاء فمن بني داود[2] بن الحسن المثنى، وهم أول من ملك ثم الهواشم ثم السليمانيون..

وأول قائم من بني داود:

[١٢]

الناهض بأمر الله محمد[3] بن سليمان بن داود

نهض لملك أدركه، وبلد ملكة، ظهر بالحجاز، وخطب لنفسه بالإمامة بالموسم على رؤوس الأشهاد، وقال: الحمد لله الذي أعاد الحق إلى نظامِهِ، وأبرز زهر الإيمان من كمامه، وكمل دعوة خيرة الرسل بأسباطِهِ لبني أعمامه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وكفَّ عنهم ببركته أيدي المعتدين وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين: [من المجتث]

لأطلبنّ بسيفي ... ما كان للحق ديْنا
وأَسْطونَّ بقومٍ ... بغوا وجاروا علينا

= عليه ابن أخيه منصور بن داود بن عيسى واستولى على مكة، وقيل إن قتادة أخذ مكة من مكثر سنة ٥٩٧هـ. انظر عمدة الطالب ص١٣٨ وإنسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخ) لابن أبي عذيبة الورقة ١٥٦ الشذرات ٤/٢٩٧.

(١) كذا ورد وانظر تعليقتنا آنفة الذكر عما نقلناه عن عمدة الطالب.

(٢) داود بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو سليمان، كان يلي صدقات أمير المؤمنين نيابة عن أخيه عبد الله بن الحسن، وكان رضيع جعفر الصادق عليه السلام، وحبسه المنصور مع الحسنين ثم أطلقه، ومات بالمدينة، انظر عمدة الطالب ص١٨٩.

(٣) محمد بن سليمان الطالبي وجهه أبو السرايا إلى المدينة عام ١٩٩هـ فدخلها ولم يقاتله أحد قيل إنه مات عن نيّف وثلاثين سنة، انظر عمدة الطالب ص١٨٩ وتاريخ الطبري ٨/ ٥٣٢.

يـــهـــدون كـــلّ بـــلاءٍ مـــن الـــعـــراق إلـــيـــنـــا

ثم:

[١٣]

أبو الفتوح: الحسن[١] بن جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان

وكان جميل الوفاء، جليل القدر في الشرفاء، كتب إليه القادر[٢] سنة إحدى وثمانين وثلثمائة بولاية مكة، فانفذ كتابه إلى العزيز[٣]، فَوَقَّعَ لَهُ العزيز بولاية مكة، وأرسل إليه بمالٍ وخلع للشرفاء، فحضرتهم عند الكعبة، وقسم فيهم المال. وقال عندما ألبس الكعبة الكسوة البيضاء: الحمد لله يا بني فاطمة الزهراء، وأصحاب السنة الغراء على أن زين بيته بلبسة السرور وبعد لبسة الحزن، وجعل ملك الحرمين ببني بنت رسوله من بني /١٩/ الحسين وبني الحسن. فأرضى الفريقين، واتصلت إمارته، وأتاه كتاب الحاكم بالبراءة ممن غَصَب وصي رسول الله ﷺ ميراثه في الخلافة. ومنع فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ حقها في فَدَك[٤]، فغضب أبو الفتوح وقال: قوم قام بهم منار الإسلام بعد نبيّه عليه السلام، يذكرهم بمالا يجب، أهكذا فَعَلت النصارى بالحواريين، بل جعلوا قبر كل واحد منهم مزاراً لحجٍ وعبادةِ الله ولو أمرني أن ألْعن قوماً على غير الملّة لما ارتضيت أن أكون لعّاناً. ووالله أن من حقوق[٥] جدّنا علي بن أبي طالب وصفه بالعجز، قام بهذا وخطب على رؤس العلوية، فقام إليه رجل منهم وقال: أيها الأمير هذا مقال من يجب عليه أن لا يرجع عمّا قاله، قال: صدقت، ثم شرع في مباينة الحاكم.

وأتاه الوزير أبو القاسم[٦] يحرضه على طلب الخلافة، فخطب لنفسه بها،

---

(١) الحسن بن جعفر، أبو الفتوح، من الأمراء الشجعان الشعراء، ولي الحجاز بعد أخيه عيسى، وتوجه إلى الشام سنة ٤٠١هـ ودعا إلى نفسه، وبايعه بنو الجراح فاستمالهم الحاكم العبيدي بمصر فتخلّوا عنه، ثم اعتذر إلى الحاكم فاعاده إلى الحجاز إلى أن مات سنة ٤٣٠هـ. انظر عمدة الطالب ١٣٤.

(٢) أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر بالله العباسي، ولي الخلافة سنة ٣٨١هـ، وتوفي سنة ٤٢٢هـ مختصر ابن الكازروني ص١٩٦.

(٣) العزيز بالله نزار أبو منصور بن المعز أبي تميم معد، الفاطمي ثاني خلفاء الفاطميين بمصر، ولد بالمهدية وولي الخلافة بمصر سنة ٣٦٥هـ وتوفي سنة ٣٨٦هـ. انظر النجوم الزاهرة ١١٢/٤.

(٤) فدك قرية بالحجاز أفاءها الله على رسوله ﷺ، فوهبها لابنته فاطمة الزهراء، فأخذها منها أبو بكر والخلفاء وبعده، ثم أعادها عمر بن عبد العزيز إلى بنيها، وأخذت بعده إلى أيام المأمون فأعادها إلى الفاطميين.

(٥) كذا في الأصل: ولعل المراد عقوق.

(٦) أبو القاسم الحسن بن علي المغربي، وزر لأبي الفتوح، وأخذ له بيعة بني الجراح الطائيين بعدما دعا إلى نفسه وتلقّب بالراشد بالله، ثم إن الحاكم الفاطمي استمال بني الجراح فتخلّو عن أبي الفتوح، =

وتلقب بالراشد، وأتى الرملة[١]، فبايعه بنو الجراح أمراء طيّىء، ودُعي أمير المؤمنين، فمازال الحاكم يتحيل على العرب بالرغبة والرهبة حتى انفردوا عنه، فرجع إلى مكة ولم يجدْ بدّاً من إعادة الخطبة للحاكم، فقيل له: أترضى بأن تكون تابعاً بعد أن كنت متبوعاً؟ فقال: ما أُحبّ أحدٌ الحياة في عافية إلاّ رضى ببعض الدرجة، وامتدّ عمره إلى سنة ثلاثين وأربعمائة، وإمارته مدتها ست وأربعون سنة، وهو القائل: [من المجتث]

أهوى الكؤوس فمنها إلى السرور أسير
عجبت منها شموساً حفّت بهنّ بدورُ
عجبت منها خدوداً لاحت عليها ثغور

حكي أن الوزير أبا القاسم كانت عنده محاككة[٢] ومرافقة، فقال يوماً لأبي الفتوح بمحضر من الأشراف وأمراء العرب: ما رأيت أشعر منك في قولك، وأنشده هذه الأبيات، فخجل أبو الفتوح وعلم أنه أراد إعلامهم أنه يشرب الخمر، فقال لأحد حجّابه عليّ بالمصحف، فلما حضر فتحه / ٢٠/ وقال: وحق ما احتوى عليه، ما شربتها قط، ولا حضرت عليها، وتوحش لأبي القاسم ففرَّ منه.

ولأبي الفتوح شعر كثير منه ما أنشدَهُ الباخرزي في الدمية، وهو: [من الخفيف]

وصلتني الهموم وَصَل هواك وجفاني الرقاد مثل جفاك
وحكى لي الرسول أنّك غضبى كفى الله شر ما هو حاكي

ثم ولي بعده ابنُهُ شكر[٣]، وكان نصلاً [لا] يثلمه الضراب، ورمحاً لا تَحْطِمه الحراب، وجرت له خطوب مَلَك في أثنائها المدينة، وجمع بين الحرمين، ولما وَقَعَت الحرب بينه وبين (بني)[٤] عمه من بني موسى الجون الذين كرهوا دعوة المصريين، وأرادوا الخطبة لبني العباس، وعاضدهم بنو الحسين، وبنو جعفر قال: [من الطويل]

بني عمنا الأدنين قُرباً تأمّلوا غرابيب ما يأتي به البغيُ في الأهل

= وهرب عنه وزيره أبو القاسم.
انظر: عمدة الطالب ص١٣٤.

(١) الرملة: مدينة كبيرة بفلسطين كانت رباطاً للمسلمين (ياقوت ـ الرملة).
(٢) المحاككة: من الحكاك، وهو حكاك الشر والنزوع إليه.
(٣) أبو عبد الله، واسمه محمد ولقبه تاج المعالي، مضت ترجمتُهُ.
(٤) في الأصل: وبين عمه.

نسيتم دماء بالمدينة أُهدرت ... وما كان في فخّ من الأسر والقتل[1]
فميلوا لهم لا درّ لله درّكم ... وعاطوهم كأس المودّة والوصل
وخلّوا بني بنت النبيّ بجانبٍ ... ولا تقصروا حتى تروا فرقة الشمل
وتأخذكم أيدي الشتات وتخرجوا ... من الحرم الشامي والحرم القبلي
وأما أنا ما دام للسيف قائمٌ ... فلا اشتري عز العشيرة بالذلّ
ولا أرْتَقي إلا ذرى كل منبرٍ ... ولا أرتضي إلاّ الذي يرتضي مثلي
أُمهّد للأبناء ما يتبعونَهُ ... وأتْبَعُ آبائي الذين مضوا قبلي

ثم لما خاف غلبة الرجال، أسْلَم الحجاز ذاهباً إلى مصر، وقال: [من البسيط]

قوِّضْ خيامك عن أرضٍ تُضامُ بها ... وجانب الذلَّ إن الذلَّ مجتنبُ
وارحل إذا كانت الأوطان منقصةٌ ... فالمندل العَرف في أرجائه حَطَبُ

/ ٢١/ ولم يزل في خطوب وحروب تَنُوب إلى أن مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ومدته نحو ثلاث وعشرين سنة، وبه انقرضت دوله الداوديين بالحجاز، وفرّ أهل بيت الإمارة، منهم إلى اليمن، ولها منهم أمراء.

ذكر الدولة الطّبرستانية[2]

تداولها ستة رجال، منهم ثلاثة من بني الحسن، وثلاثة من بني الحسين، فأما الدولة الحسنية، وهي كانت الأولى، وبها أُسست الوطأة العلوية هناك. وأولها:

[١٤]

الداعي إلى الحق[3]، أبو محمد الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد الجواد ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

وكان أمضى من صارِمِهِ، وأخلَع للدعة من خاتمة. نهض للملك حتى أخَذَه،

---

(١) في الأصل: وما كان في فج.

(٢) طبرستان: بلدان واسعة الغالب عليها الجبال. من بلدانها: وهستان، وجرجان، واستراباذ وآمل، وهي قصبتها، كان قد هرب إليها يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى بعد مقتل أخيه محمد بالمدينة، فأرسل إليه الرشيد جيشاً بقيادة الفضل البرمكي، فصالحه وعاد به إلى الرشيد، الذي اغتاله فيما بعد، ويعتبر يحيى مؤسس المذهب الزيدي بتلك البلاد. انظر عن طبرستان (ياقوت ـ طبرستان) وعن يحيى بن عبد الله (مقاتل الطالبيين ٤٦٣).

(٣) الداعي إلى الحق، الحسن بن زيد بن محمد الحسني العلوي: أحد ائمة الزيدية، خرج إلى طبرستان والديلم فأسس فيها الدولة العلوية سنة ٢٥٠هـ. وجرت بينه وبين العباسيين حروب كثيرة. توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٢٧١ وكامل ابن الاثير ٥/ ٣١٦، ونهاية الأرب ٢٥/ ٨١.

وأمسك بطرف ردائه وَجبذَه، ومنّى نَفْسَهُ بالعراق وشمّر لها أَضْبعَه، وفَغَرَ لها فاه، وحرش سبعَهُ، وسل لها عزمه من حدّ باتكه[١]، وأعمل فيها خدعة ناسكة لا فاتكة، حتى لولا ميل المقادير، وأن كلّ بتقدير، لأطاحها عن بني العباس وأبتزهّها، وألْبَسهم ذلّها ولبس عزّها، وخطب له بالخلافة في أول خلافة المستعين[٢] سنة خمس[٣] ومائتين بالري والديلم، وكان مهاباً عظيم الخلق، عطس يوماً عطسة ففزع رَجُل وهو في المنارة قائم يؤذن فيها، فوقع منها فمات، وكان أقوى البغال لا تحمله أكثر من فرسخين.

وغيل[٤] في آخر عمره بدنهُ، حتى كان يشقّ بطنه ويخرج منه الشحم ثم يخاط.

وكان أول أمره بالعراق في ضيق حال، وكان كثيراً ما يسأل عن البلاد الممتنعة الوعرة التي أهلها أهل سلامة وقبول لما يدعون إليه، فَدُلَّ على بلاد الديلم وطبرستان، فأتاها، وفيها قوم لم يكونوا أسلموا، فأسلموا على يده وتمذهبوا / ٢٢/ بمذهبه، حتى أسس التشيع هناك، وكان جواداً ممدّحاً، له شعر فائق فمنه قوله: [من الوافر]

وما نشر المشيب عليّ إلاّ مباشرة السيوف لذا الصفوف
فأنت إذا رأيت عليَّ شيئاً فمكتسب بألوان السيوف[٥]

وله فطنة مليحة في الانتقاد على الشعراء.

وحكي، أن رجلا من بني أمية أتى إليه، وهو في مجلسه، فسأله عن نسبه فقال له: أجل من بني أميّة، فقال رجلٌ من أهل المجلس: لا أهلاً بك ولا بمن أنت منهم، ثم لم يبق أَحَدٌ حتى أخَذَ في سبِّه وسبِّ بني أميّة، وقال رجل: دعني وإيّاه فلأضربنَّ عنقه، فقال الداعي إلى الحق: لبئس الجلساء أنتم، ثم التفت إلى القائل وقال: دعني وإياه، وقال له: يا هذا، اتظنك بقتله تدرك ثأر مَنْ سَلَفَ لا والله لا على هذا ولا علينا مما شَجَرَ بين أولئك، ثم قال للأموي: أيها الرجل ماذا تُريد ؟ فقال: وفاء ديني وكفاف أهلي، فقال: حبّاً وكرامة، كم دينُك وكم كفاف أهلك ؟ فقال:

---

(١) الباتكة: القاطعة.

(٢) المستعين، أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم العباسي، ولي الخلافة سنة ٢٤٨هـ وخلع وقتل سنة ٢٥٢هـ انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٥٦، و٢٤٨ و٣٦٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خمسين.

(٤) غيل: فسد.

(٥) في الأصل: من ألوان.

ألف دينار، خمسمائة لهذا وخمسمائة لهذا، فقال: بل لكل منهما ألف دينار، ثم أمر له بألفي دينار، فأخذها، وكساه وحمله وجهّزه إلى مأمنِهِ.

ثم قام بعده أخوهُ،

[١٥]

القائم بالحق، أبو عبد الله محمد[(١)]

وكان ممن يُحمد، ظهر بحلية تنسك، ووقوف مع الحق وتمسُّك، وكان يَهِبُ على ضِيق ذات يدِهِ، ومضيق رقعة ملكه وبلدِهِ، بِدَراً وألوفا، ويُرهب أعداءً وصفوفا، وكان يغزو وهو في الوطن، ويسكن وتحت سكونه حركات الفطن، وكان قائماً بالحق قائلاً له، وقائلاً[(٢)] في ظلة لا يفارق ظلّه، وأوَت الرعايا منه إلى أبٍ برٍّ تميل على جوانبه، وإمام عادل لا يكف عن الأرض مطر سحائبه، فكأنما كانوا في أيامه لمنِّها في الحلم ولأمنها في الأشهر الحُرُم، هذا مع شراسة خلُق، وشكاسة غضْب لا ينجاب لها أفُق، يحتاج من حضره وقد حضره ذلك الخلق الشرس والغضب البئس /٢٣/ أن يغيّب عنه وجهه مقدار حلب لقاح، أو ما يجفّ الندى عن الأقاح، وقد تجلّتْ تلك الغيابة العَارضة، وهدأت شقائق تلك الغمامة العارضة، وعاد إلى أحسن خَلُقِهِ، وأَعاذَ بإحسان نبتهِ من إساءةِ خَرْقِهِ، وتسفر تلك الرياض الدمائث، ويتضوع كالمسك في يد مائث.

ومن كنوز المطالب: إنه وصل إلى الري في جموع عظيمة هال أمرها وآل الأمر إلى أن هزمه كوتكين[(٣)] صاحب الريّ، ثم جَلَس كوتكين لضرب أعناق الأسرى، فوثب منهم ديلمي على السياف، فاستلب سيفه من يدِهِ وعلاه به فقتله، ومرَّ هارباً فلم يُلحق، وكوتكين ينظر إليه ويضحك[(٤)].

ثم هبّت للقائم بالحق سعادةٌ ملك بها جرجان، وبعض خراسان وظهرت شيعته في تلك الأقطار، ثم هزمه عسكر السامانية، فقتلوه سنة ثمان وثمانين ومائتين.

---

(١) محمد بن زيد، كان عند وفاة أخيه بجرجان، فملك بعد الحسن بن زيد صهره أبو الحسين أحمد بن محمد الشجري، الحسني، فسار إليه محمد بن زيد سنة ٢٧١هـ فقتله وملك طبرستان وأقام بها سبعة عشر عاماً، ثم حاربه محمد بن هارون السرخسي صاحب اسماعيل بن أحمد الساماني، فقتله وحمل رأسه إلى بخاري، انظر: عمدة الطالب ص٩٣ ونهاية الأرب ٢٥/ ٨٨.

(٢) قائلا هنا من القيلولة.

(٣) كذا ورد اسمه في الأصل بحروف مهملة، وهو في الكامل ٦/ ٥٩ ونهاية الأرب ٢٥/ ٨٩: اذكوتكين.

(٤) الخبر في نهاية الأرب ٢٥/ ٨٩.

ثم كانت بعده ثَمَّ حروب يطول شرحها، وللقائم هذا أدب، ومن شعره قوله: [من الخفيف]

إن يكن نالك الزمان بِصَرْفٍ ... أضرمت ناره عليك فجلّت[١]

فاخفض الجأش واْصبرنّ رويداً ... فالرزايا إذا تجلَّت تخلّت[٢]

ولما كُسِر أُسِر ابنه أبو الحسن زيد، ولم يزل مكرماً عند إسماعيل[٣] بن أحمد الساماني، وكتب إليه المكتفي يحمله إليه، فدافَعَهُ.

وله شعر منه قوله[٤]: [من الكامل]

ولقد تقول عصابة ملعونة ... ضوضاء ما خُلِقتْ لغير جهنّم

من لم يسبّ بني النبي محمدٍ ... ويرى قتالهم فليس بمسلم

عَجَباً لأمّة جدِّنا يجفوننا ... ويُجيرنا منهم رجال الديْلَمِ

وتوفي ببخارى سنة أربع عشرة وثلثمائة[٥]؟

ثم قام بعده ببرهة ابن ابنه:

[١٦]

المهدي أبو محمد الحسن بن زيد بن محمد القائم بالحق

وقام من بني الحسين مَنْ قاوَمَهُ، ودان بحربهِ وداوَمَهُ، وجرت بينهما حروب وخطوب على ضروب، صرّح فيها السيف وما ورّى، وروى فيها السهم كبد قوسه /٢٤/ الحرّى، وتصاول فيها الفحلان، وكاد أن ينصرعا، وتناضل البطلان وما بقي إلا أن ينقطعا، ثم دالت الدولة للقائم من بني الحسين، وقال القائل: ما بَعُد غائب نُقل إلى القلب من العين، وذلك بعد حروب تلاقى بها مَرَجُ البحرين، ومَرّ جَلَمُ الحديد على النحرين، وذُبحت الرجال ذبح الغنم، وأشارت أطراف الرماح بالعَنَم، ومرت الأعلام على كل شاهق كالعلم، وخلّفت حوافر الخيل وجود الأرض كالعدم.

ثم تولى البيت الحسني بإحسان أنساهم مصابهم، وألهاهم عن عظيم ما

---

(١) الوافي بالوفيات ٣/ ٨٢.

(٢) في الأصل: تجلت، والتصويب عن الوافي.

(٣) اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، أحد ملوك السامانية، أصحاب الولايات بالشاش وسمرقند وفرغانة وما وراء النهر، توفي سنة ٢٩٥هـ. انظر: أخباره في الكامل في مواضع متفرقة والوافي ٩/ ٨٨

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٢٥/ ٩٢.

(٥) نهاية الأرب ٢٥/ ٩٢.

أصابهم، وأجرى الكل منهم ما كان له في دولتهم الماضية، ولم يَبْق منهم إلا راضٍ وراضية، وسنذكر دولة هؤلاء الحسينيين مع بني أبيهم، ومن شيعة هؤلاء الحسينيين الذين ذكرناهم فرقة ثمانية(١) ما هذا موضع ذكرهم:

وأنشد له البيهقي(٢) هجاءً في أهل الري، وأنشد له في الغزل قوله: [من الكامل]

كفّي لحاظك انهنّ سهام   رمَت الفؤاد وكان ليس يُرام

ما ذلّ مثلي قط مُذْ خُلِق الورى   إلاّ لمثلك والغرام إمام

ذكر دولة الأخضريين(٣)

وهم من ولد إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، وهم قوم توارثوا الإمامة باليمامة، ولم تلم بي من تفصيل أخبارهم إلمامة، وصار لهم بقم وقاشان ذكرٌ نابه، وَوَصْفٌ متشابه.

ذكر دولة الأدارسة ببلاد المغرب

وأول من هبّت له بها ريح، ونشبت مصابيح، حتى وسعت اللجج قُرْبَها وقطعت الحج قُطْبها، ووثَبَتْ ببقايا بني أميّة بقيتها، وفلت الأرض حتى حصلت لُقيتها، هو:

[١٧]

إدريس(٤) المغْرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي /٢٥/ بن أبي طالب

وإليه تُنْسب الأدارسة، وهو الجدّ الأكبر المحلّق في الجوّ الأكْدر، حَلَّق فانتهز

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها يمانية، إشارة إلى مَنْ تولى منهم باليمن.

(٢) يريد به محمد بن الحسين البيهقي صاحب تاريخ بيهق، المتوفى سنة ٤٧٠هـ. انظر: الأعلام ٦/ ١٠٠.

(٣) في الأصل: الأخضريين، والصواب ما أثْبَتُّ نسبةً إلى يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ملك اليمامة منهم أبو عبد الله بن يوسف المعروف بالأخيضر الصغير، أُنظر: عمدة الطالب ص١١٣.

(٤) أدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، اشترك في ثورة علي بن الحسين سنة ١٦٩ على الهادي، وبعد مقتله بفخ هرب إلى المغرب فدخلها سنة ١٧٢هـ ونزل مدينة وليلى فأجازه كبيره إسحاق بن محمد وأكرمه، واتبعه البربر فأسس دولة الإدارسة، وغزا بلاد تادلة قرب فاس وفتح معاقلها، وبايع له صاحب تلمسان، وعظم أمره إلى أن توفي سنة ١٧٧ أو ١٨٠ مسموماً. انظر: مقاتل الطالبيين ص٤٨٧ وتاريخ الطبري ٨/ ١٩٨ والدر النفيس في مناقب ادريس وابن خلدون ٤/ ١٢ والاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ١/ ٦٧ والبيان المغرب ١/ ٨٢ و٢١٠.

فرصة، وحصل قنصه، وقد تقدم ذكر دخوله المغرب وبهذا عرف، فرَّ من وقعة فخ[(١)]، وقال: [من السريع]

غــرَّبــتُ كــي أغــربَ فــي ثــورةٍ أشــفــي بــهــا كــلَّ فــتــىً ثــائــرِ
لا خيـر فـي العـيش لـمنْ يغـتـدي فــي الأرض جــاراً لأذى جــائــر
والأرضُ مــا وسَّــعــهــا ربُّــهــا إلاّ لــتــبــدو هِــمّــةُ الــســائــر
لا بَــلَــغَــتْ لــي مــهــجــةٌ سُــؤلــهــا إن لــم أُوَفّ الــكَــيْــل لــلــغــادرِ

فسار حتى أتى بلاد البربر، فتابعوه وبايعوه، فقال فيهم: [من الطويل]

وأَصْـبَـحْـتُ فـي شـمّـاء بـالـغـرب عند مَنْ بذبّون عنّي بالمثقّفة الملْدِ
رعـونـي لـمـا ضـيّـعـتـنـي أقـاربـي وما اطَّرحوا ما كان أوصى به جَدّي

فلم يزل الرشيد يستطلع علمه، فدسّ عليه حجاماً سمَّهُ في سنون[(٢)] إسكّن به، فسقطت أسْنانُهُ، ومات في سنة ثمانين ومائة، وعمره ثمانية وخمسون سنة، وإلى ميتتِهِ هذه أشار أشجع السلّمي في قوله[(٣)]:

أتــظــنُّ يــا ادريــس أنــك مُــفْــلِــتٌ كــيــد الــخــلافــة أو يــقــيــك حــذار
هــيــهــات إلاّ أن تــكــون بــبــلــدةٍ لا يــهــتــدي فــيــهــا إلــيــك نــهــارُ

ثم قام بعده ابنه

[١٨]
إدريس[(٤)] بن ادريس

وهو الغر الذي ختل، ودسّ عليه الكيد حتى قتل، وكان قد علا أمره، وأضاءَ

---

(١) في الأصل: فج، بالجيم، وفخ موقع بين مكة والمدينة قتل فيه الحسين بن علي الخارج على الهادي العباسي في المدينة سنة ١٦٩هـ، خرج منها إلى مكة وكان قد واعد أصحابه الموسم فتلقته جيوش العباسيين بفخ فجرت معركة قتل فيها وقتل الكثير من أصحابه. انظر: مقاتل الطالبيين ص٤٣١ وتاريخ الطبري ٨/ ١٩٢ وابن كثير ١٠/ ٤٠ والمعارف ١٦٦ والأغاني ١٨/ ٢٠٨.

(٢) في الأصل: ستون، بالتاء، والسّنون (بالنون) ما يسكنّ به من دواء لتقوية الأسنان وتنظيفها.

(٣) شعر أشجع السلمي ص٢٧٣ على اختلاف في الرواية، ومقاتل الطالبيين ص٤٩٠ ونسبها لرجل من أولياء بني العباس، وتاريخ الطبري ٨/ ١٩٩ قال: فقال في ذلك بعض الشعراء واظنّه الهنّازي.

(٤) ادريس الثاني، ثاني ملوك الأدارسة، مات أبوه وهو جنين، فقام بشؤون البربر رشاد مولى أبيه، قتل راشد سنة ١٨٦هـ فقام بكفالة ادريس أبو خالد العبدي، حتى إذا بلغ ادريس الحادية عشرة من عمره بايعه البربر في جامع وليلى سنة ١٨٨هـ فأحسن التدبير وبني مدينة فاس واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه وكانت في يد ولاة العباسيين، توفي بفاس سنة ٢١٣هـ انظر: الاستقصا ١/ ٧٠ وابن خلدون ٤/ ١٣ والبيان المغرب ١/ ١٠٣ وجذوة المقتبس ص٩٥.

حجره، وتهمّم بغزو إفريقية وكان مؤيداً بجدّه لأمه راشد[١] مولى أبيه، وهلول بن عبيد الله رأس ثقاتِهِ، فعمل إبراهيم[٢] بن الأغلب على راشد حتى هلك، واستفسد باطن هلول، وقال: [من الطويل]

ألـم تَـرَنـي بـالـكـيـد أوْديـتُ راشـداً   وأنــي لأخــرى لابــن إدريــس راصِــدُ
تــنــاوَلَــه عــزمــي عــلــي بــعــد داره   بــمــخــتــومــةٍ فــي طــيــهــنّ الــمــكــائــد

ثم لم تترك مكائد ابن الأغلب تخبُّ إليه وتَضَع، حتى قتله ثقاته وبعثوا رأسه /٢٦/ إليه، فبعثه إلى الرشيد، فكتب لابن الأغلب بإفريقية فتوارثها بنوه ولادريس المثنى شعر[٣]: [من البسيط]

بـاتَ الأحـبّـةُ واسـتـبـدلـتُ بـعـدهـم   هـمّـاً مـقـيـمـاً وشـمـلا غـيـر مـجـتـمـعِ
ومـا اسـترحـتُ إلى يـأسٍ لـيـسـلـبـنـي   إلاّ تـحـول لـي يـأسـي إلـى الـطـمـعِ
وكـيـف يـصـبـر مَـنْ ضُـمَّـت أضـالِـعُـهُ   عـلـى وسـاوس هـمٍّ غـيـر مـنـقـطـع
إذا الـهـمـوم تـوانـت بـعـد هـدأتـهـا   عـادت عـلـيـه بـكـأسٍ مـرّة الـجُـرَعِ

وترك إدريس عشرة بنين[٤]، كان كل واحد منهم يُخالف الآخر وينازعه سلطانه وكان أجلّهم القاسم، وفي القاسميّين كان معظم الأمامة فيهم، فكان:

[١٩]

القاسم[٥] بن إدريس

القائم بعد أبيه خطب له ببلد سبتة وما يليه، وجرت بينه وبين عمال بني أمية

---

(١) راشد، مولى ادريس بن عبد الله وأمينهُ، هرب به بعد وقعه فخ حتى قدم المغرب سنة ١٧٢ فكان خير عون له، ولما اغتيل ادريس حكم البربر باسم ابنه ادريس، ثم قتله الأغالبة غيلةً. انظر: الاستقصا ٣/ ٦٧ وابن خلدون ٤/ ١٣.

(٢) إبراهيم بن الأغلب التميمي السعدي، تولى أبوه الأغلب إمارة إفريقية وقتل في إحدى حروبه، ثم توالت على إفريقية الولاة حتى ولاه الرشيد إمارتها، فاستقرت فيه وفي عقبه، وكان أميراً حازماً شجاعاً ذا رأي ودهاء ومكائد، شاعراً أديباً توفي سنة ١٩٦هـ وهو ابن ٥٦سنة وأخباره كثيرة في كتب التاريخ، وانظر ترجمته في الوافي بالوافيات ٥/ ٣٢٧ وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٨.

(٣) الأبيات في عمدة الطالب ص١٥٨.

(٤) في عمدة الطالب ص١٥٩: اعقب ادريس بن ادريس بن عبد الله المحض من ثمانية رجال، وذكر أسماء سبعة منهم، وفي هامش الصفحة: والذين أولدهم ادريس بن أدريس أَحَدَ عشر رجلا وبنتين، والذي اعقب منهم سبعة.

(٥) القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني، أكبر ولد ادريس، انظر: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٣٤ والبيان المغرب ١/ ٢١١.

حروب، وتساهَمَ هو وإياهم غمرات كروب، وإليه الحواطيّون شرفاء فاس، والكريون، وبنو فنون جلّة كومية، وأشهرهم في القديم جنون بن أبي العيش، عيسى بن جنون بن محمد بن القاسم صاحب بصرة المغرب[١]، وكان له خمسة وعشرون ذكراً، منهم: الحسن الأعور، وادعى النبوّة في بلاد البربر، وعظم أمره فيهم، وذكر ابن حبان[٢] وقائعه مع عسكر المستنصر[٣] الأموي، حتى امتنع بحصن الكرم، وبويع المستنصر، ثم آل الأمر إلى أنه وَفَدَ على المستنصر طائعاً بقرطبة، واحتفل له المستنصر، وتلقَّاه، وجلس له، وأنشدت الشعراء، ومنهم ابن شخيص[٤] وقال:

[من الطويل]

أميّة قد عادت بنو حَسَنٍ لكم كما كان فيما قد مضى حين سلّموا

فعودوا عليهم بالذي قد تعوّدوا من الحلم والرحمي فذلك أكرم

قال: وكان معه جمع من الحسنيين فيهم صبي لم يبلغ الحلم، فلما رأى ما عوملوا به من الإكرام، بكى، فقال له بعض أقاربه: ما يبكيك /٢٧/ وأنت ترى هذه النعم؟ فقال: النقم في عزّنا حيث كنا خير من هذه النعم في ذلّنا لبني أميّة.

قال: وافترقت الأدارسة فرقتين، فالمحمديون من ولد محمد بن إدريس المثنى مالوا إلى ابن عمّهم المهدي عبيد الله بإفريقية، والعمريون من ولد عمر بن إدريس مالوا إلى الناصر الأموي. وكتب إليه رئيسهم كتاباً قال فيه:

وقد أنعم الله علينا يا أمير المؤمنين بأن صرف همتك إلى ناحيتنا، ووكل عزمك بعدوتنا، ولقد كنّا نتمنّى ذلك ونستطيبه منك إلى أن تمّم الله عزمك ويسّرك إلى توفيقه مما نرجوا أن نرتقي فيه بك إلى أفضل المحطّ[٥]، وأشرف المنازل، وقال فيه: إن

---

(١) بصرة المغرب: في أقصاه كانت مدينة عامرة بينها وبين فاس أربعة أيام: انظر (ياقوت ـ بصرة).

(٢) ابن حبان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حبان، ويشير هنا إلى كتابه: المقتبس.

(٣) المستنصر: الحكم بن عبد الرحمن الناصر، الأموي، ولي الخلافة بالأندلس بعد أبيه سنة ٣٥٠ غزا ملك الأسبان أردون بن الفونس (وكان قد أراد الإغارة على قرطبة) فعاقده على الصلح شرط أن يهدم حصونه القريبة من ثغور المسلمين، توفي سنة ٣٦٦هـ. انظر: الكامل ٧/ ٨٣ المغرب ١/ ١٨٦ وجذوة المقتبس ص١٣.

(٤) ابن شخيص: هو محمد بن مطرف بن شخيص، أبو عبد الله، أديب، شاعر أندلسي، مات قبل الأربعمائة، انظر جذوة المقتبس ص٩١.

(٥) في الأصل: المحطط.

بلد البربر تغلّب عليه قوم ملكوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز وجَرَتْ عادتهم بجحد السلاطين ودفع الأئمة إلى أن دخل إليهم جدّنا ادريس بن عبد الله هاربا من عبد الله الملقب بالمنصور بعد أن قتل أخويه محمد وإبراهيم، وشرّد أهلهم، فلما سار إليهم جدّنا واستجار بهم أجاروه ورعوا حَقَّه ووضعوا له ببلدهم فرضاً من غير أن يضبطهم ضبطاً بسلطان، وقد تناسَلْنا منه، وقمنا بعده، وسلكنا سبيله، فالبربر إلى اليوم على عادتهم الأولى، إن هَمَمْنا بتشديد السلطان عليهم هربوا عنّا ونَفَروا منّا واتخذوا الحصون علينا، فمرّةً نذهب إلى محاربتهم، وتارةً نعدل إلى مداراتهم، ولا نطمع مع الأيام في ضبطهم وكفّ عاديتهم، ونحن مستبشرون بما حاطنا به أميرُ المؤمنين من أنه قد فرغت أسبابُه من الأندلس، وأنه عزم التوجّه لردّ ما كان لآبائه، ثم كتب في آخره: [من الطويل]

إليك أمير المؤمنين رفعناها ... رؤوساً تروم الأمنَ والمنَّ والجاها
نَفَتْنا بنو العباس عن شرق أرْضِها ... وآل حسين قد قَلَتْنا بقربـاها
ولم يبق إلا أن تكرّ أميّةٌ ... بأحلامها لا أبْعَدَ اللهُ مثواها

ثم قدّر الله أن كان خراب دولة بني أميّة على أيدي هؤلاء الأدارسة /٢٨/ العمريين، على ما هو مذكور في موضعه، وكان السبب أن ولي أحمد بن حمود سبتة وقبائل العدوة، فتلقفها تلقّف الأكياس، وقال: وتلك الأيام نداولها بين الناس، لأمر أريد بظهور الدولة الحمودية وأولها:

[الدولة الحمودية]

[٢٠]

دولة الناصر علي بن حَمُّود[١] بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

وقال الشريف أبو العباس أحمد بن الحسن الحسني الغرناطي:

هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن أبي العيش بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي الطالبي الفاطمي، الإدريسي، السرغيني، وهو الصحيح، وميمون بن حمود

(١) علي بن حمود: الأمير الناصر أبو الحسن، انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٧٧ وجمهرة ابن حزم ٥٠ وجذوة المقتبس ٢١ والذخيرة ١/ ٣٧ و٤١ وبغية الملتمس ٢٧ وكامل ابن الأثير ٨/ ٢٨٤.

هو ثائر سرغين، وأُمه البيضاء القرشية، واسمها حيونة بنت عم أبيه ولد سنة أربع وخمسين وثلثمائة، كان هو وأخوه القاسم من جند سليمان بن الحكم، فنهضا عليه فقتلاه في المحرم سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وانقطعت الدولة الأموية بالأندلس بمقتله، وخلا وشيجها من مَنْبَتِ أسلِهِ، وبويع له يوم تغلّبه بالبرابر على قرطبة، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من المحرم سنة سبع وأربعمائة[١]، وقولنا الأول عن صاحب بلغة الظرفاء[٢]، والثاني عن الغرناطي، قال: وتسمّى بالناصر، وتوفّيَ قتيلا في حمام القصر بقرطبة صبيحة يوم الأحد ثاني ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة[٣]، وهو ابن تسع وأربعين سنة وكانت مدته سنة وإحدى عشر شهراً غير أيام، وكان أسمر، أعْيَن، تلفاعة[٤] لا ينظر شيئاً بعينه إلاّ أسْرعت الآفة إليه. انتهى كلامه.

قلت: كان ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء، نهاباً للأموال، منتهكاً للحرمات فاشتد على أهل قرطبة /٢٩/ البلاد، فلزموا البيوت، وتغيّبوا في المطامير، وتعلّقوا بذوائب الجبال، إلا اليسير، وانبسطت أيدي البربر على الخلق، واتسع الخرق، فأغْلقت الحوانيت وانقطعِت الطرق والسباريت[٥]، حتى وثبت عليه الصقالبة في الحمام فعجلوا له الحِمام، فقتله بأضْعف خلقه في وسط داره بأقرب فتيانه، من غير رويّةٍ ولا تدبير، إلاّ ما ألْقى الله في نفوسهم. واجتع في قتلِهِ ثلاثة مُرْدٍ من المقربين إليه، كان قد عشق أحدهم، وراوده عن نفسه، فامتنع، وردّ عن نفسه ودفع.

فأبى إلاّ أن يعتلجه، فضربه على دماغه بكوب نحاس، فصرعه، وابتدره الاثنان لبيب وعجيب فوجؤه بخناجرهم، وقطعوه كبادا[٦] نواجِرِهم، وكفّ الله عاديتَهُ وصرف رائحته وغاديتَهُ، وذلك يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة، وفرّ قتلته ونجوا، وقيل قتلوا.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٨٤ وجذوة المقتبس ص٢٢.

(٢) بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء، طبع بمصر سنة ١٣٢٧هـ وصاحبه علي بن محمد بن أبي السرور الروحي.

(٣) انظر: جذوة المقتبس ص٢٢.

(٤) الأعين: الحسن العين، والتلفاعة، المشتمل على الشيء والملتف به، كناية على احتجاز الشيء وأخذ مال الآخرين.

(٥) السباريت: جمع سبروت، وهي القفار.

(٦) كذا في الأصل، ولم أجد لها وجهاً.

وقد ذكر ابن بسام[١]أن المستعين[٢] الأموي لما تمالأ عليه بنو عمه وأمل علي بن حمود ليستجيش به، وجعل له العهد بعده، ثم قال: وولاه طَلَبَ ذَحْلِهِ[٣]، فهيّج الحفائظ القرشية، وحرك الطوائل الطالبيّة، فرماهم يومئذ من علي هذا بثالثة الأثافي[٤]، طوى كشحه منها على مستكنَّةٍ أرجأها لوقتها.

قلت: فهذا كان سبب تورثه واستشاطة غضب سورته، وبقي تلك المدّة، ثم قام أخوه:

[٢١]

المأمون أبو محمد القاسم[٥]

وبويع بعد أخيه، وما أقدره العجز عن شدّ أواخيه[٦]، قال الغرناطي: وأمه أم أخيه البيضاء، وكان أسمر أعين، أكحل، مصفر الوجه، خفيف العارضين، قلت: وكان سيفاً مخذماً، وصلاً أرقماً، ونسراً قشعماً.

مشمرّاً عن ساق، مشدّداً بعزائم لا يحل عليها نطاق، وكان وقوراً حسن السمت يحسن التكلم والصمت، حنكته التجارب، وحركته لبلوغ المآرب، ولتسويغ المشارب.

/ ٣٠/ كان بإشبيلية، فأرسل إليه بعد مقتل أخيه، فجاء فعقد له البيعة يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان وأربعمائة، فأقام ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرين يوماً. ثمَ خلفه ابن أخيه يحيى[٧] بن علي بن حمود، وكان سبب خلعه أن يحيى بن

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١ ص٣٧.

(٢) المستعين الأموي: سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، أبو أيوب، ولي لخلافة بالأندلس بعد عمه هشام سنة ٣٩٩هـ وكان علي بن حمود من جنده، فقتله سنة ٤٠٧هـ.
انظر: البيان المغرب ٣/ ٩١ وابن الأثير ٧/ ٢٨٤.

(٣) في الأصل: دخلة.

(٤) في الأصل، عبارة غير واضحة والتصويب عن الذخيرة.

(٥) القاسم بن حمود الأدريسي، ولي بعد أخيه واستقر بقرطبة، وحسنت سيرته، ثم ثار عليه ابن أخيه يحيى بن علي بمالقة سنة ٤١٢هـ، فخرج من قرطبة وأقام بأشبيلية واستمال طوائفاً من البربر وهاجم بهم قرطبة سنة ٤١٣هـ ثم خرج إلى شرمين، فقبض عليه يحيى وسجنه بمالقة إلى أن مات خنقاً سنة ٤٣١هـ، انظر: كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٦ والوافي ٢٤/ ١٢٢ والبيان المغرب ٣/ ٢٣٠.

(٦) الأواخي: جمع آخية، عروة تثبت في أرض أو حائط وتربط فيها الدابة، ويكنى بها عن التمكن.

(٧) يحيى بن علي بن حمود العلوي الحسني، انظر: ترجمته وأخباره في الكامل ٧/ ٢٨٦ والذخيرة ١/ ٢٧١ والبيان المغرب ٣/ ١٣١ وجذوة المقتبس ص٢٣.

علي كان وليّ عهد أبيه، وكان أبوه قد ولاّه المغرب، فلما مات أبوه بقرطبة دعى البربر أخاه القاسم بن حمود وأدْخلوه القصر وبايعوه، فأنف وليّ العهد يحيى من ذلك، وتظافر هو وأخوه إدريس واتفقا على أن يعبر يحيى إلى الأندلس طالباً بحقّه، راغباً في التلطف له بحذقِهِ، فعبر البحر إلى أشبيلية سنة أربعة عشرة وأربعمائة، ثم سار إلى قرطبة، ففرّ منها القاسم والمأمون، ودخل يحيى قرطبة وبويع له بعهد أبيه، وخطب له بها، ثم اضطرب عليه البربر ففرّ من قرطبة إلى مالقة، ورجع عمّة القاسم من قرطبة إلى أشبيلية، فأقام بها إلى (أن)[١] أخرجه منها أبو القاسم محمد بن عباد[٢] إلى شريش[٣]، فملكها، فأتاه يحيى وحاصَرَهُ وظفر به وسَجَنَهُ بها، وتخلّص الأمر ليحيى.

[٢٢]

ذكر دولة المعتلي، أبي اسحاق، يحيى بن علي بن حموّد

وقيل يكنى بأبي محمد، وأمّه لبونة بنت محمد بن الحسن بن فنون الفاطمية ولدته بقرطبة سنة ست وثمانين وثلثمائة، وبويع له بقرطبة بعد عمّه القاسم يوم السبت الثامن من ربيع الآخر سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكانت مدته سنة وسبعة أشهر، ثم بويع عمه القاسم كما تقدم ذكره، ثم رجع إليه يحيى وبويع واستوسق له / ٣١/ الأمر، واستوثق له عهد البيعة، وأمر بعزّ قاهر، وعزم يتخازر له طرف البرق الشاهر، وبأسٍ لو صكَّ به الماء لَلَفَح، أو حيا الصخر بأمرٍ منه لجرح.

ثم قتل عند قرمونة[٤]، وترك فأكلته السباع، وشبعتْ بطون ليست بجياع[٥] قال

---

(١) زيادة يقتضيها السباق.

(٢) أبو القاسم محمد بن عباد بن اسماعيل، من ملوك الطوائف، ولي الملك باشبيلية سنة ٤٦١هـ وحسنت سيرته، وكان أديباً شاعراً، انتجعه الأدباء والشعراء، هاجمه الأدفونش ملك طليطلة، فاستنصر المعتمد يوسف بن تاشفين فعبر إليه بعشرة آلاف فارس، وقاتل ملك طليطلة وانتصر عليه بمعركة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين إلى بلاده، ثم عاد في العام الثاني وقد اعجبته بلاد الأندلس فحاصر ابن عباد وأَسَرَهُ وأرسله إلى حصن أغمات، وبهِ مات، وأخباره كثيرة.
انظر: وفيات الأعيان ٣٨/٢ وشرح لامية العجم ١/ ٣١١ والمقري ٢/ ٦٨٨ والوافي بالوفيات ٣/ ١٨٣.

(٣) شريش: مدينة صغيرة بولاية قادش على الأطلسي.

(٤) قرمونة، مدينة بالأندلس، تقع على بعد ٣٠ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من اشبيلية.
انظر في وضعها الروض العطار ص٣٦١.

(٥) كان المعتمد بن عباد قد هاجم يحيى في قرمونة، وفاجأ أسوارها ليلاً، فخرج يحيى على عجل في ٣٠٠ فارس، فقتل واحتزّ رأسه وأرسل إلى المعتمد، وكان آل عباد يحفظون رؤوس أعدائهم من =

الغرناطي: وكان سميناً معكّن البطن بارز الثديين، صافي البياض.

خيراً من مخدرة، وعادت دولة بني أميّة إلى قرطبة، وفاضت في الأندلس، سيأتي ذكر هذا في ذكر أوائل القروم الشمس.

[٢٣]

ذكر دولة المتأيّد، أبي العُلى[(١)]، إدريس بن علي بن حمود

وكان أبوه قد ولاّه سبتة وأعمالها، فلما مات أخوه المعتلي ثار بسببه، ودعا إلى نفسه على بغتة، وأخذ الناس بالبيعة فأَخَذَتْهُم بهتة، وأعطوه أيمانهم البتّة، وعبر البحر إلى مالقة، فاجتمع عليه أهلها وتابعوه، وعقدوا له ولائهم وتابعوه، وخطب له وخوطب بالخلافة، وتسمّى بالمتأيّد، وبايعه أهل المريّة ورندة[(٢)] والجزيرة الخضراء[(٣)]، وكان شهماً سرياً سهماً يفري فريّا، كريماً معطاءً عظيماً، يوسع الناس عطاءً، حسن الرأي والسيرة بالرعية، وقّافاً مع الأحكام الشرعية، ولم يزل على أحسن أحوالِهِ مستقلاً، ولطود ما حمل مقلاً، إلى أن مات في السادس عشر من المحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وجعل في تابوت وحمل إلى سبتة فدفن بها وغُيِّبَ كوكبُهُ الدرّي في تُربها، وكانت مدّتُه أربع سنين وشهراً وأياماً.

[٢٤]

ذكر دولة القائم، أبي زكريا[(٤)]، يحيى بن إدريس بن علي بن حمود

بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات /٣٢/ فيه أبوه المتأيّد، وكان غير مسدّد، ولا مشدّد، خفيف الحصاة، مخوف البادرة، ولا يضع سيفه ولا عصاه، طائش الثبات في حركاته، طائر الأناة في شكاته، تقدم بتقديم وزير أبيه وكاتبه أبي جعفر بن أبي موسى[(٥)]، يوم الاثنين سادس عشر محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتمت

= العظماء، فلما ذهبت دولتهم أخرجت تلك الرؤوس، وفيها رأس يحيى لم يتغير فأخذه بعض أحفاده ودفنوه سنة ٤٢٧هـ، انظر مصادر ترجمته آنفة الذكر.

(١) المتأيد بالله: أدريس بن علي بن حمود، انظر: كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٦ والبيان المغرب ٣/ ٢٨٩.

(٢) رندة، بالاندلس من مدن ناكرنا، مدينة قديمة على نهر ينسب إليها (الروض المعطار ص٢٦٩).

(٣) الجزيرة الخضراء، بلدة صغيرة بجنوب أسبانيا، تعرف اليوم باسم Algeciras وكان يقال لها جزيرة أم الحكم، انظر في وصفها الروض المعطار ص٢٢٣.

(٤) القائم الحمودي يحيى ابن ادريس، انظر ترجمته وأخباره في البيان المغرب ٣/ ١٨٩ وجمهرة ابن حزم ص٤٥ والكامل ٧/ ٢٨٩.

(٥) أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف بابن بقية، قتله فيما بعد الحسن بن يحيى. انظر: كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٩.

له البيعة وخطب له بمالقة وأعمالها، وسائر أعمال أبيه، وكان رأيه لا تعلو به قوادم، ولا يقرع سنّ نادم، فنازعه عمّه الحسن[١] فحاصره حصاراً ضيّق عليه مهب أنفاس الهواء، وضيّع صبره في طول الثواء، فطلب منه الصلح على أنه يتخلع ويبايعه، ويسلم له منبر الخلافة ولا ينازعه، وذلك في جمادي الأولى من السنة المذكورة، وكانت مدة القائم أربعة أشهر إلاّ أياماً، ثم بقي يحيى بن إدريس خاملاً لا يرفع له رأس، ولا يجتمع عليه ناس، إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

[٢٥]

ذكر دولة المستنصر، أبي محمد[٢]، الحسن بن يحيى بن الناصر علي بن حمود

صاحب سبتة، لما وصله التابوت بأخيه ادريس، دفنه من ساعته، وأخذ على البيعة أيدي جماعته، ثم ركب البحر في يومه إلى مالقة فملكها وضبطها بعدما انخلع له ابن أخيه يحيى القائم، واستوزر كاتب أخيه أبي جعفر بن أبي موسى بن بقية (وكانت ضغينة)[٣] على أخيه في صدره منه يجدها، ومحنة تقدمت إليه لا يجْحدها، فإنه هو كان المقدِّم لابن أخيه، فأسرّها له في نفسه ضغينة حقدها، ونيّة أقبرها له في باطنه وألْحَدَها، وطاوَلَه بها في السنة الثالثة، ثم قتله، وأنزل به الحادثة، وكان ذلك في يوم عيد الفطر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

/ ٣٣/ فأشام عيده، وشام من بارق المهند وعيده، بعد أن استخرج منه أموالاً، بسط عليه في المطالبة بها أنواع العذاب المهين، وأبرز له فيها كوامن الداء الدفين، ثم بايعه أهل غرناطة وبلاد أخرى في الأندلس، وانقادت له بطاعة قلوبها وعقد نياتها التي بين جنوبها، فثبت المملكة وشدّ أواصِرَها، ورفع قصورها ومقاصرها، وردّ كيْدَ عدوّها في نحرِهِ، وأغرق راكب ثبج العزاء[٤] في بحره، وعدل في أحوال الرعية، وجبى الأموال وقسّمها بالسويّة، ثم توفي في جمادى الأول سنة اربع وثلاثين وأربعمائة.

---

(١) الحسن بن يحيى بن الناصر علي بن حمود، وسيأتي ذكره.

(٢) انظر أخباره وترجمته في البيان المغرب ٣/ ١٩٢ وما بعدها، والكامل ٧/ ٢٨٩.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ثبج الشيء وسطه، والعزاء الأرض الصلبة.

وكانت مدّته أربع سنين[١] كأنها يوم واحد لأسف الناس على قصر مدتها وطيبها، وأوقاتها التي كأنما غربت شمس النهار بغروبها، ولم يترك من ورثته أحداً إلا أخاً صغيراً[٢] لا ولداً، فاعتقله نجا الصقلبي، وغلَبَ على مالقة وأعمالها، واستبدَّ بتدبير المملكة، إلى أن شحط بها قتيلا في دمه، ووضع رأسه الشامخ تحت مواطّىء قدمه.

حكي أن بعض ندماء المستنصر حضر إليه، واليوم قد طرّ بالليل شاربة، والأصيل قد كرع في الراح شاربه، والشمس قد اعتلت ومابها سقم لشلوه، والنهار قد قارب وحضر عوّاد النجوم ليبكوه، فدام عنده في جنة تنعم في وطوفها، ومنه تكرم بصنوفها، حتى أقْبَلَ الليل ثم ذهب، وأطوله كاللمح بالبصر، وأبْعدهُ قيد فترِ بين العشاء والسحر، فما كان بأسرع من أن أصبح، وطرحت العين لحظها كل مطرح، فلما أراد القيام دعا بالصبوح فسقاه، وفدّاه بأبويه ووقاه.

فقال: دامت لك الدنيا ودُمْتَ لأهلها، ثم ارتج عليه فقال المستنصر: حتى تجود لهم بما تحويه، فقام النديم، ثم قال: ماذا أقول وهذه نيّة صدقٍ ظهرت وبارقةُ برّ ستكون لما بعدها.

/ ٣٤/ فقال له: حسبك، لقد أبْلَغت، ثم أمر له بألف دينار، وحمله على بغلة من مراكبه وصرفه مكرماً إلى منزله، مكرراً له فضل تطولّه.

[٢٦]

ذكر دولة أخيه العالي[٣]، أبي يعلى، إدريس بن يحيى بن علي بن حمود

وهو الذي سجنه نجا الصقلبي، وعُصبه من أصل جدّه النبي، ونسبه الأبوي مشتق منه فعله الأبي، ومحتده الأصيل يعرف بعطائه الذهبي، وكرمه العلوي ينطق به لسان به لسانُ قراه اللهبي، وأنه يصحح طرف النجم السقيم، ورايتهُ تدمر كلّ شيء أتت عليه كالريح العقيم، برقهُ لا يخلف وعداً ولا وعيدا، وأُفقُه يمطر تارة فضةً وذهباً

---

(١) في الكامل ٧/ ٢٨٩: وبقي على ذلك نحواً من سنتين: فقيل إن زوجته ابنة عمه ادريس سمته أسفاً على أخيها يحيى.

(٢) هو ادريس بن يحيى كما في كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٩، وفيه: فاعتقله الشطيفي وسار نجا من سبتة إلى مالقة وعزم على محو أمر العلويين وأن يضبط البلاد لنفسه، وأظهر البربر على ذلك فعظم عندهم، فقتلوه وقتلوا الشطيفي، وأخرجوا ادريس بن يحيى وبايعوه بالخلافة.

(٣) انظر: البيان المغرب ٣/ ١٨، والإحاطة ١/ ٦٩، وجمهرة الأنساب ص٥١ والكامل لابن الاثير ٧/ ٢٨٩ والوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٤.

وتارةً حجارةً وحديدا.

وبويع له في اليوم الذي قتل به الشطيفي[(١)]، وذلك أن نجا لما اعتقل هذا العالي واستبدّ بالأمر، خرج من مالقة في جنودِهِ واستخلف عليها رجلاً من خاصته يُعرف بالشطيفي، وقصد الجزيرة الخضراء ليقبض على محمد والحسن ابني القاسم بن حمود ولم يظفر بهما، فرجع إلى مالقا خائباً، وقد حان حينه أن يزور ثرى الأرض دفينه، فاغتاله ليلاً في خبائه بعض عبيد القاسم بن حمود، فقتله واحتزّ رأسه، ورفعه على عود، وأَطيف به تلك البلاد، كأنه هدي يزف، لا يملّ بالتشفيّ رؤيته طرف، ثم أُدْخِل مالقة فثارت العامة على الشطيفي فقتلوه، ونُصبت رؤسهما وعُلِّقت، وركّبتا على خشبتين، وَرَكَبا منها مطيتين بوارك لا تسير بهما، ولا تدني نوي مغتربهما، إلا أنهما من جذوع الرواحل، لا تُطوى بها المراحل، أو قواعد وعمد إلا أنها لَيْسَتْ ممدودة، كأنهما عليها خُشَب مسندة، قيدت لهما من مربط النجار. /٣٥/ ونيطت بهما لما يجمع بينها وبينهما من قرب النِّجار، وأُخرج إدريس العالي من السجن، وبويع يوم الخميس سادس إحدى شهري جمادى سنة اربع وثلاثين وأربعمائة، ثم بويع بغرناطة وقرمونة وما بينهما من البلاد، وأنارت بالعدل مشارق زمانه، وأنالَتْ من الفضل بوارق إحسانه، ثم أمْطَرتهم دِيَمُهُ دراكاً، وأرتهم غرَّ الثنايا فما استسقوا بشاماً ولا أراكا.

قال الشريف الغرناطي:

وكان عدلاً خيّراً، لم يزل على أحسن الأحوال إلى إن ثار عليه ابن عمّه محمد المهدي، فجرت بينهما حروب كان الظهور فيها لابن عمه، فانخلَعَ له، فسلّم له الأمر وذلك في رجب سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وكانت مدته ثلاث سنين وستة أشهر، ومات بعد ذلك بيسير.

[٢٧]

ذكر دولة المهدي[(٢)]، أبي عبد الله، محمد بن ادريس المتأيّد

بويع له بمالقة يوم خلع ابن أخيه العالي، وكان نبيه المعالي، وكانت بيعته في

---

(١) كان ابن بقية مدبر دولة العلويين، وكان الشطيفي نائبه، قتله البربر حين أراد إزالة دولة العلويين، انظر كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٩.

(٢) انظر: البيان المغرب ٣/ ٢١٧ و٢٩٢ والمعجب ص٦٦ وكامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٩ وجذوة المقتبس ص٣٥.

رجب سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، فتمت له الأمور وتابعته البلاد فضبطها، وكفّ عن أطرافها جور الأعداء وشططها، وأحسَنَ تدبيرها، وكان سئوساً نبيلاً، رئيساً جليلاً، فَطِناً بالصواب، لا تخطئ مواقعه، ولا يخلي من صفو المناهل مشارعَهُ، أذْكى قلباً من السراج، وأشفُّ بصراً من الزجاج، مُحصناً للملك، مُسْكِناً للفتن، مُؤثراً للخير، مثمراً للجاني، معمراً للنواحي، مصلحاً لأمور الجند، منجحاً لمقاصد الأمل، كانت أيامه هادئةً مطمئنة، لا تنجم في دولته فتنة ولم يزل كذلك إلى أن مات بمالقه ستة أربع وأربعين وأربعمائة[1]، وكانت مُدَّته ست سنين وستة أشهر، وكلُّها محمودة ممدوحة، ممنونة ممنوحة، كأنها أعياد، أو في جفون الزمن الوسنان رُقاد، ينهلُّ نداها ساكباً ويجلّ قدرُ /٣٦/ دولتها، فلا يمرُّ بها السحاب إلا راحلاً، لا راكباً.

[٢٨]

ذكر دولة الموفّق أبي علي إدريس بن علي بن إدريس بن علي بن حمود

ابن أخي المهدي وكان نديَّ الندى، يفوت كرمُهُ كلّ سخيّ، وعيش زمانه كلّ رخيّ، وعزم ضاربه كلّ نخي، لا يتأخّر جوابه عن المصطرخ، ولا تأفل أهِلّةُ شهورِهِ الحسان ولا تنتسخ، إلا أن الأقدار لم تُسْعِده بمطاوعتها[2]، ولم تبعده من اجتذاب منازعتها، بويع سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ولم يخطب له خطيب ولا هتف باسمه داعٍ في بعيدٍ ولا قريب، وبقي أشهراً كان زمانه فيها بالطاعة والعصيان مستمرّاً، ثم ثارَ عليه إدريس العالي بن يحيى بن علي بن حمّود المخلوع المقدم ذكره، فَخَلَعَهُ وقسره عليه كالليث القسورة، وما خَدَعه، وانتزع الملك، ثم عادت دولة العالي وما بقيت إلا أياماً وليالي، ثم أتاه الموت وأجاب الصوت، فترك منبره، ونزل المقبرة.

ثم كانت:

[٢٩]

دولة المُسْتَعْلي[3]: أبي عبد الله محمد بن إدريس المتأيّد بن الناصر علي بن حمود

وكان ممن يسود ولا يسود، يتساقط ضعفاً، ويتقدم خلفاً، بويع سنة ست

---

(١) في الكامل: خمس وأربعين وأربعمائة.
(٢) الأصل: بمطلعها.
(٣) انظر أخبار المستعلي في البيان المغرب ٣/١٨، ونفح الطيب ١/٢٠٦.

وأربعين وأربعمائة وخُطبَ له بمالقة والمريّة وزبده وغيرها من البلاد، فَتَمَهَّدَ له الأمر وما كاد، وأراد التشبّه بسيرة أبيه فما أطاق ولا قدر أن يفتح بها فماً ولا يشدُّ له بها نطاق، وضيّق عليه باديس بن حبّوس الصنهاجي صاحب غرناطة فقهره وخَلَعَهُ، وٱبتزّه ملكه وما جَمَعَهُ، وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة وكانت مدته سنة واحدة، تُنَبَّه عيونها وهي راقدة، ثم سار إلى المريّة.

/ ٣٧/ قال الغرناطي:

فأقام سنةً أذلَّ من سائل، وأحْقَر من جاهل، فاستدعاه أهلُ مليلة، ليملّكوه، فعبر البحر، فبايعوه في شوّال سنة تسع وخمسين، ثم بايَعَهُ بنو ورتيدي وقلوع صارة ونواحيها، وأقام بها مملكة إلى آخر سنة ستين، ومات، وكانت مدته بها سنتين وثلاثة أشهر، وانقرضت دولتهم، وفنى ملكهم، فسبحان من لا يفنى مَلْكه، بيده أخذ كل شيء وتركُه.

[٣٠]

ذكر دولة المهدي محمد بن تومرت(١)

ويكنى بأبي عبد الله، وهو المدعو له على منابر الغرب، وبإفريقية خاصة إلى الآن، تقول الخطباء، الإمام المعصوم المهدي المعلوم.

وقال لي الإمام أبو عبد الله محمد بن الصائغ القرشي: إنه ربما دعي له إلى اليوم على منابر الأندلس، ولكن لا يزاد على قول المهدي المعلوم.

وهو حسني، من ولد الحسن بن علي عليهما السلام.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، العلوي، الحسني، قبيلته من المصامدة تعرف بهرغة في جبل السوس، رحل إلى الشرق في طلب العلم، ووصل إلى العراق واجتمع بالغزالي وبأبي بكر الطرطوشي بالاسكندرية، وعاد إلى المغرب، وانتهى إلى المهدية وسلطانها يحيى بن تميم فنزل المسجد، واجتمع إليه الناس، فكانوا يقرأون عليه مختلف العلوم، وأكرمه الأمير يحيى، ثم أقام بالمنستير، وسار إلى بجاية، فأخرج إلى ملالة فلقيه عبد المؤمن بن علي، ورحل إلى مراكش عاصمة بني تاشفين، فكان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر فكثر اتباعه، فأخرج إلى آغمات، ثم إلى السوس سنة ٤١٤هـ فاجتمع حوله المصامدة، وتسمى أتباعه بالموحدين، وحاربه يوسف ابن تاشفين فانتصر على يوسف وأقبلت عليه القبائل، وعلا أمره حتى بدأ يستعد لمهاجمة مراكش فمات سنة ٥٢٤هـ، فخلفة عبد المؤمن في قيادة الموحدين.

انظر: كامل ابن الاثير ٨/ ٢٩٥ وابن خلكان ٢/ ٢٧ والاستقصا ٢/ ١٩٩ وابن خلدون ٦/ ٢٢٥ وجذوة الاقتباس ١٣٨.

ومن الكنوز: إنه إدريسي، قال مؤلّفه، هو من بني إدريس بن إدريس.

وقال: وبنو ادريس بن إدريس في السوس[١] عدَدٌ وخلق.

قلت: ولم أقف على نسبه الموصول، ولا عرفت فرعه اليانع من أي الأصول، وكان ابن تومرت، داهيةً، لا يُعدّ معاوية بن أبي سفيان تِربه، ولا مثلهُ المغيرة بن شعبة، ويقصر عنه دهاء عمرو، وسميُّه ابن العاصي في آخر الأمر، أو قِيسَ به زياد لما زاد، أو أبو جعفر المنصور لخاف على جعفرِهِ من مكاثرة الأمداد، وكانت همته لا تحدثه بما دون النجم، وعزمته لا يلين عودها بالعَجْم، أبْصَر بمقاصدِهِ [من] زرقاء اليمامة، وأجدى على مؤمّلِهِ من أنواء الغمامة، كانَ قد ساح في الآفاق، ورأى دَنَسَها، وشمّر ذيله لما عَرَف نجسها، فأورد /٣٨/ خيْلَهُ المجرَّة، وصَعَدَ أبنية البروج المشمخرّة، ونازع النجوم في رتبها، ونَصَلَ سهماً بشهبها، وافترس الأسد بالأُسد، واقتبس جمرة المريخ في سنان ذابله وقد وَقَد، وكان قد قدم الصعيد في الدولة العبيدية، والرفضُ ملأ الملا، واعتلى العُلى وعمّ الديار المصرية، حتى طبّق مفاصلها، وطَرَّق بالبدعة الشنيعة مواصِلها، فنزل بمسجدٍ هناك رأى مكتوباً عليه: لَعَنَ الله الصحابة رضوان الله عليهم، فَنَزَلَهُ وهو من الحنق تغْلي مراجِلَهُ، وودّ لو قَدْ يُساوِرُ كاتبه ويُعاجِلَهُ، فكتب عليه: [من البسيط]

إنّي وفي النفس أشياءُ مخبّأةٌ ... لألبسنَّ لها دِرْعاً وجلبابا

حتى أُطهّر هذا الدين من نجسٍ ... وأُوجب الحق للسادات إيجابا

والله لو ظَفَرت كفّي ببغيتها ... ماكنتُ عن ضربِ أَعْناق الورى آبى

ثم قام وهو لايتهدّى، ولا يعرفُ أيَّ بحرٍ يجاوِرُهُ ويتعدّى، ثم أتى مكة وشهد الموسم بمنى، وشاهد ما فيه من الغِناء لا الغنى، واتخَذَ لُعبةً من الزجاج المذهب وَوَضَعها على جمرة العقبة، وقَعَدَ امامها[٢] وعينه مرتقبة، وبقي كلّما مرّ به مارٌّ قال له هذه صورة فاكسرها، فلا يُجيبُهُ، ويقول: لعلّ لهذه صاحباً إذا كَسَرْتَها طالبني بثمنها، إلى أنْ مرّ به مَغْربيٌّ من أهل الجبل الذي أوى إليه، فلما قال له ما تأبى أن كسرها وما تأتّى، فقال ابن تومرت، هؤلاء أُريد لِسُرْعَةِ تلقيّهم لما يُقال لهم بالقبول، وترك القائل لهم وما يقول، وقضيتُه معروفة لم يخلُ منها مجالسة جليس، ولا مؤانسة

(١) السوس: مدن كثيرة وبلاد واسعة، في اقصى بلاد المغرب، انظر: الروض المعطار ص٣٢٩ والاستبصار ص٢١١.

(٢) في الأصل: أيامها.

أنيس، ولا سمع مرؤس ولا رئيس لما فيها من دقائق التلطّف في المراد والتوصل إلى ما في النفس والتهيؤ للاستعداد، بهمة تقتسر المآرب، وتقتدر على المطالب، وكان ابن تومرت واحد زمانه، وفريد عصره حتماً وحَزْماً وعَزْماً وجزْماً وعلماً / ٣٩/ وحلماً وعدلاً، لا يدع ظلماً ولا جوراً، إلاّ ما يسمّى في عيون الغيد حَوَرا. ويدعى في ريق الغواني ظَلما، مع الزهد والورع والمقنع، ولو شاء لما اقتنع والعفاف وما تلبّس منه وما ادّرع، وكان لا يملّ صاحبه ولا يسأمه، ولو تركه مغيراً لوجه شاحبه.

قال مؤلف الكنوز: كان ربعةً قصفاً[١]، أسمر عظيم الهامة، حديد النظر كثير الإطراق، شجاعاً، عالماً، مُقْبِلاً على العبادة، لا يصحبهُ من متاع الدنيا إلاّ عصا وركوة[٢].

ومن الأشعار لابن العديم، قال: رحل إلى المشرق ولقى الغزالي[٣] وأخَذَ معه فيما يرومُه، فَصَعَّبَهُ عليه، وقال له: لو كان هذا أمراً ممكناً لما سبقتُ إليه، فلما خرج الغزالي رحمه الله لوداعه قال ابن تومرت فيه: [من المتقارب]

أخذت بأعضادهم إذ نأوا … وخلفك القومُ إذْ ودَّعوا

فكم أنت تَنْهى ولا تنْتهَي … وتُسْمِعُ وعظاً ولا تَسمَعُ

فيا حَجَرَ الشحذ حتى متى … تَسُنُ الحديدَ ولا تقطعُ

قال: وأقام بمكّة مدّة يلاحظ مواطىء أقدام رسول الله ﷺ، ويتمثل طريقته، ويَنسج على منوالِهِ، فأخَذَ نَفْسَهُ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان قد اطلع على الجفر[٤]، وعلوم أهل البيت، وأتى مراكش فرأى زينب بنت أمير المسلمين علي بن تاشفين[٥]، وحولها جواريها يرفلْن في الحلى والحلل، وهنّ حاسِرات، فأنكَرَ عليهن، وضربهنّ بعصاهِ، فلما بَلَغَ هذا أباها، عَقَدَ له مجلساً، وجمع فيه

---

(١) الربعة: الوسيط القامة، القصف، الأهيف الرشيق.

(٢) الركوة: وجمعه ركاء، إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، حجة الإسلام المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

(٤) الجفر: علم يبحث فيه عن الحروف دلالاتها على أحداث العالم أو ما يسمى بالملاحم.

(٥) علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملثمين، بويع له بعد أبيه سنة ٥٠٠هـ، وملك بلاداً كثيرة، ظهر في أيامه ابن تومرت فلم يستطع دفع غائلته فمات غماً بمراكش سنة ٥٣٧هـ انظر: الاستقصا ١/ ١٢٣ وجذوة الاقتباس ص٢٩١ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤١ والكامل لابن الاثير في مواضع متفرقة من الجزئين ٨ و٩ ووفيات الاعيان ٥/ ٤٩ و٧/ ١٢٥ وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٦ وابن خلدون ٦/ ٤٧٤ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٥.

العلماء وأحْضَرَهُ، فتكلّم بكلام أنكى به ابن تاشفين، فأشار عليه مالك بن وهب بسجنه، وقال: هذا لا يجري منه خير على الدولة، فقام للوزير، وقال: هذا أضْعَفُ من أن يُخاف منه، فخلصَهُ الله منه فقال لأصحابهِ: إنَّ ابن وهب لا يبرح يضرب الامثال فينا لعلي حتى يبدو له رأيٌ آخر. والرأي أن نعتصم بالجبل، فصعدوا إلى درن[١]، وتابَعَهُ أصحابه على أنه المهدي المبشّر به، وذلك سنة / ٤٠/ خمس عشرة وخمسمائة، فلما صَعَدَ الجبل رأى زُرْقةً في أبنائهم، فقال[٢]: من أين هذه الزرقة الرومية في بنيكم ؟ قالوا: علوج ابن تاشفين تأتينا، فتأخذ النساء، وتنهب الأموال، فقبّح هذا وأكبَرَهُ، وأمَرَهُم بمنع ما كانوا يؤدّونه، وقتل من أتاهم، وظهرت على يَدِهِ خوارق، يقول أولياؤه أنها كرامات، ويقول أعداؤه: أنها مخاريق ميّز في أهل الجبل المنافقين، وقال: قد عُرف بهم، يعني بكشف، ثم أخَذَ يضرب عنق كل متلوّ عليه، فيشتد له أمر الجبل، وطفق يغزو بهم بلاد ابن تاشفين، وكانت عليه أوّل مرة، فطيَب قلوب أصحابه، وعرّفهم أن الكرّة لهم.

قلت: وله التصانيف المفيدة النافعة، لمن تعلّم الجامعة، في بعضها محاسن مما تقدّم، واستفْسَدَ بالغرب أُمَمَاً بل استصلح، وٱستبهم أمره بالكتمان حتى استصبح، ثم حارب لمتونة[٣].واستحوذ على ملكهم بلا مَؤُنة.

لكنه مات، وما فتح بلداً شهيراً، ولا معقلاً منيعاً اتخذه ظهيرا، وكان قد عهد إلى عبد المؤمن[٤] بن علي القيسي، الكومي، وكان أخص أصحابه المعتبر لصحابته، وأقرب مكانهم منه إلى ظلّ سحابته، وكان إذا رآه مقبلاً قال؛ إما له وإمّا متمثلاً:

---

(١) درن، جبل من جبال البربر بالمغرب وفيه بلدان وقرى وتسكنه عدة قبائل (ياقوت ـ درن).

(٢) انظر الخبر في كامل ابن الأثير ٨/ ٢٩٦.

(٣) قبيلة من قبائل المغرب.

(٤) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، نسبة إلى كومية من قبائل البربر، مؤسس دولة الموحدين في المغرب وتونس، ولد في تاجرت قرب تلمسان وبها نشأ وتعلم، والتقى بابن تومرت الذي جعل له فيما بعد قيادة جيوشه، ولما توفي ابن تومرت خلفه عبد المؤمن سنة ٥٢٤هـ، ودُعي بأمير المؤمنين سنة ٥٢٦هـ، فقاتل الملثمين وقضى على دولتهم أيام آخر ملوكهم إبراهيم بن تاشفين ودخل مراكش وبايعه أهل الاندلس، وكان حازماً شجاعاً، محباً للغزو والفتوح، توفي في بلاط سلا في طريقه إلى الأندلس سنة ٥٥٨هـ.
انظر: كامل ابن الاثير ٨/ ٢٩٨ وابن خلدون ٦/ ٢٢٩ والاستقصا ١/ ١٣٩ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٣٣ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٧ والعبر ٤/ ١٤٥ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٦٦ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٦ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٦٣ وجذوة الاقتباس ٢٧٢ ونفح الطيب ١/ ٤٤٢ وشذرات الذهب ٤/ ١٨٣.

[من البسيط]

تكمّلَتْ فيك أوصاف خُصِصْتَ بها فكلّنا بك مسرورٌ ومغتبطُ
السنُّ ضاحكةٌ والكفُّ مانحةٌ والصدرُ متّسعٌ والوجْهُ منبسطُ

فاستخفَّهُ الطيش وتسمّى بأمير المؤمنين، وما هو من قريش، وتداول بنو عبد المؤمن ملكاً سمّوه الخلافة، وعظم شأنهم، ، ملكوا من حدود مصر إلى البحر المحيط في نهاية المغرب، وجزيرة الأندلس، وإنما أجْهَدَ ابن تومرت نفسه، وركب الأخطار حتى سبّبَ لهم هذا الملك العتيد، ونظم لهم هذا المسلك الفريد، أذاعوا عنهم تلك السمعة التي أحْوَجَتْ السلطان صلاح الدين رحمه الله إلى أنه كاتبهم، وراوَدَ كاتبه الفاضل[1] بأن يخاطب قائمهم إذ ذاك بإمرة المؤمنين فيأبى عليه، وامتنع وقال: مثل هذا /٤١/ ما وقع ولا يقع، وقال: متى كتبنا لهم بهذا حتى قُرِىء الكتاب على منبر من منابر الغرب جعلونا لهم خالعين، ولهم لا لبني العباس طائعين، واقتصر على أنه كتب نسخة إلا موضع هذه الكلمة، وخاطبهم، وما أطلق ولا أخْطأ، ثم توسل إلى صلاح الدين بأن لا يكون الكتاب بخطه، وقال له: والخادم يستجير هو وذريته بالمولى من هذا. وكان مضمون الكتاب الاستنجاد بابن عبد المؤمن، وطلب الإمداد على الفرنج بما يمكن ثم جُهِّز على يد ابن منقذ[2] فما كان بمنقذ، فاستصرخ به وما هو بمصرخه، ولا بواضع وزر همّه ولا مفرخه.

وأن كان هذا ما هو موضع ذكر بني عبد المؤمن، وإنما ذكر ابن تومرت اقتضاه، وهو الذي سلّمهم[3] السيف وانتضاه.

فهذهِ مشاهير دول بني الحسن بن علي عليهما السلام، سوى من تقدّم ذكره فيما يقدم من ذكر ولد الحسن أو من لا يُؤبه إليه، ولا امتدّ لملكه رسنٌ، وأمراء مكة وهم أمراء لا خلفاء ولا ملوك، وما لذكرهم في هذه الطريق سلوك، وسيأتي في ذكر مملكة مصر والشام من التلميح بحديثهم بما فيه مَقْنَع، ولمنْ أمالَ إليه صَفْوَهُ مسمع.

---

(١) القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن اللخمي، البيساني، صاحب ديوان الإنشاء ووزير الناصر صلاح الدين الأيوبي، الكاتب المترسل المشهور المتوفى سنة ٥٩٦هـ، واخبارهُ كثيرة، انظر: خريدة القصر قسم مصر ١/ ٣٥ ووفيات الاعيان ٣/ ١٥٨ والوافي بالوفيات ٨/ ٣٣٥ والعبر ٤/ ٢٩٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦.

(٢) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر، صاحب حصن شيزر الأمير الأديب الشاعر، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، وأخباره كثيرة في كتب الأعلام والتاريخ، انظر: الخريدة: قسم الشام ١/ ٤٩٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٧٥ والوافي ٨/ ٣٧٨.

(٣) كذا في الأصل، ولعلّها سَلَّ لهم.

دول الحسينيين

فأما ؛ دولة بني الحسين بن علي كرم الله وجههما ، فمنها :

[١]

دولة زيد[١] بن علي بن الحسين بن علي

وهو الخارج على هشام، ثم دولة ابنه يحيى[٢] الخارج على أثره، وكلاهما قتل، أما زيد فقتل وصلب وأما يحيى فقتل ثم أُحرق هو وجثة أبيه كما تقدم ذكره.

وأما بقية دول الحسينيين فأبعدها صيتاً، وأوقدها سهاماً كانت لنار الحرب كبريتاً، هي الدولة العُبيدية، التي طاولت الأيام، وحاولَت عمر الدوام، واستولت على الغرب ومصر والشام والحجاز /٤٢/ واليمن إلى أطراف العراق، ولُزّت الدولة العباسية منها بضرّة إلا أنها غير حسناء، وانتزت بصحيفة صقيل إلاّ أنها ليست بخشناء، فأما المغرب إلى آخر حدود مصر، فما زُعْزع لَهُم فيها سرير، ولا نَزَعَ لهم فيها طاعةً أمير، وأما الحجاز واليمن والشام فكانت تكون بينهم وبين الدولة العباسيّة أو الناجمين فيها دول الأيام، ثم أصحب اليمن لدعاتهم، وسُهّل ما استصعب

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من كبار البيت العلوي من الشجعان الخطباء العلماء، خرج على هشام بن عبد الملك بالكوفة سنة ١٢٠هـ فقاتله أميرها يوسف بن عمر الثقفي، وبعد قتال شديد في أزقة المدينة أصابه سهم فمات وأخفيت جثته، ثم دُلَّ عليها فصلب ثم أحرق في كناسة الكوفة، انظر: تاريخ الطبري ٧/ ١٦٠ ومروج الذهب ٢/ ١٦١ وعمدة الطالب ص٢٥٥ ومقاتل الطالبيين ص١٢٧ وأنساب الأشراف تحقيق محمود العظم ٢/ ٥٢٠ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٣.

ولناجي حسن ثورة زيد بن علي، بغداد ٩٧٣ وللسيد عبد الرزاق المقرم زيد الشهيد، النجف وانظر كذلك تاريخ الفرقة الزيدية لفضيلة الشامي، وثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الإسلامية لمهدي عبد الحسين النجم.

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج بعد مقتل أبيه إلى المدائن فطلب فخرج إلى الري ثم نيسابور، ثم إلى سرخس فأسر أيام الوليد بن يزيد ثم أخلي سبيله فخرج حتى أتى الجوزجان فلحق به قوم من أهلها وأهل الطالقان، قدرهم خمسمائة رجل، فبعثَ إليهم نصر بن سيار فقاتلهم فقتلوا جميعاً سنة ٥٢٥هـ وله ثماني عشرة سنة.

انظر: عمدة الطالب ص٢٥٩ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٥ وأنساب الأشراف ٢/ ٥٤٢ ومقاتل الطالبيين ص١٥٢.

لسُعاتهم، وكانوا في أول الحال ملوك استقلال ثم غَلَبَتْ عليها الوزراء، ورمت جنبها من الاعتلال.

ونحن نذكر دول الحسينيين ممّن اشتهر، وتراءى فجر ملكه وظهر، ولا أقول إلا موجزاً، ولا أعدّ من أخبارهم إلاّ بما أؤمّل أن أكون له منجزاً، وأبدأ بالدولة العبيدية، وها أنا أذكرها، وأصفها، وإن كنت لا أشكرها، وأصف بعض أيامها وإن لم يبْق منها إلا تذكّرها، وبالله التوفيق ومنه المدد، والهدى إلى الجدَد.

ذكر الدَّوْلَة العُبَيْديّة

نشأت بالمغرب، ثم كانت بمصر، ولبَثَتْ أحْقاباً، وعَبَثَتْ عفواً وعِقابا وعُطّلت فيها الشرائع، وبطَلتْ الذرائع، وشدّد فيها على المحدثين والمؤرخين وعلماء الأنساب لئلا يظهر بهرج نسبهم الدعيّ، وزيف مذهبهم الغير شرعي، نسبوا علم الرفض، ودعوا الناس إلى هذا الشنار، وادعوا أنهم أئمة ولكنهم يهدون إلى النار، فلقد كانت ظلامات رفضٍ وظُلمات، بعضُها فوق بعض، على أن من ردَّدَ في معتقدهم النظر، علم إنما غاب عنه منهم أكثر مما حظر، فإنهم طائفة مِمّن يعتقد الحلول[1]، وتعتضد بما لا يعقد عليه من المعتقد المحلول، ممن يقول بتناسخ الأرواح[2]، وتناسي بعض النفوس لهياكل الأشباح، ولهم على زعمهم أئمةُ خفاء وظهور، وأن الزمان في كل سبعةٍ يدور، وقد صنف / ٤٣/ القاضي أبو بكر الباقلاني[3] كتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) في سوء معتقدهم ومرادهم، ووقفتُ على سجلات وتواقيع عن بعض أئمتهم بعضها بخطة صلوات، وبعضها

(١) الحلول: القول بأن الله سبحانه وتعالى حل في كل شيء وهو مذهب تعتقده فرق من الصوفية ويقال عن الإسماعيلية إنهم يرون أن الله حل في الأئمة، ويرى الأستاذ المرحوم د.محمد كامل حسين، أن هذا القول الشائع خاطىء، ويرى أن هذه النظرية تتلخص عند الإسماعيلية في أن الله خلق المحسوسات لتدل على المعقولات، وأن الله أبدع القلم وجعلوا له الصفات التي وصف بها الفلاسفة العقل الكلي، وأضافوا إليها أسماء الله الحسنى بعد أن نزهوا الله تعالى عنها، فالقلم أو العقل أعلى الحدود الروحانية مرتبة وأقربها إلى الله، ورأوا أن النبي في عصره مثل العقل، فإذا انتقل إلى العالم الآخر أصبح الأئمة من أهل بيته مثلاً للعقل، انظر: النجوم الزاهرة في حُلى القاهرة، هامش (١) ص٣٦.

(٢) تناسخ الأرواح عقيدة قديمة شاعت في ثقافات كثيرة، وتعني انتقال الروح من جسد إلى آخر. انظر الموسوعة الميسرة ص٥٤٨.

(٣) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، له مؤلفات، توفي سنة ٤٠٣هـ، انظر: تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩ والوافي بالوفيات ٣/ ١٧٧.

بإقطاع في الجنّة، ورفع درجات، ولكثرة كلام الناس فيهم نقنع باليسير، ولا حاجة إلى التفسير.

فأما نسبهم فللناس فيه اختلاف كثير، فأما هُم فادّعوا أنهم من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، وأما الناس، فمنهم من أفرط حتى قال إنهم من ولد رجل يهودي من أهل سلميّة[١]، ومنهم من قال: إنهم من ولد رجلٍ خياط من بعض عامة المسلمين، وقال بعضهم: كان الداعية لهم داعياً لرجل شريف من آل البيت فمات، وقد اجتمعت زُمَر الشيعة ولم يبق إلاّ الظهور، فلم يمكنه اطلاعهم على موت ذلك الشريف لئلا تتقلل[٢] عزائمهم، وينقض جمعهم، فأخذ صبياً أراهم إيّاه وقال لهم: إن الإمام مات، وهذا ابنه، وقد أوْصى إليه، ثم من قال: إن ذلك الصبي ابن امرأة (كان الداعي)[٣] قد تزوج بها، وثبت في بغداد محضر بأنهم أدعياء[٤]، وأُتي به إلى الشريفين المرتضى والرضي[٥] الموسويين، فأبيا أن يشهدا فيه، وكان هذا أقوى حجج العبيديين على دعواهم، وكذلك لهم شهادة صريحة، شهد بها الشريف الرضي في قوله[٦]:

[من الخفيف]

مـا مـقـامـي بـأرض بـغـداد رُشْـدٌ   وبـمـصـر الـخـلـيـفـة الـعـلـويُّ

---

(١) سلمية: من أعمال قنسرين بثغور الشام من طريق البادية، انظر: (ياقوت ـ سلمية، والروض المعطار ص٣٢٠).

(٢) كذا، لعل الصواب: تفلّ.

(٣) في الأصل: كانت الداعية.

(٤) وللمقريزي رأي في ذلك قال في الخطط ١/ ١٩: وهذه أقوال إن أنصفت تبين لك أنها موضوعة، فإن بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي، فهذا ما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف.
وإنما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين، فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة.
وانظر كذلك في نسبهم: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٣٤ وانظر رأي الدكتور جمال الدين الشيال عن مشكلة نسب الفاطميين في تعليقه على اتعاظ الحنفا ١/ ٤٢.

(٥) الشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى المرتضى، المتوفى سنة ٤٣٦هـ والشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الرضي نقيب الأشراف الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٤٠٦هـ وأخبارهما كثيرة مشهورة.

(٦) ديوانه ٢/ ٩٧٢ باختلاف غير قليل.

مَنْ أبوه أبي ودعواه دعواي ... ومَنْ جدّه وجدّي النبيُّ

ألبس الذل في ديار الأعادي ... ودين عمّي له المكان العليُّ

إن عرقي بعرقِهِ سيد النـ ... ـاس جميعاً محمدٌ وعليُّ

وأمّا حجة الخصم عليهم، فامتناع آل أبي طاهر من تزويج المعزّ أبي تميم معد، وكان السبب في خطبته إليهم أنهم أعرق بيتٍ في أهل مصر شرفاً، فلما قدم المعزّ مصر، أُلْقِيتْ إليه ورقة فيها: [من السريع]

/٤٤/ إن كنت من أبناء أهل العبا ... فاخطب إلى آل أبي طاهر

فإن رآك القوم كفؤا لَهُم ... في باطنِ الأمر وفي الظاهر(١)

فخطب إليهم فاعتذروا إليه، وقالوا إنّه لا بنت لنا، فسكت على مضضٍ يتجرعه ولا يكاد يسيغه، وحردٍ كان لا يتوقعه ولا يريغه، ثم أُلقيت إليه بعدها أوراق فيها مذمّة، وعار وَملَمّة لا يُعرف لها شعار، ومن جمله: [من السريع]

إن كنت فيما تدّعي صادقاً ... فانسب لنا نفسك كالطائع

فإنّ أنساب بني هاشم ... يقصر عنها طمع الطامعِ

وأنت فيما تدعي عاجزٌ ... فاذكر أباً بعد الأب الرابع

أو فدع الأنساب مستورة ... وادخل بِنا في النّسب الواسع

فصعد المنبر وأخذ في إحدى يديه سيفا، وفي الأخرى ديناراً، ثم قال: أما بعد فقد كتبت لنا ورقة يُسئَلُ فيها عن نسبنا، وهذا نسبي، وأشار إلى السيف. وهذا حسبي، وأشار إلى الدينار، فمن أقرّ بنسبي أدخلته في حسبي، ومن لم يُرد حسبي قتلته بنسبي، والسلام، ثم نزل.

وكانوا يكرمون الغرباء، ويُنعمون أنعاماً تَعمُّ الناس، ويخصّون الأدباء مع ما كان فيهم من احتقاب إفكٍ، واختضاب سيف بسفكٍ، واتخاذ شيعة تستنزل عقود الأنام، وتأخذ بالألباب أَخْذَ النعاس بعين النيام.

وفيهم يقول ابن قادوس(٢)، ويعرض بالعباسيين وشعارهم، وهو: [من الكامل]

أنتم بنو الزهراء أَوْضَحَ نوركم ... للناس نهجا نائل ورشاد

وهم لما خولتم في مأثمٍ ... جمعوا العبوس إلى لباسِ حداد

---

(١) بعده بياض في الأصل بمقدار سطرين.

(٢) ابن قادوس، أبو الفتح، كافي الكفاة محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي، مصري من الكتاب الشعراء، توفي سنة ٥٥٣هـ انظر: الروضتين ١/١٠٣ الدواداري ٥٩٦.

/ ٤٥/ وقد ذهب بعض الناس إلى أن هذه الدولة من بني أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم، وقيل بل هم من قريش، وليسوا لهاشم، وقيل بل هم من حِمْيَر، ثم من صنهاجة، والخلاف فيهم كثير، وها أنا أذكر أمر هؤلاء من أوله:

كان ابتداء أمرهم على يد أبي عبد الله الشيعي[١]، الملقب بالمحتسب، واسمه: الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الداعي ببلاد المغرب، والقائم بدولتهم، أصله من الكوفة، وقيل من رام هرمز من كور الأهواز.

قال الشريف أبو العباس أحمد بن الحسن الحسني الغرناطي: وكان رافضياً خبيثاً، ذا عقل ودين صليب، وعلم بارع، وورع حاذق كدُهنٍ على ورم، وكان (له)[٢] أخٌ اسمه أحمد أَسَنّ منه وأعلم وأوْرع يقال له أبو العباس المخطوم، وكان بدءُ أمره بمكة، وتمامُهُ بأيكجان[٣] من بلاد كتامة، حجّ فالتقى في مكّة بقوم من كتامة سبعة، كانوا يتشيّعون للحوالى[٤] داعية المغرب قبله بأزيد من مائة سنة، فلما سمعوا كلامه أحبّوه، وتقرّبوا إليه، واتبعوه فخرج معهم إلى بلادهم، واحتل بلاد أيكجان نصف ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، فقال لهم: أين فج الأخيار؟ فعجبوا من علمه، فقالوا له: عند بني سكان[٥]، فقال: لهم نقصد، وعندهم ننزل، فلما قارب المكان، قال لهم: هذا فجّ الأخيار، وقال له موسى بن حريث: من أين علمته، ونحن ما ذكرناه لك، فقال لهم: أنتم الأخيار، ولكم سُمّي، فلما نزل به تسامع به الناس، ودخلوا إليه، فكان يُخبرهم بفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده، عليهم السلام، فكثر جمعُهُ، وجيّشَ جيشاً، وقاتل أهل إفريقية، فافتتح ميلة[٦] ثم سطيف[٧] ثم طُبْنَة[٨] ثم

---

(١) انظر ترجمة أبي عبد الله الشيعي في: ابن خلكان ١/ ١٦٢ وابن خلدون ٣/ ٣٦٢ وكامل ابن الأثير ٦/ ١٢٤ والبداية والنهاية ١١/ ١٨٠ ونهاية الأرب ٢٨/ ٧٧ ـ ١١٠.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الكامل ٦/ ١٢٧ ومعجم البلدان: انكجان، وايكجان تعني في البربرية حجاج، وكانت محل اجتماع الحجاج من الاندلس وشمال المغرب الاقصى بين طنجة وفاس. انظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٣٥ هامش (٥).

(٤) كذا في الأصل وهو في كامل ابن الأثير ٦/ ١٢٧: الحلواني.

(٥) كذا في الأصل، وهو في نهاية الأرب ٢٨/ ٧٩: سكنان، وفي كامل ابن الأثير ٦/ ١٢٧: سليمان.

(٦) ميلة: مدينة صغيرة بأقصى اقليم إفريقية (تونس) بين تاهرت والقيروان (ياقوت ـ ميلة) وانظر: خبر الاستيلاء عليها في كامل ابن الاثير ٦/ ١٢٨ ونهاية الأرب ٢٨/ ٩١.

(٧) سطيف: مدينة صغيرة في جبال كتامة، بين تاهرت والقيروان (ياقوت ـ سطيف) وانظر خبر الاستيلاء عليها في نهاية الأرب ٢٨/ ٩٣.

(٨) أعظم بلاد الزاب، ولها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم متقن البناء، ولها أرباض =

بلزمة[١]، ثم دار ملوك، ثم تيجق[٢] ثم باغاية[٣]، ثم قسطيلة[٤]، ثم قفصة[٥]، ثم الأرْبس[٦]، وهرب زيادة الله بن الأغلب[٧] من رقادة[٨]، فدخلها الشيعي يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين، ثم جمع جموعه / ٤٦/ وعبأ عساكره وخرج يريد سجلماسة[٩] يوم الخميس لعشرين من رمضان منها، واستخلف على رقادة وسائر إفريقية أخاه المخطوم[١٠] وأبا زاكي تمام بن معارك الإيكجاي، وكان هذا أبو زاكي تمام بن معارك أول من لاقى الشيعي، فقال له: ما اسمك يا فتى؟ فقال: تمام. (فقال)[١١] بك تتم أمورنا، فما اسم أبيك؟ قال: معارك، فقال الشيعي: لكن بعد عرك عظيم، فلما أتى سجلماسة، أرسل يقول لصاحبها اليسع بن مِدْرار[١٢] إننا ما جئنا لقتال، ولكن لحاجة، ولك الأمان والبرّ

= واسعة... ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها (الروض المعطار ص٣٨٧).

(١) مدينة صغيرة قرب بحيرة بادغوس في الطريق من بجاية إلى طبنة، انظر: الروض المعطار ص١٠٣ والاستبصار ص١٣٧ والبكري ١٠٦.

(٢) كتبت في الأصل بالأحرف المهملة، وتيجس مدينة على الطريق من القيروان إلى قسنطينة، كان عليها سور صخر رومي.

(٣) مدينة كبيرة بين مجانة وقسنطينة، وعلى مقربة منها جبل أوراس (ياقوت ـ المغرب، والروض المعطار ص٧٦).

(٤) كذا رسمت في الأصل: وهي قصطيلية أو قسطيلية، كما وردت في نهاية الأرب وكامل ابن الأثير، وهو قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر. انظر: الاستبصار ص١٥٥ والروض المعطار ص٤٨٠.

(٥) قفصة بلدة صغيرة، من عمل الزاب الكبير، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهلة المغرب (ياقوت ـ قفصة، وانظر كذلك الروض المعطار ص٤٧٧ والاستبصار ص١٥١).

(٦) الأربس: مدينة كبيرة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب (ياقوت ـ الأربس).

(٧) انظر خبر هرب زيادة الله في نهاية الأرب ٢٨/ ٩٦ وكامل ابن الأثير ٦/ ١٣١.

(٨) رقادة: مدينة بإفريقية بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وظلت دار ملك الأغالبة حتى أخذها أبو عبد الله الشيعي (ياقوت ـ رقادة).

(٩) سجلماسة: مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية على بعد ٢٠٠ ميل جنوب شرق فاس، أسسها المدرار بن عبد الله سنة ١٤٠هـ، وقد درست اليوم (ياقوت والروض المعطار ٣٠٥ والموسوعة الميسرة ٩٧١).

(١٠) أبو العباس أحمد بن محمد، قتله فيما بعد مع أخيه أبي عبد الله المهدي الفاطمي.

(١١) زيادة يقتضيها السياق.

(١٢) اليسع بن مدرار ولي سجلماسة سنة ٢٧٠هـ وهو آخر أئمة سجلماسة من المدراريين قتل سنة ٢٩٧هـ انظر الكامل ٦/ ١٣٣.

والإنعام، فرمى اليسع الكتاب وضرب أعناق محضريه، فكتب إليه ثانياً ثم ثالثاً، ففعل كفعله الأول فيهما، فناجَزَهُ الحرب، فانهزم اليسع، ودخل المدينة مهزوماً، ثم خرج منها فارّاً، فدخلها الشيعي، وأخرج المهدي، وأطلق الخيل في طلب اليسع، فأدركوه، فأخذوه هو ومن كان معه وأتوه به، فأمر باليسع فضرب بالسياط، وطيف به في العسكر، ثم أمر به وبمن كان معه فضُربت أعناقهم، وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم أقعد المهدي، وأخذ له البيعة على الناس، وقدم به دار الملك رقادة، فدخلها في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، واقام بها الشيعي إلى أن قتل هو وأخوه أبو العباس المخطوم.

وقال[1]: وكان سبب قتلهما، أنهما ندما على إقامة المهدي، وأرادا خَلْعَه.

قلت: ولنذكر هنا ما قاله الغرناطي، وقد ذكر فرق الشيعة بعد قتل الحسين عليه السلام فقال: تفرّقوا أربع فرق هم الأصول: علويّة وفاطمية وحسنية وحسينية، فالعلوية رأت الإمامة في ولد عليّ عموماً دون تخصيص وهم الكيسانية، وهم القائلون بإمامة محمد ابن الحنفيّة، كما نبّهنا عليه، والفاطمية رأت الإمامة في ولد الحسن والحسين ولدي فاطمة عليها السلام، وهم الزيدية، والحسنية وهم الذين رأوا الإمامة في الحسن ثم في ولده، ثم في عبد الله /٤٧/ بن الحسن بن الحسن والد إدريس صاحب المغرب، ثم في الأدارسة بنيه أبداً، والحسينية، وهم الذين رأوا الإمامة في ولد الحسين ثم في ولده علي زين العابدين ثم في ولده محمد الباقر، ثم في ولده جعفر الصادق، ثم افترقوا، فرأت فرقة أن الإمامة في ولده موسى الكاظم، ثم من بعده في ولده علي الرضا، ثم في ولده (محمد)[2] الجواد ثم في ولده علي بن (محمد)[3] الهادي، ثم في ولدِهِ الحسن العسكري، ثم في ولده محمد المنتظر، وكان حينئذ في بطن أمه، وهم الإمامية، ورأت فرقة أن الإمامة في إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم الإسماعيلية، وأهل هذه الدولة منهم، وها أنا أذكرهم.

فأوّلهم هذا القائم بالمغرب.

---

(١) أي الشريف الغرناطي.
(٢) في الأصل: علي وهو تحريف.
(٣) في الأصل: علي، وهو تحريف.

[٢]

المهدي بالله[١]، أبو محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

وكان رجلاً حازماً، عازماً، عارفاً، عالماً، أتقن جانباً من علم الأوائل، وأجاد في فن الروحاني، وحذا شعبة من السحر، وأوْرثه بنيه، وكان لا يودَع إلا الأئمة منهم، وكان يشبه في أمره بالسفاح، لقيامه بدولة أقامها بالصفاح، وكان أبو عبد الله الشيعي داعيتهُ، وكادّه، حتى حاز الملك، وساعيته، وكان رجلاً حازماً بريئاً من التكلّف، غنيّاً بما يظهر من التعفف، لا يتعمّق في متاع الحياة الدنيا ولا يتعرض إلى زائد عما يحتاج إليه مدّة ما يحيا، وكان يجلس على اللبود، ويأكل الخشن من الطعام، ويكتفي بجارية واحدة وغلام، وكان يظهر مظاهر الزهاد، ويقف مع ظاهر النسّاك على رؤس الأشهاد مع ما في باطنه من الداء الدويّ، والمعتقد البئيس الرديّ، والإعلان بالسبّ والإمعان في الطعن فيمن دبّ، وإظهار الإيمان، وإبطان الكفر، وتمزيق أهل جلدة الإسلام بالناب والظفر، مع عدلٍ بسط بساطه، وكان به فتور /٤٨/ فكأنما حلّ من عقال نشاطه، وكانت الكتب لا تنفذ في أيامه إلاّ باسم ولده محمد القائم، وكان لا يُسمّى المهدي فيها، وبعثَ دعاته إلى الأرض، وبثّ فيها عقاربه، وبعث أقارِبَه بل أراقمه، ونَفَثَ سمّه من سوء الاعتقاد وما قاربه.

قال ابن سعيد[٢]: وعبيد الله المهدي أول خلفائهم، تشبّه بالسفاح أول خلفاء بني العباس، فإن السفاح خرج من الحميمة[٣] بالشام طالباً للخلافة والسيف يقطر دماً من أصد[٤] وأبو سلمة الخلاّل[٥] يؤسس له الأمر ويثبت دعوته، وكان عبيد الله

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: كامل ابن الاثير ٦/ ١٣٣ ونهاية الأدب ٢٨/ ١٠٠ واتعاظ الحنفا ١٧ـ١٠٧ وكنز الدرر ٦/١٠٨.

(٢) يشير إلى كتابه: كنوز المطالب.

(٣) الحميمة: بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام، كان منزل بني العباس (ياقوت ـ الحميمة).

(٤) الأصد: الثوب، وهو قميص قصير بلا أكمام.

(٥) أبو سلمة الخلال، الملقب وزير آل محمد، حفص بن سليمان الهمداني، كان كبير الدعاة إلى العباسيين وموطّد حكمهم، استوزره السفاح ثم قتله غيلة لما علم ميله إلى العلويين، ابن خلكان ١/ ١٦٣ والفخري ص١١١.

المهدي خرج من سلميّة بالشام وفي رأسه طلب الأمر، والعيون قَدْ أُذْكيت عليه، وأبو عبد الله الشيعي يسعى في تمهيد دولته وكلاهما تمَّ له الأمر، وبايعه صاحب دعوتِهِ، وقَتَلَ عبيد الله أبا عبد الله الشيعي القائم بدولته، وأصبح أبو سلمة مقتولاً في حضرة السفاح، فنسب قتله إليه.

قلت: بل هو الصحيح، أنه دسَّ عليه مَنْ خَتَلَهُ، ونَصَبَ له المكيدة حتى قَتَلَهُ وذكر الشريف أبو العباس أحمد بن الحسن الحسني الغرناطي، خلافاً كبيراً في أمر المهدي المذكور (في تاريخه)[١] ثم قال: ولد بسلميّة، وقيل ببغداد سنة ستين ومائتين، وبويع له برقادة يوم الخميس الموفي بعشرين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وهو باني المهدية وغيرها، ولما ظَهَرَ أمر الشيعي القائم بالمغرب بدعوته جعل الخليفة عليه عيوناً بمصر فوقع المهدي بمصر في زيّ التجار بيد صاحبها عيسى النوشري[٢]، فقال له: أنت الذي طلبه أمير المؤمنين، فقال: إنما أنا رجلٌ تاجر، فاتق الله في دمي، فخلّى سبيله فخرج في قافلة يريد إفريقية، ثم إنه فقد كلباً كان يصيد به فرجع في طلبه وإن صاحب مصر ندم على تخليته، فخرج في طلبه، فإذا هو راجع في طلب كلبه، فقال: لو كان هذا هو المطلوب لطلب النجاة لنفسه، ولم يرجع في طلب كلب، فانصرف وتركه[٣]، فسار حتى نزل /٤٩/ طرابلس، وكان زيادة الله بن الأغلب[٤] قد أرصد عليه عيوناً فخاف عبيد الله على نفسه فأخذ طريق قصطيلية[٥] حتى أتى سجلماسة في يوم الأحد السابع من صفر سنة (ست) وتسعين ومائتين، ومعه ابنه أبو القاسم محمد القائم، فوشى به واشٍ إلى صاحبها اليسع بن مدرار، فأحضره بين يديه، واستفهمه عن حاله، فقال:

---

(١) في الأصل: فتاريخه.

(٢) أبو موسى عيسى النوشري، من ولاة العباسيين، استعمله المنتصر على دمشق ثم ولي عدة ولايات، وولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية إلى وفاته سنة ٢٩٧هـ، وكان شجاعاً حازماً، انظر: النجوم الزاهرة ٣/١٤٠٥.

(٣) الخبر في نهاية الأرب ٢٨/١٠١.

(٤) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ولي إفريقية بعد أبيه، وكان أديباً شاعراً سفاكاً للدماء، انتفضت عليه إفريقية وخرجت أكثر مدنها عن طاعته ولم يبق له سوى مدينة القصر القديم، توفي سنة ٤٢٣هـ ومدة ملكه ٢١ سنة.
انظر: البيان المغرب ١/٩٦ والوافي بالوفيات ١٥/١٨.

(٥) وتكتب أيضاً قسطيلية، اسم لعمل البلاد الجريدية، وهي بلاد واسعة ومدن عديدة، ومدينتها العظمى توزر.
انظر: الروض المعطار ص٤٨٠.

أنا رَجُلٌ تاجر، فقال له: لا إنما أنت المهدي الذي يدعو إليه هذا الشيعي، فأظهر البراءة منه، وأنكر ذلك، فجعله في دار، ورسم به وأجرى عليه الأرزاق، وبلغ الشيعي خبره، فبعث أبا زاكي بمالٍ وطرَف من طُرَف الملوك، فأوصلها إليه مستخفياً وسلّم عليه، ثم رجع إلى الشيعي، فأعلمه بصحّة الخبر، فسار إلى سجلماسة بجيوشه حتى استخرجه منها كما تقدم ذكره، ثم ما زال يكلأه حتى تم أمره، فانقاد له الملك عنوة، وركب من منابرِهِ الغارب والذِّروة، وأطاعه الناس رهباً ورغباً، وبايعه الخلق، والسيف على عنق من أبى ثم ما برح جدّه يعلو، ووردُهُ يحلو، حتى كان قائم دولةٍ شاطرت المعمور، وشارطت السنين لا الشهور، ثم كان والد أملاك، وقاعدة ممالك باهرات الأفلاك، ولولا علم الله السابق ولطفهِ لَبَلَغَتْ دولتهم أقصى الشرق في مذهبها، وعجّلَت الآية الكبرى بطلوع الشمس من مغربها.

وذكر القرطي في تاريخ القوم: أنّ المهدي فيما كتب به إلى القرامطة قبل انفراقهم عنه: وأنا أحلف أيّها المؤمنون بأجل مما يُحْلَفُ به لما اتبعته مما أطعنا الله عليه من غيبة الذي استأثر به، وآثر بعلمه أولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أنه لابدّ من أن يحل ولاؤنا خضراء بني أُمية بالشام وبخضراء بني العباس بالعراق، ويكون لنا من الخلفاء مثل من كان لبني أمية. قال: فقد والله أن كان جميع ما ذكره.

ومما دُوّن من كلامِهِ ما وقّع به لقاضي قضاته أبي المنهال(١)، وقد أعاده إلى القضاء بعد عزله وهو:

إنما عزلتك للينك ومهانتك، ورددتك لدينك وأمانتك.

وتوفي نصف ربيع الأول سنة / ٥٠/ اثنين وعشرين وثلثمائة.

ثم ابنُهُ:

[٣]

القائم بأمر الله، أبو القاسم محمد

وكان لا يرضى إلا قائم السيف صاحباً، ولا يعدل عن الليل والخيل والبيداء مصاحبا، بعزم يقصي عن عائقه مشْرفيه، وكان قد وجّه إلى بغداد قصيدة يفخر بيبته

---

(١) في نهاية الأرب ٢٨/ ١١٤: إسحاق بن المنهال وسماه أيضاً: إسحاق بن أبي المنهال، قال إنه ولاّه القضاء مرتين. كما ولي القضاء لابنه القائم بأمر الله.

ويُسمع مبلغ صوته، ويذكر[١] فيها ما فتح من البلاد التي ملك، وقدح بسنابك جياده في كلّ ما سَلَكَ. فأجابه الصولي[٢] بقصيدة على وزنها ورويّها، بصّر بحسنها وريّها، وصبّر القائم على منافذ طعانها ومآخذ لعانها، وكان منها قوله: [من الطويل]

ولو كانت الدنيا مثالاً لطائر لكان لكم منها بما حزتم الذَّنَبا

وسيأتي ذكر هذا البيت في موضعه من الانصاف بين المشرق والمغرب، فحرّك هذا همّة القائم بالله على قصد جهة المشرق، لعله وقال: والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه إن قدرت، وإلاّ أهلك دونه، فكابد على مصر من الحروب أهوالاً، وجاهد فيها رأيه وأنْفَقَ أموالاً، ومات ولم يظفر بحضرتها، ولا افتات طرفه بنظرتها، مع كونِهِ عاثَ في أطرافها، وعام في بحرها العباب وما التحف بطرافها.

حكى مؤلف الكنوز: أنه اشتدّ حزنه على موت أبيه، وأقام مدة يُخْفيه ولم يرق بعده سريراً[٣]، ولا ركب من قصره مذ صار إليه الأمر إلاّ مرتين، مرّة صلّى على جنازة ومرّةً صلى بالناس العيد، وبدأ أمره بأن أَمَرَ عماله بعمل السلاح والاستعداد للقاء، وجهّز بعوثه إلى بلاد فاس، وما حولها من بلاد المغرب فدوّخها. ومولده بسلميّة سنة ثمان ومائتين، وبويع يوم (وفاة)[٤] أبيه، وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، وكانت خلافته اثني عشرة سنة وسبعة أشهر.

ثم ابنه:

[٤]

المنصور بالله، أبو الطاهر إسماعيل[٥]

وكان قد أوصى إليه أبوه بقصد مصر، واستضافتها، وإعداد القراع لقرى إضافتها، فشغلته الفتن بإفريقية، واستأصلت /٥١/ لولا عوارضها المستبقية، فإنها

---

(١) انظر: خطط المقريزي ٢/ ٢٤ ونهاية الأرب ٢٨/ ١١٥ وكامل ابن الأثير ٦/ ٢٣٨ وابن خلكان ٢/ ٢٧ وسير أعلام النبلاء (الطبعة ١٣) والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٧ واتعاظ الحنفا ١/ ٧٤.

(٢) أبو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صون تكين المعروف بالصولي الشطرنجي، الأديب الأخباري، المصنف، له أدب الكتاب نشر بمصر سنة ١٣٤١هـ والأوراق نشر بعضه المستشرق هيوارث دن، خرج من بغداد وتوفي مستتراً سنة ٣٣٥هـ.

(٣) في الأصل: شهرا وهو تصحيف، وقد وردت عبارة: (ولم يرق سريراً) في نهاية الأرب ١٨/ ١١٥.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) وفيات الأعيان / ٢٣٤، اتعاظ الحنفا ١٢٦ الدرة المضيئة ١١٦، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٧، خطط المقريزي ٢/ ٢٥ ونهاية الأرب ٢٨/ ١١٧ وكامل ابن الاثير ٦/ ٣١٧ والبيان المغرب ٣/ ٢١٨.

قارت ثوائرها في كلّ قطر، وطارت بواترها في خلل السيوف البتر، كان جهد المنصور أن يرقع خروقه، ويخيّط بإبر الرماح فتوقَه، ولم تُعدّ همته قدر الاستصلاح، ولم تَفِلّ عزمته على الدفع بالراح، وكان أقصى اجتهاده أن يذود عن حوضه الغرائب، ويذوّب خوفاً مَنْ يخرجُ من بين الصلب والترائب، إشْفاقاً على ملكه من تجاذب الأطراف، وتجابذ الأطراف، خشية أن يُنْتَزَع، وحذراً من قاصد بسيفِهِ أن يزع.

قال ابن سعيد: وهذا المنصور مشبَّهٌ بالمنصور، لأن كلاًّ منهما اختلت عليه الدولة، وأصْفَقَتْ عليه الحروب، و(كاد)[1] يُسَلّ من الخلافة، فهبت له ريح النصر، وتراجع له أمره حتى لم يبق مخالف.

وحين (أراد)[2] بنيه ختاناً لم تسم همّة ملكٍ إليه[3]. أمر بأن يكتب له أولاد قوّاده وأجناده وسائر رجاله وعبيدِهِ وأهل بلاده، كساهم، وكانوا زهاء مائة ألف، ثم فرق فيهم أموالاً جزيلة، وبدأ بالختان لستّ بقين من ذي الحجة سنة أربعين وثلثمائة، ودام إلى سابع المحرم من السنة المقبلة، والجرد تنحر، وسائر الذبائح والولائم تُعمل، ويقال أنه انفق نحو ألْف ألْف دينار في هذه الأيام. ولم يُرَ كصبرِهِ يوم القيروان وهو يقاتل أبا يزيد النكاري[4]، وقد ذكر حسن موقف شاعره محمد بن الحارث[5] فقال:

[من الطويل]

ولم أر كالمنصور بالله ناصراً ... لدينٍ وأحمى منه ملكا وأمنعا

ألم تَرَ يوم القيروان وقوفه ... وقد كادت الأكباد أن تتقطعا

وأبرز عن وجهٍ من الصبر أبيضٍ ... يقابلُ وجهاً للكريهة أسْفعا

---

(١) في الأصل: وكان.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) كذا في الأصل وفي العبارة غموض، وخبر ختان أولاده جاء في نهاية الأرب ٢٨/ ١٢٤ منسوباً للمعز لدين الله، حدث سنة ٣٥١هـ.

(٤) في نهاية الأرب ٢٨/١١٦ (أبا زيد مخلد بن كيواد) وهو إباضي من قبيلة زناتة، خرج على القائم الفاطمي سنة ٣٣٢هـ ـ فكانت بينهما وقائع كثيرة استطاع أبو يزيد فيها من الاستيلاء على جميع مدن القيروان، ولم يبق للقائم غير المهدية، فحاصرها أبو يزيد إلى أن هلك القائم، فحاربه ابنه المنصور إسماعيل فطرده عن المهدية، فذهب إلى سوسة فحاصرها ، فأدركه المنصور فطرده عنها، ووالى عليه الهزائم إلى أن أسره سنة ٣٣٦هـ، فمات بعد أسره بأربعة أيام.
انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ١١٧.

(٥) محمد بن الحارث الخشني، فقيه مؤرخ من الحفاظ، من أهل القيروان، كان من الشعراء الفصحاء، مولع بالكيمياء وله كتب كثيرة، توفي سنة ٣٣٦هـ. معجم الأدباء ٦/ ٤٧٢ وجذوة المقتبس ٤٩.

إذا استقبلَ الأبصار وهي طوامحٌ ثناها فلم تستكمل اللحظ خُشّعا

ولد بالمهدية سنة اثنتين وثلثمائة، وَوَلي وله اثنتان وثلاثون سنة، /٥٢/ وتوفي يوم الجمعة سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت ولايته سبعة أعوام.

ثم كانت خلفاؤهم بمصر، وأوّلهم:

[٥]

المعز لدين الله (أبو) تميم[١] معد بن أبي الطاهر، إسماعيل المنصور

وهو الذي ظفر بحضرة مصر، ومَلَكَها، وحصل له حظوة مُلْكِها وأدْرَكها، ووصلت إليه جيوشُه، وحصلت على معاقد شرفاتها عروشه، وقدّم أمامه القائد جوهر[٢] فأختطَّ له القاهرة وبنى له بها القصرين[٣]، وإلى الآن بعض آثارهما الظاهرة، وقسم بناء المدينة على مَنْ كان في جملة المعز من القبائل، واتخذ الكافوري[٤] بستاناً ترقد به الجداول وترفّ الخمائل، وشرع أبواب المدينة ولم يكمل لها سوراً يدور بنطاقها ولا أقام لها جدراً يستند إليه ظهور أسواقها، ثم مُدّنت بعد ذلك التخطيط، وأُدير بها سور اللبن المحيط، وذلك لما أناخت القرامطة[٥] بساحتها

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٣٨ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥٩ والمنتظم ٧/ ٨٢ وابن خلكان ٢/ ١٠١ وابن خلدون ٤/ ٤٦ وكامل ابن الأثير ٧/ ٦٥ ونهاية الأرب ٢٨/ ١١٩ وخطط المقريزي ١/ ٢٥.

(٢) جوهر الكاتب، أبو الحسن، قائد أصله من الروم، مولى المعز أبي تميم، قائد شجاع من ذوي الرأي، حسن السيرة، افتتح مصر ونزل موضع القاهرة وبنى الجامع الأزهر وتوفي سنة ٣٦١هـ.
انظر: الوافي بالوفيات ١١/ ٢٢٤ ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٥ والعبر ٣/ ١٦ والشذرات ٢/ ٩٨ والنجوم الزاهرة ٤٠/ ٥٤.

(٣) هما القصر الشرقي الكبير، وهو منزل سكنى الخليفة وجهه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة، وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح، والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربي، وكان يشرف على البستان الكافوري ويتحول إليه الخليفة في أيام النيل للنزهة، وخطط المقريزي ١/ ٤٤.

(٤) البستان الكافوري، أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد أمير مصر، وكان مطلاً على الخليج، فاعتنى به الاخشيد، وجعل له أبواباً من حديد، وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام، واهتم بشأنه من بعده أبناه الأمير أبو القاسم أنوجور والأمير أبو الحسن علي بن الاخشيد في أيام أمارتهما، فلما استبد من بعدهما كافور الاخشيدي بإمارة مصر جعله متنزهاً له، ثم أناخ بجواره جوهر وجعله من جملة القاهرة، ثم كان متنزّهاً للخلفاء الفاطميين (خطط المقريزي ٢/ ٢١٦).

(٥) في خطط المقريزي ١/ ٤٣: وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بعساكره.

وأنامت المعز وهو يعتقد أن روحه في راحتها، ثم بنى في الأيام الصلاحية[١] السور الحجر الدائر، وضرب عليها مَثَلَهُ السائر، ثم لما كمل القائد جوهر بناء ما شرعه، أتمَّ قصر المعز وموضعه، استخلف المعز بالغرب بعض أشياعه[٢]، وقدم مصر وقد شرق صدر البر والبحر باتباعه، وأتى الاسكندرية، وخيَّم بظاهرها، وجثم أسدُهُ الهصور يزأر إلاّ على زائرها، وتلقاه إليها أهْلُ مصر من القواد والوزراء والقضاة والعلماء ووجوه الناس فبسطهم بالإيناس، وتلقاهم بالرحب والسعة، وأمر لهم بالخلع والأنزال الموسعة، ثم سار حتى أتى مصر ودخل القاهرة، ونزل بقصره بها يوم الثلاثاء لتسع عشرة ليلة خَلَتْ من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، وتوفي في يوم الجمعة الحادي عشر[٣] من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة.

وذكر ابن الأثير[٤] أن ملك الروم كان أرسل إلى المعز رسولاً بالهدية، ثم كان يتردد إليه، فأتاه وهو بمصر، فخلا به بعض الأيام، فقال له المعز: /٥٣/ أتذكر (إكرامي لك إذْ[٥]) أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلنَّ عليَّ بمصر وأنا خليفة[٦]؟ فقال له الرسول: إن أمِنْتَني على نفسي ولم تغضب قلت لك ما عندي، فقال له المعز: قُلْ وأنت آمن. فقال له: لما بعثني الملك إليك ذلك العام رأيت من عَظَمَتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدْت أموت منه، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نور عظيم[٧] أشخص[٨] بصري، ثم دخلت عليك فرأيتك على سرير.....[٩] فلو قلت لي أنك تعرج إلى السماء لظننتُ ذلك، ثم جئتُ إليك الآن فما رأيت من ذلك

---

(١) ابتدأ السلطان صلاح الدين الأيوبي في عمارته سنة ٥٦٦هـ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله، فلما كانت سنة ٥٦٩ وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي، فبناه بالحجارة.
انظر: خطط المقريزي ١/ ١١٦.

(٢) هو يوسف بن زيري الصنهاجي ويعرف ببلكين وهو اسمه، استخلفه المعز في سنة ٣٦١هـ ومات في سنة ٣٧٣هـ، انظر: خطط المقريزي ١/ ٢٧ والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٤٥ والوفيات ١/ ٩٣.

(٣) في كامل ابن الاثير ١١/ ٦٥: سابع عشر شهر ربيع الآخر.

(٤) الكامل في التاريخ ٧/ ٦٦.

(٥) في الأصل: اكرام اتيتني. وفي الكامل: اتذكر إذْ أتيتني.

(٦) في الكامل: وأنا مالكها.

(٧) كذا في الأل، وهو لحق والصواب: نوراً عظيماً.

(٨) في الكامل: غطى.

(٩) بياض في الأصل بمقدار كلمة، ومكانها ظَ، وفي الكامل: سريرك فلو قلت...

شيئاً، وأشرفت على مدينتك فرأيتها مظلمة، ودخلتُ عليك فما وجدت لك من المهابة ما وجدته ذلك العام، فقلت: كان ذلك أمراً مقبلاً، وهذا أمرٌ مُدْبر ولا أخالك إلاّ ميتاً[١]، فلم يلبث بعدها المعز الحمى[٢] ومات وقد كان المعز احتفر له سرداباً وقال لأصحابه: إن بيني وبين الله عهداً وإني ماضٍ إليه، وقد استخلفت عليكم ابني نزاراً، ثم تغيّب سنة في السرداب، ثم ظهر وهو متعلل فمات، وكان أحد المغاربة إذا رأى سحاباً نزل أوْمى إليه بالسلام ظناً منه أن المعزّ فيه، وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام.

ثم ابنه:

[٦]

العزيز بالله أبو المنصور نزار[٣]

وكانت أيامه أيام دعة، وتمام سعة، والناس فيها في هدوء، لا يقلقل له مضجع ولا يُساءُ به قلب ولا مسمع، وما برح أهل مصر في كل جيل تضرب المثل فتقول لما تستطيب من الأيام: كأنها أيام العزيز لأنّه كان ليّن الجانب. يغنيه حسن المناقب عن خشن المقانب، يغريه كرم سجيّته بالندي الغمر، ويهزّه في الندى هزّة الخمر، ووقفت على تاريخ ضبط له فما رأيت في رسوم ما يُجبى من الرعايا مثل عدلٍ أمر به وظلم بطله وأمرٍ أراح سيفه وأنام بطله، وتفسح العزيز في بلاده، وتلقح على الفراق ليوطئه سنابك جياده، ودعي له على منابر الشام، وذكر له على منابر المساجد، وحيّي بالسلام، وبلقبه لقّب السطان (صلاح)[٤] الدين ابنه العزيز عثمان[٥] ترجّيا / ٥٤/ أن

---

(١) في الكامل: كان أمراً مقبلاً وإنه الآن بضد ما كان عليه.

(٢) كذا في الأصل، وهي عبارة مضطربة، وفي الكامل: وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد واتصل مرضه حتى مات.

(٣) نزار بن معد المعز لدين الله بن المنصور العبيدي الفاطمي، ولد بالمهدية، وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٥هـ، وكان أديباً فاضلاً يكره سفك الدماء، كريم الأخلاق حليماً، مغرى بصيد السباع، توفي في مدينة بلبيس سنة ٣٨٦هـ.
انظر: النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٤٦ والكامل لابن الأثير ٧/ ١٧٦ وابن خلدون ٤/ ٥١ وابن خلكان ٥/ ٣٧١ وخطط المقريزي ١/ ٢٩ ونهاية الأرب ٢٨/ ١٥٣ واتعاظ الحنفا ١/ ٢٣٦ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٤/ ١١٢.

(٤) ساقطة من الأصل، ويريد به السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الخلافة الفاطمية وحكم مصر باسم العباسيين.

(٥) العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين يوسف الأيوبي، ولد بمصر سنة ٥٦٧هـ، وحكم مصر بعد =

تكون أيامه شبيهة بأيامه في الرخاء والأمان، فكانت مثلها في الأمان لا في الرخاء، ونظيرها في الامتنان والسخاء، فإن في أيام العزيز عثمان حدث بمصر غلاء، وارتفع السعر وكان له غلاء، ثم عظم أيام عمه العادل[١] مما ليس هذا بموضع ذكره ولا تشويش هذا التصنيف بنكره:

قال ابن سعيد: وسفرته من إفريقية إلى مصر، وما ظهر منه من حسن التدبير وهبوب والنصر والحزم في الاستيلاء كسفرةِ المأمون من خراسان إلى بغداد.

قال الروذباري[٢] في تاريخه: حضرت الخطبة للحاكم ابن العزيز فما قدر أحد يفهم ما يقول الخطيب لضجيج الناس وبكائهم على العزيز لأنه كان محسناً إلى الخاص والعام، شاملاً بالبر للقريب والبعيد، مبذول اليد بالكرم، مُسْبل اليدين بالفضل، كثير العفو، قليل الانتقام، عواداً بالجميل، منيباً إلى الحق، غير متظاهر بما يذمّ ولا داع إلى ما يكره، وتوفي سنة ست وثمانين وثلثمائة، وولد بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة، وولي العهد بمصر يوم الخميس عاشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة، وولي الخلافة في اليوم الثاني وله اثنان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف شهر.

ثم ابنه:

[٧]

الحاكم بأمر الله[٣]، أبو علي المنصور

ولي وكان صغيراً وأوتي ملكاً كبيراً، ولما طلب للبيعة وقد صعد شجرة جَميز في

= وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ وملك دمشق سنة ٥٩٢هـ أخذها من أخيه الأفضل وتوفي بمصر سنة ٥٩٥هـ. انظر: شفاء القلوب ٢٣٥ـ٢٥٠ ومرآة الزمان ٨/ ٤٦٠ ومفرج الكروب ٣/ ٨٢ ووفيات الأعيان ٢/ ٤١٤.

(١) الملك العادل محمد بن أيوب بن شاذي، أبو بكر، ولد سنة ٥٤٠هـ وملك بعد الناصر صلاح الدين البلاد الشرقية، وأخذ مصر سنة ٥٩٠هـ والخابور ونصيبين سنة ٦٠٦هـ وتوفي سنة ٦١٥هـ. انظر: شفاء القلوب من ٢٠٠ـ٢٥٩ ومرآة الزمان ٨/ ٥٩٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٠٧ وذيل الروضتين ١١١.

(٢) الروذباري، هو أحمد بن الحسين بن أحمد الرّوذباري، ولد بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ، والكتاب الذي ينقل عنه المؤلف ونقل عنه ابن سعيد في النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، وترجمه فيه ص٣٦٣.

(٣) أبو علي المنصور بن العزيز بن المعز، ولد بالقاهرة سنة ٣٧٥هـ، وولي الخلافة سنة ٣٨٦هـ وعمره =

دارِهِ بالقصر يلعب فيها مع الصغار، وملك وما كلف خيله اضطراد ولا جشمها المغار، ثم كبر وظهرت منه أمور ينكرها العاقل ويكرهها الناقل لكثرة ما كان عليه أمره من الاختلال، وفكره السقيم من الاعتلال، فإنه كان في كلّ حين يحدثَ حكماً محدثاً، وعلماً كأنما كان بها محدثاً، فإنه كان مع إفراطه في التهوّر، وخباطه في أموره التي تدلّ على عدم التصوّر، بما حدث بأنواعٍ من /٥٥/ الحدثان، وتكلّم باسجاعٍ مثل سجع الكهان وعبدة الأوثان، وبلغ مده في الكبرياء ثم بقي مدّةً لا يأنف من مخالطة الأدنياء، وكان يركب حماراً له، ويدور وقدامه عبدان بأيديهما حربتان، ويشق القاهرة ومصر، ويخالط العامة ويخرج إلى الحاجر ويطلع إلى الجبل، ثم ربما ردّ العبدين وسار وحدهُ، وغاب اليوم واليومين والمدّة، ثم يلاقيه الموكب إلى مكان يكون قد واعد إليه العبدين في وقت يوقته وميعادٍ لا يفوته، ثم كشف الغطاء وباح، ومال علوه[1] واستراح، وادّعى فيه الألوهية، وقال مقالة فرعون ونصب نفسه للناس طاغوتاً، وأخذ بعض الناس بالقول أخذاً مبغوتاً، وأمر بعض أشياعِهِ بأن يحتال له في إظهار هذه المقالة، وضمَّ إليه قوماً من الرجال القالة، فأتى ذلك الداعية الشيطان الرجيم، وأمر بأن يكتب بسم الله الحاكم الرحمن الرحيم، وجرى في هذا من الفتن ما ذهبت بِهِ نفائس ونفوس، وانتهبت به أموال ورؤوس، ودارت به دوائر سعود ونحوس، وأماير نعيم وبؤس، مما هو ملء التواريخ، وتتضع له غُرُّ الذرى الشماريخ، تبارك الله وتعالى جده، ولا إله غيره، وتقدّس اسمُهُ عما يقول الظالمون ويَجْهِل الجهال أو يزلّ العالمون، ثم لما أعظم البلاء به فتفاقم، وسقم به الملك أو تساقم خافت أختُهُ أَمَة العزيز المعروفة بست الملك أن يقفر منهم دست الملك فتلطفت في تلك الحيلة[2]. واكمَنَتْ له رجالاً حتى قتلته غيلة، وكان قد خرج في بعض مخارجه، وتعرض في نواحي حلوان، وطلب جهة بَرّ لا يأنس به أنيس ولا غيره من الحيوان، ثم طالت غيبتُه وخالف عادته في ملاقاته في الوقت الذي كان يوقِّتُهُ، فتعهد المكان الذي واعد فيه للملتقى وتُفقد فَفُقِد إلى يوم اللقا، ووجد هناك حماره وجبابه مزرّرة كأنها عليه، وما فُككّت أزراره، إلا أن فيها آثار ضربات

= (١١)سنة، انظر ترجمته وأخباره في: نهاية الأرب ٢٨/ ١٦٧ـ٢٠٢ وأبو الفدا ٢/ ١٣٨ وابن الوردي ١/ ٣١٣ وخطط المقريزي ١/ ٢٩ وابن تغري بردي ٤/ ١٧٦ والنجوم الزاهرة لابن سعيد ص٤٩ وكامل ابن الاثير ٧/ ٣٠٤ وابن خلكان ٥/ ٢٩٧.

(١) كذا في الأصل، والعبارة مبهمة لم أتبين لها معنى.

(٢) انظر التفاصيل في نهاية الأرب ٢٨/ ١٩٥.

بالسكاكين، ولا عليها دم ولا /٥٦/ آثار لوثٍ يبين، فقال الناس مات وقال أهل شيعته غاب، وهو آيب.

قلت: وإلى يومنا هذا وأظنّ إلى يوم النشور، ثم من يقول بغيبة الحاكم، وإنه لابد أن يَرجع ويكون له ظهور، وفيما بين البقاع وبيروت أُمَمٌ تدين بهذا الدين، وتعتقد ألوهية ذاك اللعين.

وكان الحاكم كريماً سفاكاً لا يمنع مورده عن الظِّماء ولا مهنّده عن الدماء لكنه في جميع أموره تارات، ومره في اختلاف الأحوال ينفذ فيها العبادات، وولد بمصر في ليلة الخميس الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة، وولي بعهدٍ من أبيه، وبويع يوم الخميس سلخ رمضان سنة ستة[١] وثمانين وثلثمائة، وله أحد عشر سنة، وكانت خلافته إلى أن فقد خمساً وعشرين سنة، قال صاحب بلغة الظرفاء: وسبب عدمه إنّه خرج في ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال بعد أن طاف ليلته كلّها على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعي[٢] ثم توجه إلى شرقي حلوان ومعه ركابيان، فأعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين وأمر لهم بجائزة، ثم أعاد الركابي الآخر، ولما عاد ذكر أنه خلّفه عند القبر والقصبة[٣]، وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه بدواب الموكب كل يوم خميس إلى سلخ الشهر المذكور ثم خرج يوم الأحد ثاني ذي العقدة مظفر صاحب المظلّة وحظى[٤] الصقلبي، ونسيم متولي الستر[٥] وابن سبكتكين[٦] التركي صاحب الرمح، وماضي القرشي مع جماعة كلّهم من خواص دولته، فبلغوا دير القصير[٧] والموضع المعروف بنسيوان[٨]، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل، فبينما هم كذلك إذْ أبصروا بالحمار الذي كان راكبه على قرنة[٩] الجبل، وقد ضُربت يداه بالسيف فأثَّر فيهما، وعليه

---

(١) كنزا في الأصل، والصواب: ست.

(٢) في النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة: القضاعي وهو خطأ من ابن سعيد.

(٣) كذلك في ابن تغري ٤/ ١٩٠ وفي ابن الأثير ٧/ ٣٠٤ وأبي الفدا ٢/ ١٥٨ وابن الوردي ١/ ٣٣٢: العين والمقصبة.

(٤) كذا في الأصل وفي ابن خلكان وابن الأثير: خطلبا.

(٥) في الأصل: السير.

(٦) كذا ورد في الأصل، وهو نشتكين في المصادر المذكورة.

(٧) دير القصير، كان في أعلا المقطم، يطلّ على الصحراء والنيل.

(٨) كذا في الأصل، ولم اتبين لها وجهاً، ولم يذكرها ابن سعيد الذي ذكر نص عبارة المؤلف هنا، قال: فبلغوا دير القصير ثم أمعنوا في الدخول في الجبل.

(٩) كذا في الأصل، وفي ابن سعيد: قنّة الجبل.

سرجَهُ ولجامُهُ، فتُتبع الأثر، فإذا أثر الحمار في الأرض وأثر راجل خلفه وراجل قدامه، فما برحوا في طلب الأثر إلى أن انتهوا إلى البركة التي في شرقي حلوان فنزلها /٥٧/ راجل من الرجالة، فوجد فيها ثيابه وهي سبع جُبَب وُجِدت مزرّرة لم تحلّ، وفيها أثر السكاكين، فأخذها ماضي وجاء بها إلى القصر، فلم يشك في قتله. قلت: وقد قيل إن أخته لما خافت على ذهاب الملك واختلال الأحوال به رتَّبت له رجالاً تقتله، ثم رتبت رجالا لتقتل قتلته، ثم رتَّبت لتقتل قتلته، هكذا سبعة أدوار لتخفي قتله فخفي، وكانت[1] امرأةً حصيفة وافرة العقل، رأت الهلاك في الأغضاء فقطت عضواً لحظ سائر الأعضاء.

ثم ابنه:

[٨]

الظاهر[2] باعزاز دين الله، أبو الحسن[3] علي

وكان صغيراً قدَّمته عمته، ورأت أن يحفظ لأبيه نعمته، فبدأت به قبل كبار بيته، ورعَتْ للحي حقّ مَيْتِهِ، ثم كان له الاسم ولها التصرف الوافر القِسم، وكانت ذات رأي سؤوسٍ[4]، وحفظٍ لما تدبر وتسوس، فقامت قيام أزدشير، ونهضت نهوض خاقان صاحب السرير، وأفكرت فكر بلقيس، وَفَعَلَتْ ما يعجز عنه إبليس، حتى مَشَتْ الأمور، ومرّت[5] أخلاف الدهور، ثم كان الظاهر من ذوي السياسات المحمودة، والرياسات المشهودة، والمنافسات على الهمم التي أفنتْ ماله وابْقَت جوده.

قال مؤلف الكنوز: وكان حسن السيرة، كريم النفس إلا أنه يخلى بلدانه، ولي

---

(١) في الأصل: وكان.

(٢) الظاهر علي بن منصور بن نزار بن معد، ملك بعد أبيه وكانت له مصر والشام وإفريقية فطمع فيه من طمع في أطراف بلاده، فملك صالح من مرداس حلب، وتغلّب حسان بن مفرّج على غالب بلاد الشام.
انظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٧٦ ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٧ والعبر ٣/ ٦٢ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٤٢ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٩ وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢٩ وكامل ابن الأثير ٧/ ٣٠٤ واتعاظ الحنفا ٢/ ١٢٤ وخطط المقريزي ١/ ٢٩ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٣٧ والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٧ وشذرات الذهب ٣/ ٢٣١ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٠٢.

(٣) في النجوم الزاهرة ونهاية الأرب: أبو هاشم وقيل أبو الحسن، وفي الوافي: أبو هاشم.

(٤) سؤوس: حسن السياسة.

(٥) مرت: درّت، والأخلاف جمع خلف ضرع الناقة.

وهو يحاكي البدر صورة، وكانت الأمور أولاً بيد عمّته ست الملك، وهي التي عَدَلَتْ بالخلافة إليه عن وليّ العهد أبي هاشم العباس بن داود بن المهدي ، وجيء إليه بأبي هاشم، فبايع والسيف على رأسه، ثم حبس، وكان آخر العهد به، وكان يشار بالخلافة إلى عبد الرحيم بن الياس ابن أحمد بن المهدي: فأدخل عليه الشهود وهو يتشحّط في دمائه، فأشهد عليه أنه فعل ذلك بنفسه، ثم قضى نحبه.

واستند ابن دواس[١] وعمار بن محمد الوزير[٢]، وهما عن رأي ست الملك حتى خرج من القصر خصيّ بسيفٍ مسلول، فدعا بوجوه الدولة والوزير قاعد وابن /٥٨/ دواس إلى أن جاء فقال: أمر مولانا أن يقتل بهذا السيف قاتل مولانا الحاكم، فنادوه بالسمع والطاعة، ثم صبّه على بن دوّاس فلم يختلف اثنان[٣]، وتفرّد الوزير بالأمور، والخاطر معمور به، ثم استدعى به المعادة، وقد رتب له في دهليز القصر من قتله، وتحدث حسن بن موسى الكاتب[٤] والأمر لستّ الملك، ولسانها ويدها أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي[٥] الأقطع داهية الأرض، ثم استقلّ لما ماتت[٦]، وعمر

(١) الحسين (وقيل كليب) ابن دواس الكتامي سيف الدولة، قيل إنه دبر قتل الحاكم، وكان من شيوخ كتامة، خدم العزيز بالله، وكانت قريباً من ست الملك فتهدده الحاكم فأنزوى عنها وعنه، وثم عمل مع ست الملك على اغتيال الحاكم على أن يكون مدبر دولة ابنه الظاهر، فلما قتل الظاهر أمرت ست الملك عبيدها بقتله سنة ٤١١هـ.

انظر: خطط المقريزي ١/ ٢٩ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٨٥ وكامل ابن الأثير ٧/ ٣٠٧ وشذرات الذهب ٣/ ١٩٣ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٠٤ واتعاظ الحنفا ٢/ ١٢٥.

(٢) أبو الحسين: عمار بن محمد، الملقب بالأمير الخطير ورئيس الرؤساء، من وزراء الدولة الفاطمية، تولى ديوان الإنشاء في أيام الحاكم بأمر الله، وجعلت له الوساطة بين الخليفة وبين طوائف الاتراك المشارقة، ثم عزله الظاهر بعد سبعة أشهر من خلافته، وقتل سنة ٤١٢هـ، قيل إن ست الملك دبّرت قتله لإخفاء سرّها في مقتل الحاكم أخيها.

انظر: النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٩.

(٣) الخبر بالنص نفسه في نهاية الأرب ٢٨/ ٢٠٤ وانظر تفاصيله في اتعاظ الحنفا ٢/ ١٢٥.

(٤) كذا ورد اسمه وهو كما في نهاية الأرب ٢٨/٢٠٨ والإشارة إلى مَنْ نال الوزارة ص٣٣ أبو الفتوح موسى بن الحسن، تولى الوزارة في المحرم سنة ٤١٣هـ إلى أن قبض عليه في العشرين من شوال.

(٥) علي بن أحمد الجرجرائي، أبو القاسم نجيب الدولة، وزير، من الدهاة، ولد بجرجرايا بسواد العراق، وسكن مصر، وتنقل في الأعمال السلطانية، كثر التظلم منه أيام الحاكم فقبض عليه سنة ٤٠٣هـ ثم أمر بقطع يديه، واستوزره الظاهر وأقره المستنصر بعده ولقبه بالوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين توفي سنة ٤٣٦هـ .

انظر سير أعلام النبلاء الطبعة ٢٣ والإشارة إلى من نال الوزارة ص٣٥.

(٦) ماتت ست الملك سنة ٤١٣هـ وكان مولدها سنة ٣٥٩هـ ببلاد المغرب.

انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٠٥.

حتى وَزَرَ للمستنصر، وولد بمصر يوم الأربعاء لعشر خَلوْنَ من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة، بويع يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمائة وله من العمر ثلاثون سنة وكانت خلافته ستة عشر سنة.

قال صاحب بلغة الظرفاء: كانت خمس[١] عشر سنة وثمانية أشهر إلاّ أياماً.

ثم ابنه:

[٩]

المستنصر[٢] بالله، أبو تميم، معد بن الظاهر

وهو الذي تباينت أحْواله، وتناوبت أفراحُهُ وأهوالُهُ، وطالت مدّته، فكانت ستين سنة، وتنوعت سنين شينه وسنين حسنه، ولم يُسمع بمثلها لخليفة ولا لملك مشهور في هذه الملّة، ولا امتدّت لأحدٍ ممن كان بعده ولا قبلَهْ، وكاد في وقتٍ يملك الأرض كلّها، ويكفل البلاد وأهْلَها، وخُطب له ببغداد[٣]، وكان نصيبه إرقال وإغذاذ، حتى كان يُعد مع الاسكندر، ويُحْسَب أنه تبّع في حمير، ثم ضعف أمره حتى كاد لا تُطيعُهُ أَمَتُهُ، ولا يجاب رجع الصدى كلمته، وكان كالطيف له وجود ولا حقيقة له، وكالعدم هو شيء وما قدر أحد أَنْ يمثله، ولما ملكت له بغداد، ونسخ براياته البياضُ السواد، قال أبو دلف الخزرجي: [من المجتث]

دار السلام مشا بدعوة ابن الرسول ... جاء النهار وولّى ظلام تلك الذحول

ما إن رأيت خضاباً جمالُهُ في النصول ... نورٌ من الله يهدي لكل جهول

وجاءه الحسن بن الصباح[٤] القائم بالدعوة النزارية من خراسان في زي /٥٩/ التجار، ودَخَل عليه فقرر معه ما يمثله، وقال له في آخر كلامه: ومن ولي عهد

---

(١) في الأصل: خمسة.

(٢) أبو تميم معد بن الظاهر، المستنصر بالله الفاطمي، انظر ترجمته وأخباره في: النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٧٧ والكامل ٨/ ١١ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ١ واتعاظ الحنفا ص٢٧٧ وابن خلكان ٥/ ٢٢٩ وخطط المقريزي ١/ ٣٢ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٠٩ و٢١٤.

(٣) خطب له ببغداد سنة ٤٥٠هـ، وكان المستنصر قد بعث خزائن الأموال إلى أبي الحارث أرسلان البساسيري ليقيم الدعوة المستنصرية ببغداد، فأقام الخطبة سنة ٤٥٠هـ وورد خبرها إلى القاهرة فزينت. انظر: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٦ و٢٨/ ٢٢٠ وكامل ابن الأثير ٨/ ٨٣ والنجوم الزاهرة لابن سعيد ص٨٠ وخطط المقريزي ١/ ٣٣.

(٤) الحسن بن الصباح، قدم إلى مصر سنة ٤٧٩هـ، وكان من الدهاة الشجعان، استولى على قلعة الموت بفارس سنة ٤٨٣ واستمر بها إلى أن مات سنة ٥١٨هـ.
وانظر الخبر في: النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٨٠ وكامل ابن الأثير ٨/ ١٧٢.

المسلمين ؟ فقال: ولدي نزار[١]، فمضى ابن الصباح إلى بلاد العجم، وأقام الدعوة التي دامت إلى عصرنا هذا، وقامت بعد ذلك بالشام بقلاع الدعوة.

قال ابن سعيد: إنه جاوز في أمد الخلافة ستين سنة، ولم يبلغ هذه المدة خليفة بالمشرق، وكانت له من خزائن الأموال، وعَظُم الأمر ونفوذه واتساع الخطبة وفيضها على أقطار المشرق والمغرب ما يطول ذكره، ثم انعكس عليه ذلك، فاقتنصت البلاد منه، واضطرمت الفتن بحضرته بالقاهرة[٢]، وافتقر وضعف أمره، وآل حاله إلى أن قال لشخصٍ من خواصه طالبه بشيء: والله لقد أصبحتُ لا ينفد لي أمر (من)[٣] مكاني إلى باب قصري. ولا أملك مالاً إلا ما تراه عليَّ وتحتي، ورأيتُ بخط قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن خلكان أن المستنصر كان في الغلاء[٤] قد صار لا يملك إلا فرساً واحداً، وقنيت دوابه الناس، وكان إذا أراد الركوب استعار بغلة صاحب الإنشاء ليركبها حامل المظلّة معه.

قال صاحب بلغة الظرفاء: ولد سادس عشر جمادى الآخر سنة عشرين وأربعمائة، وبويع له في نصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وهو في سنّ التمييز. وتوفى ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وله من العمر تسع[٥] وستون سنة وخمسة وأشهر.

ثم ابنه:

---

(١) إلاّ أن الأفضل الوزير عدل عن إقامة الدعوة لنزار وأقامها لأخيه المستعلي، وهو ابن أخت الأفضل، وثار نزار بالاسكندرية وبايعه أهلها فحصره الأفضل بها ثم جاء به سيراً إلى المستعلي فقتله، واحتال ابن صباح في وصول بعض أولاد نزار إليه فوصل وأقام دعوته ولم يزل النزاريون يحتالون في قتل الأفضل حتى بعثوا من جلس له في دكان خياط يخيط في جملة الخياطين نحو سنة على أن وجد منه غرة فقتله (النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٨١).

(٢) منها الفتنة التي حدثت بين الاتراك والعبيد سنة ٤٥٤هـ واستمرت حتى سنة ٤٦٠هـ.
انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٢٤ واتعاظ الحنفا ٢/ ٢٦٥ والمنتقى من أخبار مصر ص٢٤.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) وقع الغلاء سنة ٤٥٧هـ، واشتدّ في سنة ٤٦١هـ، وقلّت الأقوات حتى أكل الناس الميتة، وكثر الوباء فخرج الناس إلى الشام والعراق، انظر تفاصيل الخبر في اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٣ والمنتقى من أخبار مصر ص٣٦ ونهاية الإرب ٢٨/ ٢٣٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب سبع، انظر ما تقدم ذكره من المصادر.

[١٠]

المستعلي[١]، أبو القاسم، أحمد

وهو قد كان مستعلياً ببذل نشبه لا بأصل نَسَبِهِ، قيل إنه دعيّ في أولئك الادعياء، ومدخول النسب في أولئك الأشقياء، قيل في امّه قولاً، وإن كان لا يصرّح بمثله، ولا يلوّح به إلا يتحرز من قبح فِعله، وكان الحجر عليه مضروباً وليس بيتيم ولا سفيه، ومضروراً وله من الملك محق ما يكفيه، لكنه لِغَلَبَةِ الوزراء وعزل بصيرته في دفع الضرّاء، وولد في العشرين من المحرم سنة سبع وستين / ٦٠/ سنة، كأنما كانت بأنواع الضوائق مئتين.

ثم ابنه:

[١١]

الآمر بأحكام الله[٢]، أبو علي المنصور

ولي وهو ابن خمسٍ، وبويع وما أنزل أبوه الرمس، وقام بدولته الأفضل[٣] بن أمير الجيوش وزير أبيه، وكان هو وزيره والذي يربيه، وكان أباً برّاً إلاّ أنه أبى أن يفك عنه حجراً، ولم يَزَلْ يربيه على الشهامة، ويرتِّبُهُ ترتيب الإمامة، إلى أن اشتدَّ ساعده، فرماه وأصابه من حيث لا يرى، فأصماه. وكان الآمر أسمر شديد السمرة، شهماً لا تُخْمد له جمرة، عليَّ الهمة، بليّ العزمة، لا يبعد عليه منال، مهما رام نال، وكان الأفضل مدّة وزارته له قد عامل الرعيّة بإحسان، وأبرز أيامه فيما يروق من

---

(١) المستعلي أحمد بن المستنصر بالله، التاسع من ملوك الدولة العبيدية، والسادس من ملوك مصر منهم والمتوفى سنة ٤٩٥هـ عن ٢٨ سنة وأشهر، انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٣ـ٢٧٤ واتعاظ الحنفا ٣/ ١١ والمنتقى من أخبار مصر ص٥٩ والنجوم الزاهرة لابن سعيد ص٨٢ وابن الوردي ٢/ ١٣ وكامل ابن الاثير ٨/ ٢٠٥ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٥٣ والعبر ٣/ ٣٤١.

(٢) انظر أخبار الآمر بأحكام الله في: أخبار الدول المنقطعة ص٨٧ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٤، والنجوم الزاهرة لابن سعيد ص٨٣ وابن تغري بردي ٥/ ١٧٠ وكامل ابن الأثير ٨/ ٣٣١ وتاريخ أبي الفدا ٢/ ٢٢٥ وابن الوردي ٢/ ١٣ وخطط المقريزي ١/ ٣٥.

(٣) الأفضل شاهنشاه أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم الملك الأفضل أرمني من الدهاة، ولد بعكا، خلف أباه في أمارة الجيوش المصرية، استوزره المستنصر جد الآمر، فلما مات أجلس ابنه المستعلي في حكم الدولة الفاطمية، ثم ابنه الآمر، فلما اشتد ساعد الآمر دسّ إليه من قتله، وقيل ـ كما قدمنا ـ قتله النزاريون سنة ٥١٥هـ.
انظر: ابن سعيد ص٨٣ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٩ وكامل ابن الأثير ٨/ ٣٠٣.

الاستحسان، وكان من قلوب الرعايا بمحلّ، ما ثوى في غيره ولا حلّ، فلما مات وَجَدَت لفقده، وحدث في البكاء عليه والوقوف على لحده، وخلف من خزائن الأموال المملوءة ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وكذلك وجد له من الجواري وحلى النساء ما لو كوشف به الليل لمحا آية المساء[١]. ويحكى من حسن اهتمامه بعمارة الأرض وتغليقها ببذل البذار، وتنميقها بما لا يزال ولاة الأعمال منه على جانب الحذار، أنه استجلب اردبتين قمحاً غريب الزريعة أراد أن يجعلهما للاختبار الذّريعة، فأخّرهما حتى فرغ أوان الزرع، ولم يبق لمحراث في الأرض قَرْعُ، ثم بعث بالأردبتين أحدهما إلى الصعيد، والثاني إلى أسفل مصر، وكتب إلى والي كل عمل منهما بأن يبذر أردبّةً ويستكمل زرعه، ولا يؤخر منه حبه. فأجابه أحدهما بأنه قد فعل، وأجابه الآخر بأنه قد اجتهد على تحصيل أرض فارغة لبذارها فما حصل، فعرف اهتمام الأول بتغليق عمله وإهمال الثاني حتى وجد ذلك الأردب مكاناً من معطله، فأنعم على الأول وشكره، وقبض على الثاني وسمّره. ثم لما مات وزر للآمر المأمون البطائحي[٢]، وأقامه، وفوض إليه الزعامة، وكان هو المتقلد / ٦١/ بالتفويض، وبه بحر الأمر يزخر ويفيض، وهو يراجع في الأمر الآمر، ويرجع إلى ما يأمره به ويستأمر، والآمر يركب وينزل ويتصيّد ويتخلّى عن موضعه ويتفرّد، وكان يتحدث في أمور ما يكون ويتجدّد من الحركات والسكون.

وحكى بعض مَنْ كان له به اجتماع أنه أراه كتابا فيه صور مصورة ومنيّات مختلفة، وفيها صورته قد قتل وهو على فرس أشهب، وألقى إلى جانب جسر أَلَهب[٣]، ثم قال لي: أتعرف هذه الصورة ؟ فقلت: لا، فقال: بل تعرف هذه الصورة، وما أظنّه إلاّ وقد آن الوقت، فما مضت سنة حتى رأيت الآمر راكباً بالجيزة على فرسٍ أشهب ماراً مع الجسر كأنه ذلك المصوّر، ثم تفرد وانقطع عنه الموكب،

(١) انظر فيما نقل من أمواله إلى قصور الآمر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٨١ والمنتقى ص٧٩ واتعاظ الحنفا ٣/ ٧٠.

(٢) أبو عبد الله، محمد ابن الأمير ثقة الدولة أبي شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصر، المعروف بالبطائحي، كان استاذ دار الأفضل، فوّض إليه الآمر أمور دولته وقيادة الجيش، سنة ٥١٥هـ، ثم اعتقله سنة ٥١٩هـ مع خمسة من إخوته وثلاثين من خواصه، ولم يزل معتقلاً إلى سنة ٥٢٢هـ فصلبه مع اخوته.
انظر: وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٩ والوافي ٤/ ٣١٣ والمنتقى من أخبار مصر ص٨٧ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٨٨، وابن سعيد ص٨٣ واتعاظ الحنفا ٣/ ٧٥ وخطط المقريزي ٢/ ٢٢٥.

(٣) الألَهب: الأغبر المشرّب بسواد.

فخرج عليه جماعة رجال في سلاح، كانوا قد اتعدوا على قتله، فرقبوه حتى تفرد عنه جسر الجيزة وقطعوه بأسيافهم. قال الحاكي: فجئت حتى كنت فيمن وقف عليه على تلك الصورة ما أخطأ منها شيئاً.

وحكي أن الآمر بينما هو في موكبه قبلي بركة الحُبش[١]. إذْ تقدمهم، فمرّ رجل على باب بستان له وحوله عبيد وموالي له، فاستسقاه ماءً فسقاه، فلما شرب قال: يا أمير المؤمنين قد أطمعتني في السؤال، فإن رأى أن يكرمني بنزوله لأضيفه؛ فقال: ويحك، معي المواكب، فقال: وليكن يا أمير المؤمنين، فنزل، فأخرج الرجل ماءة بساط وماءة نطع، وماءة وسادة، وفرشها، فصارت مدّ البصر، ثم أخرج مائة طبق طعام وماءة طبق بوارد، وماءة طبق فاكهة، ومائة جام حلوى، ومائة زبديّة أَشْرِبَة سكرية كلها، فبهت الآمر، ثم قال له: أيها الرجل، خبرك عجيب، فهل علمت بهذا فاعتددت له؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين وإنما أنا رجل تاجر من رعيتك لي مائة حظيّة، فلما أكْرمني أمير المؤمنين بنزوله عندي أَخَذْتُ من كل واحدةً شيئاً من فرشها ورأيت أكلها وشربها /٦٢/ ولكل واحدة في كل يوم طبق طعام وطبق بوارد وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب، فسجد الآمر شكراً، وقال: الحمد لله الذي في رعايانا من يسع حاله هذا، ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم ضرب تلك السنة، فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف درهم، ثم لم يركب حتى أحضرها فأعطاها للرجل وقال له: استعن بهذه على حالك ومرؤتك، ثم ركب وانصرف.

ومن الكنوز، قال: وحكاياته مع البدوية التي عشقها وتزوج بها قال ابن القرطي[٢]: هي العالية، وكانت قد وصفت للآمر فتزيّا بزي العرب حتى رآها، ثم أرسل خاطباً لها إلى أهلها، وتزوّج بها، فلما وصلت إليه صعب عليها فراق البر، فبنى لها بالجزيرة البناء المعروف بالهودج[٣]، وكانت متعلقة الخاطر بابن عمّ لها

---

(١) بركة الحبش، أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل مشرفة على نيل مصر، خلف القرافة، وقفٌ على الإشراف، وهي من أجلّ متنزهات مصر، وعندها بساتين تعرف بالحبش، والبركة منسوبة إليها.
انظر: ياقوت ـ بركة الحبش.

(٢) ابن القرطي، مؤرخ ينقل عنه ابن سعيد في النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة انظر ص٨٤ منه، وذكر المقريزي (الخطط ٢/ ٢٦٥) أن ابن سعيد في (المحلى بالأشعار) نقل عنه قصة البدوية.

(٣) من متنزهات الفاطميين العظيمة البناء، بناه الآمر في جزيرة الفسطاط، انظر عنه وعن قصة البدوية: خطط المقريزي ٢/ ٢٦٥، ونقل عن ابن سعيد في كتاب (المحلى بالأشعار) عن ابن القرطي: تذاكر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها، وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك.

ربيت معه بعرف بابن مياح فكتبت إليه[(١)]: [من الرمل]

يا ابن ميّاحٍ إليكَ المشتكى ... من مليكٍ بعدكم قد ملكا
كنت في حيّي مطاعاً آمراً ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصرٍ مُوصدٍ ... لا أرى إلا حبيساً ممسكا[(٢)]
كم تثنّينا بأغصان اللوى ... حيث لا يُخش علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليقٌ سلكا[(٣)]

فكتب إليها[(٤)]: [من الرمل]

بنت عمرو[(٥)] والتي عذبتها ... بالهوى حتى علا واحتنكا
بُحتُ بالشكوى وعندي ضعفها ... لو عدا ينفَعُ منا المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكي[(٦)] ... هالك وهو الذي قد أهلكا[(٧)]
شأن داود غدا في عصرنا ... مبديا يا ليته قد ملكا[(٨)]

فبلغت الآمر، فقال: لولا أنه أساء الأدب في البيت الرابع /٦٣/ لرددتها إلى حيّها وزوجتهّا به.

وولد الآمر يوم الثلاثاء، ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وقُتل يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مئة وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة، ولم يعقب.

ثم ابن عمّه:

[١٢]

الحافظ[(٩)] لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر معد

وأبوه لم يَنَلْ، وعلى كاهل المنبر لم يعتل، وبويع له في اليوم الذي مات فيه

---

(١) الأبيات في خطط المقريزي ٢/٢٦٦.
(٢) في الخطط: مرصد، لا أرى إلا جيشاً ممسكا.
(٣) لم يرد هذا البيت في الخطط.
(٤) الأبيات في الخطط ٢/٢٦٦.
(٥) الخطط: بنت عمي.
(٦) الخطط: اشتكى.
(٧) في الخطط: مالك، قد ملكا.
(٨) لم يرد البيت في الخطط.
(٩) الحافظ لدين الله، حادي عشر ملوك الدولة العبيدية والثامن من ملوك الديار المصرية منهم.

=

الآمر بولاية العهد، ولم يصرح له بالخلافة ليروا رأيهم فيما بعد، واستولى على ملكه أبو علي أحمد[١] بن الأفضل بن أمير الجيوش وأرتقى منه مرتقى عليّاً، وكان إمامياً لا إسماعيلياً، فأسقط إثم الحافظ عن المنابر، ودعى لأئمة الإمامية والمهدي المنتظر، وأرى الإسماعيلية الموت وكل سرب محتضر، ثم تقدم إلى المؤذنين بأن لا يُذكر أحدٌ آل اسماعيل في الأذان، ويبطلوا ما كان زاد فيه من قولهم محمد وعلي خير البشر، ثم قُتل[٢] أحمد بن الأفضل، ورجع الأمر إلى الحافظ، وسلم الملك منه إلى الحافظ وبويع البيعة العامة، وصرح له باسم الخلافة، ولقب ذلك اليوم بالحافظ، وسلم عليه بإمرة المؤمنين، وهو أول يوم لقب بهذا اللقب وسلم عليه ذلك السلام، وانجز له منه أمله المرتقب. وكان الحافظ لا قدر عنده لمال ولا صَدّر بعض بآمال، لأنه كان يسابق بداية الأمل، فبدأ به على كل عمل، بما نقل له كل كثير المواهب ويصغر كبير النعم الذواهب، ولما استقلّ أعاد الدعوة الإسماعيلية، وشدَّ حبلها المنتكث، وقوى اسم افعوانها المنبعث، وأزال دعوة الإمامية، وما طيّب سُميّة إلا بسمته.

ومن الكنوز، قال: كان موصوفاً بالبطش والتيقظ حتى إنه سطا على ولده وولي عهده[٣]، قال: وللشعراء / ٦٤/ فيه أمداح فيها غلوّ لا يحلّ سماعه ولا روايته، وكان

= انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٩٦ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٨ واتعاظ الحنفا ص٣٨٤ وابن سعيد: النجوم الزاهرة ص٨٦ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٩ والعبر ٤/ ٦٨.

(١) لما بويع الحافظ لدين الله، ثار الجند الأفضلية وأخرجوا ابن مولاهم أبا علي أحمد بن الأفضل الملقب بكتيفات، وولّوه إمرة الجيوش، فاعتقل الحافظ صبيحة بيعته، وقوي أمر ابن الأفضل فرتب في الأحكام أربعة قضاه: الشافعية والمالكية والاسماعيلية والإمامية، يقضي كل قاض بمقتضى مذهبه وسار سيرة جميلة، ثم قتل غيلة، انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٩٦ وابن سعيد: النجوم الزاهرة ص٨٦ وأخبار الدول المنقطعة ص٩٢ والمنتقى من أخبار مصر ص١١٣.

(٢) قتل في سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦هـ ركب إلى ظاهر القاهرة فوثب عليه مملوك رومي، فطعنه وألقاه عن فرسه واحتز رأسه ومضى به إلى القصر فكانت مدة تغلبه على الأمر سنة واحدة وشهرين وثلاثة عشر يوماً. انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٩٨.

(٣) يريد به حسن بن الحافظ، وكان الحافظ قد جعل ابنه أبا تراب حيدرة ولياً للعهد، فلم يرض حسن بذلك، فوقعت الحرب بين الأخوين، واستظهر حسن على أخيه حيدرة الذي هرب إلى أبيه، فحاصر حسن القصر مما اضطر الحافظ على جعله ولياً للعهد، فتمكن حسن من الدولة واستبدّ دون أبيه وقتل جماعة من الأمراء، فخافه الآخرون وراسلوا الحافظ، فقبض على ابنه وقيده وسقاه سماً، قيل أن ذلك كان من تدبيره.
انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٠ والمنتقى من أخبار مصر ص١٢١ واتعاظ الحنفا ٣/ ١٥٣
وابن سعيد: النجوم الزاهرة ص٨٧ وفيه: وولى ابنه حسناً العهد فاستبد دون أبيه بتنفيذ الأمور وأحبه الجند فسمه أبوه فمات.

لهم نفاق في مدّته، وجعل لهم ضياعاً ورواتب وانزلهم في مراتب على قدر أقدارهم.

قال القرطي[(١)]: كان شديد المنافسة، لا يريد لأحد فعلا غيره: كان وهم بما رده الله دونه من نقل ساكن المدينة الشريفة زادها الله به تشريفاً، فخسف الله بمن جُهّز لذلك في سرابهم الذي حفروه، وقيل بل هربوا بريح خرجت عليهم[(٢)]، وأنشد أمثلة مما قيل فيه أكثرها لأبي الحسن الأخفش المغربي، وأقربها قوله[(٣)]: [من الرمل]

فترى الناس جميعاً خلقوا من ضلالٍ وهو من نور الهدى
فادخلوا الباب وقولوا حطّة سَمِعَ اللهُ لمن قد حَمِدا

ولد في سنة سبعٍ وستين وأربعمئة، ومات في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وقيل أربع وأربعين وخمسمئة، وكان في سنة موته قد بلغ النيل في زيادته الباب الحديد، فطولع بذلك، فقال: أعِدّوا لي الاكفان، ثم أخرج كتاباً عنده من كتب الحدثان فيه: إذا وصل الماء إلى الباب الحديد، فليتجهّز إلى الله الإمام عبد المجيد، وكان الأمر هكذا، لم يلبث إلى أن مات.

ثم ابنه:

[١٣]

الظافر[(٤)] بأمر الله، أبو الطاهر إسماعيل

وكنّاه مؤلف الكنور أبا منصور، وهكذا كناه الجليس[(٥)] في شعرٍ ذكره فيه، وكان في ميعة الشباب مُغرىً بمتعةِ الشباب، مولعاً بحب الأحداث، وموضعاً لا يبالي بغرّة الأحداث. وَوَزَرَ له علي بن السلار[(٦)]، وحمله أوق[(٧)] أثقاله، وقلّده طرق أعماله،

(١) الأصل: القوطي.

(٢) انظر الخبر في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٨ وفيه: فيقال أن السَّرَب إنهار عليهم فهلكوا، وقيل بل سُعي بهم فأهلكوا.

(٣) وردت مقدمتها الغزلية في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٩.

(٤) انظر ترجمته وأخباره في: النجوم الزاهرة ٥/ ٣١٩ وابن سعيد ص٨٩.

(٥) القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي التميمي جليس صاحب مصر. من الشعراء الكتاب المترسلين، توفي سنة ٥٦١هـ، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١.

(٦) العادل، الأمير المظفر سيف الدين أبو الحسن علي بن السلاّر الكردي، ولي الصعيد والاسكندرية، وتولى قبله الوزارة للظافر نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن وصال، فشغب عليه العادل وهزمه وانتزع منه الوزارة سنة ٥٤٤هـ واستمر إلى أن قتله ابن ربيبه نصر بن عباس سنة ٥٤٨هـ. وذكر أنه كان سنياً شافعياً ظالماً.

=

وسوّغه فوق ما في احتماله، ثم قتله على يد ابن امرأتِهِ عباس[١] بن تميم الصنهاجي، واستبدله عوضه، وألْقى إليه أمر الملك وفوّضَهُ، ثم كلف الظافر بابن وزيره، وشَغَفَ به شَغَفاً حَلَّ في شغاف ضميرِهِ، فكان لا يرى السرور إلاّ في مداناتِهِ، ولا الراحة إلاّ في الوجْدِ به ومعاناته، ثم حفر سرداباً / ٦٥/ بين داريهما، وكانا فيه يلتقيان، ويفعلان وما يُبْقِيان، وشاع خبرهما، وبقي الوزير منكس الرأس، لا يرفع طرفاً حياءً، ولا يجد الدنيا عليه إلاّ ظلاماً لا ضياءً، فأعْمَل في اغتياله الحيل، وأسرع به وما طالت به الطيل، وتوصل إليه بإبنه، فقتله، واتخذ ذلك السرداب موضع دفنه.

ومن الكنوز: إنه لما تم لعباس الأمر في قتل الظافر، ركب إلى القصور وقال: بلغني إن أخوي الظافر يوسف وجبرئيل وابن أخيه أبا البقاء بن حسن بن الحافظ قتلوه بمواطأة مفلح زمام القصر، ثم أحضرهم، وضرب أعناقهم، وحمل من القصر ما أراد، ولم يخف عن الناس أنها من فعلاته، وصنعت المراثي فيهم، واستنجد بابن زريك[٢] وهو بمنية ابن الخصيب[٣] وممن كتب إليه في هذا الجليس بن الحباب[٤].

وحُكيَ أن عباساً جلس للمنادمة، فلما أخذت الكأس منه قال: تباً لمن يعتقد إمامة هؤلاء، ويقول أنه لا يكون إمام إلا بوصية، والله لقد قتلت الظافر ولا علم عنده بذلك حتى يوصي، ولقد استعرضت أقاربه كالغنم إهانة وذبحاً، وقدمت هذا الملقب بالفائز وعمره خمس سنين وعلى يدينا ذهبت دولتهم بالمغرب، وكذلك تذهب بالمشرق، فقتله الله وقتل ولده بالظافر، وكان قتله في نصف المحرم سنة تسع وأربعين

= انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٣١١، وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦ والعبر ٤/ ١٣١ والمنتقى ٣/ ١٩٦ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٨.

(٧) الأوق: الثقل والشؤم.

(١) عباس بن غنيم بن المعز بن باديس الصنهاجي، جاءت به أمه بلارة بنت القاسم إلى مصر، فتزوجها العادل بن سلاّر وأشرف على تربية عباس إلى أن صار والي الشرقية. وقتل ابنة نصر العادل سنة ٥٤٨هـ فتولى الوزارة، ثم اتهم بقتل الظاهر، واستنجدت عائلة الظافر بطلائع بن زريك، فسار إلى القاهرة، فهرب عباس بن تميم إلى الشام، فالتقاه الإفرنج في الطريق وقتلوه.
انظر: نهاية الأرب ٢٨/ ٣١٤ وابن سعيد ص٨٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٦.

(٢) أبو الغارات الملك الأرمني طلائع بن زريك، ولد في سنة ٤٩٥هـ وولي الوزارة في ٥٤٩هـ وقتل في سنة ٥٥٦هـ وكان من الأمراء الشجعان الشعراء، له ديوان وكان شيعياً امامياً، انظر: مرآة الزمان ص٢٣٧ وخريدة القصر (قسم شعراء مصر ١/ ١٧٣) ووفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦.

(٣) منية ابن الخصيب، هي مدينة المنيا الحالية، قاعدة محافظة المنيا، تنسب إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل هارون الرشيد ـ القاموس الجغرافي ق٢، ح٢، ص١٩٦.

(٤) مضت ترجمته وانظر قصيدته التي كتبها إلى ابن زريك في النجوم الزاهرة ١٥/ ٢٩٢.

وخمس مائة ومدة خلافته خمس سنين وستة أشهر وأياماً.

ثم ابنه:

[١٤]

الفائز[١] بنصر الله، أبو القاسم عيسى

وكان لا يخبُّ إلى غايةٍ قلوصا[٢] ولا عِيساً، لا يُجْرح به ولا يوسى، ولا يزجر بطيرٍ سعوداً ولا نحوسا، وبويع بعد أبيه، فطلب الوزير عباس بن تميم قاتله، وَسَنّ شفاره وقصد مقاتله، فهرب قدّامه، فقتله الفرنج، وطلب النجاة فلم ينج، واستوزر الفائز أبا الغارات طلائع بن رزيك، وخاطَبَهُ بالتمليك وسماه الملك الصالح، وأنزله منه بمكانةٍ لا يؤثر فيها قدحُ القادح /٦٦/ وكان له اسم الملك، وهو الملك الحائز، وله لا لأمره الأمر الجائز، والغنى والغناء وسواه الفائز، وكان الفائز معه كالظل كيفما مشى يتبعه، وكالجليس مهما قال يسمعه، أطوع له من الشرك، وأسرع من فيه الظبي في الإشراك وكان ابن رزّيك من أجل وزراء تلك الدولة، وأسْبَغهم إنعاما، لا يقصّر طوله، وكان عارفاً بالأدب، مكرماً لأهله، مُنْعِماً عليهم بفائض سجله، وله شعر لا يؤخر جواد قريحته، ولا يشمّ دخان الندّ[٣] إلاّ من ريحته، ولا تتفجّر المعاني إلا من فجر صبيحته، ولا تصاب المفاصل إلا بصقال صفيحته، ووفد في زمانه الفقيه عمارة اليماني[٤]، ونوله ما يرتجيه من غاية الأماني، وفيه يقول: [من الطويل]

دعو كلّ برق شِمتم غير بارقٍ ... يَلُوحُ على الفسطاط بارقُ نشرِهِ

وزوروا المقام الصالحيّ فكل مَنْ ... على الأرض ينسى ذكره عند ذِكرِهِ

ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى ... فتجنوا على مجد المقام وفخْرِهِ

ولكن سلوا منه العُلى تظفروا بها ... فكلّ امرىء يرجى على قدر قدرِهِ

---

(١) انظر ترجمته في: كامل ابن الأثير ٩/ ٩٨ وأبو الفدا ٣/ ٣٩ وابن الوردي ٢/ ٦٢ وخطط المقريزي ٢/ ٣٦ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٦ وابن سعيد: ص٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٥.

(٢) الخبب: نوع من المشي والقلوص: الناقة القوية المجتمعة.

(٣) الند: ضرب من الطيب يتبخر به.

(٤) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي، فقيه، شاعر، مؤرخ من أهل اليمن، قدم إلى مصر برسالة من القاسم بن هشام أمير مكة إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠هـ، فأكرمه الفاطميون، فأقام عندهم ومدحهم ولما دالت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي رثاهم بقصيدة مؤثرة، واتهمه صلاح الدين بالعمل على الفتك به، فقبض عليه مع جماعة وقتلهم وصلبهم بالقاهرة سنة ٥٦٩هـ، له ديوان. انظر: ابن خلكان ٣/ ٤٣١، صبح الأعشى ٣/ ٥٣٢، مفرج القلوب ١/ ٢١٢.

وأراده الصالح على الدخول في مذهبهم للدخول، وراوده مَن يلزمه به أن يقول وكتب إليه: [من الكامل]

قل للفقيه عمارة يا خير من ... أضحى يَؤلف خطبة وخطابا
أقْبِل إلينا لا تحد عن هذينا ... قُلْ حِطَّةً وادخل علينا البابا
تجد الأئمة شافعين ولا تجد ... إلاّ لَدَينا سُنَّةً وكتابا
وعَلَيَّ أن يعلو محلُّك في الورى ... وإذا شَفعْتَ إليّ كنتَ مجابا
وتعجل الألاف وهي ثلاثة ... ذهباً وحقّك لا تُعَدّ ثوابا

وكان الفقيه عمارة شافعي المذهب، لا يحول عنه ولا يذهب، فكتب إليه ما يدلُّ على حسن معتقده، ونقض ذلك الزخرف من يدِهِ: [من الكامل]

يا خير أملاك الزمان نصابا ... حاشاك من هذا الخطاب خطابا
/٦٧/ لكن إذا ما أخربت علماؤكم ... معمور معتقدي فَصار خرابا
فاشدد يديك على قديم مودّتي ... وامنُن عليَّ وسدَّ هذا البابا

فسكت عنه لسان إكراهه، وسكن مثل هذا القول وأشباهه، وبقي عمارة أدنى جليس إلى رتبهم، وأنيس على مباينةٍ لمذهبهم، وأتى يوماً إلى حضرة الصالح بن رزيك، فأسدى إليه صنيعا قبّل به يده، ثم خرج فرأى ممن كان يؤمله من قبّله ومجّده فقال: [من الكامل]

ملك إذا قابلت نورَ جبينه ... فارقته والنور فوق جبيني
وإذا لثمت يمينه وخرجتُ من ... أبوابه لثم الملوك يميني

ولما طال بعمارة العمر، وذاق طعم عيشها المر، رثى بني رزّيك بمراثٍ عُوتب عليها فقال: أيهاً ثم أنشد: [من البسيط]

زالَتْ ليالي بني رزّيك وانصرمت ... والحمدُ والذمُّ فيها غير منصرم
كأن صالحهم يوماً وعاد لهم ... في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يَقُمِ
ولم يكونوا عدوّا لانَ جانبهم ... وإنما غرقوا في سيلك العرِمِ
فلو فتحت فمي يوماً بذمّهم ... لم يرض برّك إلا أن يسد فمي
ولو ذكرت لياليهم ونضرتها ... وحسنها لم يكن بالدهر من قدم

ثم ابن عمّه:

[١٥]

العاضد[١] لدين الله، أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ عبد المجيد

بويع له بعد الفائز سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ولم يَلِ أبوه الخلافة ولا دارت في خَلَدِهِ، ولا كان يظنهّا تصل إليه ولا إلى ولده، وبايعه الناس وهو طفلٌ لا قدر عليه ولا كفل، وقام بأمره الصالح طلائع، وقرّر له المصالح الروائع، ودام على مراعاة حاله ونهايته في التدبير نهاية العمل عليه في التدمير، وقيل أن العاضد لما فعل كان كالمعضد حتى أكمنت له المنايا كمون الشجاع، ووثبت له وثبة الأسد المفترس إذا جاع، وغالته /٦٨/ حيث لا يقدر على الارتجاع، ولا يقتدر على الانتجاع، ولبدتْ له في دهليز قصره، وفي موضع حضره، فقُتّل في الدهليز[٢]، وقيل من أين أُتي في هذا الكنف الحريز، وما أُتي إلاّ من ذلك الكنف، ولا لحقه لولا تلك الحياة التلف، ولا خطا طائره إلاّ من موضع أسفّ، وأظهر عليه العاضد وأهل بيته الأسف، وكمدوا لبدرِهِ كيف انخسف، ثم استوزر العاضد ابنه رزيك بن طلائع، ولقبه بالملك العادل، وقال: هذا لهذا يُعادل، ثم قتل رزّيك[٣] بعد سنتين، فإنهما كانا ممن يتوسع في العطايا، ويترفع عن المؤاخذه بالخطايا، وكان قتله بأيدي العرب لما أخرجه شاور[٤] قريباً من القاهرة، وأسف العاضد عليه، وخاف أن يتكلّم أن تكلم، فوزّر شاور، ولقب أمير الجيوش، وكان داهيةً ثلاّلاً للعروش، فلاّلاً للعزائم، ولم يخل الفروش، قلاّبا للدول غلاّبا على الملوك والخول، إلاّ أنه كان قصير الباع في الدفاع، حقير الرباع في اليفاع، لكنّه كان ذا كيد، ينصب أشراكه، ويلقي عمامته

---

(١) انظر في ترجمته: ابن سعيد ص٩٣ والنجوم الزاهرة ١٥/ ٣٣٤ وخطط المقريزي ٢/ ٣٦ وأخبار الدول المنقطعة ١١١ ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٩٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٩ ومفرج الكروب ١/ ٣٠١ والعبر ٤/ ١٩٧ والشذرات ٤/ ٢٢٢ والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٨٥ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٢٢.

(٢) كان مقتله في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٥٦هـ، وانظر تفاصيل الخبر في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٢٤.

(٣) رزيك بن طلائع بن رزيك، أبو شجاع، محيي الدين، عزل شاوراً عن الصعيد، وكان أبوه أوصاه ألا يقلق شاورا، فهرب شاور إلى الواحات، وهاجم القاهرة فاستولى عليها، واعتقل رزيك ثم قتله سنة ٥٥٨هـ. انظر: خطط المقريزي ٢/ ٣٧ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٢٧ وابن خلدون ٤/ ٧٦.

(٤) أبو شجاع: شاور بن مجير السعدي، كان قد ولي الصعيد، فعزله رزيك فثار عليه وأخرجه من القاهرة ثم قتله، فاستوزره العاضد، إلاّ أنه لم يهنأ بها إذْ أخرجه منها أبو الأشبال ضرغام بن عامر اللخمي، انظر خطط المقريزي ٢/ ٣٧ وكتاب الروضتين ١/ ١٣٠ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٠.

وشراكه، لم يخف نقيصة تُنْسَب إليه فيما فعل ولا فيما وضع له نفسه وجعل، ومدحه عمارة على كرهه له ولأيامه وأنفته منه ومن أنعامه، ولكنّه خافه فداراه، وكان يودّ ألاّ يراه، ومما قال فيه: [من الكامل]

ضجر الجديد من الحديد وشاورٌ في نصر دين محمد لم يضجر
هانت عليه النفس حتى أنَّهُ باع الحياة فلم يجد من يشتري
حَلَفَ الزمان ليأتينَّ بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفرِ

وكان بعد ذلك في تقريب عمارة ويخصّه بمحلّ القرب والإشارة، ثم غلب ضرغام[1] بن سوار على الوزارة وابتزّها، وقطع دونها غلاصم المطامع واحَزّها، وأخرج شاور من القاهرة، يتحيّر بأذياله ويتخيرّ /٦٩/ طريق احتياله، ولقب ضرغام بالملك المنصور، وكتب له السجل الأشرف والمنشور، ووجّه شاور وجهه إلى الحضرة النوريّة[2]، فوفد عليها وفادة حسان على أهل جلّق[3]، ورأى نورها رؤية الحطيئة لنار المحلّق[4]، ثم خرج في الصحب الأسدية الشيركوهية[5] إلى مصر، وخرج ضرغام، وتلاقيا على بلبيس، وأجْلَت الوقعة عن قتل ضرغام وانتصار الأسد الهمام، وانهزم جيش ضرغام إلى القاهرة، ودخل شاور القصر، ووزر الوزارة الآخرة، وذلك في جمادى الآخرة، سنة تسع وخمسين وخمس مائة، ونكث عهود شيركوه ومواثيقه، وتناسى تجشمه المشقة وطريقه، ثم خاف شاور فراسل الفرنج مستنصراً، فجاءه الملك مري[6] في خلق كبير، فتحصن شيركوه في قلعة بلبيس،

---

(١) ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي، أبو الأشبال، كبير أمراء الرقة الذين أنشأهم رزيك، ولي باب شاور، ثم خرج عليه واستولى على الوزارة في رمضان سنة ٥٥٨هـ. قتل في رمضان سنة ٥٥٩هـ. قتله شاور الذي عاد من الشام واستولى على الوزارة ثانية انظر: الخطط ٢/ ٣٧ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٢١.

(٢) يريد به نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام.

(٣) يريد به حسان بن ثابت، وأهل جلق، الغساسنة.

(٤) المحلق لقلب غلب عليه الكلابي العامري، اشتهر بأبيات مدحه فيها الأعشى من قصيدة أولها: نفى الذم عن رهط المحلّق جفنة) انظر: العقد الفريد ٥/ ٣٢٩.

(٥) إشارة إلى شيركوه بن شاذي أول من ولي مصر من الأيوبيين، وهو عم صلاح الدين، كان من كبار قواد نور الدين محمود بن زنكي الذي أرسله إلى مصر سنة ٥٥٨ نجدة لشاور السعدي. ثم في سنة ٥٦٢هـ لنجدة صلاح الدين الذي حاصره شاور، فأصلح بينهما، ثم تعاون مع صلاح الدين فاغتالا شاور ووزر للعاضد. ولم يقم بمصر غير شهرين وبضعة أيام وتوفي فجأة سنة ٥٦٤هـ. انظر النجوم الزاهرة في مواضع مختلفة من الجزء (٢٥) وأخباره كثيرة في الكتب التي أرخت تلك الفترة.

(٦) يسميه الإنجليز Amalrie 1st والفرنسيون Ammauri: وهو ملك القدس (هامش ص٩٤ من النجوم الزاهرة في حلى القاهرة).

واجتمع شاور ومري عليه، وأحدق به العدو وحصره، وأنجز الله وعده، وأيّد شيركوه ونصره، وخرج سالماً إلى دمشق، ثم لم يعلم به حتى وصل إلى إطفيح[١] وعدّى إلى الجيزة، وأقام بها مدّة، وأنفذ شاور إلى مرّي واستصرخه، وملأ زقّه الفارغ ونفخه، وبذل له مالاً عظيماً وَوَعَدَهُ بمشاطرة البلاد، فحمى لأجله، ووافاه بخيله وَرجله، ثم عدّى إلى الجيزة، واندفع شيركوه إلى الصعيد، فلحقوه في الناس قريب من منية ابن الخصيب، ووقف لهم شيركوه، وواقفهم وواقعهم، فانكسر شاور والفرنج، وأُخذ صاحب قيسارية[٢] أسيراً، ووصل[٣] شاور بالفرنج إلى القاهرة مهزومين، وسار شيركوه إلى الاسكندرية فدخلها، وأقام بها مدة، وسمع بها شاور والملك مُرّي فجيّشوا جيوشاً عظيمة، وأتوا الاسكندرية في طلبه، فنزل بها ابن أخيه صلاح الدين في شرذمة قليلة، وأصعد هو وعسكره إلى الصعيد، فجبى منها مالاً جليلا، وأقام شاور على الاسكندرية خمسة وسبعين يوماً[٤]، ثم رجع شيركوه حتى نزل على / ٧٠/ القاهرة ونازلها، وضيّق على مَنْ فيها، فصالحوه على أنه يرتفع عنها ويرتفع شاور عن الاسكندرية، ثم خرج صلاح الدين واجتمع بعمه شيركوه، وأتى شاور القاهرة، وأقام مدة فوافاه الملك الرومي صاحب الشام والاسبتار[٥] في جمع عظيم فنزلوا على بلبيس، وفتحوها عنوة[٦]، وقتلوا رجالها، وعجلّوا آجالها، وسبوا نساءها وأطفالها، وأبكوها بكاء التوجع والتوعج فَعَدت آمالها، وسمع شاور فخرج إلى مصر وأحرقها ونهبها ونكر محاسنها وأذهبها[٧]، وترك الرومي على القاهرة وعوّل على فتحها، ثم عدل إلى صلحها، فبذل له أهلُها مائتي ألف دينار فما قنع بها، وطلب ألفي ألف دينار، فرأى العاضد ووجوه دولته (أن) يستعينوا بشيركوه، فأتى هو وجنوده العاضد،

---

(١) إطفيح إحدى قرى مركز الصف من محافظة الجيزة شرق النيل، والخبر بنصه في النجوم.

(٢) قيسارية من مدن فلسطين على البحر المتوسط جنوب حيفا، وصاحبها أسد الدين هبو، انظر: أخبار الدول المنقطعة ١١٥ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٦.

(٣) الأصل: ووصل إلى شاور.

(٤) النجوم الزاهرة في حلى القاهرة ص٩٥، وفي: أبو الفدا ٣/ ٤٦ وابن الوردي ٢/ ٧٢ ثلاثة أشهر وفي العبر ٤/ ١٧٦ والنجوم لابن تغري بردي ٥/ ٤٣٩ أربعة أشهر.

(٥) الاسبتار، طائفة من الفرسان أُخذ اسمهم من اللفظ الإنجليزي Hospitialers أو الفرنسي Hospitaliers، وقد أسس الطائفة جيرالد بعد استيلاء الصليبيين على القدس.

(٦) كان ذلك سنة ٥٦٤هـ، انظر أخبار الدول المنقطعة ص١١٥ واتعاظ الحنفا ٣/ ٢٩٣ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٩.

(٧) انظر الخبر في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٩ وابن سعيد في النجوم الزاهر ةص٩٦ وأبو الفدا ٣/ ٤٧ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٥٠.

وأدركوه وراسلوا نور الدين فأمدّهم بجيوش ما سمعوا بخبرها حتى رأوا طلائع عسكرها، فلما سمع به الفرنج ارتحلوا لا يلوون على شيء، ودخل شيركوه القاهرة، وخلع عليه العاضد خِلَعاً سنية، وأضافهُ ضيافة تامة، وأقام له الأتراك، ونزل بظاهر القاهرة، ثم كان شاور يتردد إليه، فخرج إليه يوماً مسلماً، فأوقع به صلاح الدين ومن معه، وقتل ابنه شجاع الملقب بالكامل[١]، وكان خيراً من أبيه يأمره بالخير[٢] وأشار عليه ألا يستنجد بالفرنج، فقال: دعني من رأيك فإنني أخاف أن لا أملك. فقال له: أن تهلك أنت وحدك خير من أن تهلك أهل مصر كلهم. وكذلك قتل ابنه الملقب بالمعظم. وأخوه فارس المسلمين، وطيف برؤوسهم على الرماح، وخلع على شيركوه بالوزارة في سابع عشر جمادى الأولى سنة أربع وستين وخمسمائة. وتوفي يوم الأحد الثالث والعشرين من رجب، ثم وزر بعده صلاح الدين يوسف، ثم قطع خطبة / ٧١/ العاضد وخطب للمستضيء ولم يعش العاضد بعدها إلا أياماً يسيرة[٣] ثم مات، ومشى صلاح الدين وعليه طيلسان وعمامة في الجنازة، وقعد للعزاء، وبكى بكاءً لم يشف به الحزازة، فإنه ندم على ما كان من خلع رداء تلك الدولة خوفاً من نور الدين لا يقصده، ويطلب ما يحتج به فلا يجد ما كان يجد بالعبيديين من الحجة في ملاواته، والتستر بهم من سهام مناوراته، ثم كان يقول: لو علمت بسرعةِ أجلهِ ما روعتهُ بالخلْع، واختلف في موته، فقيل إنه علم بالخلع فسمَّ نفسه، والجمهور على أنه كان عليلاً واخفي عنه الخلع ومات حتف أنْفِهِ، وأُخذ أهل القصر، وحُبِسوا وفرق بين الرجال والنساء قطعاً لنسبهم واجتثاثاً لشجرتهم الخبيثة من أهْلِهم، وكانت مدة ملكهم منذ فتحوا مصر إلى أن خُلع العاضد مائتين وخمسة عشر سنة، وكان صلاح الدين يشكر العاضد، ويصف كرمه ويقول: استمْددتُه بمال لسداد دمياط فأمدّني بألف ألْف دينار من العين والعروض، وكان لا يزال يتذكره ويتندم على فعله حيث لا يمكنه استدراك الفارط، ولا يقدر على استرجاع الفائت، ومرّ عمارة بالقصر فرآه خاوي الأركان، خالي الأقطار من السكان، وكان يعهده لسجود الحياة قِبلا، ولعقود الشفاه ينظم قُبُلا، وتذكر سالف إحسانهم، ويبصر

---

(١) ابن سعيد ص٩٦ وفيه: وأخذ ابني شاور الكامل والمعظم وأخاه فارس المسلمين، فقتلوا ودير برؤوسهم، وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٣ وفيه: ركن الإسلام.

(٢) إشارة إلى عزم شاور عن أن يصنع دعوة ويحضر أسد الدين وجماعة الأمراء الذين معه في داره ويقبض عليهم، فنهاه عن ذلك ابنه الكامل، وحلف أنه إن صمم على هذا الأمر عرَّف به شيركوه، فقال له أبوه: والله لئن لم تفعل هذا قتلنا عن آخرنا، فقال الكامل لأبيه: صدقت، ولأن نقتل ونحنُ مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج. انظر بقية الخبر في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٢ واتعاظ الحنفا ٣/ ٣٠٠.

(٣) وردت العبارة في الأصل مضطربة بتكرار بعض الكلمات وأثبت ما رأيته صواباً.

طائف طيف زمانهم، فما ملك عبرته، ولا مل حسرته وقال[١]: [من البسيط]

رميتَ يا دهرُ كَفّ المجْدِ بالشَّلَلِ وجيدهُ بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فإنْ قدرتَ من عثرات الدهر فاستقلِ
جَدَعْتَ مارنك الأقنى فأنفك لا ينفكّ ما بين أمر الشَّيْن والخجل
/٧٢/ هدّمت قاعدة المعروف عن عَجَلٍ سُقيتَ مُهْلاً[٢] ألا تمشي على مَهَلِ
لهفي ولهف بني الأملاك قاطبة على فجيعتها في أكْرم الدولِ
قدمتُ مِصْرَ فأوْلتني خلائفها من المكارم ما أربى على أملي
قوم عرفت كسب الألوف، ومن تمامها[٣] أنها جاءت ولم أسَلِ
وكنت من وزراء الدست حيث سما رأس الحَصان بهاديه على الكفل
ونلْتُ من عظماء الجيش مكرمةً وحُلّةً حُرِسَتْ من عارض الحلل
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمةٍ لك الملامة إن قصرت في[٤] عذلي
بالله جُزْ[٥] ساحة القصرين وأبك معي عليهما لا على صفين والجملِ
وقل لاهليهما: والله ما التحمت فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ
ماذا ترى كانت إلافرنج فاعلةً في نسل آلِ أمير المؤمنين علي ؟
وقد حصلتم عليها واسم جدُّكم محمدٌ وأبوكم غير منتحِلِ[٦]
مررتُ بالقصر والأركان خاليةٌ من الوفود وكانت قبلةُ القبل
فملتُ عنها بوجهٍ خوف منتقدٍ من الأعادي ووجْهُ الودّ لم يَمِلِ
أسْبَلْتُ من أسفي دمعي غداة خَلَتْ رحابكم وغَدَتْ مهجورة السُّبُل
أبكي على خضراتٍ[٧] من مكارمكم حالَ الزمان عليها وهي لم تحُلِ

---

(١) القصيدة في الديوان ومفرج الكروب ١/ ٣١٢ والروضتين ١/ ٢٢٣ وتاريخ أبي الفدا ٣/ ٥٧ وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١٨ وصبح الأعشى ٣/ ٥٣٦، والنجوم الزاهرة في حلى القاهرة ص٩٨ والوافي بالوفيات ١٧/ ١٩٢ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٨ واتعاظ الحنفا ٣/ ٣٣٢.

(٢) المهل: ما ذاب من نحاس أو حديد، والزيت أو درديه، وما يتحات عن الخبزة من الرماد والحجر والقيح وصديد الميت، وهو شراب أهل النار.

(٣) في المصادر الأخرى: كمالها.

(٤) في بعض المصادر: عن.

(٥) في الديوان وبعض المصادر: زر.

(٦) في الديوان وبعض المصادر: وأبيكم غير منتقل.

(٧) في الوافي: ابكي على ما تراءت، وفي النجوم: ابكي على مأثرات.

دار الضيافة كانت أنس وافدكم فالآن أوْحَش من رسْم ومن طَلَلِ[١]
وفطرة الصوم إن أضْحَتْ[٢] مكارمكم يشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ورثَّ منها جديدٌ عندهم وبُلي[٣]
وموسم كان في يوم[٤] الخليج لكم يأتي تجمُّلكم فيه على الجُمَلِ
وأول العام والعيدين كم لكمُ فيهنّ من وبْلِ جودٍ ليس بالوشَلِ
والأرض تهتزّ في عيد الغدير كما يهتزّ ما بين قصريكم من الأسَلِ
والخيل تعرض في مشي وفي شيةٍ[٥] مثل العرائس في حلي وفي حلل
وما حملتم قرى الأضياف من سعة الأطباق إلاّ على الاكتاف والعجل
/٧٣/ وما خَصَصْتُم بِبرٍّ أهل ملّتكم حتى عَمَمْتُم به الأقصى من المللِ
كانت رواتبكم للوافدين[٦] وللضيف المقيم وللطاري من الرسُلِ
ثم الطراز بتنيس التي عَظُمَتْ من[٧] الصلاة لأهل الأرض والدول
وللجوامع من أخماسكم[٨] نِعَمٌ لمن تصدّر في عِلْمٍ وفي عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها[٩] منكم وأَضْحَتْ لكم محلولةُ العُقَلِ
واللهِ لا فاز يوم الحشر مبغضكم ولا نجا من عذاب الله غيرُ ولي
ولا سُقي الماء من حرٍّ ومن ظمأٍ من كفّ خير البرايا خاتم الرسل
أئمتي وهداتي والذخيرة لي إذا ارتهنْتُ بما قدمت من عملي
تالله لم أُوْفهم بالمدح حقّهم لأن فضلهم كالوابل الهطِل
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت ماكنت فيهم بحمد الله بالخَجِل
باب النجاة فهم دنيا وآخرةٌ وحبُّهم فهو أصل الدين والعمل

---

(١) دار الضيافة: هي دار برجوان بالحارة التي تنسب إليه بالخرشف، جعلها الأفضل الجمالي بعد موت أخيه المظفر الذي كان يسكنها دار ضيافة الرسل الوافدين من الملوك، ثم انزل بها صلاح الدين اولاد العاضد. انظر خطط المقريزي.

(٢) في بعض المصادر: أصغت.

(٣) في الديوان وبعض المصادر: جديد عنهم، وانظر احتفال الفاطميين بالكسوة في فصلي الشتاء والصيف خطط المقريزي.

(٤) الديوان وبعض المصادر: كسر الخليج.

(٥) الديوان ومصادر أخرى: في وشيٍ.

(٦) في بعض المصادر: للذميتن.

(٧) في بعضها: منه.

(٨) من أحباسكم.

(٩) في بعضها: بمعقلكم.

نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث إن ونت الأنواء في المحل
أئمةٌ خلقوا نوراً فنورهم من نور خالص نور الله لم يفلِ
والله لا زلت عن حبّي لهم أبداً ما أخَّرَ الله لي في مدّةِ الأجلِ

وذكر ابن الأثير[١]: أنه لما اشتدَّ مرض العاضد أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه، فظنّ إن ذلك خديعةً فلم يمضِ إليه، فلما توفي علم صدقه فندم عليه وعلى تخلّفه عنه.

وحكى مؤلف الروضتين قال: اجتمع بي الأمير أبو الفتوح بن العاضد وهو محبوس مقيّد سنة ثمان وعشرين وستمائة، فأخبرني أبو الفتوح قال: أن أبي لما مرض استدعى صلاح الدين فحضر، ثم جمعنا وأحضرنا، يعني أولاده ونحن صغار، فأوصاه بنا فأكرم إكرامنا واحترامنا[٢].

قال قاضي القضاة جمال الدين محمد بن واصل: لما جرى لمؤتمن الخلافة ما جرى وقتل[٣]، وكّل صلاح الدين بالقصر قراقوش الأسدي[٤]، وجعله بزمام / ٧٤/ القصر مقامه، فرتب في القصر، فما كان يدخل إلى القصر شيء ويخرج إلا بمرأى منه ومسمع، فضاق خناق أهل القصر بسببه، فلما مات العاضد عرض صلاح الدين من بالقصر من الجواري والعبيد والعُدد والآلات والذخائر النفيسة، فأطلق من ثبتت حرّيته، وَوَهَب الباقي وأخلى الدور، وأغلق القصر، وأخذ ما صلح له ولأهله وأمرائهِ وخواصّ مماليكه وأصحابه من نفائس الذخائر والجواهر والملابس، ومن جملة ذلك الدرة اليتيمة والياقوتة الغالية القيمة، والمصوغات العنبرية والأواني الفضية والصواني الصينية والمنسوجات المغربية، والممزوجات الذهبية وغير ذلك مما لم يقع عليه الإحصاء، وأسرف في العطاء والبذل وأطلق البيع بعد ذلك فما دون ذلك، واستمر البيع مدة عشر سنين، وكانت خزانة الكتب تزيد على مائة ألف وعشرين ألف مجلدة

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ١١٢.   (٢) كذا في الأصل.

(٣) مؤتمن الخلافة جوهر، كان إليه زمام قصور الفاطميين، كاتب الإفرنج يستنصرهم على صلاح الدين بعدما شرع في نقض اقطاع المصريين، فقتله صلاح الدين سنة ٥٦٤هـ ورتّب على ازمّة القصور قراقوش الأسدي. انظر: اتعاظ الحنفا ٣/ ٣١٢ والروضتين ١/ ٤٥٠ وكامل ابن الأثير ٩/ ١١١.

(٤) قراقوش الأسدي: الخرصي، من مماليك أسد الدين شيركوه، أبو سعيد بهاء الدين خدم صلاح الدين وناب عنه في الديار المصرية، وبنى السور المحيط بالقاهرة وقلعة الجبل والقناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وولاه صلاح الدين على عكا بعد أخذها من الإفرنج، ثم عادوا وأخذوها فأسروه فافتداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار، توفي بالقاهرة سنة ٥٩٧هـ.
انظر: ذيل الروضتين، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٦ وكامل ابن الأثير ٩/ ١١١ ووفيات الأعيان ٤/ ٩١.

وفيها من النفائس التي لا يكاد يَوجد في خزانة أحد من الملوك، فملك صلاح الدين الأملاك التي كانت لهم وضُربت الألْواح على رباعهم ودورهم ثم ملكَ بعضها خاصتُهُ وأَمراؤه، وبعضها أذِن ببيعه ووهب الفاضل[١] الكتب عن آخرها، وأزال مبسم تلك الأنام، ومحا رسوم تلك البنية، فتكدرت مواردهم المشرعة، وتعفَّت آثارهم بالكلّيّة، إن في ذلك لموعظة وذكرى لأولي الألباب.

قال ابن مماتي[٢]: ولم تشهد التواريخ بانقضاء دولة كانقضاء دولتهم على حالة سكون وأحْمد قضيته تكون، قال: واتفقت بعدهم غرائب، فمنها: أن بعض أمراء المصريين صاروا نوّاباً على باب داره في خدمة من أُعطيت له، وآخر صار أميناً في بعض ما كان في إقطاعِهِ.

قال ابن مماتي: وجرى /٧٥/ يوماً حديث المصريين في مجلس القاضي الفاضل فسألته: كم كانت عدتهم في عرض ديوان الجيش لما كان متوليه أيام رزّيك بن الصالح، فقال: كانت أربعين ألف فارس ونيفاً وثلاثين ألفاً من السودان.

وحكي: أن الأمير الكبير باركوج اشترى من الديوان السلطاني عدة أدؤر وخرابات بمصر ليستعين بانقاضها على عمائره، وكان من جملتها دار كبيرة وصفت له وذكرت عنده فتوجه إليها، وتسرع الغلمان لإزعاج من فيها، فسمعهم يبكون، فسأل عن ذلك فقيل له: هؤلاء بعض عيال المصريين، فلما أخرجوا من دورهم بالقاهرة أووا إلى هذه الدار، وهم لا يعرفون أين يذهبون إذا خرجوا، فبكى واستدعى بعضهم برفق وأطاب قلوبهم ووهبهم الدار وكتب لهم خطة بها وجعلهم على ثقة من التصرف فيها، وما فسح لهم في بيعها أن آثروا الانتفاع بها وانصرف عنهم معتذراً.

وقال ابن مماتي: حدثني الشريف النسابة النقيب أسعد بن الجواني، قال: سكنت في مصر بدار عتيقة الأشرف، وكانت لي زوجة كنت أبات أنا وإياها في بادهنج بها فاستيقظت ليلةً فقالت: رأيتُ في النوم قائلاً يقول لي: احفروا تحت الطيلسان الرخام الذي تحتكم وخذوا ما تجدونه من المال اتفقوا به فقدان ظهوره،

---

(١) يريد به القاضي الفاضل، كاتب الإنشاء في ديوان صلاح الدين، مضت ترجمته.

(٢) ابن مماتي: أبو المكارم اسعد بن مهذب الملقب بالخير ابن مينا بن زكريا بن مماتي، كان نصرانياً فأسلم، ورتب ناظر الدواوين المصرية، وكان أديباً شاعراً، نظم سيرة صلاح الدين، وكليلة ودمنة وله: الفاشوش في أحكام قراقوش ومصنفات أخرى كثيرة، توفي سنة ٦٠٦هـ: وفيات الأعيان ١/ ٢١٠ ومعجم الأدباء ٢/ ٤٠٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٨ وخريدة القصور قسم شعراء مصر ١/ ١٠٠ وشذرات الذهب ٥/ ٢٠، والوافي بالوفيات ٩/ ١٩.

فقلت لها: أنا رجل فقير، وهؤلاء الأشراف لا يطاقون وأخاف أن ينكسر الطيلسان في قلعه، ولا نصيب شيئاً فاتعجّل الغرامة، ومنعتها منه بكل حيلة، ثم رأت المنام بعينه مرةً أخرى، وجريت على العادة في الامتناع، ثم رأت المنام ثالثاً، وكأنه يقول لها: أنتم محرومون، وما مضت أيام يسيرة حتى أحرقت مصر، فما شعرت إلاّ وجماعة كبيرة من السودان قد هجموا الدار، وقصدوا البادهنج فقلعوا الطيلسان واستخرجوا من تحته سماوية نحاس يكون فيها قدر مائة ألف /٧٦/ دينار، فأُغمي عليّ وكدت أقتل نفسي غيظاً لما فاتني من الغنى، وسألتهم أن يعطوني ولو مائة دينار فما فعلوا، وخرجوا كأنهم دخلوا دارهم، وأخذوا مالهم.

وقال ابن مماتي: ومن غريب ما جرى في حريق مصر أن رجُلاً عَمَد إلى برنية[١] الصبر فجعل فيها ألف دينار ليسلم من الريب، فما لبث أن هجم الغوغاء عليه بيته، فلم يكن له هم إلاّ النجاة بنفسه، فتحامل إلى باب زويلة[٢]، فبينما هو قاعد يستريح وإذا ببعض من كان هجم عليه ومعه برنية الصبر، فاشتراها منه بدرهمين، ثم ذهب فاستخرج منها الذهب، واشترى به جميع ما أُخذ له، ولم يزل يضارب فيه حتى نمى وارتزق به.

وقال ابن مماتي: حدثني القاضي الفاضل، قال: كان من أهل مصر رجل وله ابنة مستحسنة، فلما أحرقت مصر ونُهبت أموال أهلها، خرج إلى البرّ الغربي، وسكن في بعض الضياع، وقعد في حَانوت، واتفق لنائب القطع أن رأى الابنة، فهويها وتعلق قلبه بها، فضيّق عليها، وتعرض لها، فما ظفر بمقصوده، وخطبها من أبيها فما رضى أن يكون زوجاً لها، فتسلّط عليه وقصده وآذاه، ولم يزل يدقق عليه الحيل إلى أن كتب عليه وثيقةً بعشرة دنانير إلى أجلٍ مسمّى، وقدّر أنها تتعذّر عليه، فيجد السبيل إلى أخذ البنت. قال: فلما كان في اليوم الذي يجب عليه فيه المبلغ وقد أيس الرجل من نفسه، وأيْقَنَ بالشرّ جاء إليه شاب فاشترى منه بدرهم عسلاً، وانثنى عنه، فسقطت منه خرقة مشدودة، فأخذها وحلّها فوجد فيها عشرة دنابير، فأخفاها معه، وقال: أُخلص بها نفسي من هذا الظالم، واجتهد في تحصيل العوض وإيصاله إلى صاحبها، فما كان غير ساعة حتى حضر عليه الخصم وطالبَهُ ورفعه إلى القاضي، فأعطاه العشرة دنانير التي وَجَدَها، وأخذَ الشهادة عليه بها، وعاد إلى حانوته، وقد كفاه الله ما كان

---

(١) البرنية: إناء واسع الفم من الخزف أو زجاج ثخين.

(٢) باب زويلة: زويلة محلة بالقاهرة (ياقوت ـ زويلة).

يخشاه من آذاه، /٧٧/ فما استقر جالساً حتى جاء إليه الشاب الذي وقعت منه الخرقة، وقال: اجعلني في حِلّ فأنني كنت اشتريت منك العسل ووقعت مني خرقة فيها عشرة دنانير، فظننت أنك أخذتها، ولما جئت إليك وجدتها الساعة مرميّةً في طريقي، فعجب الرجل، وحضر الخصم فقال له: اجعلني في حل فقد تبت إلى الله من الظلم، والذهب الذي أخذته منك وقع مني لأنه كان حراماً، وكنت فيه ظالماً، فأقبل الرجل على شكر الله تعالى وذكره، وشاع في أهل الناحية أن الله سبحانه وتعالى أعانه على ما فكَّ به نَفْسَهُ، ثم أعاده إلى صاحبه عنايةً منه بهِ.

وكانت وفاة العاضد سنة سبع وستين وخمسمائة.

[١٦]

ذكر دولة الزيدي، القائم بالكوفة
وهو أبو عبد الله محمد بن محمد[١] بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أقامه أبو السرايا بالكوفة بعد ابن طباطبا[٢]، وأقامه على منبر الخلافة خاطبا، غَلَبَ على الكوفة وسوادها، واستوسق له أمر رعيتها وأجنادها، وقام أبو السرايا ينفّذ الأمور بأمره، ويعمل لمكائد الحرب جهة فكره، ثم إن الحسن بن سهل لما بلغه هزيمة زهير، وعزيمة أبي السرايا على قذفه بموج الضير، جهّزَ إليه جيشاً أمّر عليه عبدوس بن محمد[٣]، وأمره بقتاله، فأقبل حتى نزل الجامع، قريب الكوفة، وزحف إليه أبو السرايا، واقتتلوا قتالا شديداً، فأُسر عبدوس، وقُتل جميع من كان معه[٤]، وأحْضر أبو السرايا عبدوس، وضرب عنقه، وملك جميع ما كان معه وفرّقه، ثم أقبل

---

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، خرج مع أبي السرايا، واختير خلفاً لمحمد بن إبراهيم طباطباً، وكان شاباً أمرداً شجاعاً فصيحاً، أسر مع أبي السرايا وحمل إلى الحسن بن سهل وكان مقيماً بالنهروان فأرسله إلى المأمون في خراسان فأمر له بدار فأسكنها مدة يسيرة ثم دست إليه شوية سم فمات.
انظر: مقاتل الطالبيين ص٥٤٢ وما بعدها وتاريخ الطبري ٨/ ٥٣٤ وعمدة الطالب ص٢٩٩ وأنساب الأشراف (تحقيق محمود الفردوس العظم) ٢/ ٥٤٨ ونهاية الأرب ٢٥/ ٧٣.

(٢) ابن طباطبا هو محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الحسني، مضت ترجمته وأخباره.

(٣) عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروروذي، قاتلة أبو السرايا وقتله وانتهب عسكره انظر: تاريخ الطبري أحداث سنة ١٩٩هـ.

(٤) كان عبدوس في أربعة آلاف فارس على ما ذكر الطبري، تاريخه ٨/ ٥٣٠.

أبو السرايا حتى نزل قصر ابن هبيرة، وبث عساكره إلى البصرة وواسط ودخلوهما، واستباحوهما، فوجّه إليه ابن سهل هرثمة بن /٧٨/ أعين[١] في جيش عظيم، وبلغ أبا السرايا قدوم هرثمة، فسار بمن معه حتى نزل صرصر[٢]، وجاء هرثمة حتى نزل من العدوة الأخرى والنهر بينهما، وكان علي بن سعيد[٣] معسكرا بكلواذى[٤]، فخرج منها ثاني شوال، فقاتل أصحاب أبي السرايا وهزمهم، ورجع أبو السرايا إلى قصر ابن هبيرة، وهرثمة في أتباعه فأدرك جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم، وبعث رؤوسهم إلى الحسن بن سهل ثم نزل على أبي السرايا في قصر ابن هبيرة، فقاتله وقتل كثيراً من أصحابه، فلما رأى أبو السرايا أنه لا طاقة له بهرثمة خرج إلى الكوفة فدخلها، وقد كان هذا الزيدي[٥] ومن معه من العلويين قد وثبوا على مَنْ بالكوفة من العباسيين ومواليهم فنهبوهم وأحرقوا ديارهم بالنار وجلوهم عن الكوفة، وأتوا أُموراً قبيحة، ثم إن أبا السرايا لما دخل الكوفة وجّه حسين الأفطس[٦] الآتي ذكره إلى مكة ليقيم للناس الحج، ثم إن ابن هرثمة ناشب أبا السرايا الحرب بقرية شاهي حيث حاربه زهير[٧] بن المسيب، فدارت الهزيمة أول النهار على هرثمة ثم دارت آخره على أبي

---

(١) هرثمة بن أعين، من القادة الشجعان، ولي مصر للرشيد، ثم نقله إلى خراسان، ولما كانت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون. وكان قد خرج من بغداد مغاضباً للحسن بن سهل متوجهاً إلى خراسان فاضطر الحسن إزاء هزيمة جيوشه أمام أبي السرايا أن يبعث إليه ويترضاه، وكان قد وصل حلوان ـ فعاد إلى بغداد. انظر تاريخ الطبري ١٦/ ٥٣٠ وما بعدها.

(٢) صرصر: قريتان في سواد بغداد، صرصر العليا وصرصر السفلى، وهما على ضفة نهر عيسى (ياقوت ـ صرصر).

(٣) في تاريخ الطبري: علي بن أبي سعيد، قال: وأمر الحسن بن سهل عليّ بن أبي سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة.

(٤) كلواذى، طسوج قرب بغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها، بينها وبين بغداد فرسخ واحد (ياقوت ـ كلواذا).

(٥) يُريد به محمد بن محمد بن زيد: قال الطبري: فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبيين على دور بني العباس ودور مواليهم واتباعهم بالكوفة فانتهبوها وخربوها وأخرجوهم من الكوفة (تاريخه ٨/ ٥٣١).

(٦) حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما في تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٠ وهو في مقاتل الطالبيين ص٥٣٣: الحسن بن الحسن الأفطس، وكان الحسين الأفطس اجتمع مع محمد بن جعفر العلوي الخارج بالمدينة فيما بعد وقاتل معه، ثم استسلم محمد بن جعفر وحمل إلى خراسان ومات هناك. انظر مقاتل الطالبيين ص٥٤٠.

(٧) زهير بن المسيب الضبي، من قواد الدولة العباسية، كان مع المأمون في حربة على الأمين ثم استعمله الحسن بن سهل على جوخى، فلما قامت الفتنة على الحسن بن سهل في بغداد أخذ زهير وقتل ذبحاً سنة ٢٠١هـ (انظر تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير (أحداث سنة ٢٠١).

السرايا، فقتل أصحابه وفلّ عزمه، ودخل هرثمة الكوفة ليلة الأحد السادسة عشر من المحرم، ومضى أبو السرايا هارباً إلى القادسية، ولم يتعرض هرثمة لأهل الكوفة بمكروه، بَلْ آمنهم، وأقام بالكوفة يوم الأحد إلى العصر، وخرج إلى عسكره واستعمل عليها غسان بن الفرج[١] فنزل إلى دار أبي السرايا، ثم توجه إلى السوس[٢]، فنزل بها، وأقام بها أربعة أيام، وأعطى الجند أرزاقهم ألف للفارس وخمسمائة للراجل، فلما كان اليوم الرابع أتاه من الحسن بن علي المعروف بابن المأمولي[٣] أن أخرج من عملي، فأبى أبو السرايا إلا قتاله، فتقاتلا، فأنهزم أبو السرايا واستبيح عسكره، وجُرح جراحاً كثيرة ففرّ يريد رأس العين[٤] فأخذه حماد الكندغوسي[٥] بجلولاء[٦]، وأخذ معه رجلين من أصحابه، أحدهما /٧٩/ محمد بن محمد الزيدي، والآخر رجل يقال له أبو الشوك[٧]، وحملهم إلى الحسن بن سهل، فأمر بضرب عنق الزيدي، فضربت عنقه[٨] بالنهروان يوم الخميس عاشر ربيع الأول سنة مائتين، فكانت مدته ثمانية أشهر وعشرة[٩] أيام، ثم قدَّم بعده أبا السرايا ليضرب عنقه، فجزع جزعاً شديداً، واضطرب اضطراباً عظيماً، ثم ضربت عنقه، وبعث

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٤: غسان بن أبي الفرج، أبو إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان.
وهو ابن عم الفضل بن سهل، ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل، ثم ولاه المأمون السند، مات ببغداد سنة ٢١٦هـ، انظر: كتاب بغداد لطيفور ص٣٤، ١١٥ وتاريخ الطبري حوادث سنة ٢٠١-٢١٦.

(٢) السوس: من كور الأهواز، وهي بالفارسية شوش (الروض المعطار ص٣٢٩).

(٣) الحسن بن علي المعروف بالمأمولي، من أهل باذغيس، ولاه المأمون البصرة فأخرجه عنها الزيديون، ثم صار على كور الأهواز. تاريخ الطبري في مواضع متفرقة من الجزء (٨).

(٤) رأس العين، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، فيها عيون كثيرة متفرقة تجتمع في مكان لتشكل نهر الخابور (ياقوت - رأس العين).

(٥) اسمه في تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٤: الكُنْدُغُوش، وهو أحد ولاة المأمون، ولاه ناحية خراسان، قاتل أبا السرايا وتغلب عليه وأسره وأرسله إلى الحسن بن سهل.
انظر كذلك مقاتل الطالبيين ص٥٤٨.

(٦) جلولاء: من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ (ياقوت - جلولاء).

(٧) أبو الشوك، غلام أبي السرايا كما في الطبري والمقاتل.

(٨) كذا في الأصل: وهو وهم من المؤلف. فقد ذكرت مصادر خبره أنه حمل إلى خراسان، فأقيم بين يدي المأمون، وكشفوا رأسه فجعل المأمون يتعجب من حداثة سنه، ثم أمر له بدار فأسكنها، وجعل له فيها فرشاً وخادماً، فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل وأقام على ذلك مده يسيرة ثم دست إليه شربة سم فكان يختلف كبده وحشوته حتى مات. (انظر مقاتل الطالبيين ص٥٤٩).

(٩) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٥ وكامل ابن الأثير ٥/ ١٧٧: وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر وسيذكر المؤلف بعد قليل أن أيامه عشرة أشهر.

برؤوسهما إلى المأمون وحملت أجسادهما إلى الجسر فصلبا على الجسر، فكانت أيامه عشرة أشهر.

[١٧]

ذكر دولة محمد[(١)] بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ويكنى بأبي عبد الله. بويع بمكة في ربيع الآخر سنة مائتين.

لما زاد اجتراء الحسين بن الحسن الأفطس ابن علي بن الحسين بن (علي)[(٢)] بالناس، وافتراء مَنْ حوله من سفالة الأجناس، وكان هذا محمد بن جعفر شيخاً صالحاً فاضلاً، عالماً يحدث عن أبيه، وقد روى من منهله، وتضوّا بكوكبه، وكان قد تأبّى وامتنع، حتى ألزمه بها بنوه وأهله، ومن ملّ سيرة الجور، وغلب عليه ابنه علي، وما كان كأبيه، ولا له مثل هدية، وكان من حوله من ذوي قرابته من يبعد بينه وبينهم تباين الأخلاق، ثم إن الحسن بن سهل أغزاه جيشاً عليه إسحاق[(٣)] بن موسى العباسي، فخندق محمد بن جعفر على مكة، وحشد الأعراب، وقاتلهم إسحاق بن موسى أياماً، ثم كره قتالهم فرحل عائداً إلى العراق، فلقيه ورقاء بن جميل في أصحابه وأصحاب الجلودي[(٤)] فقالوا له: ارجع ونحن نكفيك قتالهم، فرجع معهم حتى نزلوا المشاش[(٥)] وجمع محمد بن جعفر جمعه ونهد لهم إلى بئر

---

(١) محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من أعيان الطالبيين وعلمائهم وزهادهم وشجعانهم، وكان قد بويع له بالخلافة بمكة وسمي بأمير المؤمنين، وكان شيخاً صالحاً محبباً إلى الناس، فقاتله إسحق بن موسى العباسي وعيسى الجلودي وهزموه، فأرسل يطلب الأمان وخلع نفسه، فسيّر إلى المأمون، فأكرمه واستبقاه معه إلى أن توفي بجرجان سنة ٢٠٣هـ.
انظر: تاريخ الطبري (أحداث سنة ٢٠٠هـ) وكامل ابن الأثير ٥/ ١٧٧ ومقاتل الطالبيين ص٥٣٧.

(٢) (ساقطة من الأصل).

(٣) إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي، كان على اليمن من قبل المأمون، ولما سمع بخروج إبراهيم بن موسى بن جعفر من مكة يريد اليمن سنة ٢٠٠هـ انصرف عنها وخلاها له وكره قتاله. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٦.

(٤) عيسى الجلودي، من ولاة العباسيين، كان أمير مكة أيام خروج محمد بن جعفر الصادق ثم ناب عن عبيد الله بن طاهر في أمرة مصر سنة ٢١٢هـ. وأصلح أحوالها، وعزل سنة ٢١٤هـ وهي سنة وفاته انظر الولاة والقضاة ص١٨٤ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٤ و٢٠٨.

(٥) المشاش: يتصل بجبال عرفات وجبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وعظائم قنيّ منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل إلى مكة (ياقوت ـ المشاش).

ميمونة[١]، وتلاقوا، ثم انهزم محمد بن جعفر، وجمع جمعاً زحف به إلى المدينة المشرَّفة، فخرج إليه وإليها هرون بن المسيب، فاقتتلوا فاصيبت عين محمد بن جعفر بنشابه، فكرّ راجعاً إلى مكة، واستأمن إلى / ٨٠/ وإليها عيسى بن زيد الجلودي ابن عم ابن سهل، فأمنه، وصعد المنبر، فخلع نفسه وبايع المأمون، ثم خرج الجلودي إلى العراق، فأسلمه إلى الحسن بن سهل وكان آخر العهد به[٢].

[١٨]

ذكر دولة الزنجي[٣]

وعزيزٌ عليّ والله أن أذكره في هذا النسب الشريف، وإن كان من الشيء في هذا البيت فهو الكنيف، حاش لله أن يكون هذا الرجل من أولئك أوْ يعدّ فيهم، إلاّ كما يُعد إبليس في الملائك. عجباً لهذا القُعدة بالأرض كيف يطول، وكيف هذا الرجل من أهل البيت والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤].

أما هو فادعى أنه علي بن محمد بن جعفر بن الحسن بن طاهر بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٥]، ويكنى أبا الحسن. وقال نسابتهم: إنه من العباس بن علي[٦]

---

(١) كذا في الأصل، وهو بئر ميمون نسبةً إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي حفرها بأعلى مكة في الجاهلية (ياقوت ـ بئر ميمون).

(٢) كذا ورد. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٠ ومقاتل الطالبيين ص٥٤١ أن الحسن بن سهل ارسله مع رجاء بن أبي الضحاك إلى المأمون في خراسان، فمات هناك، فلما أخرجت جنازته دخل المأمون بين عمودي السرير فحمله حتى وضعه في لحده، وقال: هذه رحم مجفوّة منذ مائتي سنة، وقضى دينه وكان عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار. وانظر كذلك تاريخ بغداد ٢/ ١١٥ وكامل ابن الأثير ١٧٨/٥ ومقاتل الطالبيين ص٥٤١.

(٣) علي بن محمد الورزنيني، صاحب الزنج الذين خرج بهم أيام المهتدي العباسي سنة ٢٥٥هـ فالتف حوله أهل البصرة ورعاعها، فامتلكها واستولى على الابلّة، ونزل البطائح وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، واتخذ لمقامه قصراً بالمختارة وتتابعت عليه الجيوش فلم تنل منه حتى ظفر به الموفق بالله في أيام المعتمد بعد قتال مرير فقتله وبعث برأسه إلى بغداد. سنة ٢٧٠هـ وفي نسبه طعن، انظر: تاريخ الطبري أحداث ٢٥٥ـ٢٧٠هـ من الجزء التاسع، وكامل ابن الأثير في مواضع متفرقة من الجزئين ٥و٦ وابن خلدون ٤/ ١٨ ونهاية الأرب ٢٥/ ١٠٣ـ١٨٦.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) كذا ورد نسبه وهو في مصادر أخباره إنه زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٤١٠ وكامل ابن الأثير ٥/ ٣٤٦ ونهاية الأرب ٢٥/ ١٠٤ وانظر فيما قيل بنسبه عمد الطالب ص٢٩١.

(٦) في تاريخ الطبري ٩/ ٤١٠: أنه شخص من سامراء سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين، فادعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب.

عليه السلام، والصحيح أنه من عبد القيس[١]، ولا يبعد أن يكون من ولد الشيطان الرجيم وإبليس الأثيم لفعله الذميم وعقله السقيم، راصَدَ الله بكلّ مرصد، وعقد الخلاف للقرآن في كل مقصد، وأراد مناقضة الاسلام، ومناقلة المشرِّع عليه أفضل الصلاة والسلام، وشبَّ لهذهِ الأمة ناراً على كل ثنية وصبّ إلى كفران هذه الملّة كل عقدٍ ونيّة، وقعد كالشيطان للدين صراطه المستقيم، واقتحم باتباعه نار الجحيم، فله في الدنيا خزي، وله في الآخرة عذاب عظيم. فكبكب فيها، هو والغاوون وجنود إبليس أجمعون، أضلَّ جيلاً كثيراً، وظلَّ للبلايا مثيرا، وأصله من قرية[٢] من أعمال الري، ومولدهُ بطرستان، ثار على المهتدي[٣] سنة ست وخمسين ومائتين[٤]، وكان يرى رأي الأزارقة[٥]، ويستبيح الدماء والأموال والفُروج ولا يُردّ القتل عن صغير ولا كبير، ولا بهيمة. ويرى الذنوب كلّها شركاً، ويلعن المتشرِّف بالادعاء إليه عليّاً عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان / ٨١/ وعائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير وكل مَنْ شهد الجمل وصيفن، ويتعدى هذا إلى جميع الصحابة رضي الله عنهم، ثم يتعرض إلى الجناب الشريف زاده الله شرفاً، ويتعرض في أمور، وكان أموره وقيامه في اثني عشر رجلاً من الزنج كانوا يعملون في غابة البصرة نفوسهم[٦]، وانضاف إليه أهل الفساد، وكان بالبصرة ثلاثون ألف جنّان في كل جنان أسود وأسودان وثلاثة وأكثر، فاجتمعوا إليه، فلهذا سمي الزنجي، فتتبع الخلق بالقتل والفتك في الحرمة وافتضاض الأبكار، حتى بلغ القتل مائتي ألف وخلَتْ الديار من أهلها، وتخفّى مَنْ سَلِم في الآبار والسروب، وكانوا يخرجون بالليل يطلبون الكلاب والسنانير ليأكلوها، ومَنْ مات منهم أكله أهله، ومَنْ قدر على أحدٍ قتله، وأكله حتى ان امرأةً قاربت الموت فاستبطأ أهلها موتها، فقطعوها وأكلوها، فخرجت أختها برأسها تغسِّله في الفرات فقيل لها: ما هذه الرأس؟ فقالت: رأس أُختي، أهلي ظلموني ولم يعطوني منها إلاّ هذه الرأس، ومن مثل هذا كثير.

قال الشريف الغرناطي: وكانت المرأة الشريفة من ذرية الحسن أو الحسين أو

---

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٤١٠ كان اسمه فيما ذكر: علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس انظر كذلك كامل ابن الاثير ٥/ ٣٤٦ ونهاية الارب ٢٥/ ١٠٤.

(٢) يقال لها ورزنين (تاريخ الطبري ٩/ ٤١٠).

(٣) الاصل: المهدي. والتصويب عن مصادر الخبر.

(٤) الذي عليه المؤرخون أنه ابتداء خروجه كان في سنة ٢٥٥هـ.

(٥) الأزارقة فرقة من الخوارج تنتسب إلى نافع بن الأزرق.

(٦) كذا في الاصل.

العباس يُنادى عليها في السوق: هذه فلانة الحسنية أو الحسينية أو العباسية بدرهمين أو بثلاثة، فيشتريها الزنجي برسم النكاح، وكان الزنجي الواحد يكون له من هذه النسيبات الشريفات نحو العشرة والعشرين والثلاثين والأقل والأكثر يخدِمْنَ الزنجيات، فجهز المعتمد[1] لحربه جيشاً كثيفاً مع قائد اسمه مُفْلح[2]، فقاتله قتالاً كثيراً فظهر مفلح عليه، ثم أصاب سهم صُدغ مفلح فقتله، ثم جهز المعتد أخاه الموفق[3] في جيش آخر، فقاتله مراتٍ وواقفه مواقفاً كثيرة، وأصاب الموفق سهم في صدره، فكتمه أياماً، وعالجه حتى أَخَذَ في البرء، ثم خرج لمحاربة الزنجي، ولم يزل الموفق إلى أن قتله في صفر سنة سبعين ومائتين، وكانت مدة هذا الزنجي الخبيث /٨٢/ أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وأُدخل رأسه بغداد في جماد الآخرة من هذه السنة واراح الله من كفره وفتنته وطائفته اللعينة وفتنهِ. واختلف الناس في مقدار ما قتل في مدة فريه، فمنهم المكثر والمقلل. قال الغرناطي: فأما المقل فقال أفنى خمسمائة ألف ألف وخمسمائة ألف، وأما المكثر فقال: أفتى ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى فسبحان الحكيم الذي له في كل مقدر حكمة قد تلتبس على البصير وتتعمّى، وكل شيء عنده إلى أجلٍ مسمّى لا إله إلا هو عليه توكلنا وإليه المصير.

ذكر دولة القرامطة[4]

وأولهم:

---

(١) أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل ولد بسامراء سنة ٢٢٩هـ وبويع بالخلافة سنة ٢٥٦هـ انظر: مختصر التاريخ لابن الكازروني ص١٦١.

(٢) له أخبار متفرقة في الجزء التاسع من تاريخ الطبري (انظر الفهرس).

(٣) الموفق بالله، طلحة بن جعفر المتوكل، أمير عباسي من الشجعان العقلاء ذوي الحزم، ولي عهد أخيه المعتمد الذي ضعف عن القيام باعباء الدولة فتولاها الموفق فصد غارات الطامعين بالملك، وحجر على أخيه، وحارب الزنج وانتصر عليهم، توفي أيام المعتمد سنة ٢٧٨هـ.
وأخباره كثيرة في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير. وانظر النجوم الزاهرة ٣/ ٧٩ وتاريخ بغداد ٢/ ١٢٧.

(٤) القرامطة فرقة ظهرت أولاً بسواد الكوفة وتنسب إلى قرمط وتدعو إلى إمامة اسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، واختلفوا في اسم قرمط قيل إن اسمه حمدان بن الأشعث وقرمط لقب غلب عليه، دعا إلى مذهبه في الكوفة، وانتشر إلى اجزاء العالم الإسلامي، وقويت في اليمن والبحرين والشام ووصلت إلى مصر، وانتهت كقوة مؤثرة حين اصطدمت بالحملات الصلبيية.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص١٣٧٧. وانظر أخبار القرامطة أيضاً في اتعاظ الحنفا ١/ ١٥١ وتاريخ الطبري ١٠/ ٢٣ أحداث سنة ٢٧٨هـ وكامل ابن الأثير ٧/ ٩٢ وما بعدها، وهو ينقل نصوصه عن تاريخ الطبري ونهاية الأرب ٢٥/ ١٨٧ وهو ينقل عن ابن الأثير بتصرف والنجوم الزاهرة ٣/ ١٣٨ وابن خلدون ٤/ ١١و٨٤ والمنتظم ق٢ج٥ص١١٠.

[١٩]

زكرويه قرمط[١]

وهم أضرّ طائفة خرجت على بني العباس، بل شرّ دولة خرجت للناس، أَخَذَهم الله بمكرهم، وواخذهم بكفرهم، ولكن بعد حروب شمَّرت عن ساقها، وأثْمرت برؤوسٍ لم تتصل بأعناقها، ثم الكفرةُ الملاعين، والأعادي الطواعين، بئس الملّة، وسوس الأمة، كانوا على ذهاب هذه الملّة أحرص من خوافي النمل، وفي تعطيل منابتها اشدَّ من سوافي الرمل، ما زالوا في مسارب الملك كالأفاعي ساعين، وإلى غير كلمة الحق كالنواقيس داعين، والصقوا بهذا البيت الطاهر[٢]، دعوتهم، وألقوا في هذا الفناء الشريف عقوتهم[٣] وبينهما من البون مثل ما بين الفساد والكون، وإنما ذكرهم هنا لادعائهم كما ذكرت الزنجي. على أنهما كسراب بقيعة، أو كظلمات في بحر لجي.

كان ظهور هؤلاء بسواد الكوفة سنة ثمان وتسعين[٤] ومائتين، في السنة التي مات فيها الموفق، اسمه الفرج زكرويه بن يحيى ويُدعى بقرمط[٥]، أصله من بصرى الشام، وإنما قال الخراساني، ويكنى بأبي زكرياء منهم بالنهروان[٦] فأظهر الزهد

---

(١) خَلَط المؤلف بين قرمط وزكرويه واعتبرهما واحداً. أما قرمط فاسمه على الاغلب حمدان بن الأشعث، وهو الذي سكن سواد الكوفة ونجح في استقطاب الناس إلى دعوته وأما زكرويه فهو على ما ذكرته المصادر زكرويه بن مهروية. احد دعاة قرمط وخليفته، احتجب مدة حين تحرج موقفه من أنصار عبدان الذي اغتاله زكرويه، ثم ظهر وحارب جيوش المقنفي العباسي، وأرسل ابنه داعيا إلى الشام فنجح في دعوته حتى إنه حاصر دمشق وستأتي أخباره، وأما زكرويه فقد قتل في معركة وقعت بالقرب من خفان من أعمال القاسية.

انظر: تاريخ الطبري في مواضع متفرقة من الجزء العاشر، وكامل ابن الأثير في مواضع متفرقة من الجزء السابع، والموسوعة العربية الميسرة ص ٩٢٥.

(٢) يريد به البيت العلوي، إذ كانوا يدعون إمامة اسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وفي بعض المصادر أن زكرويه ادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، فقيل له: لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يقال له عبد الملك، فكفّ عن هذه الدعوى. انظر: اتعاظ الحنفا.

(٣) في الأصل: قعولهم، والعقوة الموضع المتسع أمام الدار أو الملة، أو حولهما، ويريد بعقوتهم، موضع نزولهم.

(٤) كذا في الاصل، والصواب: سنة ثمان وسبعين ومائتين، وهي السنة التي مات فيه الموفق وابتدأ ظهور القرامطة. (انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٢٣).

(٥) كذا في الأصل، وزكرويه غير قرمط، وإنما اختلف المؤرخون في اسم قرمط، قال بعضهم إنه حمدان. أما زكرويه فهو أحد دعاته وخليفته كما قدمت. انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٢٣.

(٦) كذا في الأصل وفي العبارة غموض.

والتقشف، وأكثر الصلاة، وكان يأكل من عمل يده. وإذا جلس إليه إنسان زهّدَهُ في الدنيا، وأعْلَمَهُ إن المفترض عليه خمسون صلاة في اليوم والليلة / ٨٣/ وإنه يدعو إلى إمام من أهل البيت، فٱستهوى خَلْقاً كثيراً، وكانت لرجل معروف يقال له الهَيْصم[١] ضياع. فأُعْلِمَ أن القائمين عليها اشتغلوا عنها برجلٍ صفته كذا ويقول كذا. وأخبر خبر الرجل، فسار إليه وأخذه، وحلف ليضربنّ عنقه، ثم جعله في بيت، ورمى عليه قفلاً، وألقى المفتاح تحت وسادة، وشرب، فلما سكر ونام أَخَذَتْ جاريتُه المفتاح وفتحت البيت وأخرجت الرجل وأَطْلَقَتْهُ، وردّت المفتاح في موضعه، فلما قام من سكره وفتح البيت فلم يجد الرجل فأَصابه وَهْمٌ وقال: هذا الرجل صالح، وأشاع الأمر، فتسارع[٢] الناس إلى الرجل، فعظم شأنه، واستفحل أمْرُهُ، وصنع لهم ديناً وقرآناً أوْحاه إليه شيطان، ومما تضمنه قرآنه[٣]: يقول: الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها بصرى[٤]، إنه داعية المسيح عيسى ابن مريم وهو الكلمة وهو المهدي، وهو أحمد[٥] ابن محمد ابن الحنفية، وهو جبريل، وأنّ المسيح تصوّر له في صورة إنسان، فقال له: أنت الداعية، وأنت الحجة[٦] وأنت روح القدس، وأنت يحيى بن زكرياء وإن الصلاة ركعتين[٧] قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبهما، وأن الأذان[٨]، الله أكبر الله أكبر أربعاً، أشهد أن لا إله إلا الله أربعاً[٩]. أشهد أن محمداً رسول الله أربعاً، أشهد أن موسى رسول الله أربعاً، أشهد أن (عيسى)[١٠] رسول الله أربعاً، أشهد أن محمد ابن الحنفية رسول الله أربعاً[١١]، والقراءة في الصلاة بسورة

---

(١) انظر خبره في تاريخ الطبري ١٠/ ٢٤ ونهاية الأرب ٢٥/ ١٨٨، وكامل ابن الأثير ٧/ ٦٩.
(٢) في الأصل: فشاع.
(٣) انظر نص الرسالة في تاريخ الطبري ١٠/ ٢٥، وكامل ابن الأثير ٧/ ٧٠.
(٤) كذا في الأصل: وفي تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير: نصرانة.
(٥) في عمدة الطالب ص٣٥٣: إن محمد ابن الحنفية لم يعقب إلا من رجلين هما علي وجعفر ولم يرد اسم أحمد في أولاده.
(٦) في الطبري: وإنك الحجة. وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك روح القدس.
(٧) كذا والصواب: ركعتان، وفي الطبري واتعاظ الحنفا: وإن الصلاة أربع ركعات، واثنان قبل.
(٨) في الطبري: وأن الأذان في كل صلاة أن يقوى.
(٩) في الطبري: مرتين.
(١٠) الزيادة عن كامل ابن الأثير ٧/ ٧٠ ونهاية الأرب ٢٥/ ٢٢٦ واتعاظ الحنفا ١/ ١٥٣.
(١١) في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ونهاية الارب: اشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحاً رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن أحمد بن محمد ابن الحنفيةّ رسول الله.

الافتتاح[١] المنزلة على محمد ابن الحنفية[٢]، وهي: الحمد لله بكلمته، تعالى باسمه المستمد[٣] لاوليائه والأهلّة مواقيت للناس ظاهرها لتعلموا عدد السنين والحساب، وباطنها لأوْليائي الذين عرفوا عبادتي[٤]، واتقونِ يا أولي الألباب، فأنا الذي لا أسأل عما أفعل، وهُم يُسألون، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلوا عبادي وأمْتَحن خلقي، فمن صبر في بلائي ومحنتي واختياري ألقيته في جنَّتي، وأدخلته في نعمتي، ومَنْ مال عن أمري وكذب رسلي ألْقيته[٥] مهاناً في عذابي، وأنا الذي أتممتُ أَجَلي، واظهرت أمري على ألْسنة رُسُلي، وأنا الذي لم يعلُ عليَّ جبار إلا وَضَعْتُه، ولا عزيزاً إلاّ اذْلَلْتُه، وليس / ٨٤/ مثوى[٦] الذي أصرّ على أمره، ودام على جهالته، وقال: لن نبرح عليه عاكفين إلاّ في النار أولئك هم الكافرون. ثم يركع فيقول في ركوعه سبحان رب العزة تعالى الله عما يقول[٧] الظالمون يقولها مرتين. ثم يسجد فيقول في سجودِهِ: الله أعظم، الله أعظم[٨] يقولها مرتين، ومن أحكامهم أن القبلة إلى بيت المقدس، وإليه حجّهم. وإن الصيام يومان في السنة، وهما يوم النيروز[٩] ويوم المِهرجان[١٠]، وأن لا غُسْل من الجنابة إلا الوضوء فقط، وإن الخمر والزنا واللوط حلال، والنساء كلّهن أمهات وبنات وأخوات حلال.

وبويع هذا زكرويه بأنه الخليفة القائم بالحق سنة ثمان وسبعين ومائتين[١١] ويسمى القائم بالحق، وكان يرى رأي الخوارج الأزارقة، يلعن الصحابة ويرى قتل المسلمين رجالهم ونساءهم وصبيانهم وشيوخهم وزمناهم، فعتا في الأرض وسفَكَ

---

(١) في المصادر المذكروة: الاستفتاح.
(٢) في المصادر المذكورة: أحمد ابن محمد ابن الحنفية.
(٣) في الطبري: المتخذ، وفي نهاية الأرب: المنجد.
(٤) في تاريخ الطبري: عرّفوا عبادي سبيلي.
(٥) في الطبري واتعاظ الحنفا: أخْلَدتُه.
(٦) لم ترد في المصادر المذكورة.
(٧) في الطبري: يصف.
(٨) في الطبري والمصادر الأخرى: الله أعلى الله أعلى، الله أعظم الله أعظم.
(٩) النيروز أو النوروز لفظ فارسي معرب، ومعناه اليوم الجديد، وكان الفرس يتخذونه عيداً لهم، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ـ ٢١ آذار ـ وفي المقريزي: أن القبط كان يحتفلون به أول السنة القبطية، كما ذكر أن الفاطميين كان يحتفلون به عيداً من أعيادهم.
(١٠) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة، وهو أول نزول الشمس في برج الميزان.
(١١) الذي عليه المؤرخون أن أمر القرامطة ظهر في هذه السنة أيام قرمط، ولم يكن زكرويه إلا داعياً من دعاته.

الدماء، وسبى الذرية، ونَهَبَ الأموال، واشتدَّ بلاؤه على المسلمين، وكان يقول لأعوانه وأجناده: من لم يتبعني فاقتلوه، وآسبوا أهله، وكان ابتداء أمره في أيام المعتمد، ثم قاتله جيش المعتضد، فقُتل في حدود سنة أربع وثمانين ومائتين[١].

ثم قام بعده ابنه:

[٢٠]

يحيى بن قرمط[٢]

وكنيته أبو القاسم، وبويع يوم قَتْلِ أبيه، وكان (يرى) قتل الأمة المحمدية كلّها، وسار سيرة أبيه، وأصاب شكلَها وكان هو وشياطينه المرَدَةُ في الأرض، وعقاربه الممدّدة في البلاد، إذا علوا على قرية قتلوا أهلها حتى البهائم كالحمير والقطط والكلاب، وحاصر دمشق فصالحه أهلها على مالٍ يؤدونه، وأيّ أمرٍ جاءه منهم[٣] يعتمدونه، وكان يقول: لا أشير بيدي إلى ناحية إلاّ فُتِحَتْ، ولا تكرّ جنودي على صفقة بلاد إلاّ خسرت وربحت، فلما ولّى المكتفي خرج إليه في جنوده وعساكره فقتل رجاله، وفرق أحزابه أيدي سبأ، وأخذ اللعين أسيراً وسيق إلى بغداد خاسئاً حسيراً[٤].

ثم قام بعده أخوه:

[٢١]

الحسين بن قرمط[٥]

/ ٨٥/ زكرويه وتلقب بالمهدي وتكنىّ بأبي علي، ثم تسمّى بأحمد بن عبد الله،

---

(١) في نهاية الأرب ٢٥/ ٢٣١ أن زكرويه دبّر قتل عبدان أكبر الدعاة بعد ما تاب، وأن أهل دعوته لم يرضوا قتل عبدان فخافهم زكرويه واستتر سنة ٢٨٦هـ واتخذ مطمورة تحت الأرض وفي سنة ٢٨٨هـ انفذ ابنه الحسن إلى الشام، وإن زكرويه قتل أيام المكتفي سنة ٢٩٤هـ وانظر كذلك تاريخ الطبري ١٠/ ١٣٤.

(٢) وهو يحيى بن زكرويه، قلت أن المؤلف خلط بين زكرويه وقرمط وكان زكرويه قد ارسل ابنه يحيى. فانضم إليه جماعة من كلب وبايعوه سنة ٢٨٩هـ، فقصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد بالله بناحية رصافة غرب الفرات فقتلوه، وصعدوا إلى أعمال الشام (انظر الطبري ١٠/ ٩٥).

(٣) كذا في الأصل، ولعلّه أراد: جاءهم منه.

(٤) الذي أسر وحمل إلى بغداد زكرويه وذلك سنة ٢٩٤هـ كما ذكرت. وأما يحيى ابنه فإنه بعد ما قتل سبْك الديلمي أصعد إلى إعمال الشام التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها وأسند أمرها إلى طغج بن جُفّ، فهزم يحيى عساكر طغج وحصره في مدينة دمشق، فأنفذ المصريون إليه بدراً الكبير غلام ابن طولون، فاجتمع بدر مع طغج على محاربته، فحاربهم يحيى قرب دمشق فقتل على باب دمشق سنة ٢٩٠هـ انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٩٥ ـ ٩٩.

(٥) كذا في الأصل، وهو الحسين بن زكرويه انحاز إليه أصحاب يحيى بعدما قتل، فعقد لنفسه وتسمى =

وتكنىّ بأبي العباس، قاله الطبري[١] بويع بالخلافة بوصيّة أخيه يحيى، وكان شرّاً منه، وكان يقول: أنا المدثر[٢]الذي في القرآن، وحاصر مدينة هجر[٣] أربع سنين إلى أنْ دخلها عنوة بالسيف وقتل منها ثلثمائة ألْف، وعتى في الأرض، يقتل هو وأشياعه يميناً وشمالاً وينكحون الأبكار، ويذبحون النساء والأطفال والشيوخ والبهائم، فقاتلهم المكتفي كرةً أُخرى، فقتلهم، وكسر مهديّهم الضال، وأمسك جماعة من شيعة أهل الضلال. وأدخلهم بغداد مقرنين في الأصفاد والمهدي على فيل ليراه الناس، ثم قطع يديه ورجليه وضرب رقبته ورقاب أصحابه سنة إحدى وتسعين ومائتين. وفي ذلك يقول ابن المعتز يمدح المكتفي، ويذكر جميل فعله، يقول[٤]:

[من مجزوء الرمل]

لا ورمان النهود ... فوق أغصانِ القُدود
وعناقيدَ من أصدا ... غٍ وورْدٍ من خدودِ
وبدورٍ من وجوهٍ ... طالعاتٍ بالسعود[٥]
ورسولٍ جاء بالميـ ... ـعاد من بعدِ الوعيد
وبشيرٍ بوصالٍ ... قد نفى طولَ الصدود
ما رأتْ عينيّ ظبيي ... زارني في يوم عيد
في قباءٍ فاختيّ اللـ ... ـون من لبس الجدود
كلما قاتل جنديٌّ ... بسيفٍ وعمود
قتل الناس بعينين ... وجفنين وجيدِ
قد سقاني الراح من فيـ ... ـه على غيظ الحسود
وتعانقنا كأني ... وهو في عقدٍ شديد

= أحمد بن عبد الله (الطبري ١٠/ ٩٩).

(١) انظر تاريخه ١٠/ ٩٩.

(٢) في الطبري ١٠/ ١٠٨ أن المسمى المدثَر هو ابن عم يحيى بن زكرويه وأنه أسر معه.

(٣) كذا ورد في الأصل، ويبدو أن الأمر اختلط على المؤلف. إذ إن الشام كانت ساحة عمليات يحيى بن زكرويه، أما الذي حاصر هجر وقتل أهلها فقرمطيٌّ آخر هو أبو سعيد الجنابي الذي ظهر بالبحرين وغلظ أمر سنة ٢٨٧هـ فأغار على نواحي هجر، وقرب من نواحي البصرة، وقاتله العباس بن عمرو الغنوي وأسره. انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٧٥ ـ ٧٨.

(٤) ديوان ابن المعز (تحقيق السامراني) ٢/ ٤٧٥_٤٧٧.

(٥) في الديوان:

ووجوه من بدورٍ ... طالعاتٍ من سعود

نـــقـــرع الـــشـــغـــر بـــثـــغـــرٍ	طـــيّـــبٍ عـــذب الـــورود
/٨٦/ مـــرحـــبـــاً بـــالـــمـــلـــك الـــقـــادم	بـــالـــجـــدِّ الـــســـعـــيـــد
يـــا مـــذلّ الـــبـــغـــي يـــاقـــا	تـــل حـــيّـــات الـــحـــقـــود
عِـــشْ وَدُمْ فـــي ظـــلّ عـــ	زٍ خـــالـــدٍ بـــاقٍ جـــديـــدِ
فـــلـــقـــد أصـــبـــح أعـــداؤك	كـــالـــزرع الـــحـــصـــيـــد
ثـــم (قـــد) صـــاروا حـــديـــثـــاً	مـــثـــل عـــادٍ وثـــمـــودِ
جـــاءهـــم بـــحـــر حـــديـــدٌ	تـــحـــت أعـــلام الـــبـــنـــود
فـــيـــه عـــقـــبـــانُ خـــيـــولٍ	فـــوقـــهـــا أُسْـــدٌ جـــنـــودُ[1]
وردوا الـــحـــرب فـــهـــدّوا	كـــلَّ خـــطـــي مـــديـــد
وحـــســـام شـــره الـــحـــد	إلـــى قـــطـــع الـــوريـــد
فـــاحـــمـــد الله فـــإن الـــحـــمـــد	مـــفـــتـــاح الـــمـــزيـــد

ثم قام بعده ابنه:

[٢٢]

أحمد بن الحسين الملقب زكرويه

ويكنى بأبي غانم قام بقرية يقال لها زابوقة[2] من سواد الكوفة، وكان معلماً

---

(١) كذا في البيت إقواء.

(٢) كذلك اختلط الأمر على المؤلف، فلم تذكر المصادر إن أحمد خلف الحسين في قيادة القرامطة، وما ذكره المؤلف هنا هي أخبار زكرويه بن مهرويه: كما في مصادر الخبر، وخلاصة ما ذكروه:
إن زكرويه بعد مقتل ابنه الحسين المسمى بأبي شامه، أنفذ رجلاً كان يعلم الصبيان بالزابوقة (وهي قرية من عمل الفلوجة) يسمى عبد الله بن سعيد، ويكنى أبا غانم، فتسمى نصراً ليعمي أمره، فدار على أحياء كلب يدعوهم إلى رأيه فلم يقبله أحد، سوى رجل استطاع أن يستقوي طوائف من قبيلة كلب، فقصد الشام وسار إلى مدينة بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية فحارب أهلها ثم آمنهم. فلما استسلموا قتلهم وسبى ذراريهم، ثم سار إلى دمشق، وكان العامل على دمشق أحمد بن كيغلغ قد ذهب إلى مصر لمحاربة بعض الخارجين فيها فحارب نصراً بعض من كان بدمشق من المصريين فغلبهم، ودافع أهل دمشق عنها، فذهب نصر إلى طبرية، فقاتلوا عامل أحمد بن كليغلغ وقتلوه ونهبوا الأردن: فوجه سلطان مصر إليهم الحسين بن حمدان، فدخل دمشق، فخطفوا هم نحو السماوة ودخلوا هيت وقتلوا أهلها، ثم رحلوا إلى البرية، ثم إن السلطان انتدب إلى حربهم عدة قادة. فلما أحسَّ الكلبيون بالخطر قتلوا نصراً وانفذوا برأسه إلى بغداد، واقتتل القرامطة بعده وتفرقوا واستأمن بعضهم، ودخل بعضهم الكوفة وأخرجوا زكرويه، وقوتلوا بالكوفة فخرجوا منها نحو القادسية، فوافاهم هناك جماعة من القواد، وجرت معركة مريرة قتل في نهايتها زكرويه. انظر تاريخ الطبري ١٠/١٢٢ـ١٣٨ وكامل ابن الأثير ٦/١١٢.

للصبيان ودعى إلى نفسه، وبايعه خلق كبير، فسار بسيرة أبيه في العتوّ والاستكبار، ثم قُتل[١] وحمل رأسه إلى كنداج[٢] عامل المكتفي سنة أربع وتسعين ومائتين ومن سخافاته وتمويهه وشعوذته وتشبيهه ماكتب[٣] به إلى بعض عماله: من عبد الله أحمد بن عبد الله حسين[٤] المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله العالم[٥] بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حريم الله (المختار)[٦] من ولد رسول الله، أمير المسلمين، وإمام المؤمنين[٧]، ومُذِل المنافقين، وخليفة الله على العالمين، ومبير الظالمين، وقاصم المعتدين ومهلك الملحدين، وقاتل القاسطين[٨] وسراج المتبصرين وضياء المستضيئين[٩] صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين، وسلم كثيراً، إلى جعفر بن محمد[١٠] الكردي، سلام عليك، فإني أحمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على جدّي رسول الله.

أما بعد: فإنه نمي[١١] ما حدث /٨٧/ قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة، وما فعلوه بناحيتك، وأظهروا من الظلم والعنت[١٢]، فأعظمنا ذلك، وأردنا أن ننفذ لك ما هنالك[١٣] من جيوشنا من ينتقم الله (به)[١٤] من أعدائه الظالمين، الذين يسْعَوْن في الأرض فساداً، وقد أنْفذْنا جماعة[١٥] من المؤمنين إلى مدينة حمص وأمددناهم بالعساكر، ونحن في أثرها[١٦]، ونرجو أن يجزينا الله في أعداء الله على أفضل عوائدِهِ

---

(١) انظر خبر قتله في تاريخ الطبري ١٠/ ١٣٤.
(٢) هو محمد بن إسحاق بن كنداج. انظر تاريخ الطبري ١٠/ ١٢٨.
(٣) الرسالة في تاريخ الطبري لأبي شامة الحسين بن زكرويه الذي تسمى باحمد بن عبد الله وقد مضى خبره. انظر: كامل ابن الأثير ٦/ ١١٥ ونهاية الأرب ٥٥/ ٢٥٦.
(٤) حسين: لم ترد في المصادر السابقة.
(٥) في المصادر المذكورة: القائم.
(٦) الزيادة عن المصادر المذكورة.
(٧) في المصادر الأخرى: أمير المؤمنين وإمام المسلمين.
(٨) بعده في الطبري: ومهلك المفسدين.
(٩) بعده في الطبري: ومشتت المخالفين، والقيم بسنة سيد المرسلين، وولد خير الوصيين.
(١٠) في الطبري والمصادر الأخرى: حميد.
(١١) في الطبري: فقد أُنهي إلينا ما حدث..
(١٢) في الطبري والمصادر الأخرى: والعَيْث والفساد في الأرض.
(١٣) في الطبري: أن ننفد إلى ما هنالك من جيوشنا.
(١٤) زيادة عن المصادر المذكورة.
(١٥) في الطبري: وأنفذنا عُطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين..
(١٦) المصادر الأخرى: أثرهم، وبعدها: وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا.

عندنا في أمثالهم. فشدّ قلبك وقلوبَ مَنْ مَعَكَ من أوليائنا. وبادر إلينا بأخبار الناحية كل حين[١] إن شاء الله، سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على جدّي رسول الله وشرَّف وكرم وحيّا وسلّم[٢].

ثم قام:

[٢٣]

الحسن بن بهرام الجنّابي[٣] القرمطي

أبو سعيد، ثار بمدينة الأحساء واستوطنها، وعتى وأفسَدَ، وسفك الدماء، وخرّب البلاد، وأباح قتل كل مَنْ خالف مَذْهَبَهُ، وكان ظهوره سنة ست وتسعين ومائتين وغَلَبَ على بلاد اليمن، وجُبَيتْ إليه الأموال، وكثرت جموعه، وعظُمت جيوشه وأباح الزنا واللواط والخمر، وكان يتعشّق غلاماً خصيّاً، وهو الذي قتله سنة إحدى وثلثمائة، وكانت مدّته ست سنين.

ثم قام ابنه:

[٢٤]

سليمان[٤] بن الحسن بن بهرام الجنّابي، القرمطي

ويكنّى بأبي طاهر، وكان أحد المفسدين في الأرض. وأسْرَع من المقراض في القرض بويع بالأحساء يوم موت أبيه، ثم جدّدت له البيعة سنة سبع عشرة وثلثمائة وكان أظلم وأغشم وأجور وأفسق ممن تقدمه، ولم يزل يطوي البلاد طيّاً يقتل ويسبي وينهب إلى أن صار من بغداد على ستة أميال، فخافه أهلُها ثم رحل فدخل الرحبة

---

(١) في الطبري: وما يتجدّد فيها، ولا تخف عني شيئاً من أمرها.

(٢) في الطبري: وعلى أهل بيته وسلم كثيراً.

(٣) الحسن بن بهرام الجنابي، من أهل جنابة (قرية على الخليج مقابل جزيرة خارك). كان يعمل الفراء، أصله من الفرس، ونزل بسواد الكوفة وأخذ عن دعاة قرمط، ثم سار إلى الطائف داعية فغلظ أمره وتبعه كثيرون، فنزل الأحساء وأخذ هجر، وارسل إليه المعتضد جيشاً فهزمه وأسر قائده سنة ٢٨٩هـ، ولم يزل أمره يتعاظم حتى قتله أحد خدامه سنة ٣٠١هـ، انظر اتعاظ الحنفا ١/١٥٩ وتاريخ الطبري ١٠/١٤٨ ونهاية الأرب ٢٥/٢٣٣ وكامل ابن الأثير ٦/١٤٧ ومرآة الجنان ٢/٢٣٨.

(٤) كان أبو سعيد قد أوصى أن يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر، وكان أبو طاهر أصغر سناً من سعيد، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر، فلما قتل جرى الأمر على ذلك، جلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل أبيه، فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد الأمر إلى أخيه أبي طاهر سليمان.
انظر: اتعاظ الحنفا ١/١٦٥ ونهاية الارب ٢٥/٢٤٤ وانظر أخبار أبي طاهر ٢٤/٢٧٦.

وغيرها من البلاد الفراتية سنة خمس عشرة وثلثمائة، ثم عاود ما وراءه من البلاد فدثرها وأخذ منها /٨٨/ أموالاً عظيمة أوسق[١] منها مائتين من الإبل وأوْقرها، ثم دَخَلَ مكة المعظمة سنة سبع عشرة وثلثمائة[٢]، فقتل في الحرم وجوانب مكة من الحاج وغيرهم زهاء ثلاثين الفاً، واستحرّ القتل في الشعاب وقُنن الجبال وبطون الأودية والظواهر حتى قتل أكثر من مائة ألْف وسبى النساء والصبيان، ورَدَم زمزم بجثث رؤس القتلى، وفرش المسجد بأجسادهم وأخلى جمعاً ومعرّفاً ومكة حتى (كأن) لم يكن من الحجون إلى الصفا، وقف على باب الكعبة وأنشد: [من الرمل]

أنـــــــــا لله ولله أنـــــــــا يـخـلـق الـخـلـق وأُفـنـيـهـم أنـا

وذلك يوم الأحد سابع ذي الحجة، ثم رحل عنها في المنتصف، وحمل معه الحجر الأسود، وقناديل الكعبة، وكانت من ذهب وفضّة وقرن كبش الذبيح وكان مغشّى بالذهب، مكلّلا بالجوهر والياقوت، وميزاب الرحمة، وكان وزنه ثلاثة قناطير من الفضة، والدّرة اليتيمة، وكان وزنها أربعة عشر مثقالاً، وكانت في جوف الكعبة، ثم لم يرجع من ذلك كلّه شيء إلا الحجر الأسود، فإنه أعيد إلى مكانه على ما أشير إليه، وكانت إعادته في خامس ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وكانت مدة غيبته عن البيت الحرام عشرين سنة[٣]. ثم توجّه هذا القرمطي اللعين بجيوشه من مكة إلى البحرين، فنزل الإحساء، وما أبقى فيما أساء، ثم ابتلاه الله بداهية في جسده فتقطعت أعضاؤه، ومات في السابع والعشرين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة[٤] وهو ابن ثلاثين سنة.

ثم قام بعده:

[٢٥]

الأعصم[٥]، وهو الحسن بن أبي منصور أحمد بن ابي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي

ويكنى بأبي محمد وثار بالأحساء، وزحف لقتال المصريين وطردهم من المقام

(١) أوسق، حملها الوسق، الوسق مكيلة معلومة، وهي ستون صاعاً.

(٢) انظر خبر دخول مكة في : اتعاظ الحنفا ١/ ١٨٢ وكامل ابن الأثير ٦/ ٢٠٣ ونهاية الارب ٢٥/ ٢٩٦ وتجارب الأمم (طبعة التمدن) ١/ ٢٠١ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٦٠.

(٣) انظر خبر ردّ الحجر الأسود في اتعاظ الحنفا ١/ ١٨٥ وكامل ابن الأثير ٦/ ٣٣٥ ونهاية الارب ٢٥/ ٣٠٣.

(٤) كذا في الأصل ولعله من وهم الناسخ، وفي كامل ابن الأثير ٦/ ٣٩٩ وابن الوردي ١/ ٣٨٢ ونهاية الارب ٢٥/ ٣٠٣ إن أبا طاهر توفي سنة في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

(٥) الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي، انظر ترجمته وأخباره في: اتعاظ الحنفا ١/ ١٨٦ ونهاية =

سنة ستين وثلثمائة[١]، فخرج إليه من مصر /٨٩/ جعفر بن فلاح الكتامي[٢]، فالتقيا يوم الأربعاء الخامس من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة فقتل جعفر وكثير ممن معه، وملك الأعصم الشام كلّه إلاّ يافا ثم زَحَفَ إلى مصر، ونزل الحب[٣] غرّة ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلثمائة فهلك من المصريين خلق كثير حتى أشرفوا على الهلاك، فغدرت العرب بالأعصم وأخذوا فساطيطه[٤]، فانهزم راجعاً إلى الاحساء، ثم عاد على أثره إلى الشام ولم يزل بها إلى أن وصل المعز من القيروان إلى القاهرة، يوم الأربعاء سادس رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمئة، فخرج لحرب الأعصم بنفسه، فهزمه الهزيمة الشنعاء التي شرَّدهم بها عن المقام، وذلك يوم الخميس سادس شعبان سنة ثلاث وستين وثلثمائة، ومات الأعصم في طريق الاحساء في هذا الشهر، فحمل ودفن بالإحساء وحلّ بجهنّم وقيل له اخسأ. فهذه مشاهير الدول المنسوبة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، تشتمل على حملة النسب والدعي، والسقيم المائل والصحيح السوي، وبها ثم ما أشد[٥] من العصابة العلوية، وفد منهم على بني العباس لما تقتضيه الأولوية، فأما خلافة الاجماع والإمامة التي ختمت كالشمس، ومدّت أطناب الشعاع فهي بعد خلافة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم، الدولة الأموية ثم الدولة العباسية، وما سواهما كالشذوذ، وكل عقد إلاَّ لهما فهو في حقيقة الحال منبوذ.

وأول ما نبدأ بذكر الدولة العباسية فإنها وإن كانت المعقبة لبني أمية والآتية بعدها على ما قد كان، فأبتدأ بالأقرب مخرجاً من النبعة النبوية والأدنى إلى مناسبها الزكيّة، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى دَوَلها الشهيرة ثم نصلها بما وصل إلى مصر في

= الأرب ٢٥/ ٣٠٤ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٨ والوافي بالوفيات ١١/ ٣٧٣ والعبر ٢/ ٣٤٠ وفوات الوفيات ١/ ٢٢٧ ومرآة الجنان ٢/ ٣٨٥ والشذرات ٣/ ٥٥.

(١) انظر الكامل ٧/ ٤٢.

(٢) جعفر بن فلاح الكتامي، أبو علي، أحد قواد المعز العبيدي الشجعان، دخل مصر مع جوهر الصقلي، وبعثه جوهر إلى الشام، فامتلك الرملة بفلسطين سنة ٣٥٨هـ ودمشق سنة ٣٥٩هـ، وقتله بها الحسن بن أحمد الجنابي سنة ٣٦٠هـ انظر النجوم الزاهرة ٤/ ٥٨ ومرآة الجنان ٢/ ٢٧٢ والوافي بالوفيات ١١/ ١٢٢ ووفيات الأعيان ١/ ٣٦١ والشذرات ٣/ ٢٩ وكامل ابن الأثير ٧/ ٤٢.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) كان ابن جراح الكناني في جمع عظيم مع الأعصم، فاستماله المصريون وبذلوا له مائة ألف دينار على أن يخل لهم عساكر القرمطي ففعل ذلك (نهاية الارب) ٢٥/ ٣١٢.

(٥) كذا في الأصل والعبارة غامضة.

أيام ملوك الأتراك، ونعلل[١] فيها دماؤهم حتى مات وقبر هناك ثم نذكر الدولة الأموية / ٩٠/ ونصلها بمن دخل الأندلس وكان بها حتى انكدر أفقهم وطُمس، وهوىٰ منهم الرفيع ودرس، إن في ذلك لعبرة، وإن فيه لما يجري للعبرة، وهي عوائد عوادي النوب، وأخمدت نار كسرى، ورَمَتْ تاج قيصر قسرا، وأماتت أفراسياب على شاطىء النهر قهرا، أذلّت عزة بني عبد المدان، وحطّت تخت تُبّع من رأس غمدان، وكان الأول في ذكر سكان الأرض أن نقدم في صدر الملّة الإسلامية هذه الدولتين ونعزل مما أفاق لآل عبد مناف الذروتين، لأن أهل هاتين الدولتين من بني أمية ثم من بني العباس هم الخلفاء حقاً بعد الراشدين وصدقاً لولا كذب ادعاء المعاندين، وقد ذكرنا سكان الأرض، وهذا الاسم أصدق ما أطلق على الخلفاء لقوله ﷺ: «لا زال هذا الأمر في قريش ما بقي بينهم لسان»[٢] فهذا نص على أنهم ولاة أمر الناس، وجميعهم لهم أتباع، وإذا كان هذا الأمر لقريش، فلا بدّ أن يكون منهم واحد يجمع أمرهم، وهو الإمام، وما منَ البشر مطيعهم وعاصيهم في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ مأموم بهِ، وإن كان منهم عصاة أو خالع لربقة الطاعة فإنه يلزمهم حكمه بشريعة الدين وعقيدة الإسلام، ولا يقدر يخالف في هذا أحد من المسلمين، ولا ينازع مؤمن إنه داخل في إمرة المؤمنين، فحينئذ الأئمة هم سكان الأرض وبقية من فيها ضميمة إليهم أو كالضميمة، وعلى هذا الرأي بيّنا هذه القسم من أوّله وبيّنا كثيراً من تفاصيله وجُملِهِ، فذكرنا ما نقل إلينا مما كان من بدء الخلق، ومَنْ كان في زمان كل من الأنبياء صلوات الله عليهم، والملوك المؤمنين والكفار، فإن قال قائل: فلم ذكرت الملوك قبل الاسلام مع وجود الأنبياء، ومن أولئك الملوك كفار، لا بل غالبهم ولم نذكرهم مع الخلفاء، والأنبياءُ أعلى درجة من الخلفاء وملوك الإسلام خير من ملوك الكفار؟ فالجواب: أن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة ولا / ٩١/ تتعدى دعوته مكان بعثتهِ، والأرض مملوءة بالملوك، ومنهم مَنْ لم يرسل في ذلك الوقت إليه ولا إلى قومهِ، فاحتجنا أن نذكر الملوك لهذا السبب، إذْ كنا بصدد ذكر سكان الأرض، وليس في أولئك الأنبياء مَنْ له دعوة عامة، فإذا ذُكر هو وخليفة اكتفى به عن سائر الناس، ونبيُّنا ﷺ دعوته عامة، فإذا ذُكر هو وخليفته اكتفى به عن سائر الناس، كما قال تعالى مخاطبا عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ

---

(١) كذا في الأصل وواضح أن كلمة أو كلمات سقطت سهواً بعد كلمة الأتراك فاختلط المعنى.

(٢) لم يرد هذا الحديث في كتب الصحاح.

﴿جَمِيعًا﴾[1] فلما كانت دعوته عامة كانت دعوة خلفائه عامة، فلهذا لم يبق مقتضٍ لذكر أحدٍ معهم، فإن قال: كيف تتكلم في سكان الأرض، وإنما أنت تتكلم في واحدٍ منهم؟ فالجواب أنا لو أردنا ذكر الناس رجلاً رجلاً لأردنا ما ليس في الأمكان وإنما إذا ذكرنا الخلفاء نكون كأنا ذكرنا كل سكان الأرض، لأنهم نوّاب الله في أرضه، وخلفاء نبيّه محمد ﷺ في أمته، وهو المبعوث إلى الأسود والأحمر، والقاصي والداني، وهم القَوَمة بدينه، والدعاة بدعوته العامة، وجميع أهل الأرض ملزومون بها، من آمَنَ منهم أو كفر، فلهذا أوجب إفرادهم بالذكر، وأُطلق على الجزء منهم اسم الكل وبالله التوفيق.

وأما الملوك شكر الله عن الإسلام سعيهم، وبوّأهم المغفرة والرضوان، فإنه سيأتي ذكرهم في قسم التاريخ، وهو أمَسّ بهم لأنه أكثر ما دار على ذكر أيّامهم، ونوب الدهر بيّنه، وفيهم مَنْ جاهد في الله وقاتل في سبيله، وسهَّد جفونه في جهاد أعدائه، وأغَصَّ الكفر وأماتَهُ بدائه، وضارب حتى ملّت السيوف مضاربها، وكَرِهت الخيلُ الماء وعافت بالدماء مشاربها، وحامى عن ورائه وأمامه، وواصل طلائع راياته وآرائه، وأعملوا سيوفهم وأقلامهم في تمهيد البلاد، وتوطيد الملك، ناضلوا وناضروا وجالدوا وجادلوا وفعلوا ما قدرتْ عليه مكنة هممهم وظفرت به أيدي مطالبهم، وسيّروا السرايا لإفاضة هذه الدعوة النبوية وإفاءة الأرض بظلال / ٩٢/ عصائبها المحمدية. وسنذكر من هذا مما نثبته في موضعه ونبيّنه في مواضعه، ونبيع زهره لمطالعه، وزَهره بمطالعه، ونشرح به صدر رائيه وقارئه وسامعه، فأما ما ذكرنا من بني إسماعيل فإنما أردنا به في النسب الشريف النبوي زاده الله شرفاً اتصال سببه، وإيضاح كيف كان نور مظهره، ليعرف تقدم أيامه في النسب اللباب، وخروج درّته اليتيمة من قرارة ذلك البحر العباب.

* * *

(١) الأعراف: ١٥٨.

الدولة العباسية

وهذه:

الدولة العباسية

سقاها الله صوب رحمته، ولقّاها نضرة نعمته، وأول ما نبدأ بذكر العباس[1] بن عبد المطلب: كان رحمه الله بهياً جميلاً، ورئيساً في الجاهلية كريماً مهيباً، وكان لا يرفع مائدته حتى يأكل منها الطير والسباع، وكانت له ثياب للعاري، ومائدة للجائع، وسوطٌ للسفيه، وجاء الإسلام وهو على ذلك، وكان جهوري الصوت، ربما صاح بالأسد فتفطر مرارة في كبده، وصاح يوماً: واصباحاه، فأسقطت الحوامل، وفي الحديث: عم الرجل صنو أبيه، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إذا رأياه نزلا له إلى الأرض، وسلّما عليه، وآستسقى[2] به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أسَنّ من رسول الله ﷺ بعامين، وقيل: مَنْ أكبر، أنت أم رسول الله ﷺ؟ فقال: أنا أسن وهو أكبر مني.

وقال أكثم بن صيفي[3]: حَجَجْتُ سنة فرأيتُ بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة، قلت: مَنْ هؤلاء؟ قيل: بنو عبد المطلب، فقلتُ: هؤلاء غرس الله لا غرس البشر.

وكان أجلّ بنيه حبر هذه الأمة عبد الله[4] بن العباس رضي الله عنهما، وفي

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، وطبقات ابن سعد ٤/ ١ ونكت الهميان ١٧٥ وأنساب الأشراف ٣/ ٥ نشره محمود الفردوس العظم والمعارف ١١٨ ومعجم المرزباني ١٠١ والإصابة ٤٥٠٧ والاستيعاب ٣/ ٩٤ (بهامش الإصابة) والعبر ١/ ٣٣ والبداية والنهاية ٧/ ١٦١ والوافي بالوفيات ١٦/ ٦٢٩.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٥ وانظر الخبر مفصلا في أنساب الاشراف ٣/ ١٢.

(٣) أكثم بن صيفي بن رباح التميمي، حكيم العرب في الجاهلية، من المعمرين، وفد على رسول الله ﷺ في جماعة من قومه، فمات في الطريق سنة ٩هـ، انظر: «الإصابة» رقم (١١٣).

(٤) انظر ترجمته وأخباره في «أخبار الدولة العباسية» (٢٥ـ١١٣) و«المعارف» (١٢٣) و«أنساب الأشراف» (٣/ ٣٣) و«الاستيعاب» بهامش «الإصابة» (٢/ ٣٥٠) و«الإصابة» (٤٧٨) و«حلية الأولياء» (١/ ٣١٤) و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٤) و«أسد الغابة» (٣/ ١٩٣) ووفيات الأعيان» (٣/ ٦٢) و«الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٣١) و«تاريخ الاسلام» (٣/ ٣٠) و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٤) وغيرها.

الحديث: اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل[١]، والبيت في ولده علي[٢]، وسمّاه علي بن أبي طالب باسمه وكناه بكنيته، وكان يُدعى زين العابدين، وكان مجتهداً في العبادة، وكان عبد الملك /٩٣/ بن مروان يكرمه ويعظمهُ.

ثم البيت في ولده محمد[٣] بن علي، وهو الذي أصار إليه ابنُ الحنفية الأمر[٤]، ثم ظهرت شيعة بني هاشم بخراسان، ووجه محمد بن علي مولى له اسمه سلام بن العاري[٥] وأمره أن يبثَّ خبرهم هناك، ففعل حتى تحدث به الكبير والصغير، ولم يسمّ الإمام، ولا أين هو، وكان بالحميمة[٦] فتبع سلاماً كثير منهم، ثم مات سلام فلم يعرفوا أين الإمام، فأتوا جعفر الصادق[٧] فقال: أخطأتم المقصد، اقصدوا الحميمة، فيها شيخنا وابن عمنا، وهذا الأمر فيه وفي عقبه، فأتوه، فأكرمهم، وقال: أنا ضالتكم المنشودة، وبغيتكم المقصودة ثمَّ تأملهم فلم يجد فيهم صفة أبي مسلم، فعلم أنه سيأتي، ثم بعث معهم أبا عكرمة بن[٨] زياد بن درهم داعياً، ثم أتى أسد بن عبد الله القسري والياً على خراسان[٩] لبني أمية، فقبض عليه وقتله[١٠]، وتتبعهم

---

(١) بلفظ مختلف في «صحيح البخاري» (٥/ ٣٤).

(٢) علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة (٤٠هـ) في الليلة التي قتل فيها الإمام علي عليه السلام، وكان من العباد الزهاد الفقهاء توفي سنة (١١٨هـ)، انظر: «أنساب الأشراف» (٣/ ٨٠) وأخبار الدولة العباسية (ص١١٧) و«طبقات ابن سعده» (٢٢٩).

(٣) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو عبد الله، ويلقب بذي الثفنات لأثر السجود بجبهته وانفه ويديه كان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة، وهو الذي حول إليه أبو هاشم بن محمد ابن الحنفية الدعوة، مات سنة (١٢٥هـ). انظر: «أنساب الأشراف» (٣/ ٨٨) و«أخبار الدولة العباسية» (ص١٧٣).

(٤) ابن الحنفية، هو أبوالقاسم محمد بن علي بن أبي طالب، الذي تعتقد الكيسانية بإمامته بعد الحسين، أما الذي حوّل الأمر والدعوة إلى العباسيين فهو ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد الذي سم وهو في طريقه من الشام إلى الحجاز فعدل إلى الحميمة، فأوصى محمد بن علي وحول إليه كتبه. انظر: «أنساب الأشراف» (٣/ ٨٨) و«أخبار الدولة العباسية» (ص١٧٣).

(٥) كذا ورد ولم أجد لسلاّم هذا ذكراً في دعاة العباسيين، وفي «أخبار الدولة العباسية» (ص٢٠٣) وغيره أن محمد بن علي أرسل إلى خراسان أبا عكرمة واسمه زياد بن درهم.

(٦) الحميمة: بلد أرض الشراة من أعمال عمان من أطراف الشام، كان منزل بني العباس (ياقوت ـ الحميمة).

(٧) الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمره أشهر من أن يعرف، وفي «أنساب الأشراف» (٣/ ٨٩): أن الخرسانيين الذين أتوا لطلب الإمام أتوا رجلا من آل علي بن أبي طالب فدلهم على محمد بن علي بن عبد الله وقال: هو صاحبكم وهو أفضلنا.

(٨) كذا في الأصل، وإنما هو: أبو عكرمة زياد بن درهم.

(٩) ولي أسد بن عبد الله القسري خراسان سنة (١٠٦هـ) استعمله عليها أخوه خالد أمير العراقين لهشام بن عبد الملك. انظر: «تاريخ الطبري» (٧/ ٣٧).

(١٠) انظر: «تاريخ الطبري» (٧/ ٤٠) (أحداث سنة (١٠٧هـ) وفيه: وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا =

بالقتل والعقاب، وهم لا يزدادون إلاّ غلوّاً، وكتبوا إلى الإمام بمقتل أبي عكرمة فبعث مكانه كثير بن سعد، ثم أقدمه وبعث مكانه عمار بن داود[١]، فغير اسمه، فتسمّى خداش بن زيد[٢]، فأخذه أسد القسري وقطع لسانه، وسجن سليمان بن كثير، فانفلت من السجن ولحق بالإمام[٣]، فبعث عليهم بكر بن وائل[٤]، ثم أخذه القسري في قوم من أصحابه وقررهم على الإمام، فلم يقروا، ثم قدَّمَ الإمام أبا سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان، ثم قدمت الشيعة وفيهم أبو مسلم، فلما رآه عرفه بصفته، وكان اسمه عبد الرحمن بن عثمان العجلي السراج، كان يعمل السروج وسنُّه يؤمئذ ثمانية عشر سنة فقال لهم الإمام هذا سيدكم، والقائم مقامي فيكم[٥]، ثم استخلف ابنه إبراهيم[٦] وأوصاه بأخويه أبي العباس وأبي جعفر وأخبره أنه ميت[٧]، وإن إبراهيم يموت بعده، وان علامة القائم مع أبي مسلم، ثم خلا به وعرّفه بما يكون، فما استقر بهم القرار بخراسان حتى بلغهم موت الإمام يقال أن هشاماً[٨] أدخل رأسه في جراب نورة حتى مات، فأقاموا العزاء فصبرهم أبو مسلم وجمع مالاً عظيماً، وطرفاً جليلة /٩٤/ وقدم بها على الإمام إبراهيم بن محمد، فقرّر أمره، ثم عاد، وعُزل أسد بن عبد الله القسري وولي نصر بن سيّارٍ[٩]، فوقع إليه كتاب من أبي مسلم

= محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبدي في عدّة من شيعتهم، فجاء رجل من كنده إلى أسد بن عبد الله فوشى بهم إليه، فأتي بأبي عكرمة ومحمد ابن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمار، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم. انظر كذلك: «أنساب الأشراف» (٣/ ١٣١).

(١) كذا في الأصل، وفي «أنساب الأشراف» (٣/ ١٣١): عمار بن يزداد. وفي «تاريخ الطبري» (٧/ ٤٣) عمار العبادي.

(٢) في انساب الاشراف: خداش بن يزيد.

(٣) انظر انساب الأشراف ٣/ ١٣٢.

(٤) كذا في الاصل وهو وهم، وبكر بن وائل اسم قبيلة، وفي تاريخ الطبري ٧/ ١٤٢ أن محمد بن علي ارسل بكر بن ماهان (سنة ١٢٠هـ) إلى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عندهِ إليهم.

(٥) انظر أخبار أبي مسلم وما قيل في أصله واسمه: انساب الأشراف ٣/ ١٣٣ وأخبار الدولة العباسية ص٢٥٣.

(٦) إبراهيم بن محمد بن علي الإمام. انظر أخبار الدولة العباسية ص٢٤٠ وانساب الأشراف ٣/ ١٣٦.

(٧) توفي محمد بن علي سنة ١٢٤هـ وقيل سنة ١٢٥ بالشراة من أرض الشام. انظر أخبار الدولة العباسية ص٢٣٩.

(٨) كذا والصواب مروان بن محمد.

(٩) نصر بن سيار بن رافع الكتاني شيخ مضر بخراسان أمير شجاع، من الدهاة، ولي بلخ ثم خراسان سنة ١٢٠هـ وغزا ما وراء النهر، وأقام بمرو، وفي أيامه ظهر أبو مسلم واشتدت الدعوة العباسية، فكتب لبني أمية بالشام مستنجداً فلم ينجده فبقي يدبر الأمر حتى ظهر عليه أبو مسلم، فخرج من مرو إلى =

إلى الإمام، فبعث به مع حامله إلى مروان، فاستصلح مروان حامل الكتاب، وأمره بأن يذهب به إلى الإمام إبراهيم، ثم يأتيه بجوابه، فأتاه بجوابه إلى أبي مسلم ويحثه فيه على الحرب والأخذ بالجد. ثم كتب فيه: [من الرجز]

دونك أمراً قد بدت أشراطُهُ
إن السبيل واضحٌ سراطُهُ[1]
لم يبق إلا السيف واختراطُهُ

فبعث مروان مَنْ أتاه به فحبسه في محراب، وبقي مسجوناً سنتين، ثم لما أيقن مروان بزوال أمره قتله نحو قتلة أبيه[2] سنة ثلاثين ومائة، ثم لما سمع أبو مسلم بحبس الإمام جمع شيعته وخطبهم وقال: لا خفاء بعد اليوم، فعقد اللواء المسمّى بالسحاب، وكان أسود مكتوباً عليه بالذهب: اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، وكان الإمام محمد بن علي أعطاه له وجنَّد الجنود، وأظهر الدعوة، ولبس السواد هو وشيعته، ثم ظهر بمروٍ في يوم عيد، وصلّى بالناس، وخطب ولعن بني أمية، ودعا لعلي رضي الله عنه ودعا لبني العباس، وكانت أو خطبة أقيمت له، ثم وجّه قحطبة بن شبيب، وبثَّ جنوده في البلاد، ثم جهز نصر بن سيار جيشاً إلى أبي مسلم وكتب إلى مروان كتباً آخرها قال فيه[3]: [من الوافر]

أرى خَلَلَ الرماد وَميضَ جَمْرٍ ويوشك[4] أن يكون له ضِرامُ
فإن النار بالعودَيْن تُذْكى وإنَّ الحرب أوّلها الكلام
فإن لم يُطْفها عقلاء قوم يكون وقودُها جثثْ وهام
أقول من التعجب ليت شعري[5] أأيقاظٌ أميةُ أم ينام

= نيسابور، ثم إلى قومس، وأخذ يتنقل منتظراً نجدة الأمويين حتى مرض في مفازة بين الري وهمدان، ومات بجاوة سنة ١٣١هـ. انظر: خزانة الأدب ١/ ٣٢٦ والبيان والتبين ١/ ٢٨ والوافي بالوفيات ٢٧/ ٦٢ ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٩ وأخباره كثيرة في كتب التاريخ العامة.

(١) الرجز في أنساب الأشراف ٣/ ١٣٨ وفيه: إن الهدى لواضح اشراطه.

(٢) لم يقتل سوى إبراهيم الإمام قتله مروان بن محمد سنة ١٣٠هـ، أما أبوه محمد بن علي فقد مات في إمرة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٤. انظر أخبار الدولة العباسية ص٢٣٩.

(٣) الأبيات في أنساب الأشراف ٣/ ١٤٩ وتاريخ الطبري ٧/ ٣٦٩.

(٤) في الأنساب: حريٌّ.

(٥) في الأنساب: فقلت من التعجب.

فإن لم يطفئوها تَجْن حرباً[١] مشمرَّةً بشيب لها الغلام

/ ٩٥/ فلم يفد هذا بني أمية تيقظا، ولا هاج لهم حفيظة ولاتحفظاً، ثم إن أبا مسلم جهز مالكاً الخزاعي[٢] للقاء نصر بن سيار فسار في عدّةٍ قليلة والنصر يقدمُهُ والسعود تخدمه، فالتقوا قريب سمرقند فما كان إلا أن تراءى الجمعان فولّى جيش ابن سيار الأدبار (وقتل)[٣] قتلاً ذريعاً، وأخذ قائد الجيش أسيراً، وحُمل إلى الخزاعي فحمله إلى أبي مسلم، فمنَّ عليه وأعاده إلى ابن سيار مكرماً، فجعل يتحدث بمحاسن أبي مسلم، فمال إليه أكثر الناس ثم خرج على ابن سيار رجلٌ بكرمان[٤]، وكان سبباً لتمام أمر (أبي)[٥] مسلم، لأنه اشتغل به عنه، فكتب يستمد مروان، فكتب إليه أن حاجتنا بأهل الشام، فاكتفي بمن عندك، فأيقن نصر بالخذلان، وقال: ذهبتْ والله خراسان وسيذهب مروان، ثم خرج أبو مسلم إلى مرو لقتال ابن سيار حتى إذا قاربها فتح خزائنه وفرّق أمواله على رجالِهِ تفريقاً خرق به عادته، فسمع بذلك جند ابن سيار فتساقطوا عليه تساقط الفراش، وتسارعوا إليه لطلب المعاش، فأعطاهم مثل ما أعطى رجاله، وبسط يده بالإعطاء، واستدعى بكرمه حتى حركات البطاء، ثم قدم عليه ابن الكرماني[٦] وكان نصر قد قتل أباه، ثم إنه[٧] كان مختصا به اختصاص الكف بالبنان والنطق باللسان، فضاقت بنصر الأرض بما رَحُبت وجَزَم بأن طائفته غُلِبتْ، وقدَّم أبو مسلم ابن الكرماني وأمره بمحاربة ابن سيار لأخذ ثأر أبيه، فحاربه محاربةً مات معها نصر النصر، ثم جاء أبو مسلم فدخل مرو على حين غفلة، وأخذ البيعة على أهلها، ورتب وظائف الملك، وأما ابن سيار فإنه فرّ إلى الجبال

---

(١) في الأنساب: فإلا تطفئوه يجرّ حرباً.

(٢) مالك بن الهيثم الخزاعي أبو نصر أحد النقباء جعله أبو مسلم على شرطته، حبسه المنصور بعد قتل أبي مسلم ثم أطلقه ودافع عن أبي جعفر يوم الهاشمية، وأخباره في تاريخ الطبري (انظر الفهرس).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) يريد به جديع بن سعيد الكرماني، قال البلاذري (الأنساب ٣/ ١٤٤): وكان مما زاد أمر أبي مسلم قوة بخراسان قوة العصبية بين مضر وبين ربيعة واليمن.. حتى غضب جديع بن سعيد... وكلم نصر مرة بعد أخرى فأغلظ له حتى أمر بحبسه وأخرجه غلام له من مجرى ماء، فاجتمعت إليه اليمن وربيعة فلم يزل نصر يحارب... إلخ.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) يريد به علي بن جديع الكرماني، وكان نصر قتل أباه جديع وصلبه، وقام علي مقام أبيه فقاتله الحارث بن سريج فقتل الحارث (انظر أنساب الأشراف ٣/ ١٤٥ وتاريخ الطبري ٧/ ٣٣٠).

(٧) في الأصل: أن.

واستوطنها، ثم أن أبا مسلم قتل ابن الكرماني[١]، وجهزّ قحطبة[٢] لقتال نصر، فأخرج عامله من طوس[٣]، وقتل مقاتلتها، ثم طلب ابن سيار فاخرج له ابنه تميماً في جيش عظيم، فلما رآه جزع، فلما تلاقت الجيوش قتل وخرج ابن سيار هارباً إلى قومس، ثم إلى جرجان، ولقاه قحطبة فهزمه /٩٦/ وهرب ابن سيار إلى الري، واتبعه قحطبة بن الحسن[٤]، فكتب ابن سيار إلى مروان: [من السريع]

كـنّـا نـرجّـيـهـا وقـد مُـزِّقـت   فـاتـسـع الـخـرق عـلـى الـراقـع[٥]
كـالـثـوب إذ أنـهَـجَ فـيـه الـبـلـى   أعـيـا عـلـى ذي الـحـيـلـة الـصـانـع

ثم مات ابن سيار بعد كتابه هذا بيومين[٦]، وتفرق أصحابه ودخل الحسن بن قحطبة الري، فخرج إليه ابن هبيرة، وكان على العراق[٧]. هذا ما كان من هؤلاء.

وأما ما كان من بني العباس، فإنهم لما أمسك الإمام فرّوا إلى أحياء العرب[٨] فمرّوا بماء لهم متجسسين. فإذا هما بامرأتين مقبلتين فوقفتا عليهم وقالتا: ما رأينا أكرم ولا أصبح من خليفةٍ وأمير، فانتهرهما عبد الله بن علي فقالتا: ولا وأبيكم، إن هذا لخليفة، وأشارتا إلى السفاح، وهذا الأمير وأشارتا إلى المنصور، فانتهروهما وساروا إلى الكوفة، فلقيهما داود[٩] بن علي وابنه موسى، وهما متفرقان في موالٍ

---

(١) انظر مقتل علي الكرماني وأخيه عثمان في تاريخ الطبري ٧/ ٣٨٦.

(٢) قحطبة بن شبيب الطائي، قدم على أبي مسلم منصرفاً من عند إبراهيم الإمام ومعه لواؤه الذي عقد له إبراهيم فوجهه أبو مسلم على مقدمته. انظر تاريخ الطبري ٧/ ٣٨٨ وأنساب الأشراف ٣/ ١٥٠.

(٣) كان عامل طوس النابي بن سويد العجلي، كتب إلى نصر يستنجده فأرسل إليه ابن تميم في فرسان مضر، ونزل قحطبة بإزائهما فقاتلهما، وقتل النابي وتميم. انظر: أخبار الدولة العباسية ص٣٢٣.

(٤) كذا في الأصل والصواب: الحسن بن قحطبة، أرسله أبوه قحطبة بن شبيب إلى جرجان فأوقع ببعض المسالح، ثم لحقه قحطبه وملك جرجان وقتل أميرها نباتة بن حنظلة أما نصر بن سيار فكان آنذاك في قومس ولما سمع بمقتل نباتة انتقل إلى خواري الري. انظر أخبار الدولة العباسية ص٣٢٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٣٩١ وانساب الأشراف ٣/ ١٥٠.

(٥) البيتان من أربعة أبيات في مروج الذهب ٢/ ١٩١.

(٦) مات نصر بن سيار لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة ١٣١هـ وهو ابن خمس وثمانين سنة انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٠٤.

(٧) كذا في الأصل، وفي المصادر التي أرخت هذه الأحداث، إن الحسن بن قحطبة دخل الري، ودخل قحطبة نهاوند، ثم توجه إلى حلوان، ثم سار إلى ابن هبيرة بالعراق انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤١٠.

(٨) في المصادر الأخرى أن إبراهيم الإمام أوصى أبا العباس عبد الله بن محمد بالقيام بالدولة وأمره بالجد والحركة وإلاّ يكون به بالحميمة لبثٌ ولا عرجة حتى يتوجه إلى الكوفة، انظر أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٩ وتاريخ الطبري ٧/ ٤٢٣.

(٩) داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو سليمان، من الخطباء الفصحاء، ولي بمكة والمدينة لابن =

لهما من العراق إلى الحميمة، فأخبروه إنهم يريدون الكوفة للوثوب عليها، فقال داود: فكيف بمروان بن محمد في جنوده مطلّ على العرق، ولشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة عامل العراق، فقال له: يا عم من أراد الحياة ذل.

فقال داود لموسى: يا بني صدق ابن عمّك ارجع بنا معه، فانصرفا معهم فلما أتوا الكوفة سألوا عن أبي سلمة وأتوه، فأخلى لهم داراً وأنزلهم فيها في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وأجرى عليهم الأرزاق، ومنعهم من التصرف، فكانوا إذا أرادوا الظهور منعهم وقال لهم: إن ابن هبيرة قريب منّا، وأمير المؤمنين واصلٌ إلينا[١] مكراً بهم لميله إلى الطالبيين.

وأما أبو مسلم فإنه بعث أبا النجم [٢] إلى الكوفة ليتعرف له خبر السفاح فأتاها وأتى أبا سلمة عنه، فأنكره ليُدبّر في صرف الأمر إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن، فتوسّل أبو النجم[٣] إلى السفاح، وأعلمه أن أبا مسلم كتب إلى ابن قحطبة أن يسير إلى الكوفة ويسأل عن الصغير من ولد الإمام محمد الذي اسمُهُ عبد الله وكنيته أبو العباس، فإذا وجده يبايع له بالخلافة فهو الإمام أحبَّ أبو سلمة أو كره، /٩٧/ فجهزه السفاح إلى ابن قحطبة، فسارع في خمسة آلاف فدخل الكوفة ليلاً، وأتى الدار: فقال: أيكم أبو العباس؟ فقالوا: كلّنا ابو العباس وكان كل واحد منهم طامع فيها لنفسه فقال: أيكم[٤] بنو محمد بن علي فيئس منها جميعهم، وطمع فيها بنوه الثلاث: السفاح والمنصور ويحيى، فقالوا: نحن فقال: من منكم عبد الله، فيئس يحيى وطمع الاثنان، فقالا: كلانا عبد الله، فقال أيكما ابن الحارثية؟ فيئس منها المنصور، وقال: هذا ابن الحارثية، وأشار إلى أخيه. فقال له: اكشف لي عن ظهرك حتى أرى العلامة التي فيه، فكشف له عن ظهره، فرآها وقبَّلَها، ثم قال له: امدد يدك

= العباس توفي بالمدنية سنة ١٣٣هـ. انساب الاشراف ٣/ ٩٥.

(١) كذا في الأصل، وربما سقطت كلمة أو كلمات بين قوله: قريب منا وقوله وأمير المؤمنين واصل إلينا، وفي المصادر الأخرى: وكان أهل خراسان يسألونه عن الإمام فيقول: نحن نتوقعه ولم يئن ظهوره (أنساب الأشراف ٣/١٥٦) ومن الواضح أن قوله: (وأمير المؤمنين واصل إلينا) موجه إلى أهل خراسان وليس لابي العباس.

(٢) كذا وفي المصادر الأخرى (أبو الجهم بن عطية) انظر: الانساب ٣/ ١٥٦ والطبري ٧/ ٤٢٤، وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٢٣.

(٣) كذا وفي المصادر الأخرى (أبو الجهم بن عطية) انظر: الانساب ٣/ ١٥٦ والطبري ٧/ ٤٢٤، وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٢٣.

(٤) في الأصل: فقالوا إنكم.

أُبايعك، فمدّ يَدَه فبايعه إخوته وأهل بيته ورجاله، ثم ألْبَسَه السواد وأركبه فرساً أشْهَب، وأركب أهله الخيل متلثمين بالسلاح، ثم أتى به المنبر يوم الجمعة، فمنع الخطيب الصعود، وصعد أبو العباس السفاح ومعه عمه داود دونه بدرجة، فلما أراد السفاح الكلام ارتج عليه(١)، فخطب عمه داود خطبة بليغة، ثم أخذ الناس بالمبايعة وأهله حوله بالسيوف مسلولة بأيديهم، ثم أقام ثلاثة ايام، وخرج في جيش عظيم فنزل الهاشمية ثم فرق جيشه، فأرسل أخاه أبا جعفر مع الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة، ووجه موسى بن عيسى إلى المدائن مع حميد بن قحطبة، واستخلف عمه داود على الكوفة.

وأما ما كان من مروان، إنه لما أتاه الخبر خرج من حرّان(٢) فنزل منزلاً سأل: ما اسمه؟ فقالوا: بلوى، فتطير منه، فقال: بل بشرى(٣) ثم سار حتى أتى الموصل، فأتى السفاح الخبر فجمع أهله، وقال: مَنْ يلقى مروان دوني، فقال له عمه عبد الله بن علي: أنا له كفؤ، فقال له: صدقت وبذلك أخبر الإمام إبراهيم، فعقد له لواءً أسود وألبسه السواد، وأنْهَدَهُ إليه، ثم انشد السفاح مرتجلاً(٤): [من البسيط]

يا آل مروان أن الله مهلككم ومبدلاً منكم خوفاً وتشريدا
/٩٨/ لا عمّر الله من أنسابكم أحداً وبثّكم في بلاد الله تطريدا

ودفعها إلى رجل حصيف، وقال له: تحيّل في إنشادهما في عسكر مروان حيث لا يعلمون كأنك هاتف، وسار عبد الله بن علي، وجرت بينهم حروب(٥) ثم إن ذاك الرجل الذي حمله السفاح البيتين تحيّل في سرب(٦) احتفره حتى نفذه إلى قرار شجرة في معكسر مروان، واتخذ منها حروفاً خفية تخرج الصوت، ثم قام بهما ليلا ينشدهما، وظنوه هاتفاً هتف بهم، فتفلّلَت عروتهم، وكان ذلك في تقدير الله سبب الهزيمة.

---

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٥ أن أبا العباس تكلم، فقال: وذكر خطبته ثم قال: وكان موعوكاً فاشتد به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن علي فقام دونه على معراتي المنبر، فقال: وذكر خطبته، وانظر كذلك انساب الاشراف ٣/ ١٥٩ وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٢٤.

(٢) حران: مدينة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الوصل والشام والروم (ياقوت ـ حران).

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٢ وفيه: قال: بل عُلْوى وبشرى.

(٤) البيتان في كامل ابن الأثير ٤/ ٣٤٦ قال ابن النقاح بيتين من الشعر ووجه برجل إلى عسكر مروان ليقدم على الخيل ليلاً فصبح فيها وشمس في الناس فلا يوجد.

(٥) هزم عبدُ الله بن علي مروان بموقعة الزاب قرب الموصل انظر التفاصيل في تاريخ الطبري ٧/٤٣٢.

(٦) السرب: المسلك في خفية، وحفير تحت الأرض لا منفذ له.

ويقال: أن مروان لما رأى المسودّة خارَتْ عزائمه، فقال له كاتبه عبد الحميد ابن يحيى[١]: ما هذا الذي أراه منك؟ أطربت[٢] للقاء، أم جزعت من الموت؟ فقال له: والله لوددت أني في قلّتهم ويكون لي سعدهم، وما يغني هذا العسكر العظيم مع الإدبار، ولئن قاتلونا بعد الزوال فهي لنا، وإن قاتلونا قبل الزوال فهي لهم[٣]، فناجزهم عبد الله بن علي القتال، وكانت له، وانهزم مروان إلى الجسر، فغرق أكثر مَنْ معه، وانهزم مروان، فعقد عبد الله بن علي على الجسر وعبر النهر، وهو يقرأ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾[٤] ثم أتى مضارب مروان فنزلها واستولى على ما فيها ثم كتب إلى السفاح بالخبر، وكتب فيه[٥]: [من البسيط]

لجَّ الفرار بمروان فقلت لهم	عاد الظلوم ظليماً همه الهرب[٦]
أيْنَ الفرارُ وترك المُلْكِ إذْ ذهبتْ	بك الهُوينا فلا دينٌ ولا حَسَبُ
شبيه فرعون في ظلم وفي غرقٍ[٧]	وفي بذائةٍ كلب ما (به) كلب

ثم سار يريدهُ، وما مرّ ببلد إلاّ وأطاعه، وأتى دمشق، فخرج إليه عاملها الوليد بن معاوية بن عبد الملك[٨] في وجوه أهلها فبايعوه، وامتنع من كان بها من بني أمية، فقاتلهم ودخَلَها بالسيف، واعتقل الوليد بن معاوية، ومَنْ كان خرج معه من بني أمية، وقتل العصاة وصلبهم، ثم سار في طلب /٩٩/ مروان وما مرَّ ببلد إلاّ وفتحه حتى أدْركه ببوصير قوريدس من صعيد مصر، فبينا هو نازل إذا بالمسودّة قد غشيته، فسير مروان (مَنْ) يقول لعبد الله: الله الله في حرمي، فقال: قل له: لنا الحق في دمك وعلينا في حرمك، وكان مروان إذْ ذاك في جندٍ كثيف فأسلموه وفرّوا، فقاتل فيمن

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد، صاحب الرسائل، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، قتل بالشام بعد هزيمة مروان. مروج الذهب ٢/ ١٩٦ وانساب الأشراف ٣/ ١٨٤.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٣ وفيه أن مروان قالها لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

(٤) البقرة: ٥٠.

(٥) الأبيات في تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٤ وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٢٨ منسوبة لرجل من ولد سعيد بن العاص يعتبر مرواناً.

(٦) في الأصل: ضليما، والظليم ذكر النعام.

(٧) في الطبري وكامل ابن الأثير:

فراشةُ الحلم فرعون العقاب وإن — تطلب نداه فكلب دون كلبُ

(٨) في الطبري ٧/ ٤٣٨: الوليد بن معاوية بن مروان، وفيه: فحاصره أياماً، ثم فتحت المدينة ودخلها عنوة معترضاً أهلها، وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل.

بقي معه حتى قتل، وخرج من سرادق مروان شيخ مُسِنّ[١]، فقال: أيّكم الأمير، فأرشدِ إليه، فأتى بهم موضعاً في الرمل بعيداً من القرية، فأحفروه فأخرجوا منه القضيب والبردة والقعب والمخضب، واحتز رأس مروان وجهزّ به، وبما كان دفنه إلى السفاح، ثم أحْسنَتْ حياطة أهله وحرمه، فلما أتى السفاح رأسُ مروان سَجَدَ شكراً، ثم أنشأ يقول:

[من الطويل]

تناولْتُ ثاري من أمية عنوةً وحزتُ تراتي اليوم عن سلفي قسرا
وألْقيتُ ذلاً عن مفارق هامهم وألْبستها عزّاً ولم آلها فخرا

فهذه جملة جميلة من أخبار هذه الدولة حتى قامت، وهذا ذكر خلفاء هذه الدولة واحداً واحداً إلا إبراهيم بن المهدي وعبد الله بن المعتز فإني لا أذكرهما إلا في أخبار المأمون والمقتدر، إذْ كان وثوبهما في ذينك الخليفتين، وأولها:

[١]

دولة السفاح أبي العباس، عبد الله[٢] بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

وهو أول من تلقّى منهم بصدره الباس، ولبس الشعار العباسي، فزرر ليله على قمره وعقد ظفائر أعلامه السود على فرسان عسكره، وكشف كما ذكرنا قناعه بمجاهرته لبني أمية، وثار وقد توقّدت به الحميّة، وخرج فيمن قلّ من عمومته وأهله في شفق نهار، والشمس قد فتحت في ساعة الأصيل وردتها في خدّه الأسيل، وسار حتى أتى الكوفة، وصعد منبرها، وأرتج عليه فخطب عمه داود وهو واقف دونه بدرجة خطبة بليغة اقتضبها بديها، ثم وافت عساكر أبي مسلم /١٠٠/ الخراساني تنسف رمل الأرض جيادُها، ويخطف بصر البرق ومْض حدادها، وصرّح الشرّ فأمسى

---

(١) في مروج الذهب ٢/ ١٩٤، لما قتل عامر بن إبراهيم مروان وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساءه، وإذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن، فأخذ الخادم، فسئل عن أمره، فقال: أمرني مروان أذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه، فلا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله ﷺ... ثم بقية الخبر.

(٢) أبو العباس السفاح، أول الخلفاء العباسيين، أخباره كثيرة في تاريخ الطبري الجزء السابع منه وكامل ابن الأثير ج٤ منه وأنساب الإشراف ج٣ منه وأخبار الدولة العباسية وتاريخ ابن خلدون ج٣ منه وتاريخ الخميس ٢/ ٣٢٤ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ١٨٦ مروج الذهب ٢/ ١٩٩ وتاريخ بغداد ١/ ٤٦ وغيرها.

وهو عريان[١]، وأصبح ومُقلُ أسِنَّتِهِ ترمق وجه العدو وهو خزيان[٢]، ثم كانت وقعة الزاب، وغُلِبَ الشيطان وانهزمت تلك الأحزاب وولى عسكر الشام وقد تفلّل مضاؤه، وتغلّل جمعُهُ وضوضاؤه، وحاق بمروان بن محمد مكره وحار فكرهُ، ورأى الأرض أضيق عليه من مفحص قطاه، وأقصر من مدى خُطاه، وأدرك كما ذكرنا مروان بيوصير واستقر بهِ فيها المصير، ثم لم تُحوجه الأقدار بعدها إلى تجهيز جيش ولا استعمال أناةٍ ولا طيش، وكان السفاح يسفح نوالاً، ويرى ألاّ يردّ سؤالاً، مع ما كان فيه من وفاءٍ جرى سبوقاً، وشَمَخَ غُضه الرطيب سُموقاً، مع مكارم أخلاق فاقت أشباهها، وراقت أمواهها، فما شاءه طلب بلوغا، ولا لاواهُ نزوغا، ولا بدأ بأمْرٍ إلا وأتمَّهُ فروغا، ولا أهمَّهُ مهم إلا وعاجلَ نجمه بزوغاً، وقد كانت ملوك بني أُمية ترى أنه سيكون الأمر في رجل من بني العباس أُمُّه من بنات الحارث بن عبد المدان.

فكانت تمنعهم من الزواج إليهم حتى كان عمر بن عبد العزيز، فأستأذنه علي[٣] بن عبد الله في التزوج بريطة، فقال له: تزوّج بمن شئت، فأولدها أبا العباس السفاح.

وحكى ابن ظفر: أن أبا سلمة الخلال وسلمان بن كثير كانا يفدان في كل عام على إبراهيم الإمام فيأتيانِهِ بهدايا أهل الدعوة وبكتبهم، ويستأمرانه، ولم يكن أحد من أهل بيته يعرفهما، ولا يعرف الأمر الذي يأتيان فيه، فقدما سنةً من السنين، فرأيا أبا العباس وأبا جعفر أَخَوَيْ إبراهيم /١٠١/ الإمام، وهما إذ ذاك غلامان، فأعجباهما، فقال سلمان بن كثير لأبي سَلَمة: إنّي مُسرٌّ إليك أَمْراً مهمّاً فاحلف لي على كتمانِهِ فحلف له أبو سلمة بأيمان رضيها، فقال له سلمان بن كثير: إني أرى عند هذين الصبيين من إمارات الاستقلال مالا كفاءَ لَهُ. فقال له أبو سلمة: هما والله أولى بالأمر من صاحبنا يعني إبراهيم الإمام، فقال له سليمان: ما منعني من ذكر هذا إلاّ

---

(١) تضمين لقول الفند الزماني:

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا القوم اخوان
فلما صرح الشرَّ ... فأمسى وهو عريانُ

(٢) الأصل: جرتان، ولا معنى لها.

(٣) كذا في الأصل والصواب محمد بن علي بن عبد الله، وفي أخبار الدولة العباسية ص٢٠١ إن ريطة كانت تحت ولد عبد الملك فنازعها في شيء يوماً من الأيام ففخرت عليه وذكرت سلفها وأيامها فأحفظه ذلك فطلّقها، فكلّم محمد بن علي عمر بن عبد العزيز وهو الوالي يومئذٍ فقال: ابنة خالي كانت متزوجة فيكم وقد فرغت فأريد أن أتزوجها وأحببت أن يكون ذلك بإذنك، فقال: هي أملك لنفسها ومن يحول بينك وبين ذلك؟ فتزوجها محمد بن عبد الله واشتملت منه على أبي العباس.

التقيّة والتستّر، وبينا هما يتفاوضان في هذا مرَّ أبو العباس وأبو جعفر وهما يضربان كرةً[(١)]، فدعاهما أبو سلمة فأتياه، فقال لهما: إني أنشدتُ صاحبي شعراً أنا بهِ معجب، فلم يرْضَهُ وقد رضينا بحكمكما فيه، فقالا: أنشده، فأنشدهما: [من الطويل]

أمُسْلِمَ فاسمع يا ٱبن كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا جَبَلَ الأرضِ[(٢)]
شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كلّ من أولَيْتَه نعمةً يقضي
ونوَّهت من ذكري وما كان خاملاً ولكنّ بعض الذكر أنبه من بعضِ

فقال له أبو جعفر: من يقول هذا؟ قال: يقولُهُ أبو نخيلة[(٣)]، قال: فَعضّ أبو جعفر على أصبعه وقال: أأمِنَ هذا العبد أن تَدُول لبني هاشم دولة فيولغوا الكلاب دَمَهُ، فقال له أبو العباس: مَهْ يا أخي، فإنه كان يقال: مَنْ أَظْهَر غَضَبَهُ ضَعُفَ كيده، ثم أقبل أبو العباس على أبي سلمة فقال له: هذا شعر أحمق في أحمق، كيف يقول الرجل هو في سلطان غيره وتابع له يا جَبَل الأرض، وجبل الأرض مُرْسِها وممسكها، فلا يصح أن يقال هذا لمن هو في سلطان غيره، وتابعٌ له، وأَيْنَ يقع تعظيمه وتَفْخيمهُ من نقص اسمه، وانطلق أبو العباس فقال له أبو جعفر: هَلُمَّ يا أخي نلعب، فقال أبو العباس: هل أَوْلَغت الكلاب دم أبي نخيلة؟ فقال: لا ولكنك أدبتني فتأدّبت، وذهبا، فقال أبو سَلَمة لسليمان: بمثل هذين يُطْلَب الملك، ويُدْرك الثار، وما زالا بإبراهيم الإمام حتى عهد إلى أبي العباس، ويقال: أنه وعدهما أن يعهد إليه ولم يفعل حتى قبض عليه مروان، فأمضى العهد لأبي العباس.

قال: ثم[(٤)] إن أبا نخيلة وَفَدَ على أبي العباس السفاح عندما أفْضَتْ الخلافة إليه، فلما مَثُل بين يديه إستأذَنَهُ في الإنشاد، فقال: من أنت: قال: عَبْدُك وشاعرك أبو نخيلة، فقال أبو العباس، لا قرب الله من أبعد نوي ولعنه، ألست القائل:

---

(١) في الأصل: كرتاً.

(٢) الأبيات لأبي نخيلة في شعره (المورد مجلد٧ خريف ١٩٧٨ العدد الثالث).

(٣) في الأصل: «أبو نخيلة»، وهو أبو نخيلة بن حزن بن زائدة التميمي، يكنى بأبي الجنيد، وأبو نخيلة اسمه، من الشعراء الرجاز، كان عاقاً لأبيه فطرده فخرج إلى الشام ومدح مسلمة بن عبد الملك فأوصله إلى خلفاء بني أمية، فمدحهم ونال صلاتهم، ولما نكب الأمويون مدح العباسيين وهجا بني أمية، وأنشد أبا جعفر أرجوزة يفريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، فسخط عليه عيسى، فهرب منه، إلى خراسان، فأرسل مولى له فأدركه وقتله سنة ١٤٥هـ.
انظر ترجمته في الأغاني ١٨/ ١٣٩ والشعر والشعراء ص٥٨٣ وأمالي المرتضى ١/ ٥٨٠.

(٤) الخبر والأبيات في مجموع شعره ومروج الذهب ٢/ ٢٠٩ والأغاني ٢٠/ ٣٩٩.

أمسلم فاسمع يا ابن كل خليفةٍ ... ...

وأنشده الأبيات.

فقال أبو نخيلة: نعم يا أمير المؤمنين، وأنا الذي أقول: [من الرجز]

/١٠٢/ كـنـا أنـاسـاً نـرهـب الأمـلاكـا[1]
ونـركـبُ الأعـجـاز والأوْراكـا[2]
مـن كـل شـيء مـا خـلا الإشـراكـا
وكـلـمـا قَـدْ قـلْـتُ فـي سِـواكـا
زورٌ فـقـد كـفّـرّ هـذا ذاكـا
إنّـا انـتـظـرنـا زَمَـنـاً أبـاكـا
ثـم انـتـظـرنـا بـعـده أخـاكـا
ثـم انـتـظـرنـا لـهـا إيـاكـا
فـكـنـت أنـت لـلـرجـاء ذاكـا

فعفى عنه أبو العباس السفاح ووصله.

وعن أبي سعيد بن سالم البابلي، قال: حدثني من حضر مجلس السفاح، وهو أحْفَل ما يكون بوجوه قريش وبني هاشم والشيعة وأعيان الناس، فدخل عبد الله بن حسن[3] وهو بين يديه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعْطَنا حقّنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، قال: فاشفق من أن يعجل السفاح بشيء إليه، فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم، أو يعيا بجوابه فيكون ذلك نقصاً له وعاراً عليه، فأقبل السفاح عليه غير مغضب ولا مزعج وقال له: إن جدّك علياً[4] عليه السلام وكان خيراً مني وأعدل ولى هذا الأمر (فما)[5] أعطى جدّيك الحسن والحسين[6]، وكانا خيراً منك شيئاً[7] وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فَعَلْتَ فقد أنْصفتُك، فإذا كنت

---

(١) في مروج الذهب:
لـمـا رأيـنـا اسـتـمـسـكـت يـداكـا ... كـنـا أنـاسـاً نـرهـب الأمـلاكـا

(٢) في مجموع شعره: أن ركبوا الأعناق والأوراكا.

(٣) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، سيد بني هاشم في وقته، وأبو محمد وإبراهيم الثائرين على المنصور سنة ١٤٥هـ مضى ذكره.

(٤) في الأصل: علي.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) أم عبدالله بن الحسن، فاطمة بنت الحسين، فالحسن جده لأبيه والحسين جده لأمه.

(٧) كذا في الأصل، ولعلها نقساً.

زدتك فما هذا جزائي منك فما ردّ عبد الله عليه جواباً وانصرف والناس يعجبون من حُسن جوابه.

وذكر الغرناطي قال: كان السفاح أبيض[١] طويلاً جميلاً، معبّل[٢] الجسم أقنى الأنف، أكحل العينين، كثّ اللحية مستديرها، سريع الغضب قريب الرضا، كثير الجود، سديد الرأي، وصولاً للرحم، شجاعاً تقصّى في قتل بني أميّة، قتل منهم ومن أتباعهم أربعين ألفاً، وأمّا جملة من قتل أبو مسلم فألف ألف وستمائة ألْف، وأخذ السفاح نفسه بمحو[٣] آثار بني أمية، وهدم ديارهم، ونبش عبد الله بن علي قبورهم إلاّ قبر عمر بن عبد العزيز، وكان السفاح يقول: /١٠٣/ ما أبالي بالموت متى طرقني وقد نلْتُ أملي في بني أمية، أحْرقْتُ هشاماً بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي الإمام إبراهيم، ثم ينشد[٤]: [من البسيط]

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

وأنشد قول جدّه العباس بن عبد المطلب: [من الطويل]

أبى قومنا أن ينصفونا (فأنصفت) ... قواطع في أيماننا تقطر الدما[٥]

إذا خالَطَتْ هامَ الرجال تركتها ... كبيض نعام في الوغى قد تحطما

وأمر يوماً بجيمع مَنْ بقي من بني أمية، فجمعوا وفيهم عمر بن عبد الملك بن مروان[٦]، فأكرمه وأجلسه معه على سريره، فغاض ذلك أبا مسلم، فأمر سديفاً[٧] فأنشده شعراً منه: [من الخفيف]

لا يغرّنك ما ترى من رجال ... إنّ تحت الضلوع داءً دويّا[٨]

---

(١) في الاصل: أبيضا، وهو لحن لأنه ممنوع من الصرف.

(٢) المعبّل: الغليظ الضخم الممتلىء.

(٣) الأصل: ينحو.

(٤) البيت في كامل ابن الأثير ٤/ ٣٣٢ والبيت والخبر في مروج الذهب ٢/ ٢٠٣.

(٥) للعباس بن عبد المطلب في الحماسة البصرية ١/ ٥٢ وقد ورد شطر الأول في الأصل ناقصاً.

(٦) في تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٠ والشعر والشعراء والكامل للمبرد: سليمان بن هشام بن عبد الملك.

(٧) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى بني هاشم، شاعر حجازي مقل، من أهل مكة، كان أعرابياً شديد السواد، كثير التحريض على بني أمية، وفي زمن المنصور انحاز إلى العلويين أثناء ثورتهم عليه، فقتله عبدالصمد بن علي العباسي.
انظر: الشعر والشعراء ص٧٦٥ والأغاني ١٦/ ١٣٥ والوافي بالوفيات ١٥/ ١٧٨.

(٨) الأبيات في أنساب الأشراف ٣/ ١٨٣ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٠ وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٣٣ والشعر والشعراء ص٧٦٥ والكامل للمبرد ص١١٧٨.

فضع السيف وارفع السوط[1] حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فتنفّس السفاح الصعداء، ثم التفت إلى عمر بن عبد الملك وقال له: كيف رأيت هذا الشاعر، فانطقه الحين، فقال: شاعرنا أشعر من حيث قال فينا: [من البسيط]

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتقاد لَهُمْ وأرجح الناس أحلاماً إذا قدروا

فغضب السفاح وكل مَنْ حَضَرَه من أهل بيته، وقالوا: تحدثهم أنفسهم بالأمر فألقى السفاح قلنسوة الأموي، وأمر العبيد فوضعوا فيهم السيوف وقتلوهم عن آخرهم، ثم التفت إلى عمر وقال له: ما أظن الأمير يحبّ البقاء بعدهم، فقال: لا فأمر بإقامته، فأقيم وضُربت عنقه، وجروا بأرجلهم حتى القوافي رحبة القصر وعليهم سراويلات الوشي.

ثم إن سليمان بن هشام قدم على السفاح، وكان قد فرَّ منه إلى السند فأكرمه وأعْظَمَهُ وقرَّبه منه، وصيَّره في جلسائهِ لظرفه / ١٠٤/ وعقله وآدابه وفصاحته ودماثة خلقة، فحسده أبو مسلم[2]، فأمر سديفاً فأنشده: [من الخفيف]

أظْمأتنا أميّة حتى ما غبطنا مسوّغاً للحياة

كيف بالعفو عنهم وقديماً قتلونا بالضرب والمثُّلاتِ

أيْن زيدٌ وأين يحيى بن زيدٍ يا لها من مصيبةٍ وتراتِ

والإمام الذي أُصيبَ بحرّان إمام التقى ورأس الهداةِ

لا تزال الصدور آلمةً ما لم تَنَلْ من أُميّة الثاراتِ

فتنفّس السفاح الصعداء، ثم أمر سليمان وابنيه فقُتلوا، ثم إن شاعراً أمن بني أُمية صنع هذه الأبيات ولطف في إيصالها إليه وهي[3]: [من الرمل]

ولقد أبْصَرْتُ لو ينقضي عبراً والدهر يأتي بالعَجَبْ

أيْنَ رَوْقا[4] عبد شمس أين هُم أين أهل الباع منهم والحَسَبْ

كلُّ سام الجدّ محمود الجدا واضحُ الغرّة بدرٌ منتخب

---

(١) الأصل: الصوت.

(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ١٨٣ وكان أبو مسلم يكتب إلى أبي العباس في أمر سليمان: إذا كان عدوّك ووليّك عندك سواء فمتى يرجوك المطيع لك المائل إليك، ومتى يخافك عدوك المتجانف عنك!

(٣) الأبيات لحفص بن أبي جمعة، مولى عباد بن زياد، كان مدّاحاً لبني أمية في أيام بني أمية وأيام المنصور، فلم ينكر عليه المنصور ذلك، وصيره مؤدباً للمهدي في مجالسه، مات قبل أن يلي المهدي الخلافة والأبيات مما قاله في مدح بني أمية. (انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٠١).

(٤) في الأصل: زرقا.

لـم يـكـن أيـدٍ لـهـم[1] عـنـدكـمُ ... مـا فـعـلـتـم يـالـعِـبـد الـمـطـلـبْ
إن تـجـذوا الأصـل مـنـهـم سَـفَـهـاً ... يـالـقـومـي لـلـزمـان الـمـنـقـلـبْ
إنَّ هـــذا الـــدهـــر لا بـــدّ لـــه ... بـخـيـار الـنـاس يـومـاً يـنـقـلـبْ

فغضّ السفاح من فِعلِه، وألان جانبه، وفلَّ غرب سطوتِهِ.

ومولده سنة خمس ومائة، وتوفي بالجدري سنة ست وثلاثين ومائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة[2]، ومدّته أربع سنين وتسع شهور وأيام، وقبره بالأنبار.

ثم:

[٢]

دولة المنصور: أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد

وكان منصور اللواء مقصور الرأي على دفع اللأواء، لا ينثني عودُهُ بالالتواء، ولا يستحوذ عليه بالاحتواء، لا يملُّ طول الثواء، ولا يلمّ برده على تأخير الدواء، لا تزعجه تظافر الأشياء والأسواء، ولا تردعه تغاير الأهواء، أوْقَعْ على مقاصده من مواطن /١٠٥/ الأنواء، وأبْصَر بمصالحه من نواظر الصحة عداوة الأدواء، لا يفكر في عبادٍ يهلكها لبلادٍ يملكها، ولا يستأثر بدماء يسفحها لنعماء يمنحها، حتى توطدّت قواعد ملكه وتوطَّنَتْ فرائد الأقاليم في سِلْكِه، فما أعجزه مرام، ولا أعجزه حافز أمرٍ على تمام، ولم يكن في بيته أقوى منه شكيمة، ولا أورى زناد عزيمة، ولا أغْزر علماً، ولا أوْفر حِلْماً، إلاَّ أنه كان مُبَخَّلاً لا يرشح له صلد بندى، ولا يفيض له بحر بجدا، ونَجَمَتْ في مدته خوارج فرماها بغوائلِهِ، وما رآها حتى شفى منها صدور مناهله، فاستقام له غَوْيُّها، ودَخَلَ في ذمام طاعتِهِ عصيُّها، ومن نأت عليه أنْهَدَ إليها جيوشه، فأوطئها أحداثاً، وأوطنها أجْداثاً، ثم بعث إلى الأطراف فسدّ ثغورها وشدَّ شعورها، بنى المدن ومدّنها، وسجن المعاقل وحَصَّنها، وكان لا يطمع في اهتبال غرَّته، وإخلال سيرته، فما لانت حصاته لما صنع ولا هانت حصانته على زائغ، فلم

---

(١) في الأصل: أندٍ لهم.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٠ واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته، فقال بعضهم: كان له يوم توفي ثلاث وثلاثون سنة، وقال هشام بن محمد، كان يوم توفي ابن ست وثلاثين سنة، وقال بعضهم: كان له ثمان وعشرون سنة، ونقل ذلك عنه ابن الأثير في الكامل ٤/ ٣٤٦ وفي أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣: كان له يوم توفي ست وثلاثون سنة ويقال أقل من ذلك وفي مروج الذهب ٢/ ١٩٩ ومات بالأنبار.. وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة، وفي تاريخ ابن الوردي ٣/ ٢٦٢: وعمره ثلاث ثلاثون.

يتخلّص من قبضته نازغ، ولا قصده إلا من عاد بقلبٍ ملآن فارغ، ودام الملك في بنيهِ تتوارثه، وينتقل إليهم عنه موارثه، ، وها هم إلى اليوم، في بقايا نعمه التي أحْرزها، وذخائِرِهِ، وهي الخلافة التي في بيته كنزها، وهو داهية القوم، وقلَّبَتْهُ الأحوال أكثر من كل بني أبيه، واضطر في دولة بني أمية إلى أنه قصد شيعتهم بالعراق فمرّ في طريقه بقصر خالد بن عبد الله القسْري[1]، فلما رآه خالد ولم يكن يعرفه طالَبَهُ وسألَهُ عن نَسَبِهِ وأين يريد، فأخفى نَسَبَهُ وقال: اني أريد العراق لدينٍ عليَّ، وحقوق لزمتني، فأمر له بمالٍ جليل وأعاده، فراعاه له أبو جعفر، فلما أفْضَتْ إليه الخلافة فردَّ على آل جعفر[2] نعمتهم.

وألْجأته الضرورة إلى أنَّه تزوّج امرأة من الأزد وأكرى نفسه مع الملاحين يمدُّ في الحبل، وأولد تلك الامرأة ولداًكتب في دولة أبي جعفر عند أبي أيوب المورياني[3] وهو /١٠٦/ لا يدري ولا الصبي أنه ابن أبي جعفر، فرآه أبو جعفر فهفت إليه نوازعُهُ، فسأله عن أبيه، فقال: رجل شريف تزوج بأمي، فسأله عن أُمِّهِ وأهله ومكانه، فعرفه، وعَرَّفه أنه ابنه، ثم أمره بحمل أُمه وأهْلَهُ إليه، فلما سافر لهذا بعث أبو أيوب مَنْ تتبّعَهُ وقتله غيلةً خوفاً منه لما كان اطلع عليه من معايبه.

وأُمسك أبو جعفر المنصور في آخر سلطان بني أمية بسبب مال[4]، وضربه عامل البصرة بالسياط، وكان أبو أيوب المورياني يكتب لعامل البصرة، فقام وأكبَّ على أبي جعفر وخَلَّصَهُ، وكان أبو جعفر يرعى له هذا الودّ، ثم كان منه ما كان إليه على

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، ولي مكة سنة ٨٩ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام بن عبد الملك العراقين سنة ١٠٥هـ، فأقام بالكوفة ثم عزله هشام سنة ١٢٠ بيوسف بن عمر الثقفي وامره بمحاسبته، فاشتد عليه وعذّبه، ثم قتله سنة ١٢٦هـ أيام الوليد بن يزيد.
انظر: الأغاني ١٩/ ٥٣ وكامل ابن الأثير ٤/ ٢٦٢.

(٢) كذا في الأصل، ولعله اراد آل خالد.

(٣) أبو أيوب المرورياني سليمان بن أبي سليمان المورياني، مولى بني سليم، كان على ديوان يوسف بن عمر، ثم عمل ليزيد بن عمر بن هبيرة، ثم اتصل بالعباسيين وكتب للمنصور ثم سجنه المنصور فمات في سجنه. انظر: انساب الأشراف ٣/ ٢٧٤.

(٤) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٧: لما خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل يزيد بن الوليد بن عبد الملك، سار إليه المنصور فيمن أتاه من بني هاشم فولاه أيذج من الأهواز فأخذه سليمان بن حبيب بن المهلب، وكان عامل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على الأهواز، فحبسه وشتمه ومن هو منه وأراد قتله، فقال له سفيان بن معاوية ويزيد بن حاتم: إنما أفلتنا من بني أمية بالأمس أفتريد أن يكون لبني هاشم عندنا دم فخلى سبيله..

ما يأتي في موضعه.

ولما مات السفاح، خرج عليه عبد الله بن علي[١] بالشام وكان عليه من قبل السفاح، وقال: إنَّ السفاح عهد قبل موته الأمر لقاتل مروان وأنا قاتله، فقالوا: صدقت، وبايعوه، فبعث إليه المنصور أبا مسلم، فالتقوا ببلاد نصيبين، وكانت بينهم حروب عظيمة دامت شهوراً، ثم انهزم أصحاب عبد الله بن علي إلى البصرة[٢]، وكان عليها أخوه سليمان بن علي، فأنزله وأخبر المنصور، فأمره بحبسه، ثم كان آخر العهد به، ثم إن أبا مسلم شمخ بنفسه، فأرسل إليه المنصور يقطين بن موسى[٣] ليقبض ما أصاب، فردّه ردّاً قبيحاً، ثم سار أبو مسلم من الجزيرة، وقد أزْمع على الخلاف، وبلغ الخبر المنصور وهو بالمدائن، فاغتمّ لذلك، وسار إلى مدينة رومية وكتب إليه: إني أريد أنْ أشاورك في أمر لا استطيع أن أكتبه فأْتِني مُسْرِعاً، فلم يلتفتْ إلى الكتاب، فَدَسَّ عليه صاحباً له[٤]، فأتى به، فقتله على الصورة المعروفة، ولما قتله الْتَفَتَ إليه ثم قال: يرحمك الله أبا مسلم بايعتنا وبايعناك، وعاهدتنا وعاهدناك، ووافيتنا ووفينا لك، وإنا بايعناك على أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلاّ قتلناه فخرجت علينا فقتلناك.

وحكي: إنَّ أبا مسلم كان يجد في خبره في الكتب /١٠٧/ السابقة وأنه مميت دولة ومحيي دولة، وأنه يقتل ببلد الروم، وهي من المدائن من العراق، ولما ضربه المنصور أوّل ضربة وقال له: استبقني يا أمير المؤمنين لأعدائك، فقال: لا أبقاني الله إن أبْقَيْتك، وأيّ عدوّ أعْدا لي منك. وكان مقتله سنة سبع وثلاثين ومائة، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة. ذكره الغرناطي، ولما رآه المنصور طريحاً بين يديه قال[٥]:

---

(١) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، عم أبي جعفر المنصور، ولي الشام منذ أيام افتتاحها أيام السفاح، ثم لما بويع للمنصور خرج عليه سنة ١٣٧هـ. انظر: أنساب الأشراف ٣/ ٢١٢ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٢ وتاريخ الطبري ٧/ ٤٧٤ وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٤٨ ومروج الذهب ٢/ ٢٤١.

(٢) انهزم إلى البصرة عبد الله بن علي وابن سراقة الأزدي وبعض قواده ومواليه (تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٨).

(٣) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٨: فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا في عسكر عبد الله بن علي، فغضب من ذلك أبو مسلم. انظر كذلك ٧/ ٤٨٢ منه وفيه إنه أرسل إليه كتاباً لما رحل من الشام مع يقطين، وفيه أيضاً: لما ظفر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن علي بعث المنصور يقطين بن موسى، وأراده أن يحصي ما في العسكر.

(٤) هو جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، كما في الطبري ٧/ ٤٨٣، قال كان واحد أهل زمانه، فخَدَعه وردّه.

(٥) البيتان والخبر في تاريخ الطبري ٧/ ٤٩٣ ومروج الذهب ٢/ ٢٣٢ وكامل ابن الأثير ٤/ ٣٥٤ وهي في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٨ لأبي عطاء السندي.

[من السريع]

زَعَمْتَ أن الدين لا يُقْتَضى   فاستوف بالكيل أبا مجرم

واشرب[١] بكأسٍ كنت تسقي بها   أمرَّ في الحلق من العلقم

فاضطرب أصحاب أبي مسلم، فنثرت عليهم الأموال، وأُعلموا بقتله، فأمسكوا رغبةً ورهبةً، ومضى أبو مسلم لسبيله، ولم يُغْنِ عنه كثيرهُ قبيلِهِ، ولا توقّظ بَصَرٌ كان يسري بقنديلِهِ، ولا نجّاه بعد غَوْرٍ كانت السفن تفرق في ضحضاحه، وتدلج ولا تظفر بصباحه، فلم ينفع بحذار، ولم يدفع بحذرٍ لمقدار.

وحكت سلامة[٢] أم منصور، قالت: رأيت حين حملتُ به أسداً خرج من قبلي، فأقْعى وزأر، وضرب الأرض بذنبه، فاجتمعت عليه الأسود وكان كلما جاءه أسَدٌ سجد له.

وكان المنصور فقيهاً عالماً حافظاً، قال مالك بن أنس[٣]: ما اجتمعتُ قط بأبي جعفر المنصور إلاّ احتقرتُ نفسي.

وادّعت الراوندية[٤] فيه الألوهية، وخرج لدفعهم فأرادوا قتله وقالوا: نريد أن تخرج الجزء الإلهي من هذا الناسوت، فخافهم، فاختطَّ مدينة بغداد، وانتقل من الهاشمية إليها، وقد تقدّم ذكر بغداد في موضعه من تقسيم الأقاليم.

وكان أبو حنيفة ممن على عملها.

وعن عمير المديني، قال: قدم علينا المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي على قضائهِ، وأنا كاتبه، فاستعدى الحمالون عليه في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتاباً بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: تَعْفيني /١٠٨/ من هذا فإنه يعرف خطّي، فقال: اكتب، فكتبت، ثم ختمته، فقال: لايمضي به والله غيرك، فمضيت به

---

(١) في الأنساب والطبري والكامل: سُقيت.

(٢) أم ولد بوبرية، وانظر الخبر في مروج الذهب ٢/ ٢٢٣.

(٣) مالك بن أنس، من أهل المدينة، تلقى عن التابعين، وأخذ فقه الرأي عن ربيعة الرأي ويحيى بن سعيد، وكان محدثاً وفقيهاً، له كتاب الموطأ، انتشر مذهبه في مصر وشمال إفريقية والأندلس، الموسوعة الميسرة ص١٦٣٠.

(٤) الراوندية، عدة فرق من الشيعة العباسيين، ظهروا في خراسان ولم يعمروا طويلاً منهم من يسوق الخلافة من علي إلى ابنه محمد ابن الحنفية، ثم إلى ابنه أبي هاشم، ثم إلى العباسيين بالوصية، ومنهم من يجعلها بعد وفاة النبي بنص منه إلى عمه العباس، ثم يسوقها بالوصية في ولده، ويغلب عليهم القول بالحلول والتناسخ، الموسوعة العربية الميسرة ص٨٥٨.

إلى الربيع[١]، وجعلت إليه اعتذر، فقال: لا عليك، فدخل عليه بالكتاب، ثم خرج الربيع فقال للناس: أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد دُعيتُ إلى مجلس الحكم، فلا أعْلمنَّ أحداً قام إلي إذا خرجت أو بدأني بالسلام، ثم خرج، والمسيب بين يديه والربيع وأنا خَلْفَه، فسلّم على الناس، فما قام إليه أحد، ثم مضى حتى بدأ بالقبر، فسلَّم ثم الْتَفَتَ إلى الربيع وقال: يا ربيع، ويحك أخْشى إن رآني ابن عمران أن يدخل قلبه لي هيبةً فيتحوّل عن مجلسهِ، وتاالله إن فعل لا ولي لي ولايةً أبداً، فلما رآه وكان متكئاً، أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به، ودعا بالخصوم والحمالين، ثم دعا بالمنصور فسوى بينهم، ثم ادعى عليه القوم فقضى لهم، فلما دخل الدار قال للربيع: اذهب، فإذا قام وخرج من عنده الخصوم فادعُه، فقال: يا أمير المؤمنين: إنه ما دعا بك إلاّ بعد أن فرغَ من أمور الناس، فمضى ودعاه، فلما دَخَلَ عليه سلّم، فقال له: جزاك الله عن دينك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء، لقد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها، فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك.

وحكى البلاذري قال[٢]: ما كان المنصور يستصبح إلاّ بالزيت في القناديل، وربما خرج إلى المسجد ومعه مَنْ يحمل سراجاً بين يديه، ثم إنه حمل بين يديه ما فيه الرطل والمنا[٣]، وكان إذا أراد قراءة الكتب أو كتابتها، أحضر شمعة في تور[٤] ثم إذا فرغ رفعها، وكان لا يرى إلاّ الاقتصاد في كل أُموره والاقتصار على الضروري الذي لا بدّ منه.

وكان أبو عبيد الله الكاتب يقول: كان المنصور يعطي الناس في حق وأعلمهم[٥] بحرمةٍ، وأشَدّهُم شكيمة على عدوّ، وكان أمره جدّا كلّه وسمع[٦] المنصور جَلْبَةً في داره، فقال: ما هذا؟ فإذا خادم له قد جلس وغلمة حوله وهو يضرب لهم بطنبور، وهم يضحكون منه، فأخبر بذلك فقال: وما الطنبور؟ فوصفه /١٠٩/ له حماد[٧]

---

(١) الربيع بن يونس بن محمد حاجب المنصور، من العقلاء ذوي الرأي والحزم اتخذه المنصور حاجباً ثم استوزره، ثم حظي عند المهدي، وجعله المهدي على دواوين الازمة إلى أن مات سنة ١٦٩هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨/ ٤١٤ والوزراء والكتاب ص١٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٣.

(٣) الأصل، المن والتصويب عن الأنساب، والمنا، الكيل، والمكيال الذي يكيلون به السمن وغيره.

(٤) في التور: الاناء.

(٥) في الأصل: وأعملهم.

(٦) الخبر في انساب الاشراف ٣/ ٣٠٠ وأيضاً في تاريخ الطبري ٨/ ٦٣ والنقل عن الأنساب.

(٧) في الأصل: حمار، والتصويب عن الانساب.

التركي فقال له: وما يدريك به[١]؟ فقال: رأيتُهُ بخراسان، فقال: نعم، ودعا بنعله، وقام يمشي رويداً حتى أشرف على الغلمان[٢]، فلمّا أبْصروه تفرّقوا، فقال: خذوا الخادم فاكسروا ما معه على رأسه، ثم قال: يا ربيع أخرجه من قصري وابعث (به)[٣] إلى حمران النخاس حتى يبيعه فوجه به الربيع من ساعتِهِ فبيع[٤].

وعن[٥] رجل من حَشَم المنصور قال: كان المنصور يقسم علينا الأرزاق وما في الخزائن حتى الفانيد والدرياق[٦].

وركب[٧] المنصور يوماً نحو باب قطربل[٨] حتى دخل من ناحية باب حرب[٩] فأساء بعض أحداث مواليه وسار في ناحية أَمَرَ أنْ[١٠] لا يسير فيها أحد كراهةً للغبار، فالتفت إلى عيسى بن علي وهو يسايره فقال: والله ما ندري يا أبا العباس ما نصنع بهؤلاء الأحداث، إن حملناهم على الأدب وأخذناهم بما يجب ليقولن جاهل لم يحفظ آباءهم فيهم، وإن تركناهم وركوب أهوائهم ليفسدنّ علينا غيرهم.

وسُئِل[١١] عنه إسحاق بن مسلم (قال): لقد سبرتُ أبا جعفر فوجدته بعيد الغور، وعجمت عوده فوجدته صلب الكسر، ولمسته فوجدته خشن الملمس، وذقته فوجدته مُرَّ المذاق، وإنه وما حوله كما قال ربيعة[١٢]: [من الطويل]

سما بي فرسان كأن وجوهَهُم ... مصابيحُ تبدو في الظلام مزاهر[١٣]
يقودهم كبشٌ أخوْ مصمئلَّةٍ[١٤] ... حليف ندى قد لَوَّحَتْهُ الهواجرُ

وقال[١٥]: يقول للمهدي: يا بني استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو والطاعة

---

(١) في الأنساب: وما يدريك ما الطنبور.
(٢) بعده في الأنساب: فرآهم.
(٣) الزيادة عن الانساب.
(٤) بعده في الأنساب: بالكرخ.
(٥) أنساب الأشراف ٣/ ٣٠١.
(٦) في الأنساب: الترياق، وبعده: وكان مشايخ أهله يدخلون عليه بالعشيات في النعال والأردية.
(٧) الخبر في أنساب الأشراف ٣/ ٣٠١.
(٨) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر، أكثر الشعراء من ذكرها (ياقوت ـ قطربل).
(٩) باب حرب، منسوبة إلى حرب بن عبد الملك أحد قواد المنصور من محلات بغداد وفيها قبور كثير من الصالحين (ياقوت ـ باب حرب).
(١٠) كلمة غير مفهومة في الأصل، واثبتها عن أنساب الأشراف وهو مصدر الخبر.
(١١) أنساب الأشراف ٣/ ٣٠٢، وفيه: وقال إسحاق بن مسلم.
(١٢) بعده في الأنساب: بن مكدم.
(١٣) في الأنساب: زواهر.
(١٤) المصمئلّ، الشديد، ويقال للداهية: مصمئلة.
(١٥) كذا في الأصل، ولعلها: وكان، والكلمة نقلاً عن الأنساب ٣/ ٣٠٣ وهي أيضاً في تاريخ الطبري ٨/ ٧١.

بالتألّف والنصر بالتواضع لله والرحمة للناس.

ولما[١] أتاه مخرج محمد بن عبد الله[٢] بالمدينة سنّ عليه درعه، وتقلّد سيفه ولبس خُفَّهُ، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: [من الوافر]

مالي أُدافع عن سعدٍ ويشتمني ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكنوا[٣]

جهلاً عليّ وجبناً عن عدوّهم لبئست الخلتان الجهل والجبُن

/ ١١٠/ أما والله لقد عذروا عما قمنا به فما عضدوا الكافي ولا شكروا المنعم، فماذا حاولوا؟ أأشرب رنقاً على غصص، وأبيت منهم على مضض، كلاّ والله إني لا أصِلُ ذا رحم بقطيعة نفسي، وإن لم يرض بالعفو مني ليطلبنّ ما لا يوجد عندي، ولأن أُقْتَل معذوراً أحبّ إليّ أن أحيا مستذلاً، فليبق ذو نفْسٍ على نفسِهِ قبل أن يقضي نحبه، ثم لا أبكي عليه، ولا تذهب نفسي حسرةً لما ناله[٤]، ثم دقّ بيده على صدره وأنشد:

[من الوافر]

فكم من غارةٍ ورعيلِ خيلٍ تداركها وقد حمي اللقاء

فردّ رعيلها حتى ثناها بأسمر ما يُرى فيه ٱلتواء

ثم أنشد: [من الكامل]

ونَصَبْتُ نفسي للرماح دريئة[٥] ان الرئيس لمثل ذاك فعولُ[٦]

ثم لم يلبث أن أتاه الخبر بمخرج إبراهيم بن عبد الله إثر أخيه، جمع المنصور بني أبيه وقال: ما ترون؟ فقالوا: توجّه موسى بن عيسى[٧]، فقال: (يا ولدي ما

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٣٠٣ وتاريخ الطبري ٨/ ٩٢.

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، الثائر بالمدينة سنة ١٤٥هـ، وقد مضى خبره.

(٣) البيتان من قصيدة لقعنب ابن أم صاحب كما في مختارات ابن الشجري ص٦، وفيه مالي اكفكف، وفي الأصل: ولو شتمت بنو وهو لحن.

(٤) ما بعده لم يرد في الأنساب، وفي ٣/ ٣٠١ منه:
قال: وركب المنصور وأهل بيته حوله وقد بلغه خبر محمد بن عبد الله، فقال عثمان بن عمارة المري: إن حشو أثواب هذا الرجل لمكر ودهاء ونكر وما هو إلا كما قال جذْل الطعان. وذكر البيتين.

(٥) في الأصل: ذريعة.

(٦) البيت في أنساب الأشراف ٣/ ٣٠١ وفيه: لما خرج ابنا عبد الله بن حسن بن حسن، وجاءه فتق من ناحية غير ناحيتهما جعل ينكث بقضيب معه ويقول: .....

(٧) كان المنصور قد وجّه عيسى بن موسى العباسي إلى قتال محمد بن عبد الله بالمدينة.

أنصفتم، وجهت أباه، وأوجهه ما يجوز، قالوا: فوجّه عبد الله بن علي وأصطنعه، قال: هيهات، أبعثُ عليّ حرباً أخرى، إن خافني مالأ عدوّي عليّ، وإن ظفر أعاد الحرب بيني وبينه جذْعةً، وقد سمعتكم تذكرون أنَّ له أربعة آلاف مولى يموتون تحت ركابه، فأيّ رأيٍ هذا، والله لو دَخَلَ عليَّ إبراهيم بسيف مسلول لكان أهون علي من تقبيل عبد الله بن علي رأسي، ثم جهز إليه موسى بن عيسى[(١)].

وحكى المنصور قال: رأيت كأني حول الكعبة، فنادى منادٍ من جوف الكعبة: أبا العباس، فنهض أخي، فدخل الكعبة، ثم خرج وبيده لواء قصير فمضى، فنادى منادٍ يا عبد الله، فنهضتُ أنا وعمي عبد الله بن علي نبتدر، فلما استوينا على الدرجة العليا دفعته عن الدرجة فهوى ودخلتُ الكعبة، فإذا برسول الله ﷺ جالس، فعقد لي لواءً طويلاً على قناة، وقال خُذْها حتى تقاتل بها /١١١/ الدجّال.

وحكى عنه شبيب بن شبة الأهْتمي التميمي[(٢)] وقال: حَجَجْتُ في العام الذي ولي فيه الوليد بن يزيد[(٣)]، فبينا أنا مريح ناحية من المسجد إذْ طلع من بعض أبوابه فتى كأنّ عينيه لسانان ناطقان، يخلط أبهة الأملاك بزيّ النسّاك، فما ملكت نفسي أن نهضتُ في إثره سائلاً عن خبرِهِ فسبقني فتحرّم بالطواف، فلما سبّع[(٤)] قصد المقام، فركع، ثم نهض منصرفاً فكأن عينا أصابَتْهُ، فكبا كبوةً ذهب لها إصبعه، فَقَعَدَ لها القرفصاء، فدنوت منه متوجعاً له أمسح عن رجله التراب، فلم يمتنع، فشققتُ حاشية ثوبي فعصبتُ بها إصبعه، فما تأفف، ثم نهض متوكأً عليّ حتى أتى داراً بأعلى مكة، فابتدره رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته، ففتحا له الباب، فاجتذبني فدخلتُ بدخولهِ، ثم خلاّ يدي، وأقبل على القبلة فصلّى ركعتين أوجزهما في تمام، وصلى على النبي ﷺ أتمَّ صلاة وأطيبها، ثم قال: لم يخف عني مكانك بعد اليوم ولا فعلك بي، لمن تكون يرحمك الله، فسمَّيتُ له نفسي، فرحَّب وقرَّب ووصف قومي بخير، فقلت له: أنا اجلّك يرحمك الله عن السؤال، وأحبّ المعرفة، فتبسّم وقال: لطف

---

(١) كذا، وإنما جهّز إلى إبراهيم بن عبد الله عيس بن موسى بعد أن فرغ من أمر محمد بن عبد الله كما في مصادر الخبر.

(٢) شبيب بن شبه بن عبد الله الأهتمي التميمي، أبو معمر، أديب الملوك، وجليس الفقراء وأخو المساكين، من أهل البصرة، وكان يقال له الخطيب لفصاحته وكان شريفاً من الدهاة ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم توفي نحو ١٧٠هـ. (الأعلام ٣/ ١٥٦).

(٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بويع له سنة ١٢٥هـ قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ (مختصر ابن الكازروني ص١٠٥).

(٤) سبّع: أي طاف سبعة أشواط.

أهل العراق أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فقلت له: بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك، وأدلّك على منصبك، ولقد سبق إلى قلبي من محبّتك ما لا أبلغه بوصفي لك، قال: فاحمد الله يا أخا بني تميم إنما يُسعد الله من أَحَبّنا بحبّه، ويشقى ببغضنا من أبْغَضَهُ ولن يصل الإيمان إلى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله وأهل بيته، ومهما ضعفنا عن جزائه قوّى الله على أدائهِ، قلت: إن أيام الموسم ضيقة، وشغل أهل مكة كثير، وفي نفسي أشياء أحبّ أن أسأل عنها، أتأذن فيها؟ فقال: نحن من أكثر الناس مستوحشون، وأرجو أن تكون للسر موضعاً وللأمانة واعياً، فإن كنت كما رجوت فافعل /١١٢/ فقدّمت من وثيق القول والأيمان ما سكن إليه، وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[1]، ثم قال: سل عمّا بدا لك، قلت: ما ترى فيمن على الموسم، وكان محمد بن يوسف الثقفي[2]، فتنفس الصعداء، وقال: أعَنْ الصلاة خلفه تسألني؟ أمْ كرهت أنْ يتأمّر علينا أهل البيت؟ قلت: عن كِلا الأمرين. قال: إن هذا عند الله لعظيم، فأما الصلاة ففرض الله تعبَّد بها خلقه، فأدّ ما فُرض عليك في كل وقت مع كل أحد، فإنه لو كلَّفَكَ ألا تؤدي نسكاً إلا مع أكمل المؤمنين إيماناً لضاق عليك الأمر، فاسمح يسمح لك. ثم سألته عن أشياء من أمور ديني، فما احتجت أن أسأل أحداً بعده، ثم قلت: يزعم أهل العلم إنه سيكون لكم دولة، قال: لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها، فنسأل الله خيرها، ونعوذ به من شرِّها، فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها، قلت: وإنه يبتلي بكم من أخلص المحبّة؟ قال: قد روي إنَّ البلاء أسرع إلى محبّنا من الماء إلى قرارِهِ، قال: فقلت له: إني أخاف ألاّ أراك[3] بعد اليوم، قال: أرجوا أن أراك وتراني كما تحبّ إن شاء الله، قلت: عجّل الله ذلك. قال: آمين، فقلت: ووهبني السلامة منكم فإني من محبيكم، قال: آمين، وتبسّم، ثم قال: لا بأس عليك ما أعاذَكَ الله من ثلاث، قلت: ما هُنَّ، قال: قدح في الملك، وهتْك في الدين، أوْ تهمة في حرمة، ثم قال: احفظ عني، لا تجالس عدوّنا وإن اخطبناه، فإنه مخذول، ولا تخذل وليّنا فإنه منصور، وأصحبنا بترك المماكرة، وتواضع إذا رفعوك، وصِل إذا قطعوك، ولا تخطب الأعمال، ولا تتعرّض للأموال وأنا رائح من عشيّة

---

(١) الأنعام: ١٩.

(٢) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج استعمله على اليمن، ثم ضمَّ إليه الجند، فلم يزل والياً عليهما إلى أن توفي سنة ٩١هـ، وكان ظالماً سفاحاً. انظر: تاريخ الإسلام ٤/ ٥١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣١٣.

(٣) في الأصل: أني لأخاف إني أراك.

فهل من حاجة، فنهضتُ لوداعه، فلما خرجت أتبعني مولىً له بكسوة، وافترقنا، فوالله ما رأيته إلاّ وحرسيان قابضان عليّ يدنياني منه في جماعة من قومي لأبايعَهُ، فلما نظر إليّ قال: خلِّيا عمن صحّت مودّته، وتقدمت /١١٣/ خدمتُهُ، وأُخذت قبل اليوم بيعتُه، ثم قال: أين كنت عنّي أيام أخي أبي العباس؟ فذهبت أعتذر، فقال: أمسك فإن لكلّ شيء وقتاً لا يعدوه، فاختر بين رزق يشغلك أوْ عملٍ يرفعك قلت: أنا حافظ لوصية أمير المؤمنين، قال: إنما نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنْهِك عن قبولها، قلت: الرزق مع قبول أمير المؤمنين أحبّ إليّ، قال: هو أجَمُّ لقلبك، وأحبُ إليَّ لك، ثم قال: قد ألحقْنا عِيالك بعيالنا، وخادمك بخادمنا، وفرسك بأفراسنا، ثم ضمَّهُ إلى المهدي، فكان معه.

ورأى المنصور قبل موته بيسير أعاجيب كثيرة مؤذنة بهلاكةِ، منها: إنه[١] لما دخل آخر منزل نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذي نزله فإذا فيه مكتوب:

[من الطويل]

أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضَتْ ... سنوك وأمر الله لا بُدَّ واقِعُ[٢]

أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو منجمٌ ... لك اليوم من حرّ المنيّة مانع[٣]

فأقرأ متولي المنزل البيتين، فقال: ما أرى شيئاً، فأقرأ حاجبه فقال كذلك.

فقال: اقرأ آيةً من كتاب الله تشوقني إلى لقائه، فقرأ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٤]، فقال له: أما وجدْت آيةً غيرها؟ قال: والله لقد محي القرآن من قلبي غيرها.

وهتف به هاتف قبلها بهذهِ الأبيات[٥]: [من البسيط]

أما وربّ السكون والحركِ ... إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ

ما اختلَفَ الليل والنهار ... ولا دارت نجوم السماء في الفلَكِ

إلا لنقل السُّلْطان من ملكٍ ... قد انتهى ملكه إلى ملك

ثم رأى بعد ذلك، كأن منشداً ينشده: [من مجزوء الكامل]

---

(١) الخبر في مروج الذهب ٣٢/٢٤٣ وتاريخ الطبري ٨/١٠٧.

(٢) في المروج: نازلُ.

(٣) في المروج: يردّ قضاء الله أم أنت جاهلُ.

(٤) الشعراء: ٢٧.

(٥) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ٨/١٠٧.

أأخيّ خفّض من مُناكا فكأنَّ يومك قد أتاكا
ولقد أتاك الدهر من تصريفه ما قد كفاكا[١]
/١١٤/ وإذا رأيت الناقص العبد الذليل فأنت ذاكا[٢]
مُلِّكت ما مُلِّكته والأمر فيه إلى سِواكا

وذكر عنه أنه كان في مجلس من أعلى باب خراسان إذْ جاء سهم عائر[٣] فسقط بين يديه، فذعر وجعل يقلبه، فإذا بين الريشتين مكتوب: [من الوافر]

أتطمع في الحياة إلى المعاد وتحسب أن مالك من نفادِ
ستسأل عن ذنوبك والخطايا وتُسأل بعد ذاك عن العبادِ

ثم قرأ عند الريشة الثانية: [من البسيط]

أحسنت ظَنَّكَ بالأيام إذ حسُنت ولم تَخف سوءَ ما يأتي به القدرُ
وسالمتكَ الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

ثم قرأ عند الريشة الثالثة: [من البسيط]

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريكَ خسيس الناس ترفعه إلى السماء ويوماً تخفض العالي

وإذا على جنب السهم: رجلٌ من همدان مظلوم في حبسك، فبعث من فوره، ففتش عليه فوجده فأنْصَفَهُ وأزال ظلامته، ولما رأى ما رأى من العجائب المنذرة بهلاكه قال لحاجبه الربيع: إني أتخوّف على هذا الأمر قال له: مَنْ يا أمير المؤمنين تعني عيسى بن موسى وهو معك بالحضرة، فأْمرني فيه بأمرك حتى أُنفذه، فقال: لا ياربيع أن عيسى رجلٌ ما أعطى الله عهداً إلاّ وفى به. وإنما أتخوف صاحب الشام عبد الوهاب[٤] بن إبراهيم الإمام، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم اكفني عبد الوهاب قال الربيع: فلما مات المنصور ودليته في القبر، وعرضت عليه الحجارة سمعتُ هاتفاً يهتف من القبر: مات عبد الوهاب، وأُجيبت الدعوة، قال الربيع: فهالني ذلك الصوت، وجاء الخبر بعد سابعةٍ بوفاة عبد الوهاب[٥].

---

(١) في الطبري: أراكا.
(٢) في الطبري: فإذا أردت الناقص.
(٣) عائر: ضال لا يعرف راميه.
(٤) عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولاه المنصور الشام فمات هناك سنة ١٥٧هـ انظر: أنساب الأشراف ٣/ ١٤٢) وتاريخ مختصر الدول ص٢٠٩.
(٥) المروى أن عبد الوهاب مات سنة ١٥٧هـ ومات بعده المنصور سنة ١٥٨هـ.

ومولده سنة خمس وتسعين، وتوفي في ذي الحجة لست خلون منه سنة ثمان وخمسين ومئة، وعمره ثلاث وستون سنة[١]، ومدتهُ /١١٥/ نحو اثنين وعشرين سنة، وقبره ببئر ميمون قرب مكة المعظمة.

ويروى له من الشعر قوله[٢]: [من مجزوء الكامل]

المرء يهوى[٣] أن يعيش وطول عيشٍ قد يَضُرُّه
تفنى[٤] بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مُرُّه
وتصرّف[٥] الأيام حتى ما يرى شيئاً يسرّه
كم شامتٍ بي إنْ هلكتُ وقائلٍ لله درَّه

ثم:

[٣]

دولة المهدي: أبي عبد الله محمد بن المنصور

وكان أبوه قد عهد أموره، وقرب له مدى الخلافة، وما مات حتى أكد له البيعة، ووثق له أسباب الملك، وكان مما بالغ فيه من التمهيد له أنه أثره دونه بحسن السمعة وخلاص الذمّة، فإنه أَخَذُ أموالاً حسنة من الناس وأودعها[٦] بيت المال في أكياسها، وكتب على كلّ مال اسم صاحبه، ثم لما عزم على الحج قال له: يا بني إذا أنا مُتُّ رُدّ كل مالٍ على صاحبه ليحبوك، فلما مات رَدّ الأموال على أهْلها، وقالوا ظلمنا أبوه وأنصفنا هو فأحبوه، وتيمّنوا بأيامه، ولما ولي نفَّس خناق الناس، وحلّ عُقَد أبيه، وأزال تشدّده، وأطلق ما أمسك به يديه، ولم يحرم طالب ثواب ولا أخذ بطائل عذاب، وكانت أيام هدوء وأعوام خصب، رقّت بها حواشي الحنو، وَرَدَتْ الأمةُ ناهلها صفوا، وردّت نقمها عَفْوا، وَوَرَفَتْ ظلال حلمها فلم يدع هفوا، وأكْثَرَ نَقَلَةُ الأخبار على أنه كان لا يرتضع كأساً، ولا يكاثر لهوا، ولا يقبل فيما ينشد لغوا، بريئاً بنفسه إن يتشاوس نظره زهواً، ويأبى أن يقارف عزيمته سهوا، وكان قريباً مهيباً، متوسطاً في أموره، متناسباً في أحوالِه، وفي المهدي يقول ربيعة الرقي[٧]: [من السريع]

---

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٣١٠، وكان يوم توفي ابن أربع وستين سنة، وانظر الخلاف في مقدار عمره في تاريخ الطبري ٨/ ٦١.

(٢) الأبيات له في أنساب الأشراف ٣/ ٣٠٧.

(٣) في الأنساب: يأمل.

(٤) في الأنساب: تبلى.

(٥) في الأنساب: وتخونه.

(٦) في الأصل: وأودها.

(٧) أبو ثابت ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الأسدي، الرقي، شاعر غزل محسن، كان ضريراً، عاصر =

قد بسط المهديّ كف الندى ... للناس والعفو عن الظالم[1]
/١١٦/ فالراحل الوارد عن بابه ... مبشّر للواردِ القادِمِ

وكان المنصور يريد أن يجعل العهد إليه، وكان إلى عيسى بن موسى فتحيَّل له بأنواع الحيل حتى جعله إليه، وعوّض عيسى بن موسى بعشرة الاف ألف درهم، وجَعَلَهُ بعد المهدي[2]: [من الرجز]

قُلْ للأمين الواحد الموحّد
إنّ الذي ولاّك ربُّ المسجد
ليس وليُّ عهدنا بالأسعد
عيسى فردّها[3] إلى محمد

فرواها الخدم والبطانة، وبلّغوها بإذنه المنصور، فدعى به في مجلس حافل وفيه عيسى بن موسى، فاستنشده فأنشدَهُ إيّاها، وكان فاتحة لكلام المنصور، ثم إن عيسى بن موسى دسَّ على أبي نخيلة مَنْ قَتَلَهُ وسَلَخَ وجه.

وعن سوّار قال: انصرفت يوماً من دار المهدي إلى منزلي فدعوت بالغداء، فجائت نفسي، فدعوتُ بالنرد، فلم تطب نفسي، فدخلتُ القائلة، فلم يأخذني النوم، فنهضتُ فركبتُ بغلةً وخرجتُ، فاستقبلني وكيل لي بألفي درهم، فقلت: دَعْها معك واتبعني، ثم خليت رأس البغلة حتى انتهيت إلى باب دار لطيف عليه شجرة وعليه خادم. فوقفتُ وقد عطشت، فقلت للخادم: عندك ماء؟ قال: نعم، وقام فأخرج قلّة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل، فشربت وحضرت العصر، فدخلت مسجداً هناك فصلّيت فيه، فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يلتمس، فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد، فقلت: وما حاجتك؟ فقال: أرأيت باب هذا القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه، فزالت عنّا النعم، فأتيت

= المهدي ومدحه بعدّة قصائد واتصل بالرشيد، توفي سنة ١٩٨هـ، انظر: الأغاني ١٥/ ٣٧ ونكت الهميان ١٥١ ومعجم الأدباء ٤/ ٢٠٧.

(١) شعره (جمع وتحقيق يوسف بكار) ص١٢٩.

(٢) بعده بياض بمقدار سطر، والأبيات التي بعده لأبي نخيلة وفي الأغاني ٢٠/ ٤٥٨: إن سليمان بن عبد الله دخل على المنصور فأخبره بخبر أبي نخيلة فلما كان يوم البيعة جاء بأبي نخيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد على رؤوس الناس فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، والخبر أيضاً في تاريخ الطبري ٨/ ٢١.

(٣) في الاغاني والطبري: فَزَحْلِفْها.

صاحب الدار لأسأله شيئاً توصلني إلى سوّار فإنه كان صديقاً لأبي، قلت: ومَنْ أبوك؟ قال: فلان فعرفته، فقلت: إن الله قد أتاك بسوّار، منعه الطعام والنوم حتى جاء إليك، ثم أخَذْتُ الدراهم من الوكيل /١١٧/ فدفعتها إليه، وقلتُ له: إذا كان غَد فَصِرْ إلى المنزل، ثم أتيت المهدي فطرفته بحديثه، فأعْجَبَهُ وأمر له بألفي دينار، فنهضتُ، فقال لي: أعليك ديْن؟ قلت: نعم، قال: كم؟ قلت: خمسون ألف دينار، فأمسك وجعل يحدثني ساعة، ثم أتيت منزلي، فإذا خادمه معه خمسون ألف دينار، قال: يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك، ثم لما كان الغد أبطأ عليّ الأعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني، فجئته، فقال: فكرت في أمرك فقلت: يقضي دينه، ثم يحتاج إلى القرض، وقد أمرتُ لك بخمسين ألف دينار أخرى، فقبضتها وانصرفت، فأتاني الأعمى، فقلت له: قد رزق الله بكرمه بك خيراً، كثيراً، فأعطيته صلة المهدي ومِنْ عندي مثلها.

وعن هشام الكلبي(١)، قال: طلبني المهدي، فلما صرتُ إليه أقرأني كتاباً، فألفيتُهُ يتضمَّن شتمه وسبُّه فألقيته مِنْ يدي ولعنتُ كاتبه، وقلت: من كاتب هذا، الملعون الكذاب؟ فقال: هذا الأموي صاحب الأندلس، فقلت: هو وآباؤه وأُمهاته والله أهل لذلك، فسرَّ بقولي ثم قال: أقسمتُ عليك لما أملت مثالبهم كلهم على هذا، وأشار إلى كاتب من كتاب السر، فأمللته، ولم أُبْقِ شيئاً، فلما فرغْتُ منه عرضته عليه فأظهر السرور، ثم ختم الكتاب وجعله في خريطة، ودفعه إلى صاحب البريد، وأمره بتعجيله إلى الأندلس، ثم أمر لي بألفي دينار وعشرين ثوباً وبغلةً شقراء بسرجها ولجامها من مراكبه وأقطعني أرضاً بالبصرة، ثم قال: اكتم ما سمعت.

وعن عبد العزيز بن الماجشون(٢)، قال: سألني المهدي فقال: ما قلْت حين قصدت أصحابك، يعني الفقهاء، قال: قلت: [من البسيط]

يا مَنْ لباكٍ على أصحابه جزعا　　قد كنتُ أحذرُ ذا من قبل أن يَقَعا
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهداً　　فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ١٧٣، وأما هشام فهو ابن محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو المنذر، النسابة الأخباري الحافظ، من أهل الكوفة، قدم بغداد، وحدث بها توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٦٢.

(٢) الماجشون: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي بالولاء، أصله من أصبهان، ونزل المدينة، ثم قصد بغداد فمات فيها سنة ١٦٤هـ وصلى عليه المهدي وكان من الفقهاء ومن حفاظ الحديث الثقات. تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٦ والوافي ١٨/ ٥١٦ ومشاهير علماء الأمصار رقم ١١١٢.

فقال: والله، لأعينك، فأجازه بعشرة آلاف دينار، فقدم بها /١١٨/ المدينة، فأنفذها في السخاء والكرم.

وعن[(١)] واضح قهرمان المهدي، قال: كنت معه بماسبذان[(٢)]، فلم أزل معه إلى بعد العصر، ثم انصرفت إلى مضربي، فلما كان وقت السحر الأكبر ركبتُ لإقامة الوظائف، فسرتُ منفرداً من غلماني، فليقيني أسود عريان على فرد رجل[(٣)]، فدنا مني، ثم قال: أعظم الله أجرك في مولاك المهدي، فَهَمِمْتُ أن أعلوه بالسيف[(٤)]، فغاب عندي، فلما انتهيت لقيني مسرور، فأعلمني بموته، فدخلْتُ فإذا به مسجّى.

وقيل[(٥)]: مات لأنه طرد ظبياً فاقتحم خربةً فدخلها وراءه فدق ظهره باب الخربة فمات.

ومولده سنة سبع وعشرين ومئة، ومدّته عشر[(٦)] سنين وشهر وأيام وقبره بماسندان من (....)[(٧)]، ولما قارب دنو أجله رأى قائلاً ينشده، يسمع صوته، ولا يشهده[(٨)]: [من الطويل]

كأني بهذا القصر قد باد أهلُهُ ... وأوْحش منه رَبْعُهُ ومنازلُهْ
وصار عميدُ القوم من بعدِ بهجةٍ ... وملكٍ إلى قبرٍ عليه جنادِلُه
ولم يبق إلاّ ذكرهُ وحديثُهُ ... تنادي عليه مُعْولاتٍ حلائلُهُ

فما بقي إلا عشرة أيام ومات، واختطفه عقاب الملمات، كُنَّ حظاياه قد بكرت في الوشي قبل الصبوح، ثم غُدْن قبل الظهيرة وعليهن المسوح، فقال أبو العتاهية[(٩)]: [من مجزوء الرمل]

رُحْنَ في الوشي وأقبلَنَ عليهنَ المسوح
كل نطّاحٍ من الدنيا له يوم نطوح[(١٠)]

---

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ١٦٨.
(٢) ماسبذان، واصله ماه سبذان، مضاف إلى اسم القمر، مدينة في خراسان (ياقوت ـ ماسبذان).
(٣) كذا في الأصل، وفي تاريخ الطبري: قتد رَحْل، والقتد من أدوات الرحل.
(٤) في الطبري: بالسوط.
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ١٦٩ وذكر فيه روايات أخرى في سبب موته.
(٦) في الأصل: عشرة سنين، وهو لحن.
(٧) بياض في الأصل بمقدار كلمة.
(٨) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ١٧١ ومروج الذهب ٢/ ٢٥٦ وكامل ابن الأثير ٥/ ٧١.
(٩) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ١٧٠ ومروج الذهب ٥/ ٢٤٥ وكامل ابن الأثير ٥/ ٧١ والفخري ص١٣٣ وديوانه ص١٠٧.
(١٠) في الطبري، من الدهر، وفي المروج: كل نطاح وإن عاش.

لست بالباقي ولو عُمِّرتْ ما عُمِّر نوح
فعلى نفسك نح إن كنت لا بدَّ نَنُوحُ

ثم:

[٤]

دولة الهادي، أبي محمد موسى بن محمد المهدي

/١١٩/ كان كريماً غيوراً حاد[1] المزاج، شرس الخلق، له بادرة لا تؤمن، وإقدام لا يطمئن به ولقد أراد الرشيد على خلع نفسه من ولاية العهد، وراود في ذلك يحيى بن خالد[2] غير مرّة، وهو ممتنع عليه، ويقيم له الادلة على زيف رأيه في ذلك على ما سيأتي ذكره في مواضعه من هذا الكتاب، ولم يطل بالهادي فسيح، ولا تراخى به عنان مهل، حتى ساورته المنون وسارعتهُ الشهور لا السنون، فمال عرشُه في أقرب وقت، ومات وأبقى له المقت، واختلف في موته بأيّ سبب كان، فقيل: أكَلَ رمانا فشرق منه بحبّة فمات، وقيل وقع على قصب فارسي فدخل في دبره فمات، وقيل: مرض أياماً ومات وقيل: غمَّته أُمُّهُ الخيزران[3] لإفراط تحجرّه عليها، وتبرمه من شفاعاتها، ولِما أراد عليه أخاه هارون الرشيد، وكان هارون أحبَّ إليها وأكرم منه عليها فطلبت في الحال يحيى بن خالد ونَعَتْه إليه نعيّ غير ثكلى ولا فاقد، وكان يحيى عنده محبوساً، فبادر إلى هارون بخبر موسى، فصادف خادماً يريد يبشره بولادة مولود ذكر وُلد لَهُ تلك الليلة وهو المأمون، فسابقه في الدخول عليه وبادره بالسلام، وقال: أُهنيك بالخلافة وغلام.

وعن الحسن[4] بن معاذ بن سلم، وكان رضيع الهادي، قال: لقد رأيتني أخلو مع موسى الهداي ولا أجِدُ له هيبة في قلبي لما كان يبسطني، وربما صارعني فأصرعه غير هائب له، وأضرب به الأرض فإذا تلبس لبسة الخلافة، ثم جلس مجلس الأمر

---

(١) في الأصل: حدّ.

(٢) يحيى بن خالد البرمكي، وكان المهدي قد ولي الرشيد المغرب كلّه من الانبار إلى إفريقية وأمر يحيى بن خالد أن يتولى ذلك (تاريخ الطبري ٨/ ١٨٧). وانظر محاولة الهادي خلع الرشيد في ٨/ ٢٠٧ منه ومروج الذهب ٢/ ٢٦٣.

(٣) الخيزران: زوجة المهدي العباسي، وأم بنيه الهادي وهارون الرشيد، أصلها من اليمن، كانت من جواري المهدي، واعتقها وتزوجها، ولما ولي المهدي وانفردت بكبار الأمور، فحاول المهدي منعها توفيت ببغداد سنة ١٧٣هـ، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٠ والبداية والنهاية ١٠/ ١٦٣ والنجوم الزاهرة ٢/ ٥٢.

(٤) كذا في الأصل وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢١٨: الحسين.

والنهي، قمتُ على رأسه، فوالله ما أملك نفسي من الرعدة والهيبة.

وقال إبراهيم المؤذن: أن الهادي كان يثب على الدابة وعليه درعان لا يضع رجله في الركاب[١].

وكان مقتفياً لآثار أبيه في تطلب الزنادقة والايقاع بهم، لأن أباه أوصاه بذلك.

وكان كريماً خرقاً، وذكر الطبري[٢] في حكاية طويلة أنه وهب عبد الله بن مالك وكان على شرطته أربعمائة بغل دراهم.

وعن أبي محمد اليزيدي، قال: دخلت على الهادي فإذا بين يديه سيف عريض كأنه (....)[٣]، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا؟ / ١٢٠/ قال: هذا سيف عمرو بن معدي كرب[٤]، الصمصامة، فاستحسنته، فقال لي: كنت سألت المهدي أن يهب لي هذا السيف فضنّ به عني ومنعنيه، فآليت أن بلّغني الله أملي أن أمتحنه، وقد عزمت أن أدعوا غلامي طرخان الخزري وهو جيد الذراع أن يحضر لي صخرة سوداء طولانية من حجارة القصارين فاتقدم إليه أن يجمع يديه في السيف ثم يضرب به الراس الدقيق من الصخرة، فإن سلم سلم وإن تقطع تقطع، قال: فلم أزل اسأله إعفاء السيف من الامتحان، وأقول: شرف من شرف العرب وسيف لا يوجد مثله، فأبى ودعا غلامه طرخان، فجاء بالصخرة، فقلت: يا أمير المؤمنين، فإذا لم تطعني فاعمل له ما يبقى على الدهر، تُدْخل من بالباب من الشعراء حتى يحضروا امتحانه، فإن سلم وصفوه، وإن تقطع رثوه، فأمرنا بإحضارهم، ثم أمر طرخان بامتحانه، فَحَسَر عن ذراعيه وهزّه وجمع يديه في قائمه، ثم ضرب به الصخرة فمضى فيها حتى قطعها ولم يصبه شيء فلم يقل أحد أرْضىٰ من قول أبي الغول[٥]: [من الخفيف]

حاز صمصامة الزبيدي عمرو من جميع الأنام موسى الأمين[٦]

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٢١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٨/٢١٦.

(٣) ما بين القوسين كلمة غير مقروءة في الأصل.

(٤) عمرو بن معدي كرب الزبيدي: أحد الفرسان الشعراء في الجاهلية، وفد على المدينة سنة ٩هـ فأسلم وشارك في معارك الفتوحات الإسلامية وأبلى فيها بلاء حسنا توفي سنة ٢١هـ وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ، انظر: معاهد التنصيص ٥/ ٢٤٠ وسمط اللآلي ٦٣ والخزانة ١/ ٤٢٥ ونشر ديوان شعره بتحقيق هاشم الطعان.

(٥) أبو الغُول: شاعر عباسي، محسن، مدح الرشيد. انظر ترجمته في طبقات ابن المعتز ص١٤٩.

(٦) الأبيات في مروج الذهب ٢/ ٢٦٤ منسوبة لابن يامين البصري.

سيف عمروٍ وكان فيما علمنا خير ما أُغمدتْ عليهِ الجفون
أخضر اللون بين حديه برد من دباج تميسُ فه المنونُ
أوْقدت فوقه[١] الصواعق ناراً ثم شابته بالذعاف القيونُ
وكانّ الفرند والرونق الجاري في صفحتيه ماءٌ معينُ
ما يبالي إذا الضريبة حانت أشمالٌ سَطَتْ به أمْ يمين؟

فوصله بعشرة آلاف درهم، وخَلَعَ عليه وحمله، ثم أمر لكلّ واحدٍ من الشعراء بخمسة آلاف.

وأدخل[٢] عليه رجلٌ جعل يقرره بذنوبهِ ويتهدده، فقال الرجل: اعتذاري مما تقول ردّ عليك، وإقراري يوجب عليه ذنباً، ولكني أقول:

إن كنت ترجو في العقوبة رحمةً فلا تزهدن عند /١٢١/المعافاة في الأجرِ

فأمر بإطلاقه.

وعن[٣] علي بن يقطين قال: اني لعند الهادي مع جماعة إذْ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض سريعاً، وقال: لا تبرحوا، ومضى ثم جاء وهو يتنفس، فاستلقى على فراشه، ثم قال لخادم معه على يده طبق مغطى بمنديل ضع ما معك، فوضع الطبق وكشف المنديل، فإذا رأسا جارتين لم أر والله أحسن من وجوههما، ولا مِنْ شعورهما، وإذا على رؤوسهما الجوهر المنظوم على الشعر، وإذا رائحة الطيب تفوح، فاعظمنا ذلك، فقال: تدرون ما شأنهما؟ قلنا: لا ، قال: بلغنا أنها تتحابّان، فوكلت هذا الخادم بهما يُنْهي إليَّ أخبارهما، فجاءني فأخبرني إنهما قداجتمعتا فجئت فوجدتهما في لحافٍ واحد فقتلتهما، ثم قال: يا غلام ارجع بالرأسين.

قال: ثم رجع في حديثه كأن (لم)[٤] يصنع شيئاً.

وعن[٥] عمر بن شبة: أن علي بن الحسين بن الحسن بن علي[٦] تزوّج رقية بنت عمرو العثمانية، وكانت تحت المهدي، فبلغ ذلك الهادي، فأرسل إليه فجهَّلَهُ،

(١) في الأصل: قومه.
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٢١٨ ومروج الذهب ٢/ ٢٦٤.
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢١.
(٤) الزيادة عن الطبري.
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٢١٩.
(٦) كذا في الأصل وفي تاريخ الطبري: علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يلقب بالجزري.

وقال: أعياك النساء إلاَّ امرأة أمير المؤمنين، فقال: ما حرم الله على خلقه إلا نساء جدّي ﷺ، فأما غيره[١] فلا ولا كرامة، فشجّه بمخصرة كانت في يده وأمر بضربه خمس مائة سوط، فضرب وأراده أن يطلقها فلم يفعل فَحُمل في نطع وألقى ناحية، وكان في يده خاتم سريّ[٢]، فرآه بعض الخدم وقد غشي عليه من الضرب، فأهوى إلى الخاتم فقبض على يد الخادم فدقها، فصاح، فأتى موسى فأراه، فاستشاط وقال: أتفعل هذا بخادمي مع استخفافك بأبي، فقال: سَلْهُ ومُرْه أن يضع يده عل رأسك وليصدقك، ففعل، فصدقه الخادم، فقال: أحسن والله وأنا أشهد أنه ابن عمّي، ولو لم يفعل لانتفيت منه، ثم أمر بإطلاقه ووصله.

وذكر[٣] سعيد بن سالم قال: كنت مع الهادي بجرجان، فأتاه نعي المهدي والخلافة، فركب البريد إلى بغداد في قوم معه، فسرنا بين بساتين جرجان، فسمع صوتاً فيها من رجل يتغنى، فقال لصاحب شرطته عليَّ بالرجل / ١٢٢/ الساعة، قال: فقلت ما أشبه قصة هذا الحائن بقصة سليمان بن عبد الملك، بينا هو في منتزّه له ومعه حرمه فسمع في بستان آخر صوت رجل يتغنّى فدعا صاحب شرطته فقال: عليّ بصاحب الصوت، فأتي به، فلما مثل بين يديه. قال: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعي حُرمي، أما سمعت إن الرماك[٤] إذا سمعت صوت الفحل حنّت إليه، يا غلام جُبَّهُ، فَجُبَّ الرجل، فلما كان بالعام المقبل رجع سليمان إلى ذلك الموضع فجلس مجلسه الذي جلس فيه، فذكر الرجل وما صنع به، فقال: عليَّ بالرجل الذي كنا جببناه، فأحضروه، فلما مثل بين يديه قال: إما بعت فوفّيناك، وأما وهبت فكافأناك، قال: فوالله ما دعاه بالخلافة، ولكنه قال: يا سليمان، إنك قطعت نسلي، وذهبت بماء وجهي، وحرمتني لذّتي، ثم تقول: إما وهبت فكافأناك، أو بعت فوفيناك، لا والله حتى أقف بين يدي الله، فقال الهادي: يا غلام، ردّ صاحب الشرطة، فردّه، فقال: لا تعرض للرجل.

وولد الهادي سنة ست وأربعين ومئة، وتوفي سنة سبعين ومئة، وعمره أربع وعشرون سنة[٥]، وكانت مدته سنة وأربعة أشهر وقيل دونها، وقبره ببغداد.

---

(١) في الطبري: غيرهنّ. (٢) في الأصل: قسري.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٢١٤ وهو فيه عن السندي بن شاهك.

(٤) الرماك: الرمكة محركة: الفرس أو البرذونة، تتخذ للنسل.

(٥) في الأصل: أربعة وعشرين. وهو لحن وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢١٣: توفي وهو ابن ست وعشرين سنة، وقال غيرهم: توفي... وهو ابن ثلاث وعشرين سنة.

ثم:

[٥]

دولة الرشيد: أبي جعفر هارون بن محمد المهدي

وهو الذي لم يستفض لأحدٍ من الخلفاء مثله ولا شاع نظيره، حتى إن العامة تنسب إليه كل حكاية تحكى عن الخلفاء الأمويين والعباسيين، وتنتحل له ما فعله غيره وتتمحّل له ما لا فعله هو ولا أحدٌ سواه، وما ذاك إلاّ لكثرة محاسن أيامه، ومن كان فيها من أفاضل الناس كالبرامكة في الكرماء ومالك والشافعي وأحمد ونظرائهم في العلماء، وغير هؤلاء مما لا يسع هذا الموضع استقصاؤهم ولا يدع عددهم الجمّ أن يمكن إحصاؤهم من أعيان الكبراء وحذّاق الشعراء والمجودين في الغناء والمجدّين من أهل النجدة والغناء، وكانت أيام دولته مجمع الأفاضل /١٢٣/ ومطلع نجم كل فاضل، وكان أوّل مَنْ سنّى الجوائز، وسنَّ عوائدالكرم، وقسم للخير زمانه ووسم في غرر الدهر إحسانه، كان لا يزال في حج أو جهاد، ولا يزل عن ذرى مطيّةٍ أو جواد، قد ضرب بسهم في كل فضيلة، وقسم من كل جميلة. وقد ذكر ابن عبدوس[١]: إنّ الكُلَف كانت قلَيلة في أيامه، فإنه ما زاد المقرران كثير زيادة على ما كان إلا أنه كان لهب هباتٍ لا ينهض لها عبء إمكان، فإذا أعطى استوصلت البحار، واستبسلت بعجزها الأمطار، وسع عقود المنن، ووسَّع برود دولته لمحاسن السنن، وآثاره في غزو بلاد الروم ظاهرة، وأخباره فيها لوامع في أيامه الزاهرة، وكذلك لم تخل الترك من غزوات سلّت في وجوههم السيوف، وسلطت عليهم حتى الطيف، إلا أن قضية جرحت القلوب ونفّرتها، وقرعت العيون وأسْهرتها، ثم ندم عليهم ندماً أكل عليه يديه وقرع سنّه بما جرى بسببهم عليه، على أن الندم لا يردّ بهِ فائت، ولا يصبح به من هو في القبور بائت.

وذكر[٢] أن الرشيد كان يصلّي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلاّ أن تعرض له علّة، وكان يتصدّق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاتها، وكان إذا حجّ أحجَّ مَعَهُ من الفقهاء وأبنائهم، إذا لم يحج أحَجَّ ثلثمائة رجل بالنفقة

---

(١) محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري، من أهل الكوفة، نشأ ببغداد، كان حاجباً لبعض الوزراء، من الكتاب المترسلين، مؤرخ له «كتاب الوزراء والكتاب» طبع قسم منه، توفي سنة ٣٣١هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٩ ومقدمة الكتاب والوزراء والوافي بالوفيات ٣/ ٢٠٥.

(٢) النص التالي عن تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٧.

السابغة والكسوة الظاهرة، وكان يقتفي آثار المنصور إلاّ في بذل المال، فإنه لم يُرَ خليفة قبله كان أعطى منه لِوليّ، ثم المأمون بعده، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يؤخر ذلك في كل ما يحب ثوابه، وكان يحب الشعراء والشعر، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، ويقول: هو شيء لا نتيجة له، وبالأوْلى أن لا يكون فيه ثواب، وكان لا يحب إلاّ المديح ولا سيما من شاعر فصيح ويشتريه بالثمن الغالي.

ودخل عليه مروان بن أبي حفصة[1]، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

[من الطويل]

/١٢٤/ وَسُدَّتْ بهارون الثغور فأُحِكَمَتْ ... به من أمور المسلمين المرائرُ[2]

وكلّ ملوك الروم أعطاه جزيةً ... على الرغمْ قسراً عنْ يدٍ وهو صاغِرُ

لقد ترك الصفصاف هارون صفصفاً ... كأن لم يُدَمِّنْهُ من الناس حاضِرُ

يَسوقُ يديه من قريشٍ كرامها ... وكلتاهما بحرٌ على الناس صاغرُ

أمورٌ بميراث النبي وَليتَها ... فأنت لها بالحزم طاوٍ وناشِرُ

عليَّ بني ساقي الحجيج تتابَعَتْ ... أوائل من معروفكم وأواخرُ

فأصبحتُ قد أيْقَنْتُ أن لست بالغاً ... مدى شكر نعماكمْ وإني لشاكر

حصونُ بني العباس في كل مأْزَقٍ ... صدورُ العوالي والسيوفُ البواتر

فطوراً يهزّون القواطع والقنا ... وطوراً بأيديهم تهزّ المخاصر

بأيْدي عظام النَّفع والضر لا تني ... بهم للعطايا والمنايا بوادرُ

ليهْنِكُمُ الملك الذي أصْبحتْ بكم ... أُسِرَّتُه مختالةٌ والمنابِرُ

فأعطاه خمسة آلاف دينار وكساه خلعة وأمر له بعشرة من رقيق الروم وحمله على فرس من خاص مراكبه[3].

---

(١) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وأسم أبي حفصة يزيد مولى مروان بن الحكم، ولد مروان سنة ١٠٥هـ ونشأ باليمامة، فكان يفد إلى بغداد ليمدح الخلفاء ثم يعود إليها وكان شاعراً محسناً مجيداً، مدح معن بن زائدة ورثاه بقصيدة رائعة. ووفد على المهدي ومدحه ونال لديه حظوة بسبب تعريضه بالعلويين. وأخباره كثيرة وكذلك شعره. وللدكتور قحطان رشيد التميمي (مروان بن أبي حفصة) بغداد ١٩٧٢ كما نشر شعره حسين عطوان في القاهرة ٩٧٣ ونشره أشرف عودة، بيروت ١٩٩٣. (انظر أخباره في الأغاني ١٠/ ٧١ ومعجم المرزباني ٣١٧ وطبقات ابن المعتز ٤٢ ووفيات الأعيان ٥/ ١٨٩ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٩).

(٢) الأبيات في مجموع شعره.

(٣) انتهى النقل عن تاريخ الطبري.

وذكر[١] أنه كان مع الرشيد ابنُ أبي مريم المدائني[٢]، وكان مضحكاً له، محادثاً فكها، فكان لا يصبر عنه، ولا يملُّ محادثته، وبوّأه منزلاً من قصره. فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر، وقام الرشيد إلى الصلاة، فألْفاه نائماً، فكشف اللحاف عن ظهره، وقال: كيف أصْبَحت؟ قال: يا هذا ما أصبحتُ بعد اذهب إلى عملك، قال: ويلك قم إلى الصلاة، قال: هذا وقت صلاة أبي الجارود، وأنا مِنْ أصحاب أبي يوسف القاضي، فمضى وتركه نائماً، وتأهّب الرشيد للصلاة، فجاءه غلامه فقال: أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة، فقام وألقى عليه ثيابه ومضى نحوه، فإذا الرشيد يقرأ في صلاة الصبح فانتهى إليه وهو يقرأ ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[٣] فقال أين ابن أبي مريم: لا أدري والله وقد ملكك الدنيا كلها[٤]، فما تمالك الرشيد أن ضحك في صلاته / ١٢٥/ ثم التفت إليه وهو كالمغضب، وقال: يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضاً؟ قال: يا هذا وما صنعت، قال: قطعت عليّ صلاتي، قال: والله ما فعلت، وإنما سمعت منك كلاماً غمّني حين قلت: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وقد ملكك الدنيا كلّها، فقلت: لا أدري والله، فضحك الرشيد، ثم قال له: إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما.

وذكر[٥] زيد بن علي الحسيني[٦] أن الرشيد (أراد)[٧] أن يشرب دواء فقال له ابن[٨] أبي مريم، هل لك أن تجعلني حاجبك إذا أخذت الدواء وكل شيء اكتسبته بيني وبينك؟ فقال: أفعل، وبكر ابن أبي مريم ووضع له الكرسي، وأخذ الرشيد الدواء، فجاء رسول أم جعفر تسأل عنه فأوصلهُ إليه تعرّف حاله وانصرف بالجواب، وقال: أعلم السيدة بما فعلتُ في الإذن لك قبل الناس، فأعلمها فبعثت إليه بمالٍ كثير، ثم جاء رسول يحيى بن خالد ففعل به مثل ذلك، ثم جاء رسول جعفر والفضل ففعل ذلك، فبعث إليه كل واحد من البرامكة بصلةٍ جزيلة، ثم جاء رسول الفضل بين الربيع فردّه، وجاء رسل القوّاد والعظماء، فما سهّل إذن أحدِ منهم إلا بصلةٍ جزيلة، فما صلّى العصر حتى صار له ستون ألف دينار. فلما نُقي الرشيد فقال له: ما صنعت

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٩.
(٢) في الطبري: المدني.
(٣) سورة يس ٢٢.
(٤) في تاريخ الطبري: لا أدري والله. وما بعدها لم يرد فيه.
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٠.
(٦) هو كما في الطبري: زيد بن علي بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
(٧) زيادة يقتضيها سياق الكلام.
(٨) في الأصل: يا ابن أبي مريم، والتصويب عن الطبري.

في يومك هذا؟ قال: يا سيدي كسبتُ ستين ألف دينار، فقال: أين حاصلي؟ قال: معزول، قال: لا وقد وهبته لك ولكن أهْدِ لي عشرة آلاف تفاحة.

وذكر[١] مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه: أن الرشيد قال له: ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ قال: قلت يا أمير المؤمنين طعن عليه ناس وكان معه ناس، فأما الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم، فقال لي: ما احتاج أن أسأل بعد اليوم عن هذا.

وذكر[٢] عنه قال: سألني الرشيد كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ، قال فقلت: كانت منزلتهما /١٢٦/ منه في حياته منزلتهما في مماته، فقال: كفيتني فيما احتاج إليه.

وسأل[٣] مالك بن أنس عن هذا أيضاً. فقال له مثل هذا القول: منزلتهما منه في حياته مثل منزلتهما منه في مماته، فقال له: شفيتني يا مالك. شفيتني يا مالك.

وذكر[٤] الليث بن عبد العزيز الجوزجاني[٥] عن بعض الحجبة، أن الرشيد دخل الكعبة وقام على أصابعه، وقال: اللهم يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإن لكل مسألة منك ردّاً حاضراً وجواباً عتيداً، وبكل صاحبٍ منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا، وكفّر عنّا سيئاتنا، يا مَنْ لا تضرّه الذنوب، ولا تخفى عليه العيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا يا من كبَس الأرض على الماء، وسدّ الهواء بالسماء، واختار لنفسه الأسماء الحسنى، صلّ على محمد وآل محمد، وخِرْ لي في جميع أموري، يا مَنْ خَشَعَت له الأصوات بأنواع اللغات، إنّ من حاجتي عندك أن تغفر لي إذا توفيتني، وصرتُ في لحدي وتفرق عنّي أهلي وولدي، اللهم لك الحمد حمداً يفضل كلّ حمد كفضلك على جميع الخلق، اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضى، وصلّ على محمد صلاةً تكون له جزاءً، واجزه عنا الجزاء الأوفى[٦]، اللهم أحْينا سعداء، وتوفّنا شهداء، واجعلنا سعداء مرزوقين، ولا تجعلنا أشْقياء محرومين!

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٣.

(٣) ليست في الطبري.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٥.

(٥) بعده في الطبري: وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة.

(٦) في تاريخ الطبري: اللهم صل على محمد صلاة تكون له رضاً، على محمد صلاة تكون له حرزا، واجزه عنا الجزاء في الآخرة والأولى.

وكان يقول: والله إني لأعرف في عبد الله ـ يعني المأمون ـ حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزّ نفس الهادي، ولو شئت أنسبه إلى الرابع لفعلتُ، يعني نفسه، وفي ذلك يقول: [من الطويل]

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني غُلِبْتُ على الأمر الذي كان أحزما
وكيف يُردّ الذرّ في الضرع بعدما توزّع حتى صار نهباً مقسَّما
أخاف التواء الأمر بعد استوائِهِ وأن ينقض الحبل الذي كان أُبْرِما

واصطبح الرشيد قرب رمضان، وقد قرب أن يرسى به زورق هلاله وان، فكتب إلى جعفر بن يحيى: [من الخفيف]

/١٢٧/ سل عن الصوم يا بن يحيى تجده راحلاً نحونا من النهروان
فاتنا نصطبح ونَلْهُ جميعاً لثلاثٍ بقين من شعبانِ

فأجابه في رقعة كتبها، ثم ركب إليه واستصحبها، فلما قرأها الرشيد استطار قلبه واستبشر بها ساعفه[1] (ساعة) قربه، وكان فيها: [من الخفيف]

إن يوماً كتبت فيه إلى عبدك يوم يسودُ كلَّ زمانِ
فاغتبق واصطبح فقد صانني الله إذا صنتني من الحدثانِ

وكان الرشيد بعد هذا يقول لما قتله تلك القتلة التي شوّه بها الجود وشبه بها دمه المطلول بسلاف العنقود، والله ما صانه الله فيّ من الحدثان، بل كمنت له كمون الأفعوان في أصول الريحان، فلما تعرض للشم قابله بالسم، وسيأتي ذكر جعفر في موضعه.

وكان الرشيد قد حبس أبا العتاهية، وجعل عليه عيناً يأتيه بما يقول، فأخبره يوماً أنه كتب على الحائط[2]: [من الوافر]

أمـا والله أن الظلم لؤم وما زال المسيء هو الظلومُ
إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

فاستحضره الرشيد واستحلّه وأعطاه ألف دينار، ثم أمر بمجلس فزخرف، وبالطعام فأحضر، وأحضر أبا العتاهية، فقال له: صف ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال: [من مجزوء الكامل]

---

(١) كذا في الأصل، ولا معنى لها.
(٢) البيتان لأبي العتاهية ديوانه ص٣٥٣ (ط بيروت ١٩٩٧).

عِشْ ما بدا لك سالماً في ظلّ شاهقةِ القصور
يسعى إليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال: ثم ماذا؟ فقال:

وإذا النفوس تقعقعتْ في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم مُوقِناً ما كنتَ إلاّ في غرور

فبكى الرشيد، فقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه فأَحْزَنته، فقال: يا فضل دعه، رآنا في عميّ فكره أنْ يزيدنا.

وعن القاضي /١٢٨/ أبي يوسف[١]، قال: بينا أنا البارحة قد أويتُ إلى فراشي، فإذا هرثمة[٢] بن أعين يدقّ الباب دقاً شديداً، فكلمته، فقال: أجِبْ أمير المؤمنين، فسألته الإمهال إلى غد، فقال: ما إلى هذا سبيل فاغتسلت وتحنطت، ثم صرنا إلى الرشيد، وإذا بعيسى بن جعفر ابن المنصور على يمينه، فسلمتُ، فردّ السلام ثم قال: أظننا روّعناك؟ قلت: أي والله، والله وكذلك من خلفي، قال: اجلس، فجلستُ حتى سكَنَ روعي، ثم التفت إليّ فقال: أتدري لم دعوتك؟ فقلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا، إني سألته جارية عنده أن يهبها لي فامتنع، فسألته أن يبيعها فأبى، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه، فالتفتُ إلى عيسى وقلت: وما تبتغي بجارية تمنحها أمير المؤمنين؟ فقال: عجّلْتَ عليَّ قبل أن تعرف ما عندي، قلت: فما الذي عندك؟ قال: إنّ عليَّ يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن (لا) أبيع هذه الجارية، ولا أهبها، فقلت له: تَهِبَ له نصفها، وتبيعه نصفها، فتكون لم تَبع ولَمْ تهب، فقال: أُشهدك إني وهبتهُ نصفها، وبعتُه نصفها بمائة ألف دينار، ثم أتى بالجارية وأخذ المال، فقال الرشيد: بقيت واحدة فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: إنها مملوكة ولا بدَّ لها من الاستبراء ووالله إن لم أبِتْ معها ليلتي إني

---

(١) أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، تلميذ أبي حنيفة، وناشر مذهبه، كان فقيها عالماً بالحديث، ولد بالكوفة وولي قضاء بغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ودعي بقاضي القضاة أيام الرشيد توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٧ والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٠ وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢ والوفيات ٦/ ٣٨٧.

(٢) هرثمة بن أعين مضى ذكره وهو قائد شجاع، ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ ثم ولاه خراسان وولاه غزو الصائفة، ثم انحاز إلى المأمون أيام الفتنة بينه وبين الأمين، فقاد جيوشه إلى بغداد، ثم نقم عليه فحبسه، وكان الفضل به سهل وزير المأمون يبغضه فدس إليه من قتله في الحبس سنة ٢٠٠هـ. انظر: تاريخ الطبري (انظر الفهرس) والنجوم الزاهرة ٢/ ٨٨.

أظنّ أن نفسي ستخرج، قلت: يا أمير المؤمنين، تعتقها وتتزوجها، فإنَّ الحرّة لا تُسْتبرأ، قال: قد أعتقتها فمن يزوجنيها؟ قلت: أنا فقال: افعل، فدعا بمسرور وحنين الخادمين، فخطبتُ فحمدتُ الله، ثم زوجته بها على عشرين ألف دينار، ودفع إليه المال، ثم قال لي: انصرف الآن، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً، فحمل ذلك معي فالتفت إلى هرثمة وقال: فأين حقي؟ فقلت: خذ العشر، ثم إذ بعجوز فدخلت فقالت: يا أبا يوسف إنّ ابنتك تقرئك السلام وتقول: لك ما وصل إليَّ من أمير المؤمنين إلا المهر، وقد حملت إليك النصف وتركتُ الباقي لما تحتاج إليه، فوالله لا قبلته أخرجتها من الرق وزوجتها /١٢٩/ أمير المؤمنين وترضى لي بهذا، فلم تزل بي الجماعة حتى قبلت، وأمرتُ لهرثمة منها بألف دينار أُخرى.

وذكر[١] محمد بن علي عن أبيه قال: دخلت على الرشيد في دار عون العبادي، فإذا هو في هيئة الصيف، في بيت مكشوف وليس فيه فرش، وغلالة رقيقة عليه وإزار عريض الأعلام، وكان لا يجلس في بيت الخيش، لأنه كان يؤذيه إفراط الهواء، ولكنه كان يجلس ظاهره فيأتيه برد الخيش، وكان له تغار[٢] من فضة يعمل فيه الطيب والزعفران والأفاويه وماء الورد، ثم يدخل إلى بيت مقيلِهِ ويُدخل سبع غلائل قصب رشيدية تقطيع النساء، تغمس الغلالة في ذلك الطيب، ويؤتى في كل يوم بسبع جوار، فتخلع عن الجارية ثيابها ثم تخلع (عليها)[٣] غلالة، وتجلس على كرسي مثقب، وترسل على الكرسي فتخلله[٤]، ثم تُنجرّ من تحت الكرسي بالعود المدرج في العنبر أمداً[٥]، حتى يجف القميص عليها، يفعل ذلك بهنّ، ويغلق البيت فيعبق بالبخور والطيب.

وذكر[٦] بعضهم: أنهم كانوا مع الرشيد بالرقة، فخرج يوماً إلى الصيد فعرض له رجلٌ من النساك، فقال: يا هرون اتق الله، فقال لابن نهيك[٧]، خذ هذا إليك حتى أنصرف، فلما رجع هرون أمر أن يطعم الرجل من خاص طعامه، فلما أكل وشرب دعا به، فقال: يا هذا، أنْصفني في المخاطبة والمسألة، قال: ذاك أقل ما يجب لك[٨]، قال: فأخبرني أيّما أشرّ وأخبث، أنا أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: (أنا

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٦.
(٢) في القاموس: التيغار كقيقال، الإجانة.
(٣) في الأصل: عنها.
(٤) في الأصل: متحلّلة.
(٥) في الأصل: أبداً.
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٨.
(٧) هو إبراهيم بن عثمان بن نهيك، كما في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٨.
(٨) في الأصل: قل ما تحب، والتصويب عن الطبري.

ربكم الأعلى) و(قال)[١] (ما علمت بكم من إله غيري) قال: صدقت، فأخبرني فمن خير أنت أم موسى بن عمران؟ قال: موسى كليم الله وصفيّه، اصطنعه على نفسه وأتمنه على وحيه، كلّمه من خلقه، قال: صدقت، أفما تعلم أنه لما بعثه الله وأخاه إلى فرعون قال لهما (فقولا له قولاً لينا) وهذا في عتوه وجبروته[٢] على ما قد علمت، وأنت جئتني وأنا بهذه الحال التي تعلم، أكثر فرائض الله أؤديها، ولا أعبد سواه، أقف عند أكثر حدوده / ١٣٠/ فوعظتني بأغلظ الألفاظ وأبشعها، وأخشن الكلام وأفظعه، فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخَذْتَ فما كان يؤمنك أن أسطو بك، فإذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنيّاً، فقال الزاهد: أخطأتُ يا أمير المؤمنين، وأنا استغفر الله، قال: قد غفر الله لك وأمر له بعشرين الف درهم، فقال: لا حاجة لي (في) المال، فزجره هرثمة فقال له الرشيد: أمسك عنه، ثم قال له: لم نعطك المال لحاجتك إليه. ولكن من عادتنا ألا يُخاطب الخليفة أحد إلاّ وصله، فاقبل من صلتنا ماشئت فضعها حيث أحببت، فأخذ من المال ألفي درهم، وفرّقها على مَنْ حَضَرَهُ.

وذكر[٣] ابن بختيشوع[٤]، قال: كنت مع الرشيد بالرقة[٥] وكنت أول مَنْ يدخل عليه فأتعرف خبره في ليلته، ثم ينبسط، فيحدثني بخبر جواريه ومجلسه وشربه، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها، فدخلتُ عليه في غداة يوم، فرأيته عابساً مفكراً، مغموماً، فوقفت بين يديه مليّاً وهو على تلك الحال، فلما طال ذلك أقدمت عليه، فقلت: يا سيدي جعلني الله فداك، ما حالك هكذا، فأخبرني بها[٦] فلعلّه يكون عندي دواؤها، فقال: ويحك يا جبريل ليس غمي وفكري لشيء مما ذكرت، لكن لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه، فأفزعتني وملأت صدري، وأقْرَحَتْ قلبي، فقلْتُ: فَرَّجْتَ عني يا أمير المؤمنين، فدنوت، فقبّلْتُ رجله، وقلت: هذا الغمْ كلّه لرؤيا إنما تكون في خاطرٍ أوْ من بخارات رديئة من تهاويل السوداء، وإنما هي أضعاث أحلام بعد هذا

---

(١) الزيادة عن تاريخ الطبري. (٢) في الأصل: جبريته.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٢.

(٤) ابن بختيشوع هو جبرئيل بن بختيشوع، طبيب هارون الرشيد وخليله، خدم الأمين بعده، وحبسه المأمون ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته له تصانيف، مات بالمدائن سنة ٢١٣هـ. انظر الوافي ١١/ ٥٠ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٢.

(٥) الرقة مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة من بلاد الجزيرة لانها من جانب الفرات الشرقي (ياقوت ـ الرقة).

(٦) بعده في تاريخ الطبري: أعلّة فأخبرني بها.

كلّه، فقال: أنا أقصّها عليك، رأيتُ كأني جالس على سريري، إذْ بَدَتْ من تحتي ذراع أعْرِفُها، وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكف تربة حمراء، فقال لي قائل أسْمَعه ولا أرى شخصه، هذه التربة التي تدفن فيها، فقلت: وأين هذه التربة؟ فقال: بطوس، وغابت اليد، وانقطع الكلام، فقلت[١]: يا سيدي أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت في خراسان وما ورد عليك من انتقاضها قال: قد /١٣١/ كان ذلك، قال: فقلت: فلذلك هذه الرؤيا وما برحتُ أطيّب نفسه بضروب من الحيل حتى انبسط وأمر بإعداد ما يشتهيه ذلك اليوم في لهوه، ومرّت الأيام فنسى ونسينا تلك الرؤيا، فما خطرت لأحد منا ببال، ثم قدر مسيره إلى خراسان حين تحرك رافع[٢]، فخرج فلما[٣] صار في بعض الطريق ابتدأت به العلّة، فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس فنزل في منزل الجنيد بن عبد الرحمن[٤]، في ضيعة له تعرف بستاباذ[٥] فبينما هو يمرض في البستان في ذلك القصر إذْ ذكر تلك الرؤيا، ووثب متحاملاً يقوم ويسقط، فاجتمعنا إليه، كل يقول له: يا سيدي ما حالك وما دهاك؟ فقال: يا جبريل، تذكر رؤياي[٦] بالرقة في طوس، ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال: جئني من تربة هذه الأرض فجاءه بها في كفّه حاسراً عن ذراعيه فلما نظر إليه قال: هذه والله الذراع التي أريته في منامي وهذه والله الكف بعينها، وهذه والله التربة الحمراء، ما أخرمن شيئاً، وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بعد ثالثةٍ، ودفن في ذلك البستان.

وذكر[٧] علي الربعي عن أبيه[٨]، قال: لما وصل الرشيد إلى طوس قال: احفروا لي قبراً قبل أن أموت، فحفر له، فقال: احْمِلني، فحملته في قبّة أقود به حتى إذا نظر إليه، قال: يا بن آدم تصير إلى هذا؟ قالوا: ولما فرغ من حفر القبر أنزل فيه قوماً، فقرؤوا فيه القرآن حتى ختموا، وهو في محفّةٍ على شفير القبر.

قال الطبري[٩]: ومات هارون وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيّف، وقال

---

(١) في الأصل: فقال.
(٢) هو رافع بن نصر بن سيار، خرج بسمرقند سنة ١٩٠هـ. انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٣١٩.
(٣) الأصل: فما.
(٤) في الأصل: الحسين بن عبد الحميد والتصويب عن تاريخ الطبري.
(٥) في الأصل: بسراباد، والتصويب عن الطبري.
(٦) في الأصل: رؤياك.
(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٤.
(٨) في الطبري: وذكر الحسن بن علي الربعي أن أباه حدّثه عن أبيه ـ وكان جمالاً معه مائة جمل ـ.
(٩) تاريخه ٨/ ٣٦٤.

أبو الشيص[١] يرثي الرشيد: [من مجزوء الرمل]

غَـرَبَـتْ فـي الـشَّـرقِ شـمـسٌ فـلـهـا الـعـيـنـان تَـدْمَـعْ[٢]
مـا رأيـنـا قـطَّ شـمـسـاً غَـرَبَـتْ مـن حـيـثُ تـطـلـع

وقال أبو نواس[٣]: [من مجزوء البسيط]

جَـرَت جـوارٍ بـالـسـعْـدِ والـنـحـسِ فـنـحـنُ فـي مـأتـم وفـي عـرس
/١٣٢/ القلْبُ يبكي والسنُّ ضاحكةٌ فـنـحـن فـي وحْـشَـةٍ وفـي أُنْـسِ
يـضـحـكـنـا الـقـائـم الأمـيـن ويُـبْـ ـكـيـنـا وفـاةُ الإمـام بـالأمـس
بـدران: بـدرٌ أضـحـى بـبـغـداد بـالـ ـخـلْـدِ، وبـدرٌ بـطـوس فـي رِمْـسِ

ومولدهُ سنة خمسين ومئة، وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومئة، وعمرهُ أربع وأربعون سنة[٤]، ومدّته اثنان وعشرون سنة وأربعة أشهر وقبره بقرية سناباذ من طوس.

ثم:

[٦]

دولة الأمين، أبي موسى محمد بن هارون الرشيد

وما قدَّمه أبوه إلاّ لإرضاء أُمِّه أم جعفر[٥]، وخؤلته، على أنه يكلف أخاه حمل مؤنته. وكان من نوكى[٦] القوم وأُوْلىٰ أهل بيته باللوم، لا يقيل رأيه من عثراته، ولا يحم جفنه لمقيل عبراته، فأنهمك في اللذات، وانتهك حرمة الملك واللِدات، وحفر لأخيه المأمون قليباً وقع فيها قريباً، وكان ذا أيْدٍ وقوّة، حكي أنه وثب على أسد فصرعه.

وقَرَّبَ مَصْرَعُهُ، ولكنه لم يُؤيَّد بحزم يحوط به تدبيره، ويحول بينه وبين ما قضى

(١) أبو الشيص، محمد بن علي الخزاعي، شاعر مطبوع من المجيدين، وهو ابن عم دعبل. توفي سنة ١٩٦هـ. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٢٥ وسمط اللآلي ٥٠٦ ومعاهد التنصيص ٤/ ٨٧.

(٢) مجموع شعره ص٧٨ والطبري ٨/ ٣٦٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٤.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٦: وهو ابن خمس وأربعين سنة.. وقيل كان سنة يوم توفي سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام.

(٥) أم جعفر، واسمها (أمة العزيز) وزبيدة لقبها بنت جعفر بن المنصور، ابنة عم الرشيد وزوجته وأم الأمين، من شهيرات النساء، كانت لها ثروة واسعة وخلفت آثاراً نافعة، توفيت ببغداد سنة ٢١٦هـ، انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٣ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١٣.

(٦) النوكى: الحمقى.

تدميره، ولكن الله إذا أراد أمراً بَلَغَهُ، ومن قصد أخاه بسوء دمّر الله عليه وَدَمَغَهُ، وكان كريماً يهب البدر بالمئين ولا يسمح أن تُمَدّ إلى مائدته يمين، وكان يبخل بالطعام، ويبخل في الشح أخلاق الطعام، وكان عنده رغيف الخبز كرغيف الأسد، لا تطاق مهاجمته، ولا يستطاع أن تقتحم أَجَمَتُه.

وقال[١] علي بن إسحاق: لما أفضت الخلافة إلى الأمين، وهدأ الناس أصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم، فأمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر للصوالجة[٢] واللعب، وأمر جواريه بأن تهدي إليه غزلان تُسيّب فيه، فأهديت له، فقال شاعر من أهل بغداد: [من السريع]

بنى أمينُ الله ميدانا وصَيَّر الساحة بُستانا
فكانت الغزلانُ فيه بانا[٣] يُهْدى إليهِ فيهِ غِزلانا

وذكر[٤] محمد بن يحيى النيسابوري، قال: لما نُعي علي بن عيسى[٥] وقتله إلى محمد الأمين / ١٣٣/ ، وكان في وقته إذ ذاك على الشط يصيد السمك[٦]، فقال للذي أخبره: ويلك فإن كوثراً قد أصاب سمكتين وأنا ما صدتُ شيئاً بعد.

وذكر[٧] أن أحمد بن مزيد[٨] لما أراد الشخوص للقاء جيش المأمون دخل على الأمين فقال: ليوصيني أميرُ المؤمنين، قال: أوصيك بخصال عدّة، إيّاك والبغي فإنه عقال النصر، ولا تقدِّم رِجْلاً إلا باستخارة، ولا تشهر سيفاً إلاّ بعد إنذار[٩]، ومهما قدرت عليه باللين فلا تنفذه[١٠] إلى الشدّة، وأحْسِنْ صحابة مَنْ معك من الجند، وطالعني بأخبارك في كل يوم، ولا تخاطر بنفسك طلب الزُّلفة عندي، ولا تستبقها[١١] فيما يخوف رجوعه عليّ، وكن لمن تقدّمك أخاً[١٢] ولا تخذله إذا استنصرك، ولا

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٧٢.
(٢) الأصل للصواجه، والتصويب عن الطبري.
(٣) الأصل: بان والتصويب عن تاريخ الطبري.
(٤) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥.
(٥) إن الأمين قد أرسله لقتال المأمون، فلقيه طاهر بن الحسين في الري وقتله. انظر الطبري ٨/ ٣٩٠.
(٦) في الأصل الضمد، والتصويب عن الطبري.
(٧) الخبر في تاريخ الطبير ٨/ ٤٢٢.
(٨) أحمد بن مزيد الشيباني، أرسله الأمين سنة ١٩٦هـ لحرب عبدالله بن طاهر (الطبري ٨/ ٤١٨).
(٩) في الطبري: اعذار.
(١٠) في الطبري: تتعدّه.
(١١) في الطبري: ولا تستقْها.
(١٢) في الطبري: وكن لعبد الله أخاً مصافيا، وقريناً براً، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته (يريد به عبد الله بن حميد بن قحطبة) الذي أرسله الأمين مع أحمد بن مزيد.

تبطىء عليه أن استنصرك ولتكن أيديكما واحدة، وكلمتكما متفقة، ثم قال: سَلْ حوائجك وعجّل السّراح إلى عدوّك، فدعا له أحمد بن مزيد وقال: يا أمير المؤمنين بكر[١] لي في الدعاء، ولا تقبل في قول باغٍ، ولا ترفضني قبل المعرفة بذنبي[٢] ولا تنقض عليّ ما استجمع من رأي، ومُنْ عليَّ بالصحف عن ابن أخي عبد الله بن حميد[٣]، وكان قد أمره الأمين بالخروج فتشرّط فحبسه.

وحكي: أنه لما كان محصوراً خرج يوماً خادمه كوثر، وكان مضنىً به حبّاً، وكلفاً به غراماً، فأصابته جراحة أَدْمَت حرّ وجهه، ونثرت ورد دَمِه على ياسمين خدّه، فقال: [من مجزوء الرمل]

ضربوا قرة عيني ومن أجلي ضربوه
أَخَذَ الله لقلبي من أناسٍ جرحوه

وكان[٤] أبو نواس قد اعتقله الرشيد على كلمة قالها تعرض فيها إلى التنقص بقريش، فلما ولي الأمين، وكانت لأبي نواس به ذمّة قديمة فقال: [من الطويل]

تذكر أمين الله والعهد يذكرُ مقامي وإنشاديك والناس حُضَّرُ
ونثري عليك الدرّ يا درّ هاشم فيا مَنْ رأى درّاً على الدرّ ينثَرُ
أبوك الذي لم يملك الناس مثله وعمُّك موسى عَدْلُه متخيَّرُ
/ ١٣٤/ وجدّك مهديّ الهدى وشقيقهُ أبو أمك الأدنى أبو الفضل جعفرُ
وما مثل منصوريْك منصور هاشم ومنصور قحطانٍ إذا عُدَّ مفخَرَ
فمنْ ذا الذي يرمي بِسَهْميك في العلا وعبد منافٍ والداك وحِمْيَرُ

فغنّت جارية بهذه الأبيات بين يدي الأمين، فقال: لمن هذه الأبيات؟ فقيل له: لأبي نواس، وقال: وما فعلْ؟ فقيل له: محبوس، قال: ليس عليه بأس، قال: نبعث إليه رجل من المجلس يعلمه بحاله قال: فقال[٥]: [من الوافر]

أرِقْتُ وطارَ عنْ عيني النعاسُ ونامَ الساهرونَ[٦] ولمْ يُواسوا

---

(١) في الطبري: كثر.
(٢) في الطبري: ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي لك.
(٣) كذا في الأصل، وابن أخيه أحمد بن يزيد بن يزيد. الذي أراد الأمين إرساله لحرب عبد الله بن طاهر فتشرط عليه محبه، وأما عبدالله حميد فقد أرسله الإمين مع أحمد بن مزيد (انظر الطبري ٨/ ٤١٨).
(٤) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٥١٤، وانظر ديوانه ص١٠٦.
(٥) الديوان ص١٠٧.
(٦) الديوان وتاريخ الطبري: السامرون.

أمينَ الله قد ملّكتَ ملكاً ... عليك من التُّقى فيه لِباسُ
كأنّ الخلق في تمثال رُوحٍ ... لَهُ جَسَدٌ وأَنْتَ عليه راسُ
أمين الله إنَّ السجنَ يأسٌ ... وقَدْ أرْسلْتَ: ليس عليك باسُ

فلما أنْشدت له قال: صدق والله، عليَّ به، فجيء به في الليل، فكسرت أقياده، وأخرج حتى أُدْخِل عليه فأنشده: [من الخفيف]

مرحباً مرحباً بخير إمام ... صِيغ من جوهرِ الخلافة نَحْتَا[1]
يا شبيه المهدي بذلا وجوداً ... وشبيه المنصور هدياً وسمتا

ثم كان في صحبته حتى أُخذ من السَّفين وأودع أحشاء الأرض من الدفين.

وذكر عمر بن شبّة: أن أحمد بن محمد الهاشمي حدّثه أن لبابة بنت علي بن المهدي قالت حين قتل الأمين، وكانت تحته، ولم يكن دَخَلَ بها، ولا ضمَّها فراش حظي فيه بقربها، ووُضعت له سجوف نقبها: [من البسيط]

أبكيك لا للنعيم والعرسِ ... بل للمعالي والرمح والفرسِ[2]
أبكي على هالكٍ فُجِعْتُ به ... أرْمَلَني قَبْل ليْلة العُرسِ

ولد في شعبان سنة إحدى وسبعين ومئة، وتوفي في المحرم[3] سنة ثمان وتسعين ومئة وعمره سبع وعشرون سنة، ومدته أربع سنوات وتسعة أشهر، وقبره ببغداد.

ثم:

[٧]

دولة المأمون، أبي العباس /١٣٥/ عبد الله بن هارون الرشيد

هو أجمع القوم لفضلٍ متنوع من العلم والحلم والكرم والشجاعة والوفاء والنظم والنثر والآداب، إماماً مقدماً في كل هذه الفضائل، ومعظماً في علوم المتأخرين والأوائل، مع ما طبع عليه من كرم الأخلاق، وخصَّهُ به من تمام السعادة ومضاء المهابة، لا يعدله في القوم نظير فيما جمع من المناقب الثاقبة والخلائق الجميلة، أربى علمه على اليونان، وحلمه على ثهلان[4] وكرمه على ابن مامة، ووفاؤه على

---

(١) الديوان: ١١٤ وفيه (بحتا).
(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٥٠١ والأبيات من مروج الذهب ٢/ ٣٢٧.
(٣) في تاريخ الطبري: لست بقين من صفر، وفي تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٨: لست بقين من المحرم.
(٤) ثهلان: جبل.

السمُوْأَل[١]، وشعره على جرول[٢]، ونثره على سحبان[٣]، وآدابه على ملوك بني ساسان، وقد صفح عن عمه إبراهيم ابن المهدي[٤]، وقد واثبه في خطواته، وابتزّ الخلافة من لهواته، ولما ظفر به تغمده بحلمهِ، وتعمده بالعفو على علمه، وعمل في هذا ما لم يسمع مثله قبله ولا بعده، وخلّد له ذكراً لا تَبْلى لديباجته جدّه، وكذلك عامل أم جعفر[٥] بإكرام برّدَ حرارة حَزَنها وخفَّف حزازة شجنها، حتى سلَّ سخيمة صدرها، وحلَّ عقدة الحزن عن فكرها، وألْهاها ببرِّهِ لها عن ابنها، ونهاها نُهى حلمِهِ عن تشويش الدموع في جفنها، فأسْلاها مصاب ولدها وأنساها ذهاب قطعةٍ من كبدِها، أخذها في أمره بالمغالطة. واستدرك لها بالمجالسة مُهْجته الفارطة، فتسلّت به سلوة الحزين وتعوضت ببقاء المأمون عن الأمين، فعاودت مقلتها هجوع الكرى، وقالت وفي الحيّ بالميت الذي غيّب في الثرى، وسارت سِيرَهُ وصارت لا تمل منها مطالعها، ولا تخِلّ بأنَّهُ كلما فارقها نظرهُ يراجُعها، تصبح حيث أمسى في سطورها المبرّة، وصدورها المجوهرة، ويرود منها روضة أدبية، يتخير فيها من مشارق التصنيف حتى الأنوار، ويتخير بها لؤلؤ الطلّ في حدق النوّار، وعهد إلى علي الرضا[٦] وأصارها علويّة، ثم عاجله الموت، وما كان في سعادة الناس تمام تلك

---

(١) السموْل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر شمالي المدينة أشهر شعره لاميته المشهورة وهو الذي تنسب قصة الوفاء مع امرىء القيس الشاعر فضرب بوفائه المثل، وأخباره كثيرة في كتب الأدب والاختيارات. انظر: الأعلام ٣/ ١٤٠.

(٢) جرول بن أوس وهو الحطيئة، شاعر محسن جاهلي اسلامي مشهور، وديوانه متداول. انظر الأغاني ٢/ ٤١ والشعر والشعراء ص٣٢٨ والخزانة ١/ ٤٠٨.

(٣) سحبان وائل، وهو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في البيان جاهلي أدرك الإسلام وأقام في دمشق وبها توفي سنة ٥٤هـ، الإصابة ترجمة ٣٦٥٨ وخزانة الأدب ٤/ ٣٤٧ والأعلام ٣/ ٧٩.

(٤) إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي أبو إسحاق، ويدعى ابن شكلة أخو هارون الرشيد وعم للمأمون ولاه الرشيد دمشق، وكان أديباً شاعراً محسناً مغنياً له صنعة في الغناء، دعا إلى نفسه في بغداد أيام اتخذ المأمون خراسان عاصمة له، فبايعه أهلها، فلما دخل المأمون بغداد استتر ست سنين ثم استسلم سنة ٢١٠هـ فحبسه المأمون ثم عفا عنه. توفي بسامراء سنة ٢٢٤هـ. انظر: الأغاني ١٠/ ٦٩ وتاريخ بغداد ٦/ ١٤٢ ووفيات الأعيان ١/ ٨ واشعار أولاد الخلفاء ص١٧.

(٥) أم جعفر: هي زبيدة أم الأمين واسمها أمة العزيز، مضت ترجمتها.

(٦) الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الهاشمي العلوي، عليهم السلام استدعاه المأمون إلى خراسان، وجعله وليّ عهده سنة ٢٠١هـ، ومات بطوس سنة ٢٠٣هـ، فرحل المأمون إلى بغداد. انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٤ و٥٦٨ ومروج الذهب ٢/ ٣٤٧ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ١٩٣ وكامل ابن الأثير ٣/١٨٣/ ١٩٣.

القضية. إلا أنه أبلى الناس بالمحنة في القول بخلق القرآن[١]، ولم /١٣٦/ يظهر منها أيامه ولها قروء ولا قرآن، وذلك عن نَظَرٍ نَظَره، ورأيٍ نبه على نفسه خطره.

ومن أخباره أنه لما خرج من خراسان شيَّعَهُ حميد الطوسي[٢]، فسار معه فراسخ، فالتفت إليه المأمون وقال: ارجع أبا غانم[٣]: [من الكامل]

عجباً لقلب متيم أحبابه ... ساروا خلّف كيف لا يتضرّعُ
ارجع فحسبك ما تبعت ركابنا ... إن المتيم لا محالة يرجعُ

وشكا[٤] اليزيدي إلى المأمون ديناً لحقهُ، فقال له: ما عندنا في هذه الأيام ما أن أعطينا له بلغتَ ما تريد، فقال: يا أمير المؤمنين: إن غرمائي قد أرهقوني، قال: انظر لنفسك أمراً تنال به نفعاً، قال: يا أمير المؤمنين إن لك ندماء فيهم مَنْ إنْ حرّكته نلْت منه نفعاً، قال: أفعل، قال: إذا حضروا إليك مُرْ فلاناً الخادم يوصل إليك رقعتي، فإذا قرأتها فأرسل إليّ: دخولك في هذا الوقت متعذّر، ولكن اخْتَر لنفسك من أحْببت، قال: أفعل، فلما علم اليزيدي بجلوس المأمون مع ندمائه بعث إليه مع خادم رقعة فيها: [من السريع]

يا خير إخواني وأصحابي ... هذا الطّفيليّ على الباب[٥]
فصيّروني واحد منكم ... أو فأخرجوا لي بعض أترابي

فقرأها المأمون عليهم، قالوا: ما ينبغي يدخل علينا على هذه الحال، فارسل إليه المأمون: دخولك متعذّر، فاختر لنفسك مَنْ أحْبَبْتَ، فقال: ما أريد إلا عبد الله بن

---

(١) ابتدأ المحنة بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ حيث كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة المحدثين، وأمر بإشخاص جماعة منهم إلى الرقة، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٣١ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٠٠ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٠٩٧ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٢٢.

(٢) حميد بن عبد الحميد الطوسي: من كبار قادة المأمون، توفي سنة ٢٢٠هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٢/ ١٩٠ والوافي ١٣/ ١٩٧.

(٣) في الأصل: إنا غانم، والصواب ما ثبت: وكان حميد يكنى بأبي غانم.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٦٦١، واليزيدي هو يحيى بن المبارك العدوي، صحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولده فنسب إليه، وكان عالماً باللغة والآدب اتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون وعاش إلى أيام خلافته، له مصنفات توفي سنة ٢٠٢هـ. انظر: معجم الدباء ٧/ ٢٨٩ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٣٠.

(٥) في الطبري: لدى الباب، وبعده:
خبّر أن القوم في لذة ... يصبوا اليها كلّ أوّاب

طاهر[(١)]، فقال له المأمون: قد اختارك فَصِر إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أكون شريك الطفيلي؟ فقال المأمون: ما يمكنني ردّ أبي محمد عن أمرين، فإن أحببت أن تخرج إليه، وإلا فافتد نفسك منه، فقال: على عشرة آلاف درهم، قال: لا تقنعه، فما زال يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول لا تقنعه حتى بلغ مائة ألف، فقال له: عجِّلها، فكتب بها إلى وكيله، ووجّه معه رسولاً وأرسل إليه المأمون اقبض هذه الدراهم في هذه الساعة فهي أصلح لك /١٣٧/ من منادمته وأنفع لك.

وعن محمد بن عمر الواقدي[(٢)]، قال: أوْصَلْتُ إلى المأمون رقعة أشكو فيها الدين، فَوَقّع عليها: فيك خلتان الحياء والسخاء، فأما السخاء فهو الذي أخْرج ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي قطعك عن اطلاعنا على حالك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، فإن كانت فيها بُلْغَةٌ فذاك وإن يكن غير ذلك فهذه ثمرة ما جنيت على نفسك، فأنت حدّثتني وأنت قاضٍ للرشيد عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «مفاتيح الرزق بها متوجهة تحت العرش، فيتنزل الله تعالى أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثَّر كثَّر الله له ومن قلَّلَ، قلَّلَ الله له، قال الواقدي: وكنت قد أنْسيت هذا الحديث حتى حدثني به المأمون، فكان أحظى عندي من الصلة».

وألّف سهل بن هارون[(٣)] كتاباً يمدح فيه البخل ويذم الكرم ليُظْهِرَ قدرته على البلاغة[(٤)] ورصّع قدرته في ألْطف الصياغة، ثم قدَّمه إلى المأمون على يد الحسن بن سهل[(٥)]، فوقع عليه: لقد مدحْتَ ما ذمَّهُ الله، وحَسَّنْت ما قبَّح، وما يقوم صلاح

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أمير من أشهر الولاة في العصر العباسي ولي خراسان، وكان أديباً عالماً ممدحاً، مات بنيسابور سنة ٢٣٠هـ، انظر: كامل ابن الأثير ٥/ ٢٧٠ ووفيات الأعيان ٣/ ٨٣.

(٢) محمد بن عمر بن واقد، السهمي، مؤرخ من حفاظ الحديث، كان حناطاً بالمدينة، وانتقل إلى العراق واتصل بيحيى البرمكي فقربه من الخليفة وولي القضاء ببغداد، له مصنفات في التاريخ، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣ـ٢١ وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٩٦.

(٣) سهل بن هارون بن راهبون، أبو عمرو الدستميساني، فارسي الأصل، من أهل البصرة اتصل بالرشيد، فارتفعت مكانته عنده، ثم خدم المأمون فولاه رئاسة (خزانة الحكمة) وكان شعوبياً يتعصب على العرب، وكان أديباً بليغاً، شاعراً، من واضعي القصص، له مصنفات كثيرة. توفي سنة ٢١٥هـ انظر: البيان والتبيين ١/ ٣٠ و٥٠ ومعجم الأدباء ٤/ ٢٥٨ والأعلام ٣/ ١٤٣.

(٤) في الأصل: البلا، ونسي الناسخ بقية الكلمة.

(٥) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، وزير المأمون بعد أخيه الفضل، وهو أبو بوران زوجة المأمون، غلبت عليه السوداء فحبس في بيته، توفي سنة ٢٣٦هـ وقد سبق ذكره. انظر الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٩ وأخباره كثيرة في كتب التاريخ.

لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه.

وقال ظفر[١]: وبلغني أن الرشيد أقر جماعة من العلماء بمعاينة المأمون وهو غلام ليقتبس من آدابهم وعلومهم، فبات عنده ليلة الحسن بن زياد اللؤلؤي[٢]، فبينا هو يحادثه نعس المأمون، فقال له اللؤلؤي: نمت أيها الأمير؟ فاستيقظ وقال: سويقي ورب الكعبة يا غلام، خُذْ بيدِهِ وأخرجه، فبلغ ذلك الرشيد، فأعجبه وقال متمثلاً:

[من الطويل]

وَهَلْ ينبت الخطيّ إلاّ وشجةً ... وتغرس إلاّ في منابتها النخل

قال محمد، إنما فعل ذلك المأمون لسوء أدب اللؤلؤي، ووجه الأدب مع الرئيس إذا نام أن يتنحّى عنه جلساؤه، فيكونوا بموضع يقرب منه.

قال ابن ظفر: ومما قيل: إن الكسائي كان لا يفتح على ولد الرشيد إذا غلطوا، إنما كان ينكس طرفه، فإذا غلط أحدهم نظر إليه وربما ضرب الأرض /١٣٨/ بخيزرانة في يديه، فإن سدّد القاري للصواب مضى، وإلا نظر في المصحف، فافتتح المأمون عليه يوماً سورة الصف، فلما قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾[٣] نظر إليه الكسائي، وتأمل المأمون، فإذا هو مصيب، فمضى في قراءته ولما انقلب إلى الرشيد، قال: يا أمير المؤمنين إن كنت وعدت الكسائي وعداً فإنه يستنجزه، فقال: إنه كان استوصلني للقرّاء، فوعدته، فهذا هو الذي قال لك، فقال المأمون: إنه لم يقل لي شيئاً، وأخبره بالأمر فتمثل الرشيد بقول القائل في ثابت[٤] بن عبد الله بن الزبير بن العوام: [من الطويل]

ورثتَ أبا بكر أباك ثباته ... وسيرته في ثابتٍ وشمائله

وأنت امرؤ ترجى بخير وإنما ... لكلّ امرىء ما أوْرثَتْهُ أوائله

وقيل: إن الرشيد ناظر يحيى بن خالد فيمن يعهد إليه من ولده أولاً، وعلم يحيى ميله إلى زبيدة أم الأمين وإنه يؤثر هواها فَحَطب في حبلها، فأحْضر الرشيد الأمين

---

(١) ذكره المؤلف باسم ابن ظفر، وسيذكر كذلك فيما بعد.

(٢) أبو علي الحسن بن زياد اللؤلؤي، مولى الأنصار، ولي القضاء ثم استعفى، فقيه، كان حافظاً لقول أصحاب الرأي، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٢ وتاريخ بغداد ٧/ ٣١٤ والعبر ١/ ٣٤٥ وشذرات الذهب ٢/ ١٢.

(٣) الصف: ٢.

(٤) ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو حكمة، كان ذا لسن. انظر: أنساب الأشراف ٨/ ٧٥.

والمأمون وهما صبيان، فأغري بينهما، فأسرع الأمين إلى المأمون فنال منه، وكان المأمون أحلمهما، ثم إنه أمَرَهما أن يتصارعا، فوثب الأمين ولزم المأمون مكانه، فقال الرشيد: مالك لا تقوم يا عبد الله، أخِفْتَ ابن الهاشمية، أما إنه أيّد، فقال المأمون: هو على ما ذكره أميرُ المؤمنين، ولكني لم أخِفْهُ، وإنما قبض يدي عنه ما قبض لساني حين أسمعني، فقال له الرشيد: فما الذي قبض يدك ولسانك عنه، قال: قول الأموي لبنيه يوصيهم: [من الكامل]

انقوا الضغائن بينكم وتواصلوا ... عند الأباعد والحضور الشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ... وذماركم بتقطّعٍ وتفرّد
فلمثل ريب الدهر ألّف بينكم ... بتعاطفٍ وترحمٍ وتودّدِ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم ... لمسوّدٍ منكم وغير مسوّدِ
إنّ القداح إذا جُمِعْنَ فرامها ... بالكسر ذو حنقٍ بطشٍ أيّدِ
عَزَت فلم تُكسَر وإن هي بدِّدَت ... فالوهن والتكسير للمتبدِّدِ

/١٣٩/ فرقَّ الرشيد رقّةً شديدة واغرورقت عيناه بالدموع، فكفكفها ثم أقبل على الأمين فقال: يا محمد، ما أنت صانع إنْ صرف الله إليك أمر هذه الأمة؟ فقال: أكون مهدّياً يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد: إن تَفْعَل فأهل ذاك أنت، ثم أقبل على المأمون فقال: يا عبد الله ما أنت صانع إن صَرَفَ الله إليك أمر هذه الأمة؟، فابتدرت دموع المأمون، وفطن الرشيد لما أبكاه، ولم يملك عينه، فأرسلهما وبكى يحيى، فلما قضى من البكاء إرباً عاد الرشيد لمسألة المأمون، فقال: اعْفِني يا أمير المؤمنين، قال الرشيد: عَزَمْتُ عليك أن تقول فقال: إن قدّر الله ذلك جعلتُ الحزن شعاراً، والحزم دثاراً، واتخذتُ سيرة أمير المؤمنين مشعراً، لا تستحل حرماته، وكتاباً لا تبدَّل كلماته، فأشار الرشيد إلى الأمين والمأمون بالانصراف، ثم ذهبا، ثم أقبل على يحيى وأنشده بيت صخر بن عمرو:

أهِمُّ بأمر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوانِ

فقال يحيى: قد هيّأ الله لأمير المؤمنين من أمرِهِ رشداً.

وكان محباً في لعب الشطرنج، وكان يقول: هو فكري، يشحذ الدهن، ولم يكن فيه حاذِقاً، وكان يقول: أدير أمر الدُنيا فاتسع فيه، وأضيق في تدبير شبرين في شبر، وفيه يقول: [من البسيط]

أرْضٌ مربعةٌ حمراء من أدمٍ ... ما بين الفين مخصوصين بالكرم

تذاكرا الحرب فاختالا لها مثلاً ... من غير أن يأثما فيها بسفك دمِ

وأما خروج عمّه إبراهيم بن المهدي[١] عليه فكان سببه إن المأمون لما أراد أن يصرف الخلافة إلى علي بن موسى الرضى، وبدّل السواد بالخُضْرة، نقم عليه بنو أبيه، فلما كان بخراسان خلع أهل بغداد طاعته، وبايعوا ابن المهدي، ولقّبوه المبارك، فلما تمهدّ له الأمر أساء إلى الجند، ومنعهم أرزاقهم، فاضطربوا عليه يوم الجمعة سنة ثلاث ومائتين، وكانت /١٤٠/ مدّته نحو سنة، واختفى، وبلغ المأمون الخبر، فأتى بغداد، فدخلها يوم السبت سادس عشر[٢] صفر سنة أربع ومائتين، ولم يزل ابن المهدي مختفياً إلى أن خرج متنقباً على هيئة امرأة بين امرأتين ليلة السابع عشر من ربيع الآخر سنة عشرة ومائتين، فأخذه الحرس على أنهم عواهر فأعطاهم خاتماً من ذهب فصّه ياقوت يساوي مالاً عظيماً، فأنكروا ذلك وحملوه إلى صاحب الشرطة، فعرفه وحمله إلى المأمون، فأمر به فَجُعل في مكان[٣]، فلما كان من الغد أخرج وأظهر للناس على ما أمسك عليه فقال له المأمون: هيه يا إبراهيم، فقال: يا أمير المؤمنين، إن وليَّ الثأر محكّم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كلّ ذنبٍ دونك، فإن عاقبت فبحقّك، وإن عَفَوْتَ فبفضلك فقال له المأمون: بل نعفوا يا إبراهيم، فكبّر، ثم خرَّ ساجداً، فلما رفع رأسه أنشده[٤]: [من الطويل]

يا خير من وَخَدَت به شدنيّةٌ[٥] ... بعد الرسول لآيسٍ أو طامعِ[٦]
متيقظاً حَذِراً وما يخشى العدى ... يقظان من وسناتِ[٧] يوم الهاجعِ
مُلئت قلوبُ الناس منك مخافةً ... وتبيت تكلؤهم بقلبٍ خاشعِ
نفسي فداؤك إن تضيق[٨] معاذري ... وألوذ منك بفضلِ حلْمٍ واسعِ

(١) إبراهيم بن المهدي العباسي، مضت ترجمته. انظر: الأغاني ١٠/ ٩٥ وتاريخ بغداد ٦/ ١٤٢ وتاريخ الطبري (٢٠١هـ) وأشعار أولاد الخلفاء ص١١٧ والوافي بالوفيات ٦/ ١١٠ وكامل ابن الأثير ٥/ ١٨٩ (أحداث سنة ٢٠١هـ).

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٤: لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر، وانظر الكامل ٥/ ١٩٥.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٤: في دار أبي إسحاق بن الرشيد.

(٤) الأبيات في الأغاني ١٠/ ١١٧ وتاريخ الطبري ٨/ ٦٠٤ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٠٩ وبعضها في مروج الذهب ٢/ ٣٤٨ وأشعار أولاد الخلفاء ص١٩.

(٥) في المصادر المذكورة: يا خير من ذملت يمانيةٌ به، وفي الكامل، دفلت.

(٦) في الأغاني والطبري: ولطامعِ.

(٧) في الكامل: وسنان.

(٨) في الطبري والأغاني: تضلُّ.

أملاً لفضلك والفضائل شيمةٌ رفعت ثنائك بالمحل اليافع[١]
فبذلت أفْضَلَ ما تضيق ببذلهِ وُسعُ النفوس من الفعال البارع
إلاّ العلوَّ عن العقوبةِ بعدما ظَفَرتْ يداك بمستكينٍ خاضعِ
ورَحَمْتَ أطفالاً لأفراخ القطا وعويلَ عانسةٍ كقَوْسِ النازعِ
الله يعلم ما أقولُ فإنَّها جهْدُ الأليَّة من حنيفٍ راكعِ
ما إن عصيتك والغُواة تَقُودني أسبابُها إلاّ بنيَّةِ راجعِ[٢]
حتى إذا علِقَتْ حبائلُ شقوتي بِرَدىً إلى حُفَرِ المهالكِ هائع[٣]
لم /١٤١/ أدرِ إنّ لمثل جُرمي غافرٌ[٤] فوقفت أنظر أيَّ حتفٍ صارعي
ردَّ الحياة عليَّ بعد ذَهَابِها وَرَعُ الإمام القادرِ المتواضعِ
أحياك مَنْ وَلاّك أطول مُدَّةٍ ورمى عَدُوَّك في الوتينِ بقاطعِ
اسمام ما أدلي إليك بحجةٍ إلا التضرّع من مقرّ خاضعِ[٥]
كَمْ مِن يَدٍ لك لم تُحدِّثْني بها نفسي إذا ثابَتْ[٦] إلَيَّ مطامِعي
أَسْدَيْتَها عفواً إلى هنيئةً فشكرت مُصنعها[٧] لأكرم صانع
إن الذي قسم الخلافة حازها في صلب آدم للإمام السابعِ
جمع القلوب عليك جامِعُ أمْرِها وحوى رداؤك كلَّ خيْرٍ جامع

فلمّا فرغ منها قال له: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٨] ثم أمر بالخلع فَخُلِعَتْ عليه، وصَرَف إليه أمواله وضياعه، فأنشده[٩]:

[من البسيط]

رَدَدْتَ مالي ولم تَبْخَلْ[١٠] عليَّ بهِ وقبْل ردّك مالي قد حقَنْتَ دمي
فبؤتُ عنك وما كافائتها بيدٍ هما حياتان من موتٍ ومن عدمِ
البرُّ بي وطّا العُذْرَ عندك لي فيما أتيت[١١] فلم تُعذَل ولم تُلَمِ

---

(١) في الطبري والأغاني: والفواضل... رفعت بناءك، وفي الكامل: للمحلّ.
(٢) في الطبري والأغاني: طائع. (٣) في الأغاني: على حفر.
(٤) كذا في الأصل: وفي الأغاني والطبري: غافراً.
(٥) البيت لم يرد في الطبري. (٦) في الطبري والأغاني: آلت.
(٧) في الطبري والأغاني: مصطنعاً. (٨) سورة يوسف: ٩٢.
(٩) الأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ص١٩ والأغاني ١٠/ ١١٩.
(١٠) الأغاني وأشعار أولاد الخلفاء: تمنن.
(١١) الأغاني: دون اعتذاري.

وقام علماك بي فاحتجّ عندك لي   مقام شاهد عدلٍ غير مُتَّهمِ
تعفو بعدْلٍ وتسطو إن سطوتَ بهِ   فلا عَدِمناك من عافٍ ومنتقمِ

ثم شفعتْ فيه بوران[1] فقرّبه ونادمه، ولم يزل مكرماً مبروراً إلى آخر عمره.

وكان سبب موت المأمون[2] انه كان على نهر البذَنْدُون[3] مُدلياً ساقيه في الماء، قال: ما رأيت أبرد من هذا الماء ثم ذاقه وقال: ما أطيب طعمه؟ ثم التفت إلى سعيد العلاف[4]، قال: أي شيء يصلح أن يؤكل عليه؟ قال: أمير المؤمنين أعلم، قال: الرطب الأزاذ، قال: أنى لنا به في بلاد الروم، فما تمَّ كلامُهُ حتى سمع لجم البريد، فالتفت فرأى على أعْجازِها أحْقاب فيها ألطاف ومنها رُطب الأزاذ، فحمد الله هو ومن كان معه، فما قام أحد ممن أكَلَهُ إلاّ محموماً، فكان ذلك أول علّته، ثم ظهر له في رقبته نفخةٌ كانت تعتاده، فخطأ /١٤٢/ الطبيب في فتحها قبل النضج فهلك.

ويقال: إنه لما خرج في تلك الغزاة صاح في أحد الليالي لغلام اسمه شقير وقال له: ويلك من يُغني؟ قال: ما يغني أحد، قال: ثم تَسَمَّعْتُ فلم أسمع شيئاً، فقلت ما أسمع حِسّاً، قال: بلى والله إنه كان يغني: [من الوافر]

ألم تعْجب لمنزلةٍ ودورٍ   خَلَتْ بين المشقَّر والحُرورِ
كأن بقيّة الآثار فيها   بقايا الخط من قلم الزّبورِ

ثم اعتلّ في الليلة الثالثة.

وحكى ابن المهدي قال: رأيتُ في منامي كأن جارية من جواري الرشيد وفي يدها عود وهي على منبر رسول الله ﷺ تنشد: [من الخفيف]

سوف يأتي الرسول من بَعْدِ شَهْرٍ   بنعي الخليفة المأمونِ

قال: فقلتُ، هذه مفسَّرة، فجاء نعيه بعد شهر.

وولد سنة سبعين ومئة، وتوفي سنة ثمان عشر ومائتين وعمره ثمان وأربعون سنة وشهور، ومدّته عشرون سنة وستة أشهر، وقبره على البذندون بطرسوس من بلاد الروم.

---

(١) بوران بنت الحسن بن سهل. زوجة المأمون، انظر خبر زواجه بها في الكامل ٥/١٩٣ والطبري ٨/ ٥٦٦.

(٢) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٨/٦٤٦ وكامل ابن الأثير ٥/٢٢٦.

(٣) البذندون: قرية بينها وبين طوس يوم (ياقوت ـ بذندون).

(٤) في الأصل: سعيد بن الصلاف، والتصويب عن الطبري ٨/٦٤٦ وفي الكامل: سعد.

ثم:

[٨]

دولة المعتصم بالله[١]، إبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد

عهد إليه أخوه المأمون، وشهد بأهليته هو والمسلمون، ونطقتْ أسنّة السنة فما كذبت، وصدقت مضارب سيوفه فما نبَتْ، وكان فارساً شجاعاً بطلاً، مناعاً، رامياً، محامياً، بصيراً بمواقع الحرب وترتيب الجيوش وقتل الأعداء وحملهم من رماحه على النفوس، وكان كما يوسم أخوه مخيلة عارضة الهتون، وخميلة أرضه الهرون[٢]، واستكثر من الغلمان الأتراك، وأحلَّ كبراؤهم منه بمكان الاشتراك، حتى حدث بعده منهم ما حدث، وأحدثوا ما لو شعر به لقام لا يواريه حدث، فإنهم فعلوا ما كانوا دون قدره، وقتلوا مِنْ بنيه من تلوث بدمه الصباح، وهاطرا طيّشه[٣] على شفق فجره، فأما في زمان المعتصم، فإنهم كانوا في مزيد الاستطاعة عبيد / ١٤٣/ الطاعة، إلاّ أنَّ منهم مَنْ قسا، ووكل السيف في عقابه لما أسا، ويكفي المعتصم نوبة عمورية[٤]، وما ظهر فيها من عزيمته المصمّمة، وشكيمته المهيمنة، وإنه لما هتفت باسمه تلك المرأة. هفت إليها طلائع الممرّة وقال:

لا يــكــشــف الـغـمــاء إلاّ ابــن حــرّةٍ[٥]

وقاد إليها عسكراً يتشكى الشتاء البارد حرّه، فأتى عمورية وهو يرى غمرات الموت ثم يزورها، وقاسم أهلها سيوفه، فكانت في عساكره غواشيها وفيهم صدورها[٦]، حتى يسَّر الله له فتحها، وقدّر له منحها، ويقال إنه افتر في يوم شديد البرد من أيامه عليها أربعة آلاف قوس، ورمى على كل قوس منها سهما، وكان يوماً يودُّ بياض نهاره لو كان لوقود النار فحما ولم يكن المعتصم يعاب إلاّ بأميَّةٍ فيه، وإنه عمل في المحنة[٧] بوصية أخيه

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٦٦٧ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٣١ وتاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢ ومروج الذهب ٢/ ٣٦١ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ١٩٧.

(٢) كذا في الأصل، ولم أتبين معناها. (٣) كذا.

(٤) كان فتح عمورية سنة ٢٢٣هـ، انظر: تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير (أحداث سنة ٢٢٣هـ) وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢١٥ والفخري ص١٧٣.

(٥) تضمين شطر بيت لجعفر بن علبة الحارثي وعجزه: يرى غمرات الموت ثم يزورها: (ديوان الحماسة ص٣٢).

(٦) تضمين لبيت جعفر بن علبة الحارثي:

تـقـاسـمـهـم أسـيـافـنـا شرَّ قـسـمـةٍ ... فـفـيـنـا غـواشـيـهـا وفـيـهـم صُـدُورهـا

الحماسة ص٣٢.

(٧) يريد محنة خلق القرآن.

فأخَذَ الناس بها، وواخذ مَنْ امتنع، ودعا إليه بالسيف والسوط، وجرى زمانه كلّه لا يني على هذا الشوط، حتى ألْزمِ بكلمتها، وشوّه وجوه أيامه المبيض بظلمتها، على أنه لم يكن إذا علم عمل به فاتبعه، وعلم أنه الحق فشرَّعه، إلاّ أنه سمع قولاً ظَنَّهُ الصدق فأيّدَهُ، وتلقى وصيته عن أخيه فعمل بها وقلَّده، وسأل أحمد بن حنبل[1] فأيده الله بالقول الثابت، وابتلاه بأنواع البلاء وهو بمواجهته بالإنكار لقوله متكلم لا ساكت.

وكان مغرىً بالاستكثار من الأتراك، ما مات حتى كمل ثلاثين ألفاً منهم، وكان معظماً لهم، موفراً نصيبهم، حكي أنه أجلس مملوكه اشناس[2] إلى جانبه على كرسي، وتوَّجه بتاجٍ من ذهب، ووشَّحَه بوشاحين ذهب، مرصّعين بالجواهر، وطوّقَهُ بطوْقٍ ذهب مُجَوْهرٍ بقطع يواقيت أصْغرها زنة عشرة مثاقيل، وسوّره بسوارين ذهب، وعقد له ثلاثة ألْوية، وحمله على فرسٍ أدْهم أغر من مراكيب الخلافة بسرجٍ ثقيل ذهب مرصّع بالجوهر واللؤلؤ الثمين، وقاد خَلْفَهُ سبعة أفراس وعمل له موكباً يحمل في السلاح والعمد والطبرزينات[3] والتراس، والخزانة، وغير ذلك من شعار الملوك، وخاطبه بملك الأمراء /١٤٤/ وكذلك صنع ببابك الخرّمي[4] في التعظيم والتكريم، حتى أطلع على سوء معتقده، فجعله همّة حتى أصاره إلى ما صار وأحلّه وبعض ما يستحق دار البوار.

وعن محمد بن القاسم، قال: دَخَلَ المعتصم يوماً إلى خاقان يعوده، فرأى ابنه الفتح وهو صغير لم يتعدّ، فمازحه ثم قال: أيّما أحسن دارنا أم داركم؟ فقال الفتح: يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن، فقال المعتصم: لا أبرح أو يُنْثر عليه مائة ألْف درهم، فأحضرت، ونثرتْ عليه.

وحكى علي بن الحسين بن عبد الأعلى: أن عبد الله بن طاهر أهدى إلى

---

(١) انظر امتحان الإمام أحمد بن حنبل في تاريخ اليعقوبي ٣/ ٢١٢ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٣٣.

(٢) أشناس، من أمراء المعتصم الشجعان توفي سنة ٢٥٢هـ انظر: الوافي ٩/ ٣٧٨.

(٣) الطربزينات، فارسي معرب، ومعناه فأس السرج لأن فرسان العجم تحمله معها للقتال.

(٤) كذا ورد في الأصل، وهو وهم، إنما فعل المعتصم ذلك مع الأفشين قائده التركي الذي حارب بابك وأسره، وكان بابك قد ظهر في البذّ سنة ٢٠١هـ وهزم من جيوش السلطان ما وجه إليه حتى كانت أيام المعتصم، أرسل إليه الأفشين سنة ٢٢٠هـ وحدثت بينهما عدة وقعات، ثم استطاع الأفشين من هزيمة بابك واسره، وقدم به إلى سامراء فقتل بها سنة ٢٢٣هـ. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١١ وما بعدها وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢١٢.

المعتصم شهرين ملمعين[١]، ذكر أن خراسان لم تخرج مثلهما، فسأله بغا[٢] أن يحمله على أحدهما، فأبى، وقال: تخيّر غيرهما ما شئت فخذهُ، قال: فخرجنا ولم يأخذ شيئاً، فلما صرنا بطبرستان عرض له قوم من أهلها فقالوا له: إنّ في بعض هذه الغياض سَبُعاً قد استكلب على الناس وأفناهم، فقال: إذا أردتُ الرحيل غداً كونوا معي حتى أقف على موضعه، فأخذوه في عشرين فارساً من غلمانه ومعه قوس ونشابتان في منطقته، فصاروا به إلى مكانه، وثار السبع في وجهه فحرك فرسه من بين يديه، وأخذ نشابة من النشابتين، فرماه في لبته فمرّ السهم فيها إلى الريش، وركب السبع رأسه، قال: وعاد بغا إليه فما اجترأ أحَدٌ على النزول إليه حتى نزل بغا فوجده ميتاً، قال: فشبرناه، فكان من رأسه إلى رأس ذنبه ستة عشر شبراً، ووجدناه أحص الشعر[٣] إلاّ معرفته[٤]، قال: فكتبنا بخبره إلى المعتصم، فلحقنا جواب كتابنا بحلوان[٥] يذكر فيه أنه قد تفائل بقتل السبع أن يكون من علامات الظفر ببابك، ووجّه إلى بُغا بالشهريين[٦] وسبعة أفراس من خواص مراكيبه بمراكب يقال من الذهب وسبعة خلع من خاصّة خلعه، وخمسمائة ألف درهم صلة له وجزاء على قتله السبع.

قال[٧] زنام الزامر: أفاق المعتصم في علّته التي مات فيها /١٤٥/ فركب في الزلال[٨] في دجلة وأنا معه، فمرَّ بإزاء منازله فقال: يا زنام أزمر لي: [من السريع]

يا منزلا لم تَبْلَ أطلاله ... حاشى لأطلالك أن تُبْلى

لم أبكِ أطلالك لكنّني ... بكيْتُ عَيْشي فيك إذْ وَلّى

والعيش أوْلى ما بكاه الفتى ... لابُدَّ للمحزون أن يَسلى

قال: فما زِلْتُ أزمر هذا الصوت وأكرره، وقد تناول المعتصم منديلاً بين يديه،

---

(١) كذا في الأصل، ولم أعرف معناهما، وواضح من سياق الكلام أنهما مما يُركب.

(٢) بغا الكبير، أبو موسى، من كبار القواد وكان مملوك للحسن بن سهل توفي في حدود ٢٥٠هـ، أخباره في تاريخ الطبري (انظر الفهرس) والوافي بالوفيات ١٠/ ١٧٢.

(٣) الأحص الذي لا يطول شعره.

(٤) المعرفة: موضع العرف من الطير والخيل والعُرف شعر عنق الفرس والأسد.

(٥) حلوان: مدينة في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد (ياقوت ـ حلوان).

(٦) سبق ذكرها ولم أتبين معناه.

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٩/ ١١٨، وزنام أول من اشتهر باستعمال الناي، كان من مطربي الرشيد والمعتصم والواثق، مات سنة ٢٣٥هـ: تاج العروس ٨/ ٣٣٠.

(٨) الزلال: اسم مركب من مراكب المعتصم.

فما زال يبكي وينتحب حتى كاد بدموعه يَنْتَقِبْ، ثم رجع إلى منزله فاحتضر، وجاءه من الموت أمرٌ قد قُدِر، وجَعَلَ يقول: ذهبت الحيلة ليست حيلة، إلى أن مات لثمان عشرة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين بسامراء، ومدّتُهُ ثمان سنين وثمانية أشهر ويومان.

ومولده سنة سبع وتسعين ومائة.

ولما مات صنع للواثق لحناً وغنى به فيه وهو: [من الوافر]

أبَتْ دار الأحبة أن تُبينا أجدَّكَ ما رأيتَ بها مُعينا[١]

تُقَطّع حَسْرَةً من حُبِّ لَيْلى نفوسٌ ما أُثبن وما جُزِينا

ثم:

[٩]

دولة الواثق بالله[٢]: أبي جعفر هارون بن محمد المعتصم

ولما ولي استمر بعوائد أبيه وعمّه المأمون ولاب على موارد المحنة، ولاث مفارق مَنْ خالفه بعصابة المهنة، واشتدَّ في التحرج بهذا المذهب والتولّج في ظلمة هذا الغيهب[٣]، وكان كريماً جواداً، وله اعتلاء في الأدب، واعتناء به، يَنْسَل إليه أهْلُه من كلّ حدْب، وكان له صنعة في الموسيقى، وروي له فيها أعمال تحرّك الصخور، وتحرّض سامعها على اغتنام أيام السرور، وكان مع هذا مهيباً موقراً في الصدور، موفى بمهابة أمنع من السنور، وكانت له على الأتراك حرمة خطرت على خواطرهم الخطرات، وقصُرت لواحظهم تحت سجف العبرات، وكان إذا ذُكر لهم تَرَبَع بهم أوْهامهم، وترتعد /١٤٦/ مفاصلهم فما تقلّهم أقدامهم.

وحكى ابن أبي دؤاد[٤] عنه كلاماً معناه: حضرته وهو قاعد ينتفش وبيد بعض

---

(١) البيتان في الطبري ٩/ ١٥٣ لأحمد بن عبد الوهاب، فصنعت في قلم جارية صالح، فغناه زرزر الكبير للواثق.

(٢) الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم، وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس توفت في طريقها إلى مكة سنة ٢٢٧هـ استطاع أن يقضي على حركات الأعراب في عصرِهِ، وكان أديباً عالماً موسيقياً. انظر أخباره في تاريخ الطبري ٩/ ١٢٣ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٦٦ ومروج الذهب ٢/ ٣٧٥ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢١٨ وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢ والأغاني ٩/ ٢٧٦ والنبراس ص٧٣.

(٣) قتل في المحنة على القرآن أحمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١هـ، مروج الذهب ٢/ ٣٨٣.

(٤) في الأصل داود، وهو أحمد بن أبي دؤاد، قاضي القضاة من كبار المعتزلة توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٤/ ١٤١ والبداية والنهاية: ١/ ٣١٩.

الغلمان مرآةٌ كأنها درهم في كفّ مرتعش، والغلام يتجلل فرقاً. ويتكللّ جبينه عَرَقاً، كأنه في عقابيل حُمّى، أوْ في وبيل حميً سقي به سُمّاً، قد نكس إلى الأرض كأنه راعف، أو كأنه ينظر موضع مصرعه وهو واقف.

وحكي أنه مات وأَكَلَتْ السنور عينه وغلمانه صفوف وقوف على بُعْدٍ منه، فما منهم مَنْ تجاسر أن يتقدم إليه ويكشف خبره، ولا يرفع إليه طرفه ويتحقق نظره.

وعن أبي مالك جرير بن أحمد بن أبي دؤاد، قال: قال الواثق يوماً لأبي تضجّراً بكثرة حوائجه: يا أحمد قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك، والمتوسلين إليك، فقال: يا أمير المؤمنين: نتائج شكرها مُتّصلة بك، وذخائر أجْرها مكتوبة لك، وما لي من ذلك إلاّ عشق إيصال الألْسن بحلو المدح فيك، قال: يا أبا عبد الله والله لا يمنعك ما يزيد في عشقك ويقوى من همتك فينا ولنا، ثم لم يتضجّر بعدها بحاجة يُعرضها عليه.

وحكي: أنه لما ثقل في علّته التي مات فيها خيَّل إلى الأتراك وقد أغمي عليه أنه قضى فدنا منه تركي يقال له إيْناخ[١] ليعلم هل مات أم لا، فلما دنا منه فتح عينيه ونظر إلى إيناخ، فرجع القهقرى فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط إيناخ على قفاه لما نظره هيبةً له ورُعْباً لما داخَلَهُ من النظر إليه، ثم لم يمرّ على الواثق ساعة حتى مات، فأخذ وجُعل في بيت فما قام إلا يسيراً فوجد وقد أخرجت الفأرةُ عينه، فسبحان القادر الفعّال لما يريد، لا إلاه إلا هو، ثم كان بموته قوة شوكة الأتراك.

ثم:

[١٠]

دولة المتوكل على الله[٢]، أبي الفضل جعفر بن محمد المعتصم

بدأ أمْرَهُ بكشف المحنة، ودحا مجاري سيلها، ومحا آية ليلها، وأطْلَقَ من ضاقت بهم السجون من المصرّين على /١٤٧/ إنكارها، والمصرّحين بسوء آثارها،

---

(١) إيناخ التركي، قائد شارك في فتح عمورية أيام المعتصم وتولى الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة، ثم خافه المتوكل فدبّر قتله سنة ٢٣٤هـ. انظر: تاريخ الطبري (انظر الفهرس) والوافي ٩/ ٤٨١ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧٥.

(٢) المتوكل على الله، أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم، العباسي، انظر أخباره في: تاريخ الطبري ٩/ ١٥٤ وما بعدها، وكامل ابن الاثير ٥/ ٢٧٨ ومروج الذهب ٢/ ٣٩١ وتاريخ الخلفاء ص٣٤٦ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٢٢ وتاريخ بغداد ٧/ ١٦٥ وفوات الوفيات ١/ ٢٩٠ والوافي ١١/ ١٢٩.

ونزَّهَ القرآن الكريم، وقال: إنه منزل غير مخلوق وصفة من صفات الله القديمة، سابقاً غير مسبوق، فأيّدَ الحقَّ ونَصَرَه، وسدّدَ إليه رأيه وبصَّرَه، إلاّ أنه كان مزوَرّاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويُرمى ببغضِهِ، ويغري مَنْ لا خلاق له بِحَطِّ مقدارِهِ وغضّهِ، حتى قيل إنه كان يأمر مخنثاً كان عنده اسمه عبادة[1] أن يصنع له بطناً تشبّها بعلي رضي الله عنه، ثم يأمره بأن يرقص ويغنّي له بما ننزّه كتابنا عن ظلمة ظلمِهِ، ونَدَعْ قائله وما باءَ بإثمِهِ، وكان يتمضمض بذكره بكذبٍ يضعه، واختلاق يرفعه الله به كلما أراد أنه يضعه، حتى قيل إن ابنه المنتصر كان يحرج قلبه هذا الاستهتار، ويقدح عنده ناراً طار منها ذلك الشرار، وأنه دخل عليه يوماً وذلك الممسخر قد تلبّس بهذهِ الحال، ونمّق وقته بزخرف ذلك المحال، والمتوكل قد استغرب ضحكاً، واستعذب بذوقهِ السقيم ما يُحكى، فنهى المتمسخر وزجره، ثم تقدّم إلى أبيه ولامه وما عذره، وقال له: يا أمير المؤمنين إنما هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولو لم يكن له ما له من الفضل لكان ابن عمك، وإنما تأكل قطعةً من لحمك، ثم وعظه ونهاه ونَصَحَهُ لو قبل نُصْحَهُ أوْ وعاه، فما صبر إلاّ ريثما ولّى، ثم أمر ذلك الممسخر الطرف الوضيع الساقط أن يغني ويقول: [من مجزوء الكامل]

غضب الحبيب لابن عمه ... رأس الفتى في كسِّ أُمِّهِ

قد قال تأكل لحمه ... فأجبته يا طيب لحمه

وأمره أيضاً أن يغني ويقول:

غار الفتى لابن عمه ... رأس الفتى في حُرّ أُمِّهِ

فلما قتل المتوكل والفتح بن خاقان قتل معهما ذلك الساقط الحقير وعجل بروحه إلى النار وبئس المصير.

وكان المتوكل مغرًى بالبناء، وأنْفَق /١٤٨/ فيه خزائن آبائه، وأسرع فيه دبيت الفناء، فبنى من المنازل قصورا تتضاءل لها المنازل قصورا[2].

ولما أزال المحنة جمع الناس على مذهب مالك بن أنس رحمه الله، وإنما كان في الانحراف عن علي كرم الله وجهه في الغاية التي ما بعدها، وأمر بهدم قبر السيد

---

(١) انظر خبره في كامل ابن الأثير ٥/ ٢٨٧.

(٢) بنى المتوكل قصوراً انفق عليه أموالاً عظاماً منها: الشاه، والعروس، والشبذاز والبديع، والغريب، والبرج انفق عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وأمر ببناء الماحوزة، وبنى فيها قصراً أسماه لؤلؤه لم ير مثله في علوّه: تاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٢٩ والطبري ٩/ ٢١٢.

الحسين بن علي عليهما السلام، وخراب ما حوله من المساكن، وأن تحرث وتزرع، فعمل فيه الناس أشعاراً، من أحسن قول بعضهم[١]: [من الكامل]

تاالله إن كانت أميّة قد جَنَتْ قتل ابن بنت نبيِّها مظلوما

فلقد رماهُ بنو أبيه بمثْلها أضحى حسينٌ قبرهُ مهدوما

أَسَفُوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولد في (شوال من سنة ست ومائتين)[٢] وقتل ليلة الأربعاء لابع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في مجلس الشراب باتفاق من ابنه المنتصر وبغا التركي[٣].

ثم:

[١١]

دولة المنتصر بالله[٤]: أبي جعفر محمد بن جعفر المتوكل

انتصر لابن عمّ نبيّه، وانتصب له انتصاب حميّ الأنف أَبيِّهِ، وانتصف لذي قرابته من أبيه، وأرْتعه في وبيل المرعى ووبيِّهِ[٥]، وانتضى له (سيف) العهد والعمد، وطوّق بِجَنيِّهِ وواطى عليه صوارم الأتراك ووالى إليه عزائم الإدراك، حتى قُتل تلك القتْلة، وبرد غيظُهُ وشفى الغلّة ولهذا مني بالهلك بعده، وما هنيء بالملك ولا طالَتْ له مدّة، فكانت قضّيته شبيهة بقضية شيرويه، كلاهما قتل أباه، فما قبل الملك تملكه وأباه، فما سعى إلى السرير حتى قَصَرَتْ خطوةُ أجلِهِ، وقصّرت سطوت المنايا على عجلة، فحقرت[٦] كتب التهاني بالتعازي وَوَسَمَتْ سمة فعله بالمحاسن والمخازي، فمن حمله على أنَّهُ غار لله ولابن عمّ رسوله شكره، ومَنْ حمله على أنه غال أباه للملك لم يكفر له ذنوبه المعذرة، ومن يوم مُدّت الأيدي بالمبايعة إليه قال الناس:

---

(١) (كذا) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٩/ ١٨٥ (أحداث سنة ٢٣٦هـ) وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٨٧ ومقاتل الطالبيين ص٥٩٧ والأبيات في تاريخ الخلفاء ٣٤٧ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٨٥ وقد نسبها ليعقوب بن السكيت أو لعلي بن أحمد.

(٢) ما بين قوسين بياض في الأصل، والتكملة عن تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٠.

(٣) انظر خبر قتله مفصلا في تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٢.

(٤) انظر ترجمة المنتصر واخباره في تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٤ وكامل ابن الأثير ٥/ ٣٠٥ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٣١ ومروج الذهب ٢/ ٤٢٣ والفخري ص١٧٨ وتاريخ الخلفاء ص٣٥٦ والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٢٩ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٨٩.

(٥) أي: ووبيئِهِ، الكثير الوباء.

(٦) كذا قرأتها في الأصل، ولعلها: فقرنت.

هذا الأمر لا تزيد أيامه على مدّة /١٤٩/ شيرويه[١].

وكان من غريب الاتفاق أنه بسط في ذلك اليوم بساط جاءت قدام مقعد المنتصر صورة مصورة وحولها أسطر مسطّرة، فاحْضر من قرأ له ذلك الخط وعَرَّبه، فوجد مضمونَ أحرفه المكتتبة: هذهِ صورة شيرويه، قتل أباه فما دامت أيامه ولا هني بالملك بعده، فتطير المنتصر من ذلك، وتقرر عنده أنه هالك، فلما هلك عجب الناس من ذلك الوفاق، حتى ظنّ بعضهم أن هذا وَقَعَ بالقَصْد لا بالاتفاق.

وحكى[٢] أحمد بن الخصيب، خرج يوماً مسروروا فقال: إن أمير المؤمنين رأى كأنه صعد درجة حتى انتهى إلى خمس وعشرين مرقاة، ثم قيل له قف هذا آخر ثمرك، فتأوّلها ابن الخصيب الخلافة، وإنما كانت جميع عمره، فعاش بعد ذلك أياماً ومات، فحسب عمره فكان قد أكمل خمساً وعشرين سنة، حصل له ورم حار فيه النبيه[٣] من نزلةٍ حادثة، فمات بعد ثلاثة أيام، وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين، وكانت مدة خلافته ستة أشهر ويومين، وعمره خمساً وعشرين سنة ونصفا، وكان أعين أقْنى، قصيراً، مهيباً، عظيم الجثة من حدوثها[٤].

وقيل وهو الأكثر، أنه وَجَدَ حرارةً فَفُصِد بمبضع مسموم، فمات، ومن العجب أن الطبيب الذي فَصَدَهُ احتاج إلى الفصد، فأمر تلميذه بفصدِهِ، فأخرج له مباضع وفيها ذلك المبضع المسموم، وقد نسيه فَفَصَدَهُ به فمات، وقيل به أصابته علّة في رأسه، فقطر الطبيب ابن طيفور[٥] في أذنه دهناً، فورم رأسه ومات، وقيل غير ذلك[٦] وكان ينشد لما اشتدَّت به العلّة: [من الطويل]

فما فَرِحَتْ (نفسي)[٧] بدنيا أَخَذْتها   ولكن إلى الربّ الكريم أصيرُ

ويروى أنه قال لابنه لما احسَّ بالموت: عاجلت[٨] فعوجلت.

---

(١) شيرويه بن كسرى، ملك فارسي، قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر.

(٢) تاريخ الطبري ٩/٢٥٣ وفيه: وذُكر عن سعيد بن سلمة النصراني أنه قال: خرج علينا أحمد بن الخصيب مسروراً... وعليه أرى أن تقرأ العبارة: حكي أن أحمد بن الخصيب خرج يوماً مسروراً.

(٣) كذلك قرأتها وهي تحتمل قراءة أخرى، وفي مصادر أخباره كانت علته من ورم في معدته ثم صعد إلى فؤاده.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) في الطبري والكامل: ابن الطيفوري.

(٦) انظر في أخبار وفاته: تاريخ الطبري ٩/٢٥٣ وكامل ابن الأثير ٥/٣١٠.

(٧) الزيادة عن تاريخ الطبري.

(٨) في الأصل: عالجتُ.

ثم:

[١٢]

دولة[١] المستعين بالله، أبي العباس أحمد بن محمد المعتصم

/ ١٥٠/ ولي بالمشاورة وبُلي بالمساوَرَة، وغالبه المعتز حتى غَلَبَهُ، وناصبه حتى ابتَزَّ منه الملك وسَلَبَهُ، وكان ألثغ اللسان، لا ينعش الألفاظ من عثراتها، ولا يُنْعم النظر في تجنّب معراتها، وكان يجعل الشين ثاءً، وزبد كلامه الغثّ كلّه زبداً غثاءً، وكان من سفلة الخلفاء، لا يصعد به جده هاشم، ولا جده الذي هو لمعاطس الأعداء، ولوجوههم هاشم، لا يطاوعه على الحزم الرأي الرائن[٢]، والعزم الخائب الحائن[٣]، وكان أردى في هذا من الأمين حالاً، وأكْدى محالاً، واستوزر وزيراً[٤] ناسَبَهُ في هذه الأحوال، وحاسبه على فعله حالاً فحال، حتى انحلّ سياج دولته، وانفتل جيش صَوْلَتِهِ، وآل أمر المستعين إلى ما آل، ومال إلى سوء رأيه في سوء مآل. وكان مع هذا غير مقبول الصورة، ولا مأمول السورة، إذ إنه لم يخْلُ من مجالس أنْسٍ وندمان، ونفس تبادر ببذل المال صرفَ الزمان، فكان يهب البِدَر، ويَعِدُ بأمثالها إذا قدر، وكان لا يملّ ودّ الصديق ولا يمل إلى من وشى به إصغاء التصديق، فكان فيه مما يُحْمد هاتان الخلّتان والحَسَنَتان الحَسِنتان، وكان ينظم الشعر إلاّ أنه من سقط المتاع، ويجيء به بلا كلفة، إلاّ أنه مما تجود بهِ الطبيعة لا الطباع، وكان قد بويع بالخلافة يوم الاثنين لستٍ خلونَ من ربيع سنة ثمان وأربعين ومائتين، ثم بايع الأتراك أخاه المعتز، فأرسل المعتز أخاه الموفق[٥] فنزل بغداد وحاصرها، فلم يزل أمر المستعين يضعف وأمر المعتز يقوى، فبعث إلى المعتز يسأله[٦] أنْ يعطيه خمسين ألف دينار ويقيم حيث يشاء، وعلى أن يكون بُغا ووصيف اللذين كانا صنيعة له أحدهما على الحجاز وما والاه، والآخر على الجبل وما والاه ثم خلع سنة اثنتين وخمسين،

---

(١) انظر عن خلافة المستعين: تاريخ الطبري ٩/ ٢٥٦ ومروج الذهب ٢/ ٤٣٣ وكامل ابن الأثير ٥/ ٣١١ والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٨ وتاريخ الخلفاء ص٣٥٨ والفخري ١٧٩ واليعقوبي ٣/ ٢٣٢.

(٢) الرائن: الدنس.

(٣) الحائن: المهلك.

(٤) استوزر المستعين أبا موسى أوتامش، وكان المتولي لأمر الوزارة والقيم بها كاتباً لأوتامش يقال له شجاع بن القاسم، انظر: مروج الذهب ٢/ ٤٣٣ وتاريخ الطبري ٩/ ٢٥٦.

(٥) هو أبو أحمد بن المتوكل على ما في تاريخ الطبري ٩/ ٢٩٠.

(٦) في الأصل: أسئلة.

وأراد أن ينزل البصرة فقيل إنها حارة فقال: أتراها أحرّ من فقد الخلافة؟ ثم اختار نزول واسط، فلما صار بقرب سرّ مَنْ رأى تلقاه سعيد الحاجب، فباتا بها، فأصبح المستعين ميتاً /١٥١/ ولا أثر بهِ، وقيل غير هذا(١)، فقال جنيد(٢) الكاتب المعروف بباذنجانة: [من الكامل]

إيْـهـا بـنـي الـعـبـاس إن سـبـيـلـكـم ... فـي قـتـل أعـبـدكـم سـبـيـل مَـهْـيَـعُ(٣)

رقَّـعْـتُـمُ دنـيـاكـم فـتـمـزَّقـتْ ... بـكـم الـحـيـاة تـمـزّقـاً لا يـرقـعُ

ثم:

[١٣]

دولة المعتز بالله(٤): أبي عبد الله الزبير بن جعفر المتوكل

وقد أشرنا في ذكر المستعين إلى أن المعتز ناصبه على الأمر حتى قوّم أَوَدَهُ ونصبه

وقدم مدده إليه ونصبه، وجهَّزَ إليه أخاه الموفق فَكُسر ثم أَجْهَزَ عليه فَنُصِر، بعد حروب أفنيا فيها الأعمار، وبنيا عليها صروحاً تتسلق عليهما منها الأغمار، لكثرة ما طاح بينهما من جائل مهج، وطاف من حائل رَهَج، وطيّب المعتز سقام الملك وشفى وَصَبَهُ، وكفى عُصَبَهُ، فاستعاد سلطانه ممَّنْ غَصَبَهُ، واستقاد شيطانه المريد ورجَمَهُ بشهب نبالِهِ وحَصَبَهُ، ورحمه فأنفاه، ثم بدا لَهُ فشفى غَليله وإن كان قد قطع عَصبتهُ.

وكان المعتز أحسن خليفة رؤياً، كأن البدر طالع من طوق قبائه، والظبي راتع حول خبائه، بَرَزَ يوماً في ثوب أخضر فأشبه غُصْناً وريقاً، يلصّ إليه الأصيل ولم يَذْهَب، وكان يتعشَّق يونس بن بُغا، وكان مثله في حسنه وحُسْناه، ونظيره في سنِّهِ وسناه، حتى كان يقال إنه ما رأى أَحَدٌ مثلهما عاشقاً ومعشوقاً، توافقا جمالاً وتناسقا كمالاً، وتقارضا شغفاً وتقارناً كَلَفاً، فكانا غصنين سمقا وبدرين اتسقا، وكلف المعتز به حتى كان لا يقدر يصبر عنه لحظة ولا يضيع مع غيره لفظه، واشتغل به عن كل ما

(١) انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٣٦٢ وخبراً مختلفا في مروج الذهب ٢/ ٤٤٧.

(٢) الجنيد بن محمد البصري الكاتب الملقب باذنجانة، كان من شعراء العسكر في سامراء انظر: الوافي بالوفيات ١١/ ٢٠٤.

(٣) البيتان من أربعة في تاريخ الطبري ٩/ ٣٥٠ منسوبة لبعض الشعراء.

(٤) انظر أخباره في: تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٨ وكامل ابن الأثير ٥/ ٣٣١ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٣٧ ومروج الذهب ٢/ ٤٤٩ والفخري ص١٨١ وتاريخ الخلفاء ص٣٥٩ وتاريخ مختصر الدول ص٢٥٤ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩١ وتاريخ بغداد ٢/ ١٢١ والأغاني ٩/ ٣١٨.

سواه، ووجد به وجداً قلَّ مَنْ قارَبَهُ فيه أوْ ساواه، وغاب عنه ساعةً يرى فيه أُمَّهُ وهي تموت فقال: [من مجزوء المتقارب]

تـغـيـبُ فـلا أفـرَحُ فـلـيـتَـك لا تـبـرح[1]
/١٥٢/ وإن جـئـتَ عـذَّبْـتَـنـي بـأَنَّـك لا تَـسْـمـح
فـاصـبـحـتُ مـا بـيـن ذيـن ولـي كـبـدٌ تـجـرح
عـلـى ذلـك يـا سـيـدي دَنُـوّك لـي أصـلَـح

وقد قيل إن اسمه الزبير[2]، وكان يوصف بالحزم والعزم على صغر سنّه فلما ولي الخلافة صغيراً[3] استقلَّ بأعبائها، وكان قد بويع بعده لأخويه المؤيّد[4]، ثم الموفق، ثم اجتمع الأتراك عليه وطالبوه أن يخلع نفسه[5]، ولم يزالوا يضربونَهُ[6] حتى أجاب إلى الخلع وكتبوا بذلك كتابا على نفسه، ثم أدخلوه على المهتدي فقال له: أَخَلَعْتَ نفسك، قال: بل خُلِعْتُ، فوجيء في قفاه حتى سقط، ثم أُقيم، فقال: خَلَعْتُ نفسي، وسلَّمْتُ ورضيت، ثم أُخرج في الحر حافياً، فطلب نعلا فلم يُعطاه، فأرخى سراويله ومشى عليه، ثم عُذِّب بأنواع العذاب، وأُدخل حماماً وهو عطشان ثم أخرجوه، فطلب ماء، فجيء بماء مثلوج فشربه فمات، وذلك يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ومدة خلافته أربع سنين وسبعة أشهر، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة. وكان أبيض اللون أسود الشعر جميل الصورة.

ثم:

[١٤]

دولة المهتدي بالله[7]: أبي عبد الله محمد بن هارون الواثق

وكان كلقبه مهتدياً، وبالسلف الصالح مقتدياً، وللعفاف تابعاً، وبالكفاف قانعاً،

---

(١) في الأغاني: ما تبرح.

(٢) وقيل إن اسمه محمد، انظر مصادر ترجمته.

(٣) بويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة واشهر. الأغاني ٩/ ٣٢٢.

(٤) اسمه إبراهيم. خلعه المعتز سنة ٢٥٢هـ وحبسه، ومات بنفس السنة (الطبري ٩/ ٣٦١ ومروج الذهب ٢/ ٤٥٥).

(٥) انظر الخبر مفصلا في تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٩ ومروج الذهب ٢/ ٤٥٦.

(٦) في الأصل: يضربوه.

(٧) المهتدي بالله، محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم، بويع له بعد خلع المعتز سنة ٢٥٥هـ فحاول أن يسير سيرة عمر بن عبد العزيز، إلا أن الترك انتقضوا عليه ببغداد فخرج لقتالهم، فتخلّى عنه =

نحا منحى عمر بن عبد العزيز، وسلك مسلكه الحريز فما تكثر من الدنيا، ولا تكبّر بالعليا، وأقبلت عليه الأيام، فما اغترَّ بخداعها ولا اعتز بمتاعها، ولا أصباه بديع رونقها، ولا سباه صنيع تأنقها، وأخرج ما اكتنز الخلفاء من آنية الذهب والفضّة، وضربها نقوداً، وفرقها حقوقاً لا جوداً، وأمر بالعدل ورجع إليه قضاياه، وطبع عليه سجاياه، فلم يوافق صلاحُهُ زمانه الفاسد، ولا نفّق إصلاحه سوقه الكاسد، /١٥٣/ ولـم يكن من أرباب الدولة إلاّ منهمكاً في فساد ومُنْسلِك في سلك لا يطمئن به الوساد، فكرهوا أيامه، وودّوا لو انقضت، وأنها لا تكون قد أقْبَلَتْ حتى مضت، فعابوه بما فعل مما يمدح وقالوا إنه لا يستصلح.

وقد حكي عن بعض العلماء قال: حضرت المهتدي يوماً من رمضان بعد العصر، وطال مجلسي عنده، فلما أردت القيام، قال: قد حانت المغرب وآن فطور الصيام، فهل لك أن تفطر عندي الليلة، فما وسعني إلا أن أجبتُ قوله، فلما أذّن المؤذن، أجابه، ثم دعا بكوز ماء فشرب منه وسقاني، ثم قمنا إلى الصلاة، فأدّيناها وأعقبناها بركعتي السنة، فأديناها، ثم قال: يا جارية: العشاء، فجاءت بسكرجتين[١] في إحدهما جريش ملح، وفي الأخرى زيت وخلّ، ومعهما رغيفان، فتقدّم وقال: كُلْ، ثم قال: بسم الله، ثم أكل وأكلت، وأنا أظنّه شيئاً قدَّمَهُ قبل طعامه، فرفعتُ يدي، فقال لي: ألَسْتَ كنت صائماً؟ فقلت: بلى، قال: فما هذا الأكل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أو هذا هو طعامك؟ فقال: نعم، فإن الحلال المحض لا يحتمل أكثر من هذا، فدعوتُ له، وأكلت، ثم انصرفت وقد استحوذ على قلبي استحواذاً، ثم أذنت العشاء الآخرة، فقمنا إلى الصلاة، فصلينا المكتوبة وما معها، ثم قمنا بالتروايح فكملنا أجمعها، ثم أخَذْتُ مضجعي، ثم بقيت أنتبه الفينة بعد الفينة، فأجِدُه قائماً في مكانه يصلّي فوالله ما زال هكذا حتى أصبح.

قال عبد الله بن إبراهيم الأسكافي: جلس[٢] المهتدي للمظالم فاستعداه رجل على ابنٍ له، فأمر بإحضاره، فأُحْضِر وأقامه إلى جانب خصمه يحكم بينهما، فقال الرجل للمهتدي: والله ما أنت إلاّ كما قال القائل: [من السريع]

حكّمتموه فقضى[٣] بينكم   أبْلَجُ مثلُ القمرِ الزاهرِ

= أصحابه، وبقي في شرذمة قليلة، فقتل سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ الطبري ٩/ ٣٩١ وكامل ابن الأثير ٥/ ٣٤٣ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٤١ والفخري ص١٨٢ ومروج الذهب ١/ ٤٦١ وتاريخ الخلفاء ٣٦١.

(١) السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم.

(٢) في الأصل: حبس، والتصويب عن كامل ابن الأثير ٥/ ٣٥٨.

(٣) في الكامل: قاضياً.

لا يــقــبــل الــرشــوة فــي حــكــمــه ولا يــبــالــي عَــنَــتَ[١] الــخــاسِــرِ

/١٥٤/ فقال له المهتدي: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك، وأما أنا فما جَلَسْتُ حتى قرأتُ: ونضع الموازين القسط ليوم القيمة[٢] الآية. قال: فما رأيتُ باكياً أكثر من ذلك اليوم.

وكان يقول[٣]: ألا يستحي بنو العباس أن (لا)[٤] يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز.

ولما ولي اطرح الملاهي، حرَّم الغناء والشراب، ومنع أصحاب السلطان عن الظلم، رحمه الله.

ثم:

[١٥]

دولة المعتمد[٥] على الله:

أبي العباس أحمد بن جعفر المتوكل

وكان أخوه الموفق أبو أحمد طلحة بن المتوكل الملقب بالناصر قائماً بأمر الدولة كلها قائلاً في برد ظلِّها، والمعتمد ليس له من الأمر شيء، كأنه ميتٌ وهو حي، وقد وطأهُ الموفق على أُمّ رأسه، وغَلَبَ على ملكه وناسهِ، وغل يَدَهُ على ما أَشْغَلَهَا به من (....)[٦] جواريه وكاسِهِ، وكان همّ الموفق جيوشاً يجهّزُها، وممالك يحرزها، وأموالاً يكنزها، وأعمالاً ملوكيةً يرقم بها السير ويطرّزها، وهمّ المعتمد تتميق بناء، وتأنيق غناء، وارتياد روضة غنّاء. واعتقاد كأس مدام وجارية حسناء، ثم ندم المعتمد حيث لا ينفعه الندم وعلم إن وجوده كالعدم، فبقي يتنفس تنفّس

---

(١) في الكامل: غبن.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) انظر كلامه في كامل ابن الأثير ٥/ ٣٥٨.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) المعتمد على الله، أحمد بن جعفر المتوكل العباسي، خليفة عباسي، ولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ. طالت أيام حكمه، وكانت مضطربة غلب عليه الموالي وتصرفوا في العزل والتوليه، فقام أخوه وولي عهده الموفق بالله فضبط الأمر وصلحت الدولة، وكفت يد المعتمد عن كل شيء. انتقل من سامراء إلى بغداد ومات الموفق سنة ٢٧٨هـ فأهمل أمر الدولة، توفي المعتمد سنة ٢٧٩هـ. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٤٧٤ وكامل ابن الاثير ٥/ ٣٥٨ وتاريخ مختصر الدول ص٢٥٦ وتاريخ الخلفاء ص٣٦٣.

(٦) كلمة غير مفهومة.

المصدور، ويتأوّه تأوّه المحرور، ويهمّ بأمر الحزم لو يستطيعه[١]، ويحاول حالاً ولا يجد من يطيعه، وكتب سرّاً إلى ابن طولون[٢] وإلى صاحب إفريقية، يشكو إليهما حاله مع أخيه، ثم مع ابن أخيه[٣]، ويصف لهم سوء حاله وما هو فيه، فهمّوا، إنما حالت بينهم وبينه عوارض القدر، وشقّة البُعد، وكان الموفق لا يفك عنه وثاق حجرِهِ، ولا يرفع عنه يد قهرِهِ.

ذكر ابن الأثير[٤] عنه أنه احتاج إلى ثلثمائة دينار، فلم يجدها فقال: [من الوافر]

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قلَّ ممتنعا عليه

وتؤكل[٥] باسمه الدنيا جميعا ... وما مِنْ ذاك شيءٌ في يديه

/١٥٥/ إليه تحمل الأموال طرّاً ... ويُمنع بعض ما يجبى إليه

قال: وكان آخر من سكن من الخلفاء بسرّ من رأى، ثم لم يسكنها أحدٌ منهم، قلت: دام على ما بِهِ أيام أخيه الموفق، ثم مات الموفق[٦] وقام ابنه المعتضد[٧]، فكان أشدّ شجىً منه في حَلْق المعتمد، وما مضَتْ سنة حتى سمّه وكفاهم همّ الدنيا واكتفى همّه، يقال: إن المعتضد سمّه، وقيل: بل أفرغ في حلقه رصاصاً مذاباً، وقيل: لا بل ملأ له حفرة من ريش ورماه فيها فمات غمّاً[٨].

ثم:

---

(١) تضمين لقول الشاعر الجاهلي:

أهمّ بأمر الحزم لو استطيعه ... ولكن حيل بين العير والنزوان

(٢) أحمد بن طولون صاحب مصر، شخص المعتمد سنة ٢٦٩هـ إلى الجزيرة يريد اللحاق بمصر فقبض عامل الجزيرة اسحاق بن كنداج على قواد المعتمد الذين قدموا معه، وأعادهم معه إلى سامراء. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٦٢٠ وكامل ابن الاثير ٦/ ٤٩.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن طلحة، المعتضد بالله، وستأتي ترجمته.

(٤) الكامل في التاريخ ٦/ ٧٣، والأبيات في تاريخ الخلفاء ص٣٦٥.

(٥) في الكامل: وتؤخذ.

(٦) توفي أبو أحمد الموفق بالله بن المتوكل سنة ٢٧٨هـ بعد أن قضى على حركة الزنج في البصرة، انظر كامل ابن الأثير ٦/ ٦٧ وتاريخ الطبري ١/ ٢٠.

(٧) أحمد بن الموفق بالله بويع له بولاية العهد بعد المفوض جعفر بن المعتمد، وفي سنة ٢٧٩هـ خرج المعتمد وجلس للقضاة والقواد ووجوه الناس وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفر من ولاية العهد وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، وشهدوا على المفوض أنه قد تبرّأ من العهد واسقط اسمه والسكة. انظر الكامل ٦/ ٧٢ والطبري ١٠ : ٢٨.

(٨) في تاريخ الطبري ١٠/ ٢٩: أنه شرب على شط في الحسني شراباً كثيراً، ، وتعشى فأكثر، فمات. انظر كذلك كامل ابن الأثير ٦/ ٧٣.

[١٦]

دولة المعتضد بالله[١]: أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل

كان أبوه في خلافة المعتمد قد اعتقله لما خافه واعتمده حذراً أن يسابقه إلى الخلافة[٢]. وذلك لسعي اسماعيل بن بلبل[٣] الوزير بينهما بالنمائم، ووعى قلب الموفق عليه بالسمائم، وما شعر أن أمامه منصب الإمامة، وأن الخلافة تبغي خلافة، وأن الملك معصم لا ينزل منه بغير سوار، ومعقل لا على منه بلا أسوار، فلبث في الاعتقال مضيّقاً عليه في مكان أقصر من طول العقال، وبيض له المعقل يسهر نظرهُ البياض ويخطف بصره بالإيماض، حتى تخيّل له مشرف العمائر فلبس سراويل خضر، ودخل المعتقل على أنه يتفقد العمارة، فتفقدها ثم دخل الطهارة، فنزع تلك[٤] السراويل وخرج، فلما وجده المعتضد سُرَّ به وابتهج، فكان يدعه على عينيه، ويعده بينه وبين الحائط وينظر إليه، فوجَد بحوّة[٥] لونه حفظاً لصحوة عينه، ولم يكن عنده إلاّ فرد غلام لا يغني في ردّ كلام، وكان المعتضد يشغل وقته بمصحف يقرأ منه القرآن العظيم ودعاء يقرع به باب السميع الكريم، دخل عليه الوزير ابن بلبل يوماً والمعتضد يقرأ، فوضع إلى جانبه المصحف. وأخذ بأنه يخضع للوزير /١٥٦/ ويتلطّف، وكان يدخل عليه ليجد ما ينمّ بهِ ويُنمى أحاديث كذبه، وكان الموفق قد خرج إلى الجبل فزاد خوف المعتضد من غرَّةٍ فيه تُهْتَبل، وكان يتخوّف دخوله عليه على غفلةٍ ويشفق لا يكاتب أباه عنه بكذب يعجل نقله، ويجعل نظره إليه نُسْله،

---

(١) أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل، أبو العباس المعتضد بالله، شارك أباه الموفق في قمع الزنج جنوب العراق، وأظهر بسالة ومقدرة وولي الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد، فأعاد للخلافة العباسية هيبتها وقمع أهل الشغب وسيطر على المتغلبين على شؤون الخلافة. توفي سنة ٢٨٩هـ. انظر: تاريخ الطبري ١٠/ ٣٠ وكامل ابن الاثير ٦/ ٧٣ وتاريخ الخلفاء ص٣٦٨ والفخري ص١٩٠ ومروج الذهب ٢/ ٤٩٥.

(٢) كان ذلك سنة ٢٧٥هـ. أراده الموفق المسير إلى بعض الوجوه فأبى وأراد المضي إلى الشام، فحبسه، فشغب أصحابه، وحملوا السلاح، واضطربت بغداد لذلك. فركب الموفق وخرج لأصحاب المعتضد وكلمهم فانصرفوا. انظر: تاريخ الطبري ١٠/ ١٥ وكامل ابن الأثير ٦/ ٦٤.

(٣) أبو الصقر إسماعيل بن بلبل، استوزره الموفق لاخيه المعتمد، وجمع إليه ادارة شؤون الدولة والجيش، ثم قبض عليه المعتمد بعد موت الموفق وحبسه واستصفى أمواله ومات في السجن سنة ٢٧٨هـ. الفخري ص١٨٨ وتاريخ ١٠/ ٢١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب تلك.

(٥) الحوّة: لون تخالطة الكمتة، مثل صدأ الحديد.

ويخلي به مثلَهُ فيأمر بقتله، ولا يكشفه ولا يجد من يثنيه عنه ولا يصرفه.

قال المعتضد ما معناه: وكان ابن بلبل يجيئني في كل يوم مراعياً خبري وساعياً في قصّ أثَري، ويظهر أنه يتردّد إليَّ خدمةً يؤديّها، وإنما يردد نقمة يؤديها، فلما دخَلَ عليَّ ذلك اليوم قال: أيها (الأمير)[1] أعطني المصحف لأتفاءل لك إن كنت تبلغ مؤملك، فلم أجِبْهُ بشيء ولم أجِبْهُ بموافقة ولا لَيْ، فأخذ المصحف وفتحه، فكان أوّل سطر تصفّحهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[2]. فاسودّ وجهُهُ وأربدَّ حتى كان كالليل أو هو شبهه، ثم أطبق المصحف وفتحه ثانية فخرج منه بادياً: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[3]. فازداد قلقاً واضطراباً واضطر أن يفتح باباً، ثم فتح المصحف ثالثاً فوجد عاجلاً لا تأنيا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[4]، فوضع المصحف، والخوف قد جلّله وألْحف، ثم قال: ايها الأمير أنت والله الخليفة بلا شك، فما حقُّ بشارتي وحال قبولك لإشارتي، فقلت: الله الله في دمي، وما عليك ألا تكون السبب في عدمي، واسأل الله أن يُبْقي أمير المؤمنين والأمير الناصر الموفق، وما أنا وهذا، ولم أَزَل به أرفق وأقول: مثلك في عقلك ولا يطبق القول بمثل هذا الاتفاق، وأنا أحوج منك إلى غير هذا من الاتفاق، فامسك عني وقد كان يأخذني مني، ثم ما زال يحادثني، ويخرجني من حديث ويدخلني في آخر إلى أن جرى حديث ما بيني وبين أبي، وأنه ربما كان يؤاخذه بسببي ثم أقبل يحلف بالأيمان الغليظة /١٥٧/ أنه ما سعى عليَّ بمكروه وأنه ممن لم يُخْرجوا صدره عليّ، ولم يُغْروه، فصدَّقته خوفاً أن تزيد وحشته مني، فَيُسرع إلى التدبير في تلفي، وأرَيْتَه من الودّ ما لم يكن له فيَّ ثم صار كلّما جاء أَخَذَ معي في الاعتذار والتنصُّل، كأنما أبلغه مني الانذار، وإنما أظهر له التصديق وأبسط معه مباسطة الصديق، حتى سَكَنَ قلق راحته، وما شكَّ أني اعتقد براءة ساحتِهِ، وما كان بأسرع مِنْ أنْ جاء الموفق من الجبل وقد اشتدَّت به علته، ومات، وأخرجني الغلمان من الحبس وأروني مكانه، وأوْرثوني سلطانه، وقاد الله الخلافة إليّ ومكنني من ابن بلبل، فأخذت ثأري بيدي.

---

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام.
(٢) الأعراف: ١٢٩.
(٣) القصص: ٥.
(٤) النور: ٥٥.

وكان المعتضد ملكاً مهيباً، إذا غتاظ توقدَ لهيباً، وبويع بالخلافة وقد تمزّقت كلَّ ممزّق، وتوزّع ملكها وتفرَّق، وقد صار كلّ طرف بيد ثائر، وكل إقليم يخفق عليه بندُ كل ملك جائر. واضمحلّت الحُرمة كأنها لم تكن، وصعُبت الأمة كأنها لم تهن، فقام حتى جمع شِلْوها المبدّد، ومَنَعَ أدِيمها المقدَّد، وكان في الغُنيةِ مثل موافقِهِ في الكنية أبي العباس السفاح، في تعريض وجهه للكفاح وكل منهما أقام دونه أبي العباس، وأقاد لها أنْف كل ذي باس، وكلاهما كانت خلافته للخلافة العباسية بانية، ذاك أولة وهذا ثانية.

وكانت له على الأتراك وأرباب دولته سطوة، تخاف لها أبصارهم أن تُخْتَطف وأعمارهم أن تقتطف، حذراً من ضيغمه المفترش المترس. وأرْقَمِهِ المنتهش المنتهس، وعُقابه الخطوف الكاسره، وعقابه المُمَثّل بعذاب القاهرة، فإنه كان أليم العذاب، عقيم العقاب، وكان يدلي عليهم الحرس، ويذكر لهم من أُمورهم وبيوتهم ما يلجمهم بالخَرَس، وما عُرِف بعد المعتصم أخَفّ منه إلى عدوّ ركابا، ولا أمَدَّ على بلدٍ انسكابا، ولا يُحَطّ له سرج، ولا يُحل له عن موكبٍ طوق رهج.

وقد حكى ابن ظافر في سياسة الملوك: أنه كان لا يبرز إلاّ مخفّاً، ولا /١٥٨/ يَسْتَصْحِبُ نقلاً ولا خُفا، وقرّر النوروز[1]، وأقرّ عليه رزق الجند المفروز، وتبعه عليه من بعده من الخلفاء ووفوه حسابه وما قدروا على الوفاء، وكان غاية في الحزم والعزم.

وحكى شارح العبدونية قال: لم تزل الأتراك مُذْ مات الواثق، يتحكمون عليهم في خلافتهم، يعني تحكم الرجال على صبيانهم حتى كان أيام المعتضد، فَغلَبهم الغلبة التي يجب أن تكون لمثله على مثلهم، وأذلَّهم وردّهم إلى مراتبهم من العبودّية، وكان المعتضد مهيباً، لا يقدم أحَدٌ على أمر من أموره إلا مُغرّراً، وكان يسمّى السفاح الثاني، لأنه جدّدَ ملك بني العباس ووطّدَهُ بعد أن كانت[2] قد اخْلَقته الاتراك وفي

---

(١) النيروز أو النوروز: اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية عند العجم، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من مارس من السنة الميلادية، وقد أمر المعتضد سنة ٢٨٢هـ بأنشاء الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي نيروز العجم، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران، ويسمىٰ ذلك النيروز المعتضدي. تاريخ الطبري ١٠/ ٣٩.

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون المسلمي:

كمامة الزهر وفريدة الدهر

لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون طبعت في مصر سنة ١٣٤٠هـ.

ذلك يقول ابن الرومي[١]: [من الطويل]

هـنـيـئـاً بـنـي الـعـبـاس إن إمـامـكـم إمـام الـهـدى والـجـود فـي ذاك يُـشْـهَـدُ
كـمـا بـأبـي الـعـبـاس أسـس مـلـكـهـم كـذا بـأبـي الـعـبـاس أيـضـاً يـجـدّدُ

ولقد اتفق في أيامه أمر فظيع[٢] كشفه الله له فعظم في نفوس اتباعِهِ، فإنه كان لا يتجرأ أَحَدٌ منهم أن يكتمه ما في نفسه مخافة صولتِهِ، وكان أحد كبراء دولته قد بنى بناءً عالياً مشرفاً على منازل جيرانه، فلم يقدر أحد يعارضه، فأشرف منه فرأى جارية بارعة الجمال، فسأل عنها فقيل ابنةُ تاجر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجها (إلاّ) من تاجرٍ مثله، فلم يزل يغريه[٣]، ويأبى، فزوّر كتاب تزويج بشهادة عشرة من المعدّلين، ثم أخذها بظاهر الشرع، فتحيّل أبوها حتى دخل في زيّ فعلة البناء في قصرٍ كان المعتضد قد شرع فيه وأتاه يوماً يشرف عليه، فوقف له، وذكر لَهُ حالَهُ، فأرسل في طلب الزوج والشهود وسألهم: كيف كان الحال؟ فما استطاع أَحَدٌ منهم أن ينكره، فوضع ذلك الزوج في جِلْد ثور طري، وضُرب المرازب[٤] حتى اختلط لحمه ودمه ثم أَمَرَ به فأُفْرِغَ بين يدي نمور عنده، ثم بالشهود فَصُلبوا، وأمر لذلك الرجل بالبيت وبجميع ما تركه زوجها من صامِت ناطق، /١٥٩/ وكان بما لا يُحْصَر.

وحكى ابن ظفر أن قطْر الندى[٥] بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زُفّت إلى المعتضد أغرم بها، فوضع رأسه في حجرها يوماً فنام. فأزالته عن فخذها بلطفٍ، ووسَّدَتْهُ وخرجتْ من البيت، فاستيقظ المعتضد، فذعر وناداها، فأجابته من قُرْبٍ، فقال لها: أَسْلَمْتُ إليك نفسي، فذهبتِ عني؟ فقالت: لم أذهب عن أمير المؤمنين ولم أزَلْ كالئةً له، قال: فما أَخْرَجَكِ؟ قالت: إن مما أدّبني به أبي الاّ أجلس مع النيام، ولا أنام مع الجلوس، فاستحسن ذلك منها.

وحكى صافي الحرمي: أنه لما مات المعتضد كفنه في ثوبين قوهي[٦] قيمتها ستة

---

(١) البيتان في ديوان ابن الرومي (بيروت ١٩٩٤) ١/٤٢١. ورواية البيت الأول فيه: إمام الهدى والجود والبأس أحمد.

(٢) في الأصل: فضيع.

(٣) في الأصل: يرويه غير معجمة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الارازب، جمع الأرزبة، وهي المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة.

(٥) قطر الندى: أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون، من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدباً. تزوجها المعتضد سنة ٢٨١هـ وجهزها بجهاز لم يعمل مثله، ماتت ببغداد سنة ٢٨٧هـ. انظر وفيات الأعيان (ترجمة أبيها) ومروج الذهب ٢/٤٩٦.

(٦) القوهي: ضرب من الثياب بيض.

عشر قيراطاً. وولد[١]. ولما حضرته الوفاة قال واراه له[٢]: [من الطويل]

تمتّع من الدنيا فإنك لا تبقى ... وخُذْ صَفْوَها ما إنْ صَفَتْ ودع الرنقا
ولا تأمننَّ الدهر إنّي أمِنْتَهُ ... فَلَمْ يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقّا
قَتَلْتُ صناديد الرجال ولم أدَعْ ... عدوّاً ولم أُمْهِلْ على ظِنَّةٍ[٣] خَلْقا
فلما بلغتُ النجم عزّا ورفعةً ... وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقّا
رماني الردي سهماً فأخْمَدَ[٤] جمرتي ... فها أنذا في حفرتي عاجِلاً أُلْقى
فياليت شعري بعد موتي ما أرى[٥] ... أفي نعمةٍ لله أم في نارِهِ أُلقى[٦]

ثم:

[١٧]

دولة المكتفي[٧] بالله، أبي محمد علي بن أحمد المعتضد

وكانت له مما أبقى أبوه جيوش يضيق بها جيوب العراق، وتضيع بها هبوب النسيم في الآفاق، خلا إنه كان عقير عقار، وسمير دفوفٍ وأوتار، وأليف ندمان، وحليف إدْمان لا يخلع عن ثوب عناق، ولا يخدع عن النفاق ساق بساق، لم تؤخذ الملاح من مقلتيه، ولا كؤوس الراح من شفتيه، دأبه في هوى وآدابه في جوى، لا يقصر عن حب أغْيد وغيداء، وأجْيد وَجَيْداء، فلهذا ما عسكر إلى الأعداء رأياً ولا رايةً، / ١٦٠/ ولا أثر جناناً ولا جناية على كثرة الفتوق في جيب ملكه، والانفراط في حَبَبِ سلكه، فتسلّطت القرامطة، وتبسَّطت في البلاد بلا رابطة، وصرخت تلك الدعوة في آذان الأنام، وزادت في أذان الاسلام، ثم فعلت تلك الفعلة في الحجر الأسود[٨]، وابتزّت خاله من وجنة البيت الحرام، مع أنه قاتل القرامطة مرتين، وكرَّ عليهم جيشه الحويل كرتين، وعاد بالنصر في كلّ مرّة، لكنه لم يحثهم ولا قطع نسلهم وحرثهم.

---

(١) كذا في الأصل وربما سقط بعده كلام فيمن ولد من الإناث والذكور.
(٢) الأبيات له في كامل ابن الاثير ٦/ ١٠٠ وتاريخ الخلفاء ص٣٧٤.
(٣) في الكامل: طغية. (٤) الأصل: أخْمد.
(٥) في الكامل: ما ألقى.
(٦) في الكامل: إلى نعمة الرحمن أم ناره ألقى.
(٧) المكتفي بالله، أبو محمد علي بن أحمد المعتضد، مات أبوه وهو بالرقة، فبويع بها وانتقل إلى بغداد، حارب القرامطة، وظفر بالثائرين عليه في مواقع كثيرة. مات ببغداد شاباً سنة ٢٩٥هـ.
(٨) إشارة إلى أخذ القرامطة الحجر الأسود من الكعبة سنة ٣١٧هـ أيام المقتدر. انظر الكامل ٦/ ٢٠٣.

ثم:

[١٨]

دولة المقتدر[١] بالله، أبي الفضل جعفر بن أحمد المعتضد

بويع صغيراً وتولج أمره وهو تغريرا، وكانت أمه هي التي تصدر الأمور، والقهرمانة أم موسى تدبر المعمور، وجَلَسَتْ في دار العدل وقرئت عليها القصص، وأوْقرت الصدور بالغصص، وكان الوزير[٢] إذا قيل له في شيء قال حتى أراجع السيدات، والتواقيع تخرج إليه عنهن، وأكثرها بالسيئات، فكانت ايامه دولة النساء، وولية السفلة لا الرؤساء، فكان الناس كأنهم فوضى لا يُعرف خليفة تتبرض له ثمداً ولا حوضا، ولا نجد إلاّ ضياعاً، ولا تُرَدّ يدٌ تملكت أرضاً ولا ضياعاً، أعراض موهوبة وأعْراضٌ[٣] منهوبة، وشكايا مِرقوعة، وبلايا موضوعة، وخلائق تتظلّم وخلائف سلف كريم تتألّم، وكان المقتدر عقله أمثالِهِ من الصغار، لا ينتخي لملكه ولا يغار، مشغولاً وراء حجبه، مشغوفاً بلعبه، يتشبَّهُ في ملكه العقيم بالسوقة، ويتخذ له من جواريه معشوقة، ويقف تحت طاقتها يغمزها، ويترقب لها غفلات رقباء ينتهزها، وربما وقف اليوم الكامل وهي لا تجيبه.

---

(١) المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد بن الموفق، بويع له بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ فاستصغر وخلع سنة ٢٩٦هـ وأقيم مكانه عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعادوا المقتدر بعد يومين، وعصاه خادمه مؤنس وجمع أنصاراً، فاخرج المقتدر من داره واعتقله مع أمه وأولاده ونساءه سنة ٣١٧هـ وبايعوا أخاه الظاهر، ثم ثارت فرقة من الجيش فاعادت المقتدر، ثم إن مونساً الخادم احتل الموصل وتوجه منها إلى بغداد، فقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ وكان ضعيفاً مبذراً استولى عليه خدمه ونساؤه، ونشط القرامطة وعاثوا في البلاد حتى أخذوا الحجر الأسود. انظر: تاريخ الطبري ١٠/ ١٣٩، وكامل ابن الأثير ٦/ ١١٩، وتاريخ الخلفاء ٣٧٨، والفخري ص١٩٢، وتاريخ مختصر الدول ص٢٦٨، ومروج الذهب ٢/ ٥٣٩.

(٢) وزر له أولاً العباس بن الحسن وزير اخيه المكتفي فلما قتل استوزر أبا الحسن علي بن الفرات تولى الوزارة للمقتدر ثلاث دفعات وقتل سنة ٣١٢هـ فوزر له أبو علي عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان سيء السيرة.

ثم قبض عليه المقتدر وحبسه واستوزر علي بن عيسى، وكان هو وعلي من الفرات يتناوبان الوزارة، ثم وزر له حامد بن العباس، ووزر له أيضاً أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الخصيب وعزله سنة ٣١٤ واستوزر محمد بن علي بن مقلة صاحب الخط المشهور، ثم استوزر أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد سنة ٣١٨هـ. ثم قبض عليه واستوزر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلواذي لمدة شهرين، ثم وزر له الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات. انظر الفخري ص١٩٦ـ٢٠٤.

(٣) الأعراض الأولى: جمع عَرَض، متاع الدنيا، والاعراض الثانية جمع عِرْض، ويراد به الشرف.

ورأى جارية فاختفى كأنه وافى إليه رقيبه، فمرّةً تصله ومرّةً تهجرهُ، وآونةً تتعرّف به، وآونةً تنكره، وتارةً تتعذّر بزوجها وتارةً تتستر بأوجها، كل هذا افتعله وظَنَّهُ لذّةً له فَفَعَلَهُ، وكان ربما ركب حماراً وأردفها وراءه، ومر بسوق عمله في قصره واسكنه الجواري وأوطنه كواعب كالدراري، وجعل عندهنَّ أنواع الطعام، ومنهنّ الخباز والطباخ واللحام، /١٦١/ والخمار، وعنده الخمارة والمدام، فيقف على الحانوت فيشتري قدر ما يحتاجه من القوت، وكذلك ما يريد من الخمرة فإذا اكتفى حمل الكل في الخرج ومَرّ، ثم ينطلق إلى مكان اتخذه في القصر شبيها بالقرية، ونزل به، وقضى معها يومه كلّه في أكْله وشربِهِ، ثم إما تجيء جارية على أنها عاشق لتلك الجارية الأخرى التي يتعشقها، يريد ما اراده منها، فيقوم يدرأ عنها، فتارةً يغلب، وتارةً يُغْلَب، وتارةً تجيء جارية على أنها صاحب الشرطة، فيأخذهما ويذهب، ثم يأمر بالمقتدر بأن يطاف به في شوارع بغداد، فيطاف به في رحاب القصْر، وينادى عليه، هذا جزاء من يتظاهر بالمحرمات في مثل هذا القصر، وكان المقتدر منقطعاً إلى أمثال هذا اللعب، ما اجتهد في سواه ولا رغب. ولهذا اختلّت حالُهُ مرّات وخُلع، ثم عاد كرّات، لكنه مع هذا اللهو المفرط واللعب، وهو ما بلغه منبسط ولا لحقه بعده منتهك، ولا سبقه إليه سوقة ولا ملك، وكان سعيداً محظوظاً، شديداً أدرك من المرام حظوظاً، وكان واسع النفقات، شايع الصدقات، ودانت له الآفاق شرقها وغربها، وبُعدها وقُربها، ولم يبق لشيء مما كان في ملك الخلفاء الأول، إلاّ مذعناً لأمره، ممعناً للتأهّب لنصره، لا تُحمى أطرافها إلاّ بعسكرِهِ، ولا تشمخ أسرّة ملوكها إلا بالخضوع لمنبرهِ.

واتفق في أيامه عجائب وغرائب، منها: إنه بُعث إليه من مصر طرائف منها تيس يُحلب منه اللبن، وبُعثُ إليه من عمان طائر صيني أسود يتكلّم بالهندية والفارسية أفصح من الببغاء، وورد عليه البريد بالدينور يذكر أن بغلة له وَضَعَتْ فلوة، ونسخة الكتاب: الحمد الله الموقظ بعيره قلوب الغافلين، والمرشد بآياته بصائر العارفين، الخالق ما يشاء بغير مثال، ذلك البارىء المصور، له الأسماء الحسنى، ومما قضاه الله المصور في الأرحام ما يشاء أن الموكل بخبر التطواف ذكر أن بغلةً لرجلٍ يُعرف بأبي /١٦٢/ بردة وضعت فلوةً، ووصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم مما عاينوه، فوجهتُ مَنْ أحضرني الفلوة والبلغة، فوجدتها كميتاً، ورأيت الفلوة سريّة الخلق، تامّة الأعضاء، منسدلة الذنب، يشبه ذنبها أذناب النياب. فسبحان الذي لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

قال شارح القصيدة العبدونية[١]: وقد حكى أنه اتفق مثل هذا سنة خمس وخمسين وأربعمائة بطليطلة[٢]، وكانت البغلة شهباء، كانت لإنسان سقاء، وفلوها إلى الصفرة.

قلت: وحكى لي صهرنا الصاحب شمس (الدين)[٣] محمد بن الشيرازي: أن مثل هذا اتفق لي في بعض بلاد حلب، وسمى لي المكان وأنسيته.

قال: ورأيت ذلك بعيني. وأثْبتّ به محضر على الحاكم.

ومما اتفق في زمان المقتدر أنه وجد بمصر كنز قديم ومعه ضلع إنسان طوله أربعة عشراً شبراً، وعرضه شبر.

وأما خبر

[١٩]

خروج عبد الله بن المعتز عليه[٤]

وكان سببه إنه لما ولي المقتدر، استُصْغِر، فجاء محمد بن داود[٥] الوزير فأخرجه من دارِهِ إلى دار إبراهيم الماذرائي[٦]، ووجّهوا إلى القاضي محمد بن يوسف[٧] يوم السبت، العشرين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين، وحضر

---

(١) شرح قصيدة ابن عبدون المسمى كمامة الزهر وفريدة الدهر لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون، طبعت بمصر سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) طليطلة، مدينة كبيرة بالأندلس على شاطىء تاجة، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس (ياقوت - طليلطة).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل الشاعر المحسن، بويع له بالخلافة فبقي فيها يوماً وليلة. ثم وثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وسلم إلى مؤنس الخادم فقتله خنقاً سنة ٢٩٦هـ. وكان معنيا بالآدب والشعر، فكان يقصد الأعراب ليأخذ عنهم اللغة، وألف كتبا منها طبقات الشعراء وهو مطبوع متداول، وديوان كبير طبع محققاً ببغداد.
انظر ترجمته في أشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ وتاريخ بغداد ١٠، ٩٥ والأغاني ١٠/ ٣٧٤ والوفيات وفوات الوفيات ١/ ٢٤١ وانظر خبر بيعته بالخلافة: كامل ابن الأثير ٦/ ١٢١ وتجارب الأمم (طبعة مصر ١٩١٤) ١/ ٥ وتاريخ مختصر الدول ص٦٩، وتاريخ الخلفاء ص٣٧٩.

(٥) محمد بن داود بن الجراح، من الكتاب العلماء بالأيام وأخبار الملوك وله في ذلك مصنفات، كان مع ابن المعتز، فلما انحلّ أمره وقتل اختفى، ثم قبض عليه وقتل سنة ٢٩٦هـ. انظر: تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٥ وفوات الوفيات ٥/ ٣٥١ والوافي بالوفيات ٣/ ٦١.

(٦) إبراهيم بن أحمد الماذرائي كما في صلة تاريخ الطبري ص٣١.

(٧) محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي بالولاء، أبو عمر البغدادي القاضي، كان أبوه يوسف قاضي =

جماعة العلماء والقوّاد، فخلعوا المقتدر، وبايعوا ابن المعتز، إلاّ بعضهم، ولقب بالمنتصف[(١)] بالله، فلما أُذنت المغرب، ضَرِبت الدبادب[(٢)] له وضُربت من قصر المقتدر، واشتغل الوزير بكتب الكتب إلى النواحي، وكاد الأمر أن يتم لو أراده الله، فنقض العزائم وأبطل التدبير، لأن سوسن[(٣)] الحاجب كان قد عاقد ابن المعتز على أن يكون حاجبه، ويمكنه من المقتدر، فبلغه في تلك الليلة أن ابن المعتز استخلص يُمناً الكنعوني[(٤)] للحجابة، فانتقض سوسن عليه، وأحكم الأمر للمقتدر، فلما اصبح ابن المعتز خرج قاصداً قصر المقتدر، فلما بلغ الحسني خرج عليه العبيد والرجالة، فمنعوهم، وأعانتهم العامة، فرجع ابن المعتز إلى داره وعلم من أين أُصيب، ثم إن المقتدر جهّز جيشاً غريباً في الخيل والرجال، فأحاطوا /١٦٣/ بدار ابن المعتز ففرَّ مَنْ كان فيها، وبقي ابن المعتز وحده، فتسلل هو ووزيره، وثبت الحسين بن حمدان[(٥)]، فقاتلهم إلى الظهر، فأصابه سهم، ففرّ إلى داره، وأخذ منها ما يريد. ثم خرج إلى سر من رأى، وأما ابن المعتز فإنه هرب وأتى دار ابن الجصاص الجوهري، وكان ممن بايعه، فعرفه خادم[(٦)]، فنمّ به، فأُخُذ وألقي في صهريج ثلج، فمات، وهو ذو الأدب الغض والتشبيه المصيب، ومن بدائعه قولُه[(٧)]: [من الطويل]

وجردت من أغماد كل مرهف إذا ما انتضته الكف كاد يسيلُ
ترى فوق متنيه الفرند كأنما تنفس فيه القين وهو صقيل

= القضاة أيام الرشيد، وتولى هو قضاء الجانب الشرقي من بغداد وعدة نواح من السواد والشام والحرمين واليمن ثم قلد قضاء القضاء سنة ٣١٧هـ. وتوفي سنة ٣٢٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣/ ٤٠١ والوافي بالوفيات ٥/ ٢٤٥.

(١) كذلك في صلة تاريخ الطبري ص٣١ وفي كامل ابن الأثير ٦/ ١٢١ وتجارب الأمم ١/ ٥: المرتضى بالله وفي تاريخ الطبري ١٠/ ١٤٠: الراضي بالله. وفي النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٥: المنصف بالله.

(٢) الدبادب: الطبول، واحدها دبداب.

(٣) سوسن الحاجب، في كامل ابن الأثير ٦/ ١٢٢ أنه كان خادماً لابن الجصاص، وأنه اخبر صافياً الحرمي بأن ابن المعتز عنده مولاه ومعه جماعة فكبست دار ابن الجصاص وأخذ ابن المعتز. وسماه عريب بن سعد القرطبي في صلة تاريخ الطبري ص٣٢: برسن الحاجب قال إنه ممن ثبت مع المقتدر ودافع عنه.

(٤) يُمن حاجب ابن المعتز ممن قبض عليه انصار المقتدر وقتل. انظر: تجارب الأمم ١/ ٧.

(٥) الحسين بن حمدان التغلبي، من الأمراء الشجعان أيام العباسيين، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني، نصر ابن المعتز وأعان على خلع المقتدر ثم هرب إلى الموصل، ثم عفا عنه المقتدر وولاه ديار ربيعة، ثم أعلن العصيان، فقاتله المقتدر وأسرهُ، ثم قتله سنة ٣٠٦ هـ. انظر كامل ابن الأثير ٦/ ١٥٠.

(٦) هو سوسن كما في كامل ابن الأثير ٦/ ١٢٢.

(٧) ديوانه ٢/ ١٧٤.

وقوله[١]: [من البسيط]

ظبيٌ مخلّى من الأحزان ودّعني ... ما يعلم الله من همٍّ ومِنْ قلقِ
كأنّهُ وكأن الكأس في يدِهِ ... هلال أوّل شهر غاب في شفق

وقوله[٢]: [من المنسرح]

قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشَّر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كماعِزٍ شَرِهٍ ... يفتح فاه لأكل عنقودِ

وقولُهُ[٣]: [من المتقارب]

إذا ما طعنا بطون الدنان ... سال دم الكرم منهنّ سورا
كأنَّ خراطيمها في الزجاج ... خراطيم نَخْلٍ يتقين نورا

وقوله[٤]: [من الطويل]

ولما تلاقينا وهُزَّت رماحُنا ... وجُرّدَ منها كل أبيض باترِ
رأوا معْشَراً لا يبصر الموت غيرهم ... فما برحوا إلاّ برجم الحوافرِ

ولما[٥] بويع ابن المعتز دخل رجل على أبي جعفر الطبري، فقال له: كيف تركت الناس؟

قال: بويع عبد الله بن المعتز.

قال: فمن رشَّح للوزارة؟

قال: محمد بن داود بن الجراح.

قال: فَمَنْ ذُكر للقضاء.

قال: الحسن بن المثنى[٦].

فأطرق قليلا، ثم قال: هذا الأمر لا يتم ولا ينتظم، فقيل له وكيف؟

قال: لأن كل واحد من هؤلاء متقدم في معناه على أبناء جنسه والزمان مُدْبر،

---

(١) ديوانه ٢/ ١٧٤.
(٢) ديوانه ٢/ ٩٥.
(٣) ديوانه ٢/ ١٣٠.
(٤) الديوان ٢/ ٣٠٥.
(٥) الخبر في النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٥.
(٦) كذا في الأصل، وفي النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٥: أبو المثنى أحمد بن يعقوب.
وهو ممن سعى في بيعة ابن المعتز، فأخذه المقتدر وقتله مؤنس الخادم سنة ٢٩٦هـ. انظر: تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٦ ومعجم الأدباء ٥/ ١٥٢ وبغية الوعاة ص١٧٠ وانباه الرواة ١/ ١٥٢ والوافي بالوفيات ٨/ ٢٧٥.

والدنيا[١] مولّية، وكان هذا على ما قال، ولم يكن في ابن المعتز ما يُعاب به سوى نقص حظّه وكمال أدَبِه.

وكان سبب قتل المقتدر بموضع يعرف بالتل[٢]، يجعل يوجه نحو باب الشماسية[٣] أن يأتيه جنده منها، والناس في ذلك يتسلّلون نحو مؤنس وقد جاء ليصرفهُ المقتدر في مهماته، غير أنه مَنْ كان يحسبه به مؤنساً أغروه به، وقالوا له: إنما جاء لقتلك، ولكن غلب عليه عبيده، وكانوا قد غضّو بمؤنس، وقالوا له: إما أن تخرج لقتاله وإلاّ أخذناك وأسلمناك إليه، فخرج وهو مُكْره، وقد كانت أُمُّه تمنعه، فلما لم يَرَ بُدّاً من الخروج ودّع أمّه وتمثّل بقول ابن الرومي[٤]: [من الكامل]

طـامِـنْ حـشـاك فـإن دهـرك مـوقِـعٌ   بـك مـا تـحـبُّ مـن الأمـور وتـكْـرهُ
وإذا حـذرْتَ مـن الأمـور مـقـدّراً   فـهـربـت مـنـه فـنـحْـوَهُ تـتـوجَّـهُ

فلما خرج إليه، جعل أصحابه يتسللون منه حتى بقي وحده، فقصده عبدٌ أسود فضربه على عاتقه، فصاح: ما هذا ويلك، ثم تعاوَدَه حتى قتله بالضرب، ثم أمسك مؤنس قاتله وقتله إذْ لم يكن غرض مؤنس قتله، وإنما غرضه أن يكون صاحب أمره، وإنما المقادير تنفد أحبَّ العبد أم كره، وولد[٥]...

ثم:

[٢٠]

دولة القاهر[٦] بالله، أبي منصور محمد بن أحمد المعتضد

كان (لا) يستقل لسانه من عوج، ولا زمانه من هوج، ولم يكن له يوم بويع ما يلبس حتى ألبسه جعفر بن ورقاء[٧] ثيابه، وقدمه للمبايعة، وتقدم وطفق الناس في

---

(١) في النجوم الزاهرة: والدولة.

(٢) كذا في الأصل، وفي كامل ابن الأثير ٦/ ٢٢١: فوقف على تل عال بعيد عن المعركة.

(٣) الشماسية: منسوبة إلى بعض شماسي النصارى، وهي مدينة مجاورة لدار الروم في أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشمامة (ياقوت ـ شماسية).

(٤) ليس في ديوان ابن الرومي، وهما في صلة عريب ص١٥٠.

(٥) كذا في الأصل، ولم يذكر بعدها، هذه الكلمة ما يتصل بمعناه. لعله إراد أن يذكر سنة ولادته فعدل عن ذلك.

(٦) وردت في الأصل (القادر) وصوّبناه من المراجع. انظر ترجمته واخباره، في كامل ابن الأثير ٦/ ٢٢٢ وصلة غريب ص١٥٤ وتجارب الأمم ١/ ٢٤١ ومروج الذهب ٢/ ٥٥٣ وتاريخ مختصر الدول ص٢٧٥.

(٧) جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني، من الولاة اتصل بالمقتدر وتقلّد له عدة ولايات. وكان كاتباً شاعراً =

المتابعة، وكان أحطّ رتبةً من إخوته /١٦٥/ وارتع رتبه في نخوته، لولا طيش لا ترفع معه منار، وتهافت أوقع به من الفراش على النار، قدم مدة خلافته وأيامه سنون، وأحكامه جنون، وتصديقه ظنون، وتحقيقه منون، لا يقف مع تدبير سئوس، ولا يتوقف في تدمير نفوس، وكان يتطاول إلى فعل أيامه بهمةٍ خانها الرأي الثاقب، وعزمة أنها لا تفكر في العواقب، فعاجَلَ أقواماً ما كان ضَرَّه لو طاوَلَهُم، وأكْمَنَ لهم حتى استأصلهم، لكنّه كان خائر العزيمة خائف الفوات، على أول ما يظفر به من الغنيمة، يورطه عظيم تهوّرِهِ وتسلطه على ما يُريد سقيم تصوُّره، فأدّى به تفريطه إلى أنه خُلع وسُمل[1] ثم ألحق بسخط الراضي وشُمِل، ثم عطف عليه فتعرض لأمْرٍ اطرح به وأُهْمِل، وكان في داره ما له رزق يقيته، ولا رزء يميته، فقام يستعطي في المسجد الجامع، حتى أعطى ما لو أنه الحياة لما امسكت به الأرماق، أو الدمع لما بلَّت به الآماق.

ثم:

[٢١]

دولة الراضي[2] بالله، أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر

وكان مطاعاً صؤولاً، قطاعاً وصولاً، وهو آخر مَنْ جُمع من الخلفاء شعره في ديوان، وجَلَسَ لهم جلوساً عاماً في إيوان، وقام خطيباً على المنبر، وفعل أفعال مَنْ برّ، وحاضره الندماء، وسامَرَهُ منهم كواكب ثقلها الأرض لا السماء، وكان يتحرّى عوائد سَلَفِهِ في ترتيب الخلائف. وتبويب الوظائف، وكان عارفاً بلغةِ العرب، عاكفاً على مالا حَرَجَ فيه من الأَرب، مولعاً بالأدب، ولوعَ القشيري[3] بريّا، والمغيري[4]

= جيد البديهة توفي سنة ٣٥٢هـ. انظر: فوات الوفيات ١/ ٢٠٥ ويتيمة الدهر ١/ ١١٠ والوافي بالوفيات ١١/ ١٤٨.

(١) خلعه قواده من الساجية والحجرية سنة ٣٢٢هـ. وسملوه ومات سنة ٣٣٨هـ. انظر التفاصيل في كامل ابن الأثير ٦/ ٢٣٦ ومختصر تاريخ الدول ص٢٨٠ وتجارب الأمم ١/ ٢٨٦.

(٢) الراضي بالله أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر، حاول أن يصلح ما أفسده سلفه فلم يستطع، واستقدم محمد بن رائق عامله على واسط والبصرة والأهواز، وقلّده إمارة الجيش وإمرة الأمراء، ولم يبق للخليفة غير الاسم، واستقل الأمراء في الأطراف، توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ. انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٤٢ وكامل ابن الأثير ٦/ ٢٣٧ ومروج الذهب ٢/ ٥٥٣ واخبار الراضي والمتقي وفي البداية والنهاية ١١/ ١٩٦ وفوات الوفيات ٢/ ١٨٥ وتجارب الأمم ١/ ٢٨٩ وتاريخ الخلفاء ص٣٩٠.

(٣) الأصل: المطيري، وهو تحريف، وهو الصمة بن عبد الله القشيري من شعراء الحماسة.

(٤) هو عمر بن أبي ربيعة وأخباره مع الثريا كثيرة مشهورة في كتب الادب.

بالثريا، وجميل بن معمر ببثينة ومصعب بن الزبير بسكينة، وله فيه تفنن يَنْسى به حبيب[١]، وينسخ بطربه ما ذكر عن عَريب[٢] مما لم يوصف باكثر منه على ابن جريج[٣]، ولا صنّف في أحسن منه إسماعيل بن سريج[٤]، وكان جواداً، طلق اليمين، يهب الآلاف الذهب لا المئين. مع ما أُولى من خَلُقٍ وضيّ، وخُلُقٍ رضي، وكان الراضي لا يُرى على أحدٍ ساخطاً، /١٦٦/ ولا لِضغْنٍ بين جنبيه ضاغطاً، فلا يشوب له نعماء، ولا يزال الراضي راضياً بموهبة من أفاد المعاني الانماء.

وحكي عن أبي الحسن العروضي مؤدب الراضي أنه قال: غدا عليّ الراضي يوماً وفي يده درج، فوضعه وأقبل على ما كنت وظفتُه له، فأسرع يحصّله، ثم انحاز عنّي وأَخَذَ ذلك الدرج يتصفّحه، فقلتُ له: ما درجك أيها الأمير؟ فقال: حكمة من حكم الفرس مما ترجم لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، انتسخته، فقلت: أسْمِعْني ما فيه، فقرأ عليَّ أنه لا يضير فساد الملك مع صلاح قدر، كما لا ينفع مع فساد وزرائه كبير نفع، وينبغي للملك أن يسوس وزراءه بثقةٍ يكمن فيها احتراس، لا يوجد معه حذر، وأنس[٥] تشوبُهُ هيبته، وليحذر كل الحذر من اختصاص بعضهم دون بعض، وتفضيل بعضهم على بعض، فالوزراء للملك كالطبائع للجسم، صلاح الجسم باعتدال طبائعها وتساويها في القوة. كما أن عَطَبَها في قوّة بعضها على بعض، قال العروضي: فقلت أيها الأمير إنك اليوم غير محتاج إلى هذا وشبهه، فقال: كلاّ إني إليه لَمحتاج وإن كان عندك علم منه فأفِدْناه، وإن لم يكن عندك فاستفِدْهُ لكي تفدناهَ، قال: فعلمت بذلك سموّ همته وثقوب فطنته.

وحكي[٦] عن العروضي أنه قال: أمليتُ على الراضي في صباه كلاماً لقتيبة[٧]،

---

(١) يريد به أبا تمام حبيب بن أوس الطائي.

(٢) عريب المغنية، كانت بارعة الجمال، أديبة شاعرة، حاذقة بالغناء اشتراها المعتصم واعتقها، كان لها مع إبراهيم بن المدبر مطارحات توفيت في حدود ٣٢٠هـ. انظر: الإماء الشواعر لأبي الفرج تحقيق جليل العطية ص١٣٥ والأغاني ٢٢/ ١٥٧ وطبقات ابن المعتز ص٤٢٥ والوافي بالوفيات ١٩/ ٥٥٣.

(٣) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي، مولى بني أمية، كان أحد أوعية العلم، وعالم مكة وهو أول من صنف التصانيف في الحديث، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦١ و٣٢٧ ومشاهير علماء الامصار ص١٤٥ وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٠ والوافي ١٩/ ١٧٧.

(٤) كذا في الأصل، ولعله أراد إسماعيل بن عمرو بن نجيح البجلي الكوفي نزيل أصبهان وشيخها ومسندها، توفي سنة ٢٢٧هـ. انظر الوافي ٦/ ٨٣ وميزان الاعتدال رقم ٩٢٢ وسير اعلام النبلاء ١٠/ ٤٣٥.

(٥) في الأصل: وأيس.

(٦) الحكاية في مروج الذهب ٢/ ٥٦٥ باختلاف يسير.

(٧) قتيبة بن مسلم الباهلي. أحد قواد الأمويين كما في مروج الذهب.

وهو أن قتيبة شاوَرَ أصحابه في رجل يؤمّره على جيش أراد أن يبعث به لمحاربه بعض من جاوَرَ خراسان من الكفار، فقيل له: هل لك في فلان؟ فقال: ذلك رجل ذو كبر، ومَنْ تكبّر أعجب برأيهِ، ومَنْ أُعجب برأيهِ لم يؤامر نُصَحاءَهُ، ومن تحلى بالإعجاب، ودبّر بالاستبداد كان من الصنع بعيداً ومن الخذلان قريباً، ومَنْ تكبّر على عدوّ احتقره، ومن احتقر عدوّه (قلّ)[1] احتراسه منه، ومن قل احتراسُهُ كَثُر عثاره، وما رأيتُ محارباً قط تكبّر على عدوّه إلاّ كان مخذولاً مهزوماً مغلولاً، لا والله حتى يكون أسْمع من فرس، وأَبْصَر من عقاب، وأهدى من قطاة /١٦٧/ ، وأحذر من عقعق، وأجرأ من أسد، وأوثب من فهد، وأحْقَد مِنْ جمل، وأروغ من ثعلب، وأسْخى من ديك، وأشحّ من ظبي[2] وأحْرس من كركي. والح[3] من كلب، وأصبر من ضبّ، وأحمل[4] من نمل، فإن النفس إنما تسمح بالعناية على مقدار الحاجة، وإنما تعني بالتحفظ على مقدار الخوف، وقد قيل على وجه الدهر: ليس لمعجب رأي، ولا لمتكبر صديق، ومَنْ أحب أن يُحَب يحبب، قال العروضي: فكتب الراضي ذلك بخطّه، وعكف على دراسته حتى حفظه في جملة ذلك. فلما حصله ارتاح وطرب، وأقبل عليّ وقال: لعلّ الزمان أن يبلغ بي إلى أن أتأدب بهذه الآداب.

ثم:

[٢٢]

دولة المستكفي[5] بالله، أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي ابن المعتضد

كان لا يكفّ ذيله عن فجور، ولا يعف ليله عمّا لا يصبح له ديجور، ولا ينفكّ في غيابة ظلام، ولا ينتقل عن بطن جاريةٍ إلا على ظهر غلام، ولا تزال يده مقرَّطة بمنديل، متوجه بكأسٍ إلا أنها غير سلسبيل، وكان مجلسه معموراً بالفتيان، مغموراً بالدنان، كأنه حانة نبّاذ، وفي قطربلّ[6] لا بغداد، وكان ربما لم يكتف بمن عنده

(١) سقط من الأصل.
(٢) في الأصل: صبي.
(٣) كذلك في الأصل وفي المروج: احفظ.
(٤) كذا في الأصل وفي المروج: أجمع.
(٥) ولي بعد الراضي: المتقي لله، أبو إسحاق بن إبراهيم بن جعفر المقتدر، بويع سنة ٣٢٩هـ وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهراً وثلاثة وعشرين يوماً، ثم بويع للمستكفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة. انظر: مروج الذهب ٢/ ٥٧٣و٥٨٤ وكامل ابن الأثير ٦/ ٣٠١ والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٢.
(٦) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر (ياقوت ـ قطربل).

فيطلب له من نساء المدينة العواهر، ومنْ أبناء أهلها من يكلفه عمل النساء الفواجر، لا يعرف برا ولا حنثا، ولا يخف محمله عن ذكرٍ ولا أنثى، هذا مع عدم قدرة على حكم، ولا سماع لأمره إلاّ إذا سمعت الصمّ البكم، وكان في جميع أموره كأنه لم يرغْه واعظ دين، ولم يردعه مَنْ له مُعْتَقَدٌ به يَدين، حتى كان شبّه من بني أمية بالوليد بن يزيد[١]، وما ينتقص عما يريد بل يزيد، وتلاشت في أيامه الخلافة وأضمحلّت، وانتكثت عقدتها الوثيقة وانحلّت. فأصبحت واهية القوى، ضعيفة لا تتماسك من شدّةِ الجوى، أما قمرها فسقط، وأما نجمها فهوى.

ثم:

[٢٣]

دولة المطيع[٢] لله، أبي القاسم الفضل /١٦٨/ بن جعفر المقتدر

ولم يكن له من الأمر شيء، ولا لَهُ فيها ممتد ظلّ ولا فيء، لم يكن له من الخلافة إلاّ رسْمُها، ولا منَ الممالك إلاّ أن يُضاف إليه سمُها، قد شبَع مما لا يستطيب، وقَنَعَ باسمه على سكة نقاش ومنبر خطيب. وكان في الخلافة كأنه سرّ مخفيّ، وعلى المنابر اسم شيء غير مرئي، ما فرح بأن ينفذ له أمْر وراء بابهِ، ولا حكم ولا حتى في أسبابه، فما له ذكر خارج حجابه، ولا شيء يتحدث به عند حُجّابِهِ، قد جعل قصره محبسه، وقيدّه مجلسَهُ، وأكثر ما يتحصّل له من أجل بلاده مقدار ملء خاصرته من زادِهِ، بل كان في بعض الأوقات ربّما راجع مَنْ حَجَرَ عليه في نَزْرٍ به يتوسّع، ونزْرٍ منه يتجرّع، فوقتاً يُعطى، ووقتاً يُمنع، سوى أنه ما منح في العطاء، ولا فُسِح له كثرةِ الخلطاء، وكان (لا)[٣] يمكنه ممانعة، ولا يستطيع، ولا يمكنه إلا أن يكون لما يُقال له السامع، ولما يؤمر به المطيع، إلا أنّه طالت مدّتهُ، وهو على هذه الحال المقضي والأمر. الغير مرضي، ولا غير لديه ولا نكير، ولا توسيع له في مجال الحيلة ولا تفكير، ثم كانت آخرته أن خلع نفسه وولّى ابنه، وخلّى

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، من فتيان بني أمية وخلعائهم، بويع له سنة ١٢٥هـ نقم عليه الناس فبايعوا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك فسار إليه وقتله سنة ١٢٦هـ. انظر مروج الذهب ٢/ ١٦٧.

(٢) المطيع لله، الفضل بن جعفر المقتدر، بويع له بعد خلع المستكفي سنة ٣٣٤هـ وكانت أيامه أيام ضعف ووهن، وكان الأمر للبويهيين الذين استولوا على البلاد وفلج وثقل لسانه، فخلع نفسه وعهد إلى ابنه الطائع، وتوفي بعد شهرين بدير العاقول سنة ٣٦٤هـ. انظر: مروج الذهب ٢/ ٥٩٦ وتاريخ الخلفاء ص٣٩٨ ومختصر تاريخ الدول ص٢٩١ وكامل ابن الاثير ٦/ ٣١٥ وتجارب الأمم ٢/ ٣٢٧.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

فكِره مما كان فيه، وأخْلى ذهنه، ثم ما عاش إلاّ أياماً وخلّف أولاده أيتاماً ونساءه أيامى.

ثم:

[٢٤]

دولة الطائع لله[(١)]: أبي بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع

ولم يكمل السنتين، ولم يعمل بأمره إلا فيما وقعت عليه نواظر المقلتين. وكانت دولته بَعْد دولة أبيه ثانية اثنتين، وهو وأبوه سواء في الحالتين، فما قطع ولا وصل، ولا اتصل به أحد ولا انفصل، وكان يحدث بأساهُ أنه يهمّ، ثم يحدث له أنّه لا يتم، وكان المتبوع التابع والمطاع الطائع، لا يكلّف حمل عبء، ولا يكفل إخراج خبء، بل هو معهم على قدره الكبير كالبعير، كيفما صرفوه انصرف، ومهما فارقوهُ به اقترف، وإن وقّفوه لا يتهمم للحرك، وإن مشّوه مشى /١٦٩/ وإن برّكوه برك، كان شاهداً كأنه غائب، وزاهداً إلاّ أنّه راغب، ثم خُلع وسُمل وسُجن، ومكث نحو عشرين عاماً في داره حيّاً قد دُفِن، إلى أن أتاه الموت المريح، ونقوله من قبر إلى آخر من داره إلى الضريح.

ثم:

[٢٥]

دولة القادر بالله[(٢)] أبي العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر

بويع بالمشاورة، وأبوه حيّ، وأومي إليه بالإشارة وما أقْفَر حيّ، وكان لما أجْمعت عليه الشورى، وحَنَتْ عليه الآراء له أربا وشورا، قد لبس بالبطائح ثياب طائح، فجهز إليه الشعار الخليفتي، وأتاه بالسواد في حلية الثياب الفتي، ومما بعث

---

(١) الطائع لله، عبد الكريم بن الفضل المطيع بن المقتدر العباسي، ولي الخلافة بعد خلع المطيع نفسه عنها سنة ٣٦٣هـ، وشهدت أيامه الخلاف بين عضد الدولة وبختيار ثم قتل بختيار ومات عضد الدولة فتولى ابنه بهاء الدولة فقبض على الطائع وسجنه ونهب دار الخلافة واشهد عليه بالخلع سنة ٣٨١هـ. ثم بقي سجينا إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ. انظر: مختصر ابن الكازروني ص١٩١ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٥٩و٢٠٨ وكامل ابن الأثير ٧/ ١٤٧ وتاريخ الخلفاء ص٤٠٥ وتاريخ مختصر الدول ص٢٩٧.

(٢) أبو العباس، القادر بالله أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر بويع له سنة ٣٨١هـ وكان حازماً مطاعاً، حاول إعادة الهيبة إلى الخلافة العباسية والسيطرة على المتغلبين عليها، توفي سنة ٤٢٢هـ. انظر: تاريخ بغداد ٤/ ٣٧ وكامل ابن الأثير ٧/ ١٤٨و٣٥٤ ومختصر تاريخ الدول ص٣٠٩ وتاريخ الخلفاء ص٤١١ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٦٠و١٧٥ ومختصر ابن الكازروني ص١٩٦.

إليه من الإرث الأبوي والأثر النبوي، فلما قدم تلقى بإجلال الخلفاء، وحمالة المواكب بالسادات والشرفاء، حتى إذا دخل القصر، دخل من سعة الفضاء إلى ضيق الحصر، وكانت سني ملكه حتى جاوزت إحدى وأربعين، وتغيّرت دول الملوك، ولا يجد من على الأرب يُعين، فكان كلّما أتى آتٍ سلك سبيل من كان قَبْلَه من التضييق، وتركه من قبله في قصره المتسع في مضيق، وكان في صباه مقصوراً على جوب وهيام، وحور مقصورات في الخيام، له كَلَفٌ بالجواري والعذارى الهيف، ذات كل ردفٍ ثقيل وخصرٍ لطيف، وله بكؤوس المدام اهتمام، وبكوب السابقين إلى حل العزام التئام، ومما ينفق من عمره من غير الندام اغتمام، فكان لا يبرح صريح جام ملآن، أو في استجمام لرحيق ريق فلانة أو أم فلان، فما نهضَتْ له قط كلمة، ولا قطّ بالسيف رأس عدوّه ولا قلمه، فكان مدة ولا يته لا يضرّ ولا ينفع، لا ولا يرشح لأنه يأمر لا ولا أن يشفع، فما كان على شيء كما قال قادراً، ولا وفياً ولا غادراً، ثم مات حنف أنْفِهِ، ولا شكر الناسُ من لينِهِ، ولا شكوا من عُنْفِهِ[1].

ثم:

[٢٦]

دولة القائم[2] بأمر الله: /١٧٠/ أبي جعفر عبد الله بن أحمد القادر

ولي بعهد أبيه القادر، وعهد زمانه يعد فيه أمور كلها في الناذر، ولي مرتين، وسار فيها سيرتين، فأمّا الأولى فكان فيها لصيد وقنصْ، وأما الثانية فكان فيها لتصدٍّ وقصص، وامتدَّت أيامه أكثر من أبيه، وكثر فيها تخليط أعدائه ومحبّيه، وكان أرضى من أبيه نبا، وأمضى سنا، وأهبّ صبا، وأَشَبَّ إلى العلو على صبا، وكانت همّتُهُ ملوكية وإن لم يجد سبيلا إلى اقتداح زنادها، ولا رسيلاً إلى اقتراح عهادها، وكان لا

---

(١) في وصف المؤلف للقادر بالله اختلاف كبير عما أجمع عليه مؤرخوه، قال ابن الاثير: وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك، فلما وليها القادر بالله أعاد جدّتها وجدّد ناموسها، والقى الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها وكان حليماً كريماً خيراً، يحبّ الخير وأهله، ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض أهله.

(٢) أبو جعفر عبد الله بن أحمد، القادر بالله العباسي، ولي الخلافة بعهد من أبيه سنة ٤٢٢هـ، وصف بالعدل والورع والرفق بالرعية، والعناية بالأدب، حاربه البساسيري واستنصر عليه المستنصر الفاطمي سنة ٤٥٠هـ ثم قبض عليه وحبسه، ثم قدم طغرلبك فقتل البساسيري وأعاد الخليفة إلى دار ملكه توفي سنة ٤٦٧هـ. انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٩ وكامل ابن الأثير ٧/ ٣٥٤ وما بعدها والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٧ وتاريخ الخلفاء ص٤١٧ ومختصر ابن الكازروني ص٢٠٢.

يقنع إلاّ بما كان عليه أوّله، ويقرع باب عزائمه والأقدار لا تنوّله، فكان لا يزال يشمّ من نفسه دخان أواره، ويظهر على وجهه شعاع ما لم يواره، ويكتم حاله والله مُبْديه، ويخاف الناس والله أحق أن يخافه ولا يخفيه، وكان ربما أَلَمّ نهبةً من الطرب، ونغبةٍ لا ترويه من ماء العنب، فكان ربما بسطه المدام فتحدث، ونشَّطَهُ من عقال المداراة فعجّل لم يتلبّث، وكانت عليه عيون موكلة بما ترى، ومسامع لا تكذب خَبَرا، فأغرى به قلب من كان في يديه موقرا كالمرتهن، ولديه موفراً كالممتهن، وأعان عليه حاشية سوء كانوا حوله، وأعوان سيئة لا تطيق قوته ولا حوكهُ، وكان منهم ابن رئيس الرؤساء[١]، وكان عدوّا لأرسلان البساسيري[٢]، وهما الخلافة قالا قفي أو سيري، فظفر ابن رئيس الرؤسا بأرسلان البساسيري وملك فلم يَسْجح، وأفْسَدَ ولم يصلح، وكان الأولى بمثلهِ، وهو ربّ القلم وذاك ربّ السيف، أن يعفو إذا قَدَر، ويصفوا إذا كَدَر، إلى ما هو بهِ جدير ولا عاقب إلا معاقبة ضعيف لا قدير، فنكّل به اشدَّ التنكيل، ومثَّلَ به أقبح التمثيل. وبسط عليه العذاب الأليم، وسلّط العقاب على الحريم، وفعل في ذلك فعل من طنخ[٣] ونوَّخ بعيراً فلم ينخ، فما قَنَعَتْ تلك الشوكة إلاّ بخلع الخليفة والقبض عليه وإرجافِهِ بالخيفة، وتعويقه من سما عليه في دارٍ بالحديثة[٤] /١٧١/ وسَعَتْ في إغضاء خَوَلِهِ تلك الشوكة الخبيثة، وخُطب ببغداد والعراق للمستنصر أبي تميم معد[٥] بن الظاهر العبيدي، خليفة مصر، وحُمل على أعناق المنابر ثقل ذلك الإصْر[٦]، إلى أن انقضت سنة[٧]، وما غمضت مقلا سِنَة، ثم

(١) كذا في الأصل، والصواب رئيس الرؤساء، وليس ابنه، وهو علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة، كان أحد المعدلين ببغداد وله معرفة بالفقه، ثم ولي الوزارة للقائم، وقع بينه وبين البساسيري خلاف، فهرب البساسيري إلى بغداد واستولى عليها وقبض على الخليفة، وظفر بابن المسلمة فقتله ومثل به سنة ٤٥٠هـ. انظر: الفخري ص٢١٦ وكامل ابن الأثير ٨/ ٨٢ وما بعدها.

(٢) البساسيري، أبو الحارث التركي، كان من مماليك بني بويه، خدم القائم العباسي فتقدم، وتقلّد الأمور بأسرها، ثم خرج من بغداد وعاد إليها بجيش فاستولى عليها وأقام الخطبة للفاطميين، وقبض على الخليفة، فقدم طغرلبك العراق، فاستولى على بغداد وقتل البساسيري واعاد الخليفة سنة ٤٥٠هـ. انظر كامل ابن الاثير ٨/ ٨٥.

(٣) طنخ خبثت نفسه.

(٤) حديثة، أو حديثة عانة كما في كامل ابن الأثير، من كور الموصل، شرقي دجلة. انظر: الروض المعطار ص١٩٠.

(٥) معد بن علي بن الحاكم بأمر الله، المستنصر الفاطمي بمصر، بويع له وهو طفل بعد وفاة أبيه وقام بأمره وزير أبيه علي بن أحمد الجرجرائي، توفي سنة ٤٨٧هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٤/ ٦٢ والمغرب (قسم مصر) ص٧٧.

(٦) الاصر: الثقل.

(٧) السنة: النعاس.

انتخى له ملوك المشرق[١]، وردُّوا زمانه المشرق، ومدّوا ظلَّ عصره الموفق، فتوّجوا رؤس المنابر والمرفق، وأُعيد إلى بغداد وأعلامه تثنّى ارتياحاً وتُرسِلُ للبشرى بين يديه رياحاً، فدخل إلى قصره وتوقّل رتبته، وحلّ في صدرها، وحلّى جيده بدرّها، وجلَّ به منصب الخلافة على ما كان أو أسنى، وجدَّ حتى ظفر بأعدائه وبلغ ما تمنى وانقرضت في أيامه دولة العجم، وانقضت بغير عودٍ من النصال عجم، فطلع طالع الخلفاء ونَجَم، وصار مستقلاً لو أراد الولوج على الأسد لهجَمْ، أو العروج إلى السحاب لصار وصاب وانسجم، وأما ابن رئيس الرؤساء فإنه أكلَ مما طَبَخ، وأحرق بما نَفَخ، هذا قبل أن يُدال القائم، ويُدار له الدور على الظالم، لكنّ البساسيري لم يلج في تقاضي دينه، ولا كفر بهلاكِهِ ريب رينه[٢]، بل قنع بالاقتدار بأنه أَظْهَرَه ولبَّسَهُ طرطوراً وركبه على جمل، وأشهره[٣]، ثم لما ثبت ملك القائم عهد إلى ابنه ذخيرة الدين أبي العباس محمد[٤]، فعجّل الزمان بانفاق الذخيرة وقدر بانتقالها إلى الله الخيرة، فاودع القائم وبه من الذخيرة ما كان دَخَر، وودّع إلى الضريح قلبه وما كان به قد فَجَرِ، ورجّع البكاء ثم استرجع من ابنه المقتدي لبن الذخيرة أشياعه الأخر، وعهد إليه، وعقد لنجمٍ سما وغيثٍ همى وبحرٍ زَخَر.

ثم:

[٢٧]

دولة المقتدي[٥] بأمر الله، أبي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم

وكان تحت كنف بني بويه[٦] كأنه صبيّ ضُرب الحجر عليه، مع ما كان فيه من

---

(١) يريد بملوك المشرق السلاجقة الذين قدموا إلى العراق، والسلطان لطغرلبك السلجوقي الذي قصد العراق سنة ٤٥٠ وبعد أن فرغ من أخيه إبراهيم ينال الذي خرج عليه وانحاز إلى البساسيري. انظر كامل ابن الأثير ٨/ ٨٥.

(٢) الرين: الدنس.

(٣) من الواضح أن الأمر اختلط على المؤلف، فإن البساسيري قبض على الخليفة، ووزيره رئيس الرؤساء، فحبس الخليفة ومثل بالوزير ثم قتله، وبقي الخليفة محبوساً إلى أن دخل طغرلبك بغداد، فقتل البساسيري وأعاد الخليفة إلى قصره سنة ٤٥٠هـ. انظر كامل ابن الأثير ٨/ ٨٦ والفخري ص٢١٧.

(٤) ذخيرة الدين أبو العباس محمد، توفي شابا في حياة ابيه سنة ٤٤٧هـ فجعل ابنه (حفيد الخليفة القائم) المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد ولياً للعهد، انظر: مختصر ابن الكازروني ص٢٠٩.

(٥) المقتدي بالله، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، بويع له بعد موت جدّه القائم سنة ٤٦٧هـ، وعمره ثماني عشرة سنة، وصف بأنه كان عالي الهمة خبيراً بالأمور، فانصرف إلى عمران بغداد، مات فجأة ببغداد سنة ٤٨٧هـ. انظر: كامل ابن الأثير ٨/ ١٢٠ و١٧٠ والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٧ ومختصر ابن الكازروني ص٢١٠ والفخري ص٢١٧ وتاريخ الخلفاء ومختصر تاريخ الدول ص٣٣٤.

(٦) إنما انتهت دولة البويهيين في العراق بدخول السلاجقة، ولم يكن المقتدي كما وصفه المؤلف وإنما =

عقلٍ وسكينة، وفضل يصلح دنياه ودينه، وكان لإفراط التضييق عليه، ولا يأخذ لقلبه فضاء ولا ينفذ حكماً ولا قضاء، ثم غضى على ما تكره عينُه، ولم يدْرِ كيف يتقاضى دينه، إلا أنه /١٧٢/ استروح بمراسلة يوسف بن تاشفين[١]، وبرد حُرَقِهِ بمكاتباته وما شفين[٢]، وهيهات بينهما عرض الأرض ومر البر ونحر البحر وملوك العبيديين بمصر، بين بحريهما حاجز، وحائل بينهما لا يزيله حاجز، وإنما كان يعلّل نفسه بالمنى، ويؤمّل مدَدَ النصر من هنا ومِنْ هنا، فلم تنقطع بينهما المكاتبات ولا حُجبت أرواح الابتداءات والمجاوبات، ولا يرغد عيشاً بعلالتها ويتملّى ريّا ببلالتها، وربما كتب إلى ملوك ما وراء النهر، فعوملَ الرسول بالرّد والنهر، وقيل له: لو قمتم بأمور الدين وتركتم أباطيل السَّفَه وأقاويل الشُّبَهْ، وأخذتم بما تبيّن لا بما اشْتَبَه، وبما نجم من الحق أو الخير، لما تسلَّطَتْ عليكم أحكام الجائرين، ولا سَطَتْ بكم أيدي الحكام المجاورين، لكنكم فعلتم وفعلتم، وعلمتم وجهلتم، وعدَّدَ عليه قبائح ما ارتكبوا، وفضائح ما احتقبوا، وكان المقتدي ممن يرتاح للندى، ويلتاح نجم هدى، وله هدْيٌ مأثور يفاوح أَرَجَ المنشور، كأنه بالعنبر نُسِخ، وبماء الورد نُفخ، يؤثر الخير ولا يلتقي عليه مساعداً، ويؤثر الجود ولا يخْلف عليه مواعداً، ويقارب السلف ولا يكون مباعداً، ويقارن هام الغمام ولا يقدم راعداً، وكان أبوه أبو العباس محمد الذخيرة، قد مات كما ذكرنا في زمان أبيه القائم، وتلقى من رضوان ربّة تحيّة القادم، فلم يكن للقائم دأب إلاّ تأديب المقتدي، وأقرأه سيرة الخلفاء الصالحين عليه كعمر بن عبد العزيز والمهتدي، وإعلامه بأحوال الدول، مسيئها ومُحْسِنها، وأمره بتصفّحها والأخذ بأحسنها، حتى كانوا لو تمكن ناذره، وخاتمةً لأول الغيث أو بادره.

وقد ذكر ابن الأثير[٣] أنه مات فجأة، قال: كان قد أحضر عنده تقليد السلطان

= وصفه المؤرخون بأنه كان قوي النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس، قال السيوطي: وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة بخلاف من تقدّمه. انظر: الكامل ٨/ ١٧٠ ومختصر ابن الكازروني ص٢١١ والفخري ص٢١٧ وتاريخ الخلفاء ص٤٢٣.

(١) يوسف بن تاشفين، أبو يعقوب اللمتوني المغربي، أمير الملثمين. استولى على المغرب وبنى مراكش وعبر إلى جزيرة الأندلس حين استنجد به ملوك الطوائف، فهزم الافرنج في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ، ثم طمع بالجزيرة فعبر إليها ثانية واستولى عليها وأسر المعتمد بن عباد توفي سنة ٥٠٠هـ. انظر: وفيات الأعيان ٧/ ١١٢ والوافي بالوفيات ٢٩/ ١٦٣ وكامل ابن الأثير ٨/ ١٥٤ و٢٣٦.

(٢) في تاريخ الخلفاء ص٤٢٤ أن يوسف بن تاشفين أرسل إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه وأن يقلّده ما بيدهِ من البلاد، فبعث إليه الخلع والأعلام والتقليد، ولقبه بأمير المسلمين.

(٣) الكامل ٨/ ١٧٠.

بركياروق[(١)] ليعلم فيه، فقرأه وتدبره وعلم (بما)[(٢)] فيه، ثم قدم إليه طعام، فأكل منه وغسل يديه، وعنده قهرمانته شمس النهار فقال: ما لهؤلاء الأشخاص /١٧٣/ الذين دخلوا عليَّ بغير إذن، قالت: فالتفتّ فلم أر شيئاً، ورايته قد تغيرّت حالته، وأسترخت يداه ورجلاه، وانحلّت قوّته، وسقط إلى الأرض، فظننتها غشية لحقته، فحَلَلْتُ ثوبه، فوجدت[(٣)] عليه إمارات الموت، فتماسكت وقلت لجارية عندي: ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء، فإن صحتِ قتلتك. فأحضرت الوزير فأعلمته الحال، فشرعوا في البيعة لوليّ العهد.

وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق، وعمرت محال بغداد، وتوفي في [يوم السبت خامس عشر المحرّم سنة سبع وثمانين وأربعمائة][(٤)].

ثم:

[٢٨]

دولة المستظهر[(٥)] بالله، أبي العباس أحمد بن عبد الله المقتدي

ولم يكن مثل أبيه في تأبيه، بل كانت له يقظة نبيه، وكان مقبلاً على لهوِهِ، مشتملا على زهوه، يميل إلى الخمر، ويميل به سُكر، ويميد بمعطفهِ فيسجد ثملاً لا شكراً، لا يعرف راحةً إلاّ موصولةً براح، ولا اقتداح مَسَرَّة إلا بأقداح، فلا تعطل حبب الكؤوس، ولا حبب عقد[(٦)] العجوز العروس، أوْقاتُهُ كلّها طرب وانتشاء، وحربٌ في كؤوس تدور بها أيدي بدور بكرةً وعشاء، وكان ذا حظّ في الأدب، وحضٍّ إليه وندب، وباسمه ألّف أبو محمد القاسم بن محمد الحريري[(٧)] كتاب

---

(١) بركياروق، أبو المظفر ركن الدين بن السلطان ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل أحد ملوك السلجوقية، ولي المملكة بعد موت أبيه، وكان أخوه سنجر نائباً عنه في خراسان، توفي سنة ٤٩٨هـ ببروجرد. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٦٨ والوافي ١٠/ ١٢١ والكامل ٨/ ٢٢٣.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الأصل: فوجدته.

(٤) ما بعده فراغ في الأصل، وأتممناه من الكامل.

(٥) المستظهر بالله أحمد بن عبد الله المقتدي، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وله ست عشرة سنة، واتسق له الأمر، وكانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب توفي ببغداد سنة ٥١٢هـ. انظر: كامل ابن الأثير ٨/ ١٧٠ وتاريخ الخلفاء ص٤٢٦ ومختصر ابن الكازروني ص٢١٥ والفخري ص٢٢٠.

(٦) كذا وردت في الأصل، ولعلّ لها قراءة أخرى.

(٧) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد البصري الحريري صاحب المقامات أحد أئمة الأدب المتوفى سنة ٤٩٠هـ. انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٦٣ ومعجم الأدباء ١٦/ ٢٦١ وشذرات الذهب ٤/ ٥٠ والوافي ٢٤/ ١٣١ وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٧.

المقامات بأمر وزيره شرف الدين أنو[١]شروان بن خالد. وكان ابن جهور يقول: إنّ الذي أشار عليه بها في قوله: فأشار مَنْ إشارته حكم وطاعته غُنْم، إنه المستظهر، قال: ابن الشريشي: وكان للمستظهر[٢] رغبة في الطلب وعناية بأهل العلم.

قال: وحدّث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف وخمسمائة رجل حامل علم، وكلّهم قد أثْبَتَ اسماءهم السلطان في الديوان، وأجرى على كلّ أحدٍ من المال بقدر حظِّهِ من العلم.

قال: وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألّف المقامات كلّها على الركاب، وذلك أن المستظهر لما أمره بصنعتها خرج كالحافظ على العمال. وكان يخرج في الأبردين يتمشى /١٧٤/ في ضفتي دجلة والفرات، يصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه. فلم ينقض فصل العمل إلاّ وقد اجتمع له مائتا مقامة، فخلص منها خمسين وأتْلَفَ الباقي، وصدّر الكتاب ورفعه فبلغ عنده أعلى المراتب، انتهى كلامه.

قلت: وفي أيام المستظهر أَخَذتْ الفرنج بيت المقدس[٣] وأكثر بلاد الشام، وظهر التهتك بالقبائح وقلّة الاحتشام، وفشىٰ أمر الربا وشرب الخمر والزنا، وكثرت الملاهي وقلّت النواهي، وعظمتْ تلك الدواهي، فَعُجّل بهم العقاب، وعذّبوا بأخذ البلاد منهم، وهو أَخَفّ العذاب.

وكان المستظهر ذا نادرة كتب إليه الأبيوردي[٤] قصّة وكتب على رأسها الخادم المعاوي، فكشط الميم فصارت العاوي.

ثم:

[٢٩]

دولة المسترشد[٥] بالله: أبي منصور الفضل بن أحمد المستظهر

وكان مع الملوك كشأن الخلفاء قبله، وعلى ما كان عليه مَنْ كان مثله، وكان

---

(١) في الأصل: أبو، وهو أنو شروان بن خالد بن محمد القاشاني المتوفي سنة ٥٣٢هـ. انظر الفخري ص٢٢٥ وفيه أن الحريري ألف المقامات له، وإليه اشار بقوله: فأشار من إشارته....

(٢) الأصل: المستظهر.

(٣) أخذها الفرنج سنة ٤٩٢هـ بعد حصار شهر ونصف وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٢٧ وكامل ابن الأثير ٨/ ١٨٩.

(٤) الأبيوردي، محمد بن أحمد القرشي الأموي، أبو المظفر، شاعر مجيد، ولد في أبيورد بخراسان، مات مسموماً في اصبهان سنة ٥٠٧هـ، وشعره كثير مجموع في ديوان انظر: معجم الأدباء ٦/ ٣٤١ ومرآة الزمان ٨/ ٤٨ ووفيات الأعيان ٢/ ١٦ والوافي بالوفيات ٢/ ٩١.

(٥) المسترشد بالله، أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي العباسي، بويع بالخلافة بعد =

الغالب عليه جمال الدولة سنجر(١)، غلبة من يحجب ويحجر، والمسترشد يظهر اعتراضاً في ابتغاء، ويسرّ حسوا في ارتغاء(٢)، كأنه زند النار، ظاهره حجر وباطنه أوار، وبقي يتربص بسنجر الدوائر، ويوقد له النوائر، وسنجر لا يقع في حبالته، ولا يلين له جانب حالته، إلى أن قدّر لسنجر أجل أجله وأُتيح، وأُلقي في مرط أملِهِ وأُطيح(٣)، فخفّ عن صدر المسترشد ثقل ذلك الطود، وأمِن تحطم ذلك العود، وقام نور الدولة مسعود بن سنجر، ولم يكن نور الدولة ممن يتقيه ولا يخافه، ويجدّ في توقِّيه، فطمع في الوقوف على أمر مملكته، وعمل على موت مسعود وهلكته، ليخلو لَهُ الجوّ، ويُتْبع الأسد الذاهب بالبوّ(٤)، قال الشريف الغرناطي: فصنع المسترشد دعوةً عظيمة لنور الدولة مسعود بن سنجر، ووجوه الدولة، ونوى قتلهم، ففطن لذلك مسعود، فدخل عليه في /١٧٥/ رجلين من قرابته، وأوْمى إلى تقبيل يده، فجبذَه بها جبذةً شديدةً، أَلْقاه بها عن السرير إلى الأرض، وألقى عمامته في عنقه وأراد خَنْقَهُ، ثم كفّ عَنْهُ، وخرج وفي قلبه منه ما فيه منه.

قلت: وبقيا على ازورار البغضاء وانحراف يقلهما على مثل الرمضاء، ثم قتل

= وفاة أبيه سنة ٥١٢هـ. كان شجاعاً حازماً أديباً، حدثت في أواخر أيامه فتنة قام بها أمير أمرائه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فقاد المسترشد جيشاً لقتاله، فلما نشبت الحرب فر جيشه وبقي وحده، فاعتقله السلطان، وأخذه معه ليدخل به بغداد، فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جماعة من الباطنية فقتلوه سنة ٥٢٩هـ ودفن في مراغة. انظر: كامل ابن الأثير ٨/ ٢٨١ و٣٤٧ فوات الوفيات ٢/ ١٢٤ مرآة الزمان ٨/ ١٥٦ تاريخ الخلفاء ص٤٣١ مختصر ابن الكازروني ص٢١٩ والفخري ص٢٢١ وتاريخ مختصر الدول ص٣٤٩.

(١) سنجر بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي، سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، خطب له بالعراق والشام والجزيرة وأذربيجان وديار بكر والحرمين. تولى المملكة نيابة عن أخيه بركياروق، ثم استقل بها سنة ٥٢٢هـ، حارب الغز وأسروه، ثم تخلص بعد مدة، توفي سنة ٥٥٢هـ، بعد وفاته استولى خوارزم شاه على أكثر مملكته. انظر: كامل ابن الأثير في مواضع متفرقة من الجزئين ٨ و٩ ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٧ والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٧١.

(٢) يسرّ حسواً في ارتغاء، مثل يقال للذي يظهر أمراً ويريد غيره، الميداني ٢/ ٤١٧.

(٣) من الواضح أن الأمر اختلط على المؤلف، أما سنجر فإنه توفي سنة ٥٥٢هـ، بعد وفاة الخليفة، وأما الذي مات من سلاطين السلاجقة أيام المسترشد فهو السلطان محمود وملك بعده ابنه داود سنة ٥٢٥هـ وخطب له ببلاد الجبل وأذربيجان، وسار سنجر إلى تبريز وأخذها ثم اصطلح مع ابن أخيه داود واستقرت السلطنة بالعراق لمسعود سنة ٥٢٦هـ، ومسعود هو الذي حارب المسترشد واعتقله ولم يرضى بذلك عمه سنجر فكتب إليه يطلب منه الاعتذار إلى الخليفة واعادته مكرماً إلى بغداد. انظر: كامل ابن الأثير ج٨ في مواضع مختلفة منه.

(٤) البو: جلد الحوار، يحشى تبناً ويقرب من أمه لتدر عليه.

بعد ذلك بأيدي الباطنية، وأُوْرِدَ أجن المنية، قتل بأرض الأعاجم وَدَخَلَ عليه الأجل المهاجم، وكانت قتلته بحي أصفهان القديمة، وثوت بها ركائبه المقيمة، وكان يمنّي نفسه الاستقلال بالخلافة من غير تشريك، ولا مزاحمة تكون لمليك. وكان المسترشد ينشد عند تزايد كربه وترافد الرجال في حربه:

أنــا الأشــقــر الـمــوعــود فــي الـمــلاحــم[١]

وكان هكذا، أشقر أبيض، كأن لؤلؤاً على صفحاته ترقّص، وأتى نعيُّهُ بغداد، فأظلم جوّها لملمّ مماته، وأظلَّ أهلها غم وفاتِهِ، وارتجّت لمهلكه أكناف العراق، وفاضت دجلة بالدموع التي تُراق، ولم يبق بها ناحية إلا وبها نائحة، ولا جارحة إلاّ وفيها جارحة، لما فقدت من بعد سوفهِ، وعدلٍ أمات العدوّ بخوفه.

وحكى مؤيد الدولة أسامة بن منقذ[٢]، قال: كان المسترشد يلحق بالصدر الأول من سَلَفِهِ في علوّ الهمّة وحسن السيرة والإقدام العظيم، فإنه لما التقى هو وعماد الدين زنكي[٣] بن آقسنقر في المصاف بعقرقوب[٤] وأنا حاضر المصاف، ضرب له خيمة من أطلس أسود[٥]، ووضع له فيها تخت وحَبَسَ عليه، والخيل تطرد فكسر عسكر زنكي في يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمئة، فاستولى على ما فيه وانهزم زنكي إلى الموصل، وذلك الإقدام سبب تلفه، وأنشد القاضي جمال الدين محمد بن واصل للمسترشد[٦]: [من الطويل]

أنا الأشقر الموعود بي في الملاحم ... ومن يملك الدنيا بغير مزاحم

---

(١) الشطر له في تاريخ الخلفاء ص٤٣٣ وبعد: ومَنْ يملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضى ... بأقصى بلاد الصين بيضُ صوارمي

(٢) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن منقذ الكناني، مؤيد الدولة من آل منقذ أصحاب قلعة شيزر، ولم تزل بأيديهم حتى زلزلت فتفرقوا عنها وأخذها نور الدين زنكي، وكان أسامة من رجال آل منقذ وشجعانهم، شاعراً أديباً، ولد سنة ٤٨٨هـ وتوفي سنة ٥٨٤هـ. ودفن بدمشق وله مصنفات منها كتاب الاعتبار. انظر: الخريدة (قسم الشام) ١/ ٤٩٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٧٥ ومعجم الأدباء ٥/ ١٨٨ والوافي بالوفيات ٨/ ٣٧٨.

(٣) عماد الدين زنكي بن آقسنقر، الملك المنصور عماد الدين، صاحب الموصل، كاتبه السلطان مسعود وأمره أن يسير إلى بغداد ومعه دبيس بن صدقة ويستوليا على العراق، فسار إليهما الخليفة وقاتلهما وهزمهما سنة ٥٢٦هـ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٢١ ووفيات الأعيان ٢/ ٧٩ والروضتين ١/ ٢٧ وكامل ابن الأثير ٨/ ٣٣٧.

(٤) كذا في الأصل، وهي عقرقوف قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد اربعة فراسخ (ياقوت - عقرقوف).

(٥) اطلس: ضرب من الأكسية أسود.

(٦) الأبيات في تاريخ الخلفاء ص٤٣٣.

/١٧٦/ ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

ثم إن المسترشد حاصر في العشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة مدينة الموصل[١]، فقصد باب المسترشد جماعة من الأمراء السلجوقية وخدموه وقوي بهم، واتفق انشغال السلاطين بالخلف[٢] الواقع بينهم، فأرسل المسترشد أبا الفتوح الأسفراييني[٣] الواعظُ إلى جمال[٤] الدين زنكي برسالة فيها خشونة، وزادها أبو الفتوح زيادة في الجِبْةِ[٥]، ثقةً بقوّة الخليفة وناموس الخلافة، فقبض عليه عماد الدين زنكي وأهانَهُ، ثم دام الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر، فلم يظفر منها بشيء، فعاد إلى بغداد.

وحكى الأمير سديد الدولة أبو محمد الأنباري[٦] كاتب الإنشاء، قال: وقع بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وبين المسترشد خُلْف، وخرج المسترشد لقتاله مرتين وكُسر، فلما مات السلطان محمود، وولي أخوه السلطان مسعود بن محمد استطال نوابُه بالعراق، وعارض الخليفة في خاصه، فدخل إليه الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي[٧]، وكمال الدين صاحب المخزن وأنا معهما، وكان المسترشد قد طرد نواب السلطان عن البلاد، ورتب صاحب المخزن للنظر في المظالم، فلما دخلنا قال له الوزير: يا مولانا في نفس المملوك[٨] شيء، فهل يؤذن له في المقال؟ فقال: قلْ، فقال: إلى أين نمضي وبمن نعتضد، وإلى مَنْ نلتجي، ومقامنا ببغداد

---

(١) انظر الخبر في كامل ابن الأثير ٨/ ٣٤٠ ومختصر تاريخ الدول ص٣٥٣.

(٢) في الأصل: بالحلف، والتصويب عن كامل ابن الاثير ٨/ ٣٤٠.

(٣) أبو الفتوح بهاء الدين الإسفراييني الواعظ، انظر خبره في الكامل ٨/ ٣٤٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب عماد الدين.

(٥) في الأصل: الخيّة.

(٦) في كامل ابن الأثير ٩/ ٨٤: سديد الدولة، أبو عبد الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الأنباري، كاتب الإنشاء بديوان الخلافة، وكان فاضلاً أديباً ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين، وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة إلى الآن (سنة سبع وخمسين وخمسمائة وهي سنة وفاته) في ديوان الخلافة حتى قارب تسعين سنة وهو من الشعراء المشهورين إلاّ أنه كثير الهجو.

(٧) أبو القاسم، الشريف علي بن طراد بن محمد العباسي، وإنما عرفوا بالزينبيين نسبة إلى أمهم زينب بنت سليمان بن علي، استوزره المسترشد وخرج معه لقتال مسعود السلجوقي فلما قتل الخليفة حظي الوزير عند السلطان مسعود، وعاد معه إلى بغداد وعمل معه على خلع الراشد وإجلاس المقتفي، ثم وزر للمقتفي، إلا أن حالته اختلت إلى أن توفي سنة ٥٣٨هـ، وكان شجاعاً جريئاً من كبار الوزراء. انظر: الفخري ص٢٢٤ والوافي ٢١/ ١٥٥.

(٨) في الأصل: اللوك.

أمْكنُ لنا، ولا يقصدنا أحد، والعراق ففيه لنا الكفاية، فإن الحسين بن علي عليهما السلام لما خرج إلى العراق جرى عليه ما جرى ولو أقام بمكة ما اختلف عليه أحد من الناس، فقال لي الخليفة: ما تقول يا كاتب؟ فقلت: يا مولانا الصواب المقام وليت العراق يبقى لنا، فقال لصاحب المخزن: يا وكيلي ما تقول؟ فقال: ما في نفسي، فأنشد الخليفة قول المتنبي[1]: [من الخفيف]

/١٧٧/ وإذا لـم يكـن مـن الـموت بـدٌّ فـمـن الـعـجـز أن تـمـوت جـبـانـا

وخرج وخرجنا معه، فلما قاربنا همدان وقع المصاف بين الخليفة والسلطان مسعود بن محمد بمكان يسمى داي مرك[2] قريب من همدان، فلما اصطفّت العساكر فرَّ من معسكرنا جميع الأتراك إلى ناحية السلطان، ثم وقع القتال فانهزم الخليفة وأرباب المناصب، وحُمِل الوزير[3] وصاحب المخزن[4] وأنا ونقيب العلويين[5] إلى قلعة سرجهك[6] قريب قزوين، وبقي الخليفة مع السلطان، وسار معه في بلاد أذَرْبيجان إلى أن وصلوا إلى مراغة، فهجم على الخليفة ثلاثة نفر[7] من الملاحدة والباطنية وهو في خيمته، فقتلوه، وقتلوا معه ابن سكينة، وكان يصلي به، وذلك يوم الخميس لأربع[8] بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، فلما قتل الخليفة أظهر السلطان مسعود الجزع العظيم، والحزن الكثير، ودُفن الخليفة بمراغة ووصل الخبر بذلك إلى العراق، فحزن الناس عليه حُزناً عظيماً، وبويع بالخلافة ولده الراشد[9] ببغداد، واستقرّت خلافته بها.

وذكر الشريف الغرناطي: أن المسترشد عهد إلى الراشد حين بَلَغَ وأنه بلغ تسع سنين، وإنه لو كان يمكن أعادها سفّاحيّةً منصوريةً.

---

(١) ديوانه: ص (طبعة صادر).

(٢) في الكامل ٨/٣٤٨: دايمرج.

(٣) شرف الدين علي بن طراد الزيني، كما في الكامل.

(٤) أبو الفتوح بن طلحة كما في مختصر ابن الكازروني ص٢٢١.

(٥) علي بن عمر كما في مختصر ابن الكازروني ص٢٢١ توفي بسرجهان سنة ٥٣٠هـ. انظر المنتظم ١٠/٦٢.

(٦) في الكامل: سرجهان.

(٧) في الكامل ٨/٣٤٨: قصد أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية.

(٨) في الكامل: وكان قتله يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة.

(٩) في الأصل: الرشيد.

قلت: ثم قدم السلطان توريز[(١)]، وضرب عنق دبيس[(٢)] بن مزيد صاحب الحلة.

قال ابن الأنباري: لما قتل المسترشد أحضرنا السلطان مسعود، وقال ما التدبير في أمر الخلافة، وبمن ترون؟ فقال الوزير[(٣)]: الخلافة لوليّ العهد، يعني الراشد، وقد بايعه الناس ببغداد وجلس واستقر، وبويع له مِنْ قبل أبيه بولاية العهد، وبويع له الآن بالخلافة، فقال السلطان: ما لي إلى هذا سبيل أبداً، ولا أقرّه عليها، فإنّه تحدثهُ نَفْسُهُ بالخروج مثل أبيه، كان قد خرج على أخي محمود مرتين وعليَّ مَرَّةً وهذه أخرى، فتمَّ عليه ما تمَّ، وبقيت علينا شناعة عظيمة وسُبَّةٌ إلى /١٧٨/ آخر الدهر، فإنه يقال: قتلوا الخليفة، وهم كانوا السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت، ولا أريد أن يلي الأمر إلاّ رجل لا يدخل في غير أمور الدين، ولا يجند، ولا يجمع، ولا يخرج عليَّ وعلى أهل بيتي، وفي دار الخلافة جماعة، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقلٍ ورأي وتدبير يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا، ولا يخرج من دارِهِ، قال ابن الأنباري: وأرسل السلطان مسعود إلى عمه السلطان سنجر بن ملكشاه يستشيره فيمن يولّي الخلافة، فأرسل إليه: لا تولّ الخلافة إلاّ من يضمنه الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء، فلما وصل السلطان همدان اجتمع بنا وأشار بهرون[(٤)] بن المقتدي، وعَرَّفنا بما أمَرَهُ به عمّه السلطان سنجر، فقال الوزير: إذا كان الأمر يلزمنا فنحن نولّي من نُريد، وهو الزاهد الدِّين، الذي ليس في الدار مثله، فقال السلطان: مَنْ هو؟ فقال: الأمير أبو عبد الله محمد بن المستظهر، فقال: وتضمن ما يجري منه، فقال الوزير: نعم، وكان الأمير أبو عبد الله صهر الوزير على ابنته، وإنها دَخَلَتْ يوماً الدار في خلافة المستظهر، فرآها الأمير أبو عبد الله فطلب من أبيه تزويجها، فزوّجَهُ بها، فدخل بها وبقيت عنده، ثم توفيت، فقال السلطان: ذلك إليكم، وكتموا الحال

---

(١) كذا في الأصل، يريد تبريز وفي الوافي ١٣/ ٥٠١: قيل أنها كانت على باب خوي، وقيل على باب تبريز.

(٢) دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، أبو الأعز ابن سيف الدولة صاحب الحلة، تمكن في خلافة المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق، وخدم السلطان مسعود السلجوقي إلى أن قتله سنة ٥٢٩هـ، وكان دبيس من كبار الملوك، أديباً شاعراً كريماً ممدحاً. انظر: الوافي بالوفيات ١٣/ ٥٠٧ والخريدة (شعراء العراق) ج٤ ق١/ ١٧٠ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٧ والوافيات ٢/ ٣١ والمنتظم ١٠/ ٥٣ والشذرات ٤/ ١٠.

(٣) يريد به علي بن طراد الزينبي.

(٤) كذا في الأصل، وهو وهم إذ إن هارون بن المقتدي توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر مختصر ابن الكازروني ص٢١٣.

لئلاّ يشتهر الأمر فيقتله الراشد، ثم رحل السلطان والجماعة نحو بغداد[١].

فأما الراشد فإنه لما بويع ببغداد بالخلافة بعد مقتل أبيه المسترشد بالله أرسل إلى الأمير عماد الدين زنكي بن آقسنقر يَسْتَدْعيه يحدّثه وضمن له أن تكون السلطنة والملك للملك ألْب أرسلان بن محمود بن محمد ابن ملكشاه الذي عند أتابك، وأن تكون أتابكة السلطنة والخلافة بحكم عماد الدين[٢].

ثم:

[٣٠]

دولة الراشد[٣] بالله، أبي جعفر منصور بن الفضل المسترشد

وكان بأبيه يسترشد، وعلى نحو ما قرره يحل ويعقد، /١٧٩/ ويعد وينقد، ووجد لملهك أبيه ما لا قدر يملك ناره، ونسب إلى مسعود بن محمد قتلته، وأنه الذي قرّر غيلته، وهو لا يجد سبيلا، ولا يستجدّ قبيلا، خشية أن يتفطّن لمراميه فَيُعاجل قبل إبرامِهِ، ثم صرفَهُ القدر عمّا أراد، وأبكى السيف والنجاد، وبويع بعد أبيه المسترشد، وكأنه لتأبيه لم ينشد، وضلالته لا تعان بوليٍّ مرشدٍ، وضالّته لا تُعرف لناشد، ولا ينشد، فكان يبيت على مثل حسك السعدان ويتململ كلما حضر الأبردان، وفطنت الملوك لما تتناجى به وساوِسُهُ، وتتنادى به ضمائره وهواجِسُهُ، وكان طائشاً عجولاً، يركب معارف وهجولا[٤]، فخافت ابتداره، وخشيت إذا تمكن اقتداره، لأنه أسدٌ أُهِيج، وأرقم حُرِّك لأمْرٍ مُرِيج، فما تمكن ولا تفرّغ لأن يساور ولا يلدغ، بل خُلع خَلْع الرداء، وألْقى إلقاء الدارع للأمة الحصداء[٥]، وأثبت عليه محضر بأنه فَسَق، ولولا الملّة لقالوا إنه مَرَق، وفارق الدين وقطع حبله من حيث

---

(١) انظر خبر اختيار أبي عبد الله محمد بن المستظهر في الفخري ص٢٢٦ والكامل ٨/ ٣٥٤.

(٢) انظر تفاصيل الخبر في كامل ابن الأثير ٨/ ٣٥٢.

(٣) الراشد بالله، منصور بن الفضل المسترشد بالله، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٥٢٩هـ، وكان المستولي على الملك في أيامه مسعود السلجوقي، فقدم بغداد سنة ٥٣٠هـ، ففارقها الراشد إلى الموصل، فأخذ مسعود فتولى الفقهاء بخلعه وتعيين أبي عبد الله محمدبن المستظهر بالله، عم الراشد، أما الراشد فرحل إلى مراغة، ومنها إلى الري، وما زال يتنقل إلى أن اغتاله الباطنية على باب أصفهان سنة ٥٣٢هـ. انظر كامل ابن الأثير ٨/ ٣٤٨ وما بعدها ومختصر ابن الكازروني ص٢٤ والفخري ص٢٢٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٣٦.

(٤) الهجول: الكثير الأسفار.

(٥) اللأمة: الدرع، والحصداء: الواسعة، والكثيرة الورق، أراد اداة الحرب الكاملة.

رقّ، وقد تقدّم في ترجمة أبيه المسترشد الخبر الغريب في سرعة البلوغ مبالغ الرجال، وما كان من مبايعته بعد مقتل أبيه، وإباء السلاجقة له لإفراط خوفهم منه وجرأة الراشد وتسرّعَهُ وحدّة نفسه، وأهمّ السلاجقة أمره، وجعلوه نصب عينهم، ومن الغريب أن المسترشد كان قد أعطاه عدّة جواري، فحملت منه جارية حبشية صفراء، وهو إذ ذاك ابن تسع سنين، فأنكر المسترشد هذا، ثم أَمَرَ بأن يطأ جارية حُملِّت قطناً، فوطأها، فلما قام عنها أخرج القطن وعليه المني، فأرى المسترشد ثم أمر بأن يُفْعل كذلك في جارية أُخرى، فكان الأمر كذلك، فحينئذ أيْقَنَ ببلوغه، وألْحَقَ الولد. ثم:

[٣١]

دولة المقتفي[١] لأمر الله، أبي عبد الله محمد بن أحمد المستظهر

كان مما يبطن خلاف ما يظهر، كان يظهر قبل مصير الخلافة إليه / ١٨٠/ الانقطاع والعبادة، وملازمة السجود والسجادة، مع سوء معتقد وطويّة، وقبح عقد ونيّة، وظلْم لا يأمَنْ معه بريء، وتسلّط كالأسد الجريء، لم يكُنْ فيه ثراءٌ للمعتفي، ولا كان لأمر الله المقتفي، بل كان يتخفّى ببوائقهِ، ولا يختفي، ويخرج ويشره إلى خارج قصْرِهِ ولا يكتفي، وهو مع ذلك يصانع ويُداري، ويستر العار بالعواري، ولا يظهر له من ريبةٍ ثوباً، ولا ينتظر له بتوبةٍ أوْباً، بل هو في دَنَسٍ لا يَنْقى، وذنوب لا توقّى، وملازمة زخارف لا تبقى، وسماع ملاهٍ يلقى بين ضروب ملاح بريقها يُسقىٰ، ولهيب راح لا يصْلاها إلا الأشقى، هذا إلى ما فيه من نكوبٍ عن الرشاد، ونكولٍ عما شيّد سلفُهُ وشاد، ولم يكن بعيداً من أبيه المستظهر في مواصلة اللهو ومواقيته، والخمر وترصيع أوانيهِ بيواقيتهِ، لكنه كان يزيد عليه بأنه كان ظالماً عسوفا، حاكما جائراً عنيفا[٢]، طالَتْ مدّتهُ وثقلت، وقطعت أعمار الخلق حتى انقصَلَتْ، هذا كلُّهُ وعارضُهُ أشيب، وقَدْ آن له على أنّهُ أُيِّدَ من عون الدين أبي المظفر يحيى بن

---

(١) المقتفي لأمر الله، بويع له سنة ٥٣٠هـ بعد خلع الراشد، والأمور بيد السلاجقة، إلا أنه استطاع بعد موت السلطان مسعود من استلام زمام الأمور، وكان حازماً شجاعاً يقظاً، باشر الأمور بنفسه، توفي سنة ٥٥٥هـ. انظر: كامل ابن الأثير ٨/ ٣٥٤ ومختصر ابن الكازروني ص٢٢٩ والمنتظم ١٠/ ١٦ ـ ١٧٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٣٧ والوافي بالوفيات ٢/ ٩٤ وتاريخ مختصر الدول ص٣٥٧ والفخري ص٢٢٧.

(٢) على أن مصادر ترجمته وصفته بغير ذلك، وكذلك فعل المؤلف في آخر أخباره، قالوا: كان من سروات الخلفاء عالماً ديناً شجاعاً حليماً دمث الأخلاق كامل السؤدد قليل المثل في الخلفاء لا يجري أمر في دولته وإن صغر إلا بتوقيعه: انظر تاريخ الخلفاء ص٤٤٠ وهو ينقل عن الذهبي والوافي ٢/ ٩٤.

هبيرة[١]، بوزير لا يصادمه شيئان، رأيُهُ وصارِمُهُ، وشتان مواصله ومُصارِمُهُ، ما قرر مثله أبو مسلم في خراسان، ولا فَعَل نظيره في الأندلس عبد الرحمن، ولا قام مثله في أوّل الدولة فتى شيبان، ولا في مملكة الفرس رستم بن دستان، ولا سلك إلا سبيل آصف مع سليمان، فكان نعم العون في منع الصون، فقد كان يجهد ولا يعيا، ويُميت الأعداء وهو يحيى، فَسَتَر عوار المقتفي وواراه، وقدح زناد سعادتِهِ وأوْراه، حتى وطيّء ملوك آل سلجوق، ووطّد ملوك الدول ودوَّخها، ومحا بصباح رأيِهِ آية ليلها وَنَسَخَها، فأعاد إلى رؤوس الدولة العباسية نَخْوَتَها، وأعَزَّها شيّماً، وبقيَّةُ قريش احوتها[٢]، ثم مات المقتفي، وقام بعده ابْنُهُ أبو عبد الله محمد، وتلقّب بالمأمون، فما تمَّت بيعتُهُ[٣]، ولا سالمته المنون، عاش بعده / ١٨١/ نحو شهر وما كمله، ولا تمّ له منذ ذكر ما أَمَّلَه، بل لم يزل الحبلُ محمولاً[٤] على غاربه، وطرفه بيدِهِ والطرف الآخر بيد جاذِبِهِ، حتى بويع أخوه المستنجد، ودفع الأمر إلى المنجد.

قال ابن الأنباري: ولما كان يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة، مضينا مع الوزير ابن طراد الزينبي إلى دار السلطان مسعود بن محمد ونحن معه، فأخَذَ السلطان خطوطنا بالضمان، ثم أصْبحنا فحضرنا عند الأمير أبي عبد الله محمد بن المستظهر وشرطنا عليه مطاوعة السلطان على ما ضمنّاه عليه، فرضي به، ثم مضينا إلى السلطان فأَعْلَمناه بما كان، فأمر بمبايعته، فلما كان من الغد صعدنا إلى الدار فأخرجنا منها اشياء لآلات الغناء وما لا يليق، وشهد جماعة من أهل الدار أن الراشد كان يشرب الخمر، فأفتى الفقهاء بخلْعِهِ، وحكم القضاة بذلك فخلعوه، ودخلْتُ إلى الأمير أبي عبد الله محمد أنا والوزير وصاحب المخزن، وتحدثنا معه، وناولته رقعةً فيها ما يلقب به، فكان فيها المقتفي لأمر الله، والمستضيء بنور الله، والمستجير بالله، فقال الخليفة: ذلك إليكم، ثم قال لي

---

(١) أبو المظفر، عون الدين، يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد، ما زال يتنقل من خدمة إلى أخرى حتى ولي الوزارة للمقتفي، وكان من كبار الوزراء ذوي الرأي والدهاء، وكانت له يد في انهاء حكم السلاجقة في العراق، توفي سنة ٥٦٠هـ. انظر: الفخري ص٢٢٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٦٩.

(٢) كذا في الأصل، ولم أعرف لها وجهاً.

(٣) الذي عليه المؤرخون أن المستنجد في اليوم الذي مات فيه أبوه، وفي الكامل ٩/ ٦٨: كان للمقتفي حظية وهي أم ولده أبي علي، فلما اشتد مرض المقتفي وأيست منه أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والأموال الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو علي خليفة... إلخ ولم يذكر ابن الكازروني أبا علي فيمن ذكر من أولاد المقتفي، انظر المختصر ص٢٣١.

(٤) في الأصل: محمولٌ.

الخليفة: ماذا ترى؟ فقلت: المقتفي لأمر الله. فقال: مبارك، ثم مدّ يَدَهُ، فأخذها الوزير وقبّلَها، وقال: بايعت سيدنا ومولانا الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ واجتهادِهِ، ثم أَخَذَها صاحب المخزن وقبَّلَها وبايعه على مثل ذلك، ثم أَخَذْتُ يَدَهُ وقبلتها، ثم قلت: بايعتُ سيّدنا ومولانا الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين على ما بايعتُ عليه أباهُ وأخاه وابن أخيه في ولاية عهده، ثم قمتُ من عنده وَدَخَلَ الأمراء والقضاة والعلماء وأكابر الناس فبايعوه، ثم حَضَرَ السلطان مسعود عنده، وكلَّمَهُ المقتفي بكلام وَعَظَهُ فيه، ثم عَرَّفه ما يلزمه مِنْ طاعةِ الخليفة وأمَرَه بالرفق / ١٨٢/ بالرعية والإحسان إليهم، وخوَّفَهُ عاقبةِ الظلم فبايعه السلطان، وقبَّلَ يَدَ الخليفة، ورجع إلى دار السلطنة.

وأما الراشد فإنه أقام بالموصل مع عماد الدين أتابك زنكي، ثم أرسل زنكي إلى بغداد القاضي كمال الدين محمد بن الشهروزري[1]، فلما حَضَر قيل له: بايع أمير المؤمنين، فقال: أمير المؤمنين عندنا بالموصل، وله في أعناق الخلق بيعة متقدّمة، وطال الكلام، ثم عاد إلى مثله، فلما كان الليل جاءته امراة عجوز سرّاً، وأبلغته رسالةً عن المقتفي مضمونها عتابه، فقال: غداً أَخْدِمه خدمة يظهر أثرها، فلما كان الغد أحضرت إلى الديوان، وقيل لي في معنى البيعة، فقلتُ: أنا رجلٌ قاضٍ، ولا يجوز لي أن أبايع إلاّ بعد أن يثبت عندي خلْع المتقدم، فأحضروا الشهود، وشهدوا عنده بما أوْجَبَ خلعه، فقال: هذا قد ثبت ولكن لا بُدَّ لنا في هذهِ الدعوة من نصيب لأن أمير المؤمنين قد حصلت له خلافة الله في أرضه، والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده، فنحن بأي شيء نعود، فرفُع الأمر إلى الخليفة، فأمر أن يقطع عماد الدين زنكي صريفين ودرب هرون، وجرى ملكا، وهي من خاص الخليفة، وأن يُزاد في ألْقابِهِ، وقال: هذه قاعدة لم يُسمح بها لأحدٍ من زعماء الأطراف أن يكون له نصيب من خاص الخليفة، وعاد وقد حصل على جملةٍ صالحةٍ من الأموال والتحف، وكان المقتفي من ذوي الهمم العالية، والآراء السديدة، والسياسة الوازعة، من رجال

---

(١) كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر، قاضي القضاة، الشهرزوري، الموصلي الشافعي، تفقه ببغداد، وولي قضاء بلدِهِ، وكان يتردد إلى بغداد وخراسان رسولاً من أتابك زنكي، واتصل بنور الدين زنكي فولاه قضاء دمشق وأعمالاً أخرى أقره عليها فيما بعد صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة ٥٧٥هـ ودفن بجبل قاسيون. انظر: الوافي بالوفيات ٢/ ٣٣١ ووفيات الأعيان وطبقات السبكي ٤/ ٧٤ وخبره هنا في كامل ابن الأثير ٨/ ٣٥٥ والنجوم الزاهرة ٦/ ٧٨ وفيه أنه مات سنة ٥٧٢هـ.

بني العباس الأفراد، مكث في الخلافة أربعة وعشرين سنة، بها سبعة عشر سنة في مداراة الملوك السلجوقية، وسبع سنين وشهوراً مستبدّاً بنفسهِ، مقارعاً للسلاطين، قامعاً لمردةِ أُولئك الشياطين، مدوّخاً للبلاد، قامعاً للخوارج عليه، وحضر مصافات عدّة، وثبت في حصار بغداد، وكان ذلك شهوراً تجري في كل يوم منها مُصافات، وهو رابط الجأش، ثابت الجنان، منشرح الصدر، منبسط الأمل، وكان في نفسه /١٨٣/ قساوة وغلظة وأيّد بوزيره عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، وزره رابع ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهذا وزير لو كان كالوزراء لذكرته كأحدهم، ولكنه كان أجل، وفعلُهُ دليل عليه، وما ذكرته مع الوزراء في الانصاف إلاّ اسوةً لهم للتسمية، ولكنّه يُعد من عظماء الخلفاء، وكبراء الملوك، لِعظيم ما فعل، وجليل ما صنع، وهو الوزير الذي أنْطَقَ الدولة العباسية بعد الخرس، وأجرى في عودها الماء بعد اليَبَس: [من الكامل]

ومعرّف الخلفاء إنَّ حظوظهم ... في حيّز الإسراج والإلجام

فوري به زناد المقتفي، وشدّ أزْرِهِ فيما كان يعتلج في صدرهِ، يتمناه من علو قدره، ولم يزل يسحب[1] الدولة السلجوقية سحب المبادرة ويديف[2] لها في أري النحل سمَّ الأساود، وينبّه ولاة الأطراف على ما فرض الله عليهم من نصر الأئمة، ويوقظ مصابيح بصائرهم في كشف ليالي الفتن المدلهمّة، ويؤنبهم على ما قنعت به هممهم الدنيّة، وما غشيهم من الذلّ والصغار في طاعة السلجوقية، حتى شَذَبَ عن دولة العجم من كان ينصرها على الخلفاء، ويفعل في تفريق تلك الجموع ولا فعل قصير مع الزبّاء، حتى صار كل مَن كان للسلجوقية على الخلافة عوناً، قد أصبح للخلافة على مَنْ عداها عَيْناً، وهو لا يسلك في ذلك إلاّ المسالك المرضية، ولا يدعوا إلاّ بالنصائح الوعظيّة، ولا يحض على نصر كتاب الله وسنّة نبيّه المثلى ولا يبعث الهمم إلاّ لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخضع بالقول فيطمع الذي في قوله مرض، ولا يُرسل سهْمَ قولٍ فيقنَعْ بما دون الغَرَض، ولا يغضب إلاّ لانتهاك محارم الله وتعدّي حدوده، ولا ينهى عن منكرٍ إلاّ محذّراً لمرتكبه من عذاب الله ووعيده، ولا ينجح له سعيٌ فَيَنْسِب النعمة إلى غير الله تعالى، ولا يقوم مقاماً فينسب له مع التبرير مقالاً، ولا /١٨٤/ فعالاً، ولا رؤي ولا سُمِع برجلٍ وليَ عظائم الأمور

(١) في الاصل: الكلمة غير معجمة، وقرأتها يسحب، ولعلها يشخت، ومعناه يضعف ويقلل من شأنها.

(٢) في الأصل: ويدلف وهو تصحيف.

الدنيوية والممالك السلطانية، ، هزم الجيوش خائضاً لغمراتها، معرضاً وريده لاستنهاء وطباتها، كان أشدّ تبرِّياً إلى الله من حوْل نفسِهِ وقوتها منه، ولا أكثر اعترافاً بفعل الله فيه فيما يصدر بالمباشرة عنه، فما ادعى لنفسه فعلاً ولا قولاً، ولا اعتقد لها قوةً ولا حولا، لكنّه يذكر كفاية الله التي جَبَرَتْ نقصه، وقوّمَتْ خطأه، وقدَّمت على المشرفيّة سطاه، ويقول: ما رأيت في هذا الأمر الذي لابسته أَنْفَع من دعاء وجدته في مجموع لابن سمعون[١] ولا أبلغ من ذكر رأيته في كتاب فضائل الأعمال لابن أبي الدنيا[٢]، ولا كان في قلبي أَوْثق من ركعاتٍ تعلّمتها من فلان المجاور بجامع المهدي.

وذكر الوزير أبو غالب[٣] عبد الواحد بن مسعود الشيباني بهذا وقال: لقد كان لهذه المحاسن من أفعالِهِ وأقوالِهِ هيئة وصنعة، ولا تنهض العبارةُ بأدائها، ولا تؤدي الحكاية جزاءً من أجزائها، وللصدق عليها شواهد من جنس ما تسمّيه الصوفية ذوقاً لا يدركه إلاّ مَنْ خالطَهُ ورأى هديه وسكينته وخضوعه لله واستكانته واعزازه بالله في كل مقام تتخاذل فيه القوى وتنقصم فيه إلاّ مَنْ استمسك بالله العُرى: [من الكامل]

وهو مع الله على علاّته ... ماضٍ مضاء المشرفيّ الصارمِ

وقصد السلطان مسعود بن محمد بغداد سنة خمس وأربعين وخمسمائة وتلقّاه ابن هبيرة إلى النهروان، وأبلغَهُ سلام الخليفة واستبشاره بمقدمه وانتظاره لتقدّمه، ثم عاد وقد ملأ الصدور بما شاهده أرباب الدولتين من قوّة جنابِهِ وطلاقة لسانِهِ ومهابته التي ظهر على السلطان مسعود إعظامها، وهان عليه ملك ممالك أهل بيته ونظامها.

وقال ابن الفضل: [من الطويل]

ولما رأى السلطان عزتك التي ... هي السعد أغشاه عن اللحظ نورها

---

(١) ابن سمعون، محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين البغدادي، الواعظ، ولد سنة ٣٠٠هـ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ، كان خطيباً واعظاً، دوّن الناس حكمه وجمعوا أقواله، انظر: وفيات الأعيان وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٤ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٩٨ والوافي بالوفيات ٢/ ٥١.

(٢) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد القرشي الأموي، مكثر من التصنيف، أدب الخليفة المعتضد ثم ابنه المكتفي، توفي سنة ٢٨١هـ. انظر: فوات الوفيات ١/ ٢٣٦، وتاريخ بغداد ١٠/ ٨٦.

(٣) أبو غالب عبد الواحد بن مسعود بن عبد الواحد، الشبياني، تولى النظر بواسط وأعمالها، وعزل فدخل الشام ومصر وخدم الملوك بهما، وعاد إلى حلب وخدم الظاهر ابن صلاح الدين، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٩٧هـ، وكان كاتباً بليغاً، محمود السيرة سمع الحديث من والده وغيره.
انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٣٠١ ومختصر ابن الدبيثي ٣/ ٧٤ والتكملة للمنذري ٢/ ٢٩٦ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٧٦.

وما زال من فرط المهابة مطرقاً بعينيه حتى ما يكاد يديرها

/ ١٨٥/ ثم باكر إليه ثاني يوم دخولِهِ مهنئاً بالاستقرار والإياب، الذي قرَّبَهُ القرار، ثم خطب خطبة أبْلَغَ فيها موعظة السلطان وتذكرته بآخرتِهِ، وتمثل مقامه بين يدي الله عز وجل ومساءلته، وعدّدَ له ما فرض الله عليه لخليفته وخليقته، وما طوقه من محار الملك دون حقيقتهِ، وشرح المظالم التي يلزمه إثْمها، وإن غاب عنه علمُها، ويُناط به وِزْرُها وإن خفي عنه أمرها، وختم ذلك بدعاء له بالصلاح والهداية، والنجاح والكفاية، فظنّ كل مَنْ حَضَرَ ذلك الموقف أنه لا يَسْلَم من بطشِهِ، ولا يسأم من إثارة البلاء له ونبشِهِ، توهَّم قومٌ إن موجدته منه ستتعدّى إلى الخليفةِ ضررُها، ويستطيل في الدولة شَرَرُها، فلما استتم كلامه، رفع السلطان طرفه (وقال): عهدي بعيدٌ بسماع هذا الكلام، وإن أرجو أن تظهر عليَّ بركتُكَ، فلا تقطع عنّي تذكيرك في كل وقت، وانصرف، وأتبعه السلطان بحلل وقماش وخيل ومماليك أتراك وجارية تركية، فوصَلَتْ إليه الهدية وهو جالس في داره بين سمّار مجلِسِهِ وحضّارِهِ، وفرّقها كلّها عليهم، ولم يُمسك لنفسِهِ شيئاً سوى الجارية، ثم بعث إليه هديّةً يسيرةً لا يكون لبعضها مجازية وقصد البقش كونخر[1] في أمراء السلجوقية، فسأل المقتفي، فخرج إليهم ومعه ابن هبيرة، وبانَ فيها من هذا الوزير وإقدامِهِ، وزئير ضرغامِهِ لا صرير أقلامه، صدور ما أقام الهيبة في صدور الأعداء، وحَسَمَ الداء بالداء، فإنه خاضَ تلك الحروب وتلقّى الأسنّة بنحره، يُرتّب الميامن والمياسر، ويُبّوىء مقاعد الحرب بين يديه تلك العساكر، شاهراً سيفه بجأشٍ رابط، وعزمٍ ضابط، وطليعة كل نجم صاعد لاهابط، بتدبير صائب، وتدمير على الأعداء لا يرعى صحبة صاحب، وكانت النصرة للخليفة وعساكره، وترددت بُرَد التهاني ببشائره، ونهب عساكر الخليفة ما لا يتناوله الحصر، ولا يتناوله / ١٨٦/ إلا النصر.

قال الوزير أبو غالب: حتى كان الفرس الجيّد يباع ببغداد بدينار، والبغل الجيّد بدينارين، فأما الغنم فبلَغَتْ كل عشرين شاة بدينار، ودامت بهذا الرخص والكثرة نحو شهرين، ثم عاد الخليفة وقد خشع بَصَرُ الأعداء لمهابتهِ، واتسع أمَلُهُ باعتزاره على العدو وإهانته.

---

(١) البقش كونخر، من امراء مسعود السلجوقي، فارتد مع جماعة من الأمراء ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود السجلوقي، فلما وصلوا حلوان، ارسل لهم الخليفة رسولاً يرجعوا، فواصلوا سيرهم حتى بلغوا بغداد، فقاتلهم الخليفة بأهل بغداد، فقتل منهم خلق كثير، ثم ترددت الرسل بينهم وبين الخليفة، فاعتذورا وعادوا إلى النهروان، ونهبوا وقتلوا، ثم تفرقوا، كان ذلك سنة ٥٤٣هـ، انظر كامل ابن الثير ٢١/٩ وما بعدها.

ثم في سنة خمس وخمسمائة[١]: وصل سليمان[٢] شاه بن محمد شاه إلى خدمة المقتفي ملتجئاً إليه فأكرمه ووسَّع ضيافته، وصدق قي قبوله تفرّسه وعيافته، ومال الخليفة إلى تمليكه، ولم يكن ذلك من رأي ابن[٣] هبيرة، وعاود الخليفة فيه مراراً، وقال: هذا أمرٌ دفع الله عن الخليفة شرّه، وكشف عنهم ضرّه، فلا تجدّد ما اطمأنت النفوس على تعطيله، وسكنت إلى ما جهدت في تبطيلِهِ، فقال الخليفة هذا قد لجأ إلينا، وسَلَكَ غير مذاهب أهل بيته في الاستكانة والخضوع، ولو أراد جمع عسكراً وفساداً في الأرض لقدر عليه، وحيث قد أتى الأمر مِنْ بابه، فلا بُدَّ من إجابته، فاستدعي إلى دار الخلافة، وجلس له الخليفة جلوساً عاماً في مجلسٍ عظيم. حَضَره ارباب الدولة والمناصب والأمراء والخدام والقراء والفقهاء كلُّهم متأهبون بالسواد، وجَلَس الخليفة من وراء شباك، وقام ذلك الجمع بين يديه سماطين طويلين، وقف الوزير ابن هبيرة على كرسي بين يدي الخليفة، وحضر سليمان شاه، فقبّل الأرض ثم عَدَلَ به إلى بيتٍ أُفِيضتْ عليه الخلع فيه بالطوق والسوارين والتاج والخلع التامة، وقدم له فرس الخليفة بمركبه، وقلّد بسيفين وعُقد له لواءان، وأُقيمت له الخطبة على منابر ولاية الخليفة كلّها ولقب[٤] بغياث الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين، وعاد إلى دار السلطنة التي بأعلى بغداد، وحمل الخليفة إليه من الثياب والمال والخيل والبغال والجمال والأعلام والسلاح مالا حَدَّ له، وكذلك حمل إليه الأمراء.

وكانت وفاة المقتفي بعلّة التراقي، وهو خرّاج من كتفيه مكث به /١٨٧/ خمسة وعشرين يوماً، ومات في يوم الأحد ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ودفن ثاني يوم، وصلى عليه ابن هبيرة.

ومما يحكى أنه كان قد أخرج عشر جباب أطلس لتطوى من المخزن المقتفوي، فسلمت إلى المطري، ولم تثبت في دساتير الديوان وسهوا عنها حتى طُلبت في السنة الثالثة، فأحضر المطري، وتُوِعد وهُدد، فاعترف بأنه باعها وجهّزَ بها بنتين له، فكتُب

---

(١) كذا في الأصل: والصواب احدى وخمسين وخمسمائة. انظر: الكامل ٩/٤٨.

(٢) سليمان شاه ابن أخي سنجر وولي عهده، فلما أسر الغز سنجر وضعف سليمان عنهم، مضى إلى خوارزم شاه، فقربه ثم أبعده، فجاء إلى أصبهان فمنعه شحنتها من الدخول فمضى إلى قاشان فسير إليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكراً فأبعدوه عنها فسار إلى خوزستان فمنعه ملكشاه عنها، ثم حبسه نائب قطب الدين مودود بن زنكي عن الموصل، ثم أطلق فمضى إلى البندنيجين وراسل الخليفة، فأذن له في القدوم إلى بغداد سنة ٥٥١هـ. انظر الكامل ٩/٤٨.

(٣) في الأصل: ابي.

(٤) في الأصل: وبعث وهو تصحيف.

إلى المقتفي فوقع لهم: لا ذنب للذيب حيث افترس، وإنما الذنب للراعي حيث نعس، والذي صرفها المطري في حقه، أحقّ من أربابها، فيفرج عنه، ولا يتعرّض إليه والسلام.

قال ابن واصل: كان المقتفي فاضلاً حسن العقيدة، وله شعر حسن من جملته:
[من السريع]

قالَتْ أحبّك قلت كاذبةٌ غُرّي بذا مَنْ ليس ينتقد
قالت: فما أدراك؟ قلت لها: الشيخ ليس يحُبُّه أَحَدُ

ثم:

[٣٢]

دولة المستنجد بالله[١]، أبي المظفر يوسف بن عبد الله المقتفي

كان أبوه احتفر أوزارها، واحتقب شملتها[٢] وإزارها، لم يهب أن هجر الفحشاء أوْزارها، ولا خاف مهاجمة الأسود أو زارها[٣]، تحلّى بالعدل ولَزَمَه، وتجلّى في الويل كالأذمه، فلم يزل يكفر سيئات تلك الذنوب، ويغسل أدْناس تلك العيوب بالذنوب، إلى أن نسيت القروح، وأُسيت الجروح، وتداول الناس شكرا المستنجد، وتحدَّث به المغير والمنجد، فكأنما بعث للأدواء مسيحاً، ومن اللأداء مُريحا، وللآلاء مميحاً، وكان يتأمل القصص ويوقع عليها بيدِهِ لحقٍّ يحقه بكلماته، وباطلٍ يبطله بإزالة ظلاماته، يقوم الليل ويُحييه بتهجّدِهِ، ولا ينتقل إلاّ مِنْ موضع سريره إلى مسجدِهِ، ولا يعدو يمينه، ولا يعد ما ملك يمينه، مع اقتصار، وقصر طمع واختصار، لا يطلب الدنيا إلاّ ليذلّها، /١٨٨/ ولا يجمع الأموال إلاّ لتشتيت شملها، وهو في هذا كلّه بقدر محدود، وظلٍّ لا منقبض ولا ممدود، بل لا يأخذ شيئاً إلاّ مِن حلّه، ولا يصرفه إلا في أهْلِهِ، لا جَرَم أنه ضرب به المثل الشرود، وسَحَبَ له أمثل البُرود، مع أنه استقاد[٤] من عدوّه وانتقم، وشرب دَمَهُ والتقم، إلاّ أنه كان

---

(١) المستنجد بالله يوسف بن محمد المقتفي العباسي، بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٥هـ، فرفع المكوس وأزال المظالم، توفي ببغداد مخنوقاً بالحمام سنة ٥٦٦هـ. انظر: كامل ابن الأثير ١٠٨/٩ ومختصر تاريخ الدول ص٣٦٧ ومختصر ابن الكازروني ص٢٣٣ وتاريخ الخلفاء ص٤٤٢ والفخري ص٢٣١ والنجوم الزاهرة ٣٨٦/٥.

(٢) الأصل: سلمتها.

(٣) أي: زئيرها.

(٤) في الأصل: استفاد.

يغلب حلمه على غضبهِ، وجدّه على لعبهِ، فلهذا قيل أنه فريد وقته، ولم يمثل بعده سمت ذي وقار إلاّ بسمتهِ.

بويع يوم موت أبيه، فقبض على جماعة من أهل الظلم، وأسقط ما استجدَّ من المكوس، وأَذْهب بسعود أيامه النحوس، وكان المستنجد قد نشأ مع الأتراك، وتكلّم بلغتهم، ولعب معهم الصوالجة، وبعد خلافته بشهرين اصطدم في الميدان هو وقايماز الأرجواني أمير الحاج فوقع قايماز وفرسُه ميتين[١].

وتوفي ابن هبيرة سنة ستين بالفالج، واستولى عضد الدين[٢] أبو الفرج بن المظفر بن رئيس الرؤساء بعده على الدولة، وأجرى على إقطاعه وكان مائة ألْف دينار، وتوفي على فراشه يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة[٣]، قيل مات على فراشه، وقيل أن بعض من كان أحْفَظَهم من الأمراء بإمساك مَنْ كان أَمْسَك من أصحابهم لتمهيد دولته وتسلّط ابن البلدي[٤] في ظلم الناس، راقبوا المستنجد حتى مرض، فهجموا عليه وحملوه بفراشه إلى حمام وأغلقوها عليه وأوقدوها، فمات، ثم أخذ ابن البلدي، ومُثّل به وأُلْقِيت جثته في دجلة.

ثم:

[٣٣]

دولة المستضيء[٥] بأمر الله، أبي محمد الحسن بن يوسف المستنجد

دولة أضاءت الأيام بإشراقها، وصحت الدنيا بافراقها، وانجابت الظلماء

(١) في الكامل ٩/ ٧١: وفيها (٥٥٥هـ) توفي قايماز الأرجواني أمير الحج، سقط عن الفرس وهو يلعب الأكرة، فسال مخه من مناخيره وأذنيه فمات.

(٢) محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر، عضد الدين، أبو الفرج بن رئيس الرؤساء سمع الحديث ورواه، وكان استاذ دار المقتفي والمستنجد، ووزر للمستضيء، ثم عزل عن الوزارة وصودر، وانتهبت داره ثم أعيد إليها، وخرج من بيته حاجاً فوثب عليه ثلاثة من الباطنية في باب قطفتا قرب الحلة فقتلوه سنة ٥٧٢هـ. وكان كريماً ذا مرؤة وإكرام للعلماء. انظر: الفخري ص٢٣٣ والوافي ٣/ ٣٣٥.

(٣) في الوافي أنه مات سنة ٥٧٢هـ.

(٤) ابن البلدي، شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح بن البلدي، استوزر للمستنجد بالله وكان قبلها ناظراً بواسط، وكوتب بالوزارة وهو بها، فحكم حكم الوزراء وهو بواسط ثم اصعد إلى بغداد وعندما بويع المستضيء استدعى إلى البيعة فلما حضر ضربت عنقه والقي في دجلة. انظر: الفخري ص٢٣٢ وكامل ابن الأثير ٩/ ١٠٨.

(٥) المستضيء بأمر الله، أبو يحيى الحسن بن يوسف المستنجد العباسي، بويع له بعد وفاة ابيه سنة ٥٦٦هـ =

لدعوتها، وأجابَتْ مصر وجميع الأمصار لدعوتها، وقوّمت عوجَ اليماني، وأقامت مَيل الرديني، وَغَزَت الأعداء بغير كتائب، وركبت إلى الهيجاء سوى الجنائب، وعاجت على الديار لإبلاء صدور الركائب، وما قنعت هممها بالشرق وممالكه الفساح /١٨٩/ والعراق وسكانه الفصاح وما في بلاده من جنوب وشمال، واتساع ما فيه من كور أعمال وعمال، وما حواه البحران ودنا دونه النهران، حتى استعاد بالتقدمات النورية[١] إخدته، واستردّ ذخيرته وخيرته، وفتح مصر واسترجع منها ما كان في أيد العبيديين ونسخ بالدين المحمدي ذلك الدين، وغَلَبَ عليها على ما لاوت عليه الدهور، حتى فنيت مددها، وبليت على الحدين مددها، وقهر الخليفة السوء وزراؤه، وزُري بملكه، وسرَّ الناس إرزاؤه، وكان صلاح الدين إذ ذاك الوزير، وحل في لبدته أشدَّ مزير، فخلا القصر من شياطينه، وبُدّل رغامه بسلاطينه، وغلب الدست لانحصار شاته بفرازينه[٢]، وظهور الحق على تسويل إبليسه له وتزيينه، وذهبت بتلك الدولة بقايا السقم، وقد أضْنتْ وبلايا النقم، وقد عنّت وانتقم الله ممن جاذَبَهُ رداء كبريائه، وخلَص الخلاص الهاشمي من وضَرِ أدعِيائه، ورُميت عن سُلافةِ العصر حثالة ذلك العصر، وطفيت لأهل القصر نارٌ ترمي بشرر كالقصر، وتجرّدت العزيمة النورية لكشف لمم يلمها، وكشط غمائم غمّها، فأزالت عنها غم عار ذلك النسب، حتى كفت الدولة العباسية أمرها، ونَفَتْ ما نُسِبَ من الدناءة إلى ابن عمّها، فأزالت عنها عار ذلك النسب المدخول، والحسب المعروف المجهول، وأصبحت مصر في حُلل الشعار العباسي، ترفل إلى أقاصيها، وتخطر في حلية الشباب ما شاب من لمم نواصيها، ثم شرع التصميم الصلاحي في بلاد الفرنج، وشَرِه فَمُ قوسِهِ لأكل بلادهم، واستعدّ منجل سيفه لحصادهم، ومنازل رمحه لحمل رؤوسهم لا أجسادهم، وتحطَّمت قروم مجانيقه لدكّ أطوادهم، ولو كان هذا موضع استقصائه، لأتينا العجائب في قصِّهِ، وبيّنا على الهلال مقدار زيادتها ونَقْصِهِ.

= وكان وزيره عضد الدين أبو الفرج قد أحكم البيعة له على أن يوليه الوزارة، وكان حليماً كريماً عادلاً، وفي أيامه انتهت الدولة الفاطمية وخطب له بمصر والشام، توفي سنة ٥٧٥هـ. انظر: كامل ابن الاثير ١٤٨/٩ والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٥ ومختصر ابن الكازروني ص٥٣٧ وتاريخ مختصر الدول ص٣٧٢.

(١) النورية، نسبة إلى نور الدين، حيث قاد أسد الدين شيركوه بن شاذي عساكر نور الدين إلى مصر فملكها سنة ٥٦٤هـ. وتوفي أسد الدين بنفس السنة فخلفه صلاح الدين ابن أخيه فقضى على الخلافة الفاطمية وخطب للمستضيء للعباس. انظر كامل ابن الاثير ١٠١/٩.

(٢) الدست: اللعب، أي لعبة الشطرنج على التشبيه والفرازين جمع فرزين. ويُراد به الملك في اصطلاح الشطرنج.

وبويع المستضيء بالله ثاني يوم موت أبيه، واستوزر عضد الدين ابن رئيس الرؤساء، بعد عظائم جَرتْ بسببه، ثم أراد عضد الدين الحج فقفز عليه شيخٌ متصوف / ١٩٠/ فقتله، وقفز آخر على صاحب الباب فقتله، وقتل ابن عضد الدين بيده قاتل أبيه.

وفي سنة سبع وتسعين[١] أتته البشرى بقطع خطبة العاضد العبيدي بمصر، وإقامة الخطبة له.

ومات المستضيء في أواخر شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

ثم:

[٣٤]

دولة الناصر[٢] لدين الله، أبي العباس أحمد بن الحسن المستضيء

وهو الذي شدَّ الخلافة وقوّاها، وعدَّل الدولة وسوّاها، وتداركها وهي في رَمَقٍ فأَنْعَشَها، ولحقها وهي دفين فَنَبَشها، وخاشن الملوك ونابذهم في الحفاظ، وواخذهم حتى في الألفاظ، وناقشهم في لقب ونافَسَهم وما ارتقب، وأظهر قوة من ضعف، ورسم خلافة كأنه يعف، وكان قد أخَذَ الناس بالأرصاد وتعمد أخبارهم بالاقتصاد، فكان يكاد لا يخفى عليه بواطن أمورهم، وما يخفى بحيطان دورهم، ثم يحدثهم بها كأنه يُكاشَف، أو كأنه بخبايا أسْرارهم عارِف، لكنّه كان طامح النظر إلى الحريم، لا يُقنعُهُ ظباء الحريم، ولا يردّه حور الخلدان بحورٍ في بغداد حور.

وولد مع تشيّع، إلاّ أنه ليس برفض، وتسبُّع لو خلي لأكل الأرض، وكان بادي الرأي، له في كل يوم عزلٌ وولاية، وبه عزٌّ وذل إلى غاية، وعهد إلى ولده الظاهر أبي نصر محمد[٣] ثم عزله، ورفع اسمه على المنابر ثم أنْزَلَه، وكان السبب في هذه تميّزه عليه خلقاً وخُلقاً وعلماً وعدلاً ورفقاً، وبأساً صارع به بحضرةِ أبيه الجاموس،

---

(١) كذا في الاصل، وهو تحريف والصواب سبع وستين. انظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١١١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٦٣ والمغرب (ق٢ مصر) ص٩٧.

(٢) الناصر لدين الله العباسي، أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء، بويع له بعد موت أبيه سنة ٥٧٥هـ، وصف بالدهاء، وعمر المساجد، وجدّد المشاهد وبنى الأربطة والمدارس، وطالت مدته فحكم سبعاً وأربعين سنة، توفي سنة ٦٢٢هـ. انظر: مختصر ابن الكازروني ص٢٤٢ والفخري ص٢٣٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٤٨ ٩/ ١٤٨ وما بعدها وتاريخ مختصر الدول ص٣٧٨ والوافي بالوفيات ٦/ ٣١٠ ونكت الهميان ص٩٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦١ والفوات ١/ ٦٢.

(٣) أبو نصر محمد بن الناصر، ولي الخلافة بعد أبيه وسيأتي ذكره.

وضَارع لو شاء الليث العبوس، كان قد خرج الناصر وهو معه إلى البطائح فرأى جاموساً عَصَّبَ رأسه الهوى وهو طامح، وقد أوى إلى بطيحةٍ اشتبك شجرها واحْتَبَك ماؤها ومحجرها، فقال: لا يعرض أحد إلى هذا الجاموس، فإنه لا يخلو من بادرةِ بوس، وكان جاموساً قد تأسَّد، لو عاث لأفسد، فنزل إليه الظاهر غير مكترث، وأبرْمَ له عَزْماً غير منتكث، فلما رآه / ١٩١/ الجاموس صوّب إليه رَوْقيه، وطأطأ لينطحه بقرنيه، فجرّد الظاهر سيفه وتقدّم إليه، وضربه ضربةً قطع بها عنقه إلى ظلفيه، فحقدها عليه الناصر ونقمها، وأراده بها ودفع الله نقمها، مع ما كان يؤثره الناصر من تقديم ابنه الثاني علي[١] عليه، والله يؤخره، ويهيء الأمر للظاهر ويدخره، ومع هذا فما قدر الناصر على شيء أكثر من أنه عزله عن ولاية العهد وصرفه، ثم أحْوَجَهُ الله إليه فولاّه وصَرَّفَهُ.

ثم نذكر بقية حال الناصر: تفتّى وفتّى[٢]، وتفقه في هذا وأفتى، ووضع ترتيب الرفاق، ورَضَعَ معهم كؤوس الوفاق، ولبس السراويل[٣] ولبَّسَهُ لأهل ذلك الجيل، ورمى البندق[٤] وبرز له، واختطَّ الخطة ورمي الوجهين، ووضع له في أحكامه المقترح واستباح في الشريعة ما لم يُبح، وادّعى في الرمي، وادُّعيَ لَهُ، وسلك مدة في هذا سبيله لا يخلى الطير حينا من الحين، ولا تزال قسيّ بندقه ينصرها طائره في السماء فتصيبها بالعين، قد جعل الجلاهق[٥] أحد سلاحيه، لا يدع الصباح والعشاء من اغتباق راحيه، لا يريح الرفاق من رواحيه، ولا طائراً يطير بجناحيه، وقصد السرداب المعدّ عليه النوبة للمنتظر، ووقف عليه، ونادى لو أسْمَعْ، وقال: أنا ابن عمك بغير مَدْفَع، ودينك ديني وما بعد اقتداري في الأرض وتمكيني، فهذا أوان ظهورك فاخرج، فأنا القائم بأمورك، فلما لم يجب، ولا قام من قلبه بما وجب، علم

---

(١) أبو الحسن علي، الملك المعظم، أصغر أولاد الخليفة الناصر، توفي سنة ٦١٢هـ كان أحب ولد الخليفة إليه وقد رشحه لولاية العهد بعده. انظر الكامل ٩/ ٣١٠.

(٢) الفتوة نظام أحدثه العباسيون، وجدّده الناصر لدين الله سنة ٦٠٤هـ، ويراد بالفتوة استجماع الأخلاق الكريمة وجميل الطباع والإيثار والشجاعة والاعتماد على النفس، وقد اهتمّ به الناصر كثيراً، وجعل له مراسم، وهو يشبه نظام الكشافة اليوم وصاحب الفتوة يدعى الفتى والجمع فتيان، انظر: الجامع المختصر ص٢٢١.

(٣) السراويل: لباس الفتوة.

(٤) البندق: كلمة فارسية تطلق على كرات صغيرة من الرصاص، أو من الحجر أو الطين، كانوا يقذفونها بواسطة الأقواس كالنبل، وتستخدم في الحرب أو الرياضة حتى جعل الخليفة الناصر من رمي البندق فناً وسباقاً وشرفاً.

(٥) الجلاهق: كلمة فارسية. أصلها (الجلاهة) وهي من طين يرمى بها الصبيان عن قوس (العرب: ٩٦).

بطلان ما كان يخيل له من خُرافات تلك المخاريق، وضلالات ما خرج به عن الطريق، فترك سوء ذلك التشيّع، وتقلَّلَ من التكثّر في التروي بها والتشبّع، ثم ما كان إلا مُتَسنِّناً، وفي مذاهب أهله المذهبة متفنناً.

ومات ولده علي[١] وَوَجَدَ عليه وجْداً كاد يذهب بخلبه[٢]، وينتزع من صدره سويداء قلبه، وأعاد الظاهر إلى ولاية عهده، وقدم من صهوة المنبر ما لا يصلح إلاّ للبدِهِ.

بويع يوم موتهِ، ونثرت الدنانير والدراهم يوم / ١٩٢/ بيعته[٣]، ومدحه الشعراء فممن أجاد ابن التعاويذي بقوله: [من الخفيف]

ورأى الغانيات شيبي فأعْرَ ... ضَنْ وقُلْنَ الشباب خير لباس
كيف لا يفضلُ السواد وقد أضحى ... شعاراً على بني العباسِ
أُمناءُ الله الكرام وأهل الجود ... والعلم والتقى والبأس
ولقد رتبت الخلافة منهم ... بإمام الهدى أبي العباس
ملكٌ جلَّ قدسُهُ عن مثالٍ ... وتعالتْ آلاؤها عن قياسِ
يا لها بيعة أجدَّت من الإسـ ... ـلام بالي رسومَهُ الأدراس
وإلى الله أمرها فَلَهُ المنَّةُ ... فيها عليه لا للناس

ثم أَخَذَ أمره بالحزم، إلا أنه كان له اختلاط بالعوام، لبس الفتوّة من عبد الجبار[٤] مقدم الفتيان، وله رفاق، وكان متديناً صالحاً وبنى له صومعة بباب كلواذى[٥]، ومضى قاصِداً الحج فَدَرَجَ[٦]، ودفن بالمعلا[٧]، ورمى الناصر البندق،

---

(١) توفي سنة ٦١٢هـ وقد تقدم ذكره.

(٢) في الأصل: بحيله وهو تصحيف.

(٣) بويع له بولاية العهد سنة ٥٨٥هـ. انظر الكامل ٩/ ٢٠٤.

(٤) عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي، شيخ الفتوة ورئيسها، انقطع للعبادة بموضع اتخذه لنفسه، واستدعاه الناصر وتفتّى إليه ولبس منه، خرج حاجاً فتوفي في الطريق سنة ٥٨٣هـ ودفن بالمعلا. انظر ترجمته في: العبر ٤/ ٢٤٩ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٦ وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٥ والوافي بالوفيات ١٨/ ٣٨.

(٥) كلواذى: طسوج قرب مدينة السلام وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق، انظر: (ياقوت: كلواذى).

(٦) درج: أي مات.

(٧) المعلا: موضع بالحجاز، وهي مقبرة أهل مكة.

وخالط قدماه ووضع في أيامه المقترح[(١)] في تشريع الرمي والرماة، وكان الناصر بصيراً بالآدب، له اليد الطولى إن نَظَم وكتب.

كتب إليه سعد الدين بن شبيب صاحب المخزن يذكر حال مجد الدين ابن الصاحب قبل أن ينقم عليه، وقال إنه صبي يجهل الأمور لعدم خبرته بها، والدول تحتاج إلى الشيخ الحوّل القلّب، وما يناسب هذا المعنى، فوقّع الناصر عليها:

كم بذي الدوحِ أثْلَةُ من قضيب

ثم أوْقع بعد ذلك بابن الصاحب، ثم استوزر جلال الدين بن يونس[(٢)]، وخَلَعَ عليه، ومَشَتْ القضاة وأرباب الدولة في خدمته.

وكتب إليه....[(٣)] الانصاري: أن المملوك قديماً وليّ أمير المؤمنين قد تاب على يد ابن الجوزي وتَرَكَ الخدمة، فوقع عليها: ما يصلح للمولى على العبد حرام،..

وكتب إليه رجل يسأل المساواة بابن ساوا، فوقع عليه: ابنُ ساوا لا يُساوى، ثم أنه نقم عليه، وقتله شرَّ قتله.

وكُتب إليه عن السلطان صلاح الدين: [من المديد]

ألقني[(٤)] في لظى فإن حرقتني فتيقَّن أنْ لست بالياقوتِ
كل مَنْ جاءك يدعي النسج لكن ليس داود فيه كالعنكبوتِ

فكتب جوابه: [من المديد]

نسج داود لم يَفِد صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوتِ
وبقاء السمند في حومة النار مَزيلٌ فضيلة الياقوتِ

واستبصر في بعض أوقاتِهِ بمن أجابه إلى موعدٍ أخْلَفَهُ في ميقاته بيتي أسامة بن

---

(١) في الأصل: المفترج.

(٢) عبيد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، أبو المظفر جلال الدين البغدادي الأزجي، الوزير، تفقه على مذهب ابن حنبل في بغداد، وقرأ الاصول وسافر إلى همدان، رتب وكيلا لام الناصر، ثم ترقى حتى وزر للناصر، ثم أرسل مع عسكر إلى همدان لمناجزة طغرل بن أرسلان فهزم عسكره واسر ثم أطلق فعاد إلى بغداد، وتولى بعض المناصب ثم عزله الوزير ابن القصاب واعتقله إلى أن توفي سنة ٥٩٣هـ. انظر ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/ ١٦٩ ومختصر ابن الدبيثي ٢/ ١٨٣ والفخري ص ٢٣٧ والوافي ٩/ ٤٢٠ وكامل ابن الأثير ٩/ ١٩٧.

(٣) فراغ في الأصل بمقدار كلمة ويريد بالانصاري، معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الانصاري، وكان رجلاً فاضلاً، متصوفاً، موسراً، استوزره الناصر ، ثم عزله ومات معزولاً سنة ٦١٦هـ انظر: الفخري ص٢٣٧.

(٤) في الأصل: الفتى، وهو تصحيف.

منقذ: [من الكامل]

ومـمـاذِقٍ رجـع الـنـداء جـوابـهُ فـإذا عـرا خـطـبٌ فـأقْـعَـدُ مَـنْ دُعـي
مـثـل الـصـدى يـخـفـى عـليّ مـكـانـه أبَـداً ويـمـلأُ بـالاجـابـة مـسـمـعـي

وقد ذكره ابن واصل قال: كان الناصر عظيم الهيبة، عالي الهمة وافر العقل، حسن السياسة، متيقظاً، لا يفوته أمْر مما يجري في بلاده وغيرها منْ بلاد الاسلام، وكان له أصحاب أخبار يطالعونه بما يحدث من الأمور في كل صَقع، فخافَهُ الناس خوفاً شديداً وهابوه، وكان الانسان في العراق لا يجسر أن يجري في بيته وخلْوَتِهِ ما يخاف الانكار عليه منه، حتى كان يتوهّم من أهل بيته وأخصّ الناس به، أنه ينقل خبره إلى الخليفة، وفتح في أيامه فتوحات كثيرة، واتسع ملكه جدّاً، واستولى على خوزستان والجبل، وفتح كثيراً من بلاد العجم وقامت للدولة العباسية حشمة لم يكُنْ مثلها موجوداً إلاّ في الزمن القديم قبل استيلاء الملوك على العراق، ولكن الفقهاء أُهينوا في زمانِهِ إهانةً بالغةً لاستظهار الشيعة به عليهم فقال صاحب المخزن:

[من الكامل]

أحـبـابـنـا نُـوب الـزمـان كـثـيـرةٌ ومـرّ مـنـهـا رفـعـة الـسـفـهـاء
هـل يـسـتـفـيـق الـدهـر مـن سـكـراتـهِ وأرى الـيـهـود بـذلّـةِ الـفـقـهـاء

وفي جمادى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة حكم أهل النجامة أنه يكون هواء /١٩٣/ عظيم يهلك أكثر الناس فيه(١)، وتُرمى الجدران لاقتران الكواكب في برج الميزان، فدخل للناس منه رُعْبٌ عظيم، واستعدّ بعض الملوك لعمل سراديب تحت الأرض، وأعدّ فيها الأقوات والعطر لأجل وَخَم الهواء، فقضى الله بأنَّ الهواء انقطع تلك الليالي البتَّة حتى أن ضوء الشمع ماكان يميل، فقال ابن المعلم شعراً منه:

[من البسيط]

قـل لأبـي الـفـضـل قـول مـعـتـرفٍ مـضـى جـمـادى وجـاءنـا رجـبُ
ومـا جَـرَتْ زعـزعٌ كـمـا حـكـمـوا ولا بـدا كـوكـبٌ لـه ذنَـبُ
يـقـضـي عـلـيـهـا مَـنْ لـيـس يـعـلـم مـا يُـقْـضـى عـلـيـه، هـذا هـو الـعـجـبُ
فـارم بـتـقـويـمـك فـالاصـطـرلاب خـيـرٌ مـن صـفـره الـخـشـبُ

ثم:

(١) انظر الخبر في تاريخ الخلفاء ص٤٥٣.

[٣٥]

دولة الظاهر[(١)] بأمر الله، أبي نصر محمد بن أحمد الناصر

وتقدم له في ذكر أبيه أَرَجٌ لا يركد نسيمُهُ، وترك روضٌ لا يُمَلّ شميمُهُ، ووصف طودٌ لا يُرقى صاعده، وبحر لا يتعب وارده، وسحاب لا يعيا رائده، ومقسط يأتي يوم القيامة على منبر من نورٍ، ومنصف لو أُبْهم عليه وجْه الحق لشقّ عن سنا فجرِهِ قلب الديجور، كان إمام عَدْلٍ وغمام وَبْلٍ، وقيّم دين، وضيغم عرين، وكافلاً بإزالة كل شنيعة كاسراً لصولة بدع الشيعة، وكل شيعة، كشف عن تمويهات المذاهب ونقّب، وأتى على ما أخر أبوه من رقيق غيمها وعَقَّب، برأي رام لا تخطّىء صوائبه، وذكاء فطنٍ لا تلتبس مذاهبه، وكان لله جانب منه لا يضيعُهُ، وسرٍّ كالمسك يجتهد في كتمانه فيذيعه، وقد أوْمينا بطرف الاشارة إلى ما كان من مصارعته بحضور أبيه الجاموس، حتى أكْمن له هذا في قلب أبيه غِلّاً من الحقد، وأمكن لأجْلِهِ من ساقِهِ قيداً كالخلخال ومن عنقه كالعقد، مع ما كان في نفس أبيه من تقديم أخيه على هواه، ومباينته /١٩٥/ في المعتقد لما طواه، لأنَّ الظاهر كان على خلاف الباطن من عقيدةِ أبيه، كان كل منهما في طرف، لا يخادع فيما عرف، فأما الابن فاستقام على الطريقة، وأما أبوه فانحرف، فأمسكه وكيله بالحديد وثقفهَ، والْقى عن عاتِقِهِ نجاد ولاية العهد، ونزع مطرَّفه، ثم لما مات أخوه علي، وأقفر بيت أبيه من وَلَدٍ له يلي، وارجحنَّ عقلُهُ الذاهب، وكان اثر المصائب كأنه قد كان بُلي بذهاب لبّه، وأُصيب بكل عقله لا ببعض قلبه، أعاد تقليد وَلَدَهُ الظاهر ولاية العهد وأعَدَّ له المنبر كنية النهد هُيّاً له[(٢)] السرير ما لم يكن إلاّ لَهُ، من حين فارق حجور المراضع، وقاطع ذروة المهد، وخطب له ببغداد، ثم صار إلى الأمصار، وضرب باسمه على السكك، وأنار وجْهَ الدرهم والدينار، وهو مع هذا كلّه مرتهن عند أبيه بالتعويق، مثقّف في الحديد بالقيد الوثيق، موكلاً به في دارٍ ترك عنده فيها جاريةً. ورُتّب له فيها كفاية جارية، قد أيْقَظَ عليهِ عيوناً لا تَهْجَع حتى توقظ أُخْرى، ورقباء لا تَغْفَل شفقاً ولا فجرا، حتى شاء الله أنْ يشقّ صدفته عن دُرّتها، وتتصدَّع صخرتُه عن زُبْرتها، وتتفرّج أفنان غابته

---

(١) الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن أحمد الناصر بن المستضيء، بويع له بعد موت أبيه سنة ٦٢٢هـ، وكان مستقيماً خيّراً، وأبطل المكوس وخفف عن رعيته، وحمدت أيامه على قصرها، مات بعد توليه بتسعة أشهر وأيام سنة ٦٢٣هـ. انظر: الكامل ٩/ ٣٦١ وما بعدها. والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٥ والفخري ص٢٤١ وتاريخ الخلفاء ص٤٥٨ وتاريخ مختصر الدول ٤٢٢.

(٢) كذا في الأصل: والمعنى غامض.

عن قسورتها، وتتمحّض مدرة أرضه لتُخْرِج مدرتها، فمات أبوه، ورغم معطس من كان يأباه، يريد أن لا يكون أخوه، وخرج من معتقلِهِ خروج الأسدِ مِنْ وجارِهِ[١]، والكوكب الدريّ من حجب أُفولِهِ، والبدر التمام من خدور سِرارِهِ، وانتضى انتضاء المشرفي المرهف، وخَلَص من التثقيف خلوص السمهري المثقف، وأصفقتْ الأيدي على مبايعتهِ بالإمامة، ورقا ذروة المنبر وعليه لواء الكرامة، وهيأ الله له ما أراده من الخير، وأحسن له الحسنى وأحَلَّ الغير بالغير، وأعادها عمريّة ليس لها جناح، وقمريّة خدم فيها البدر من العشاء إلى الصباح، ولم يكن في حظ زمانه أن تدوم وأن تتم، وعدله قمرها المنبر وعيون أخباره النجوم، فكنت /١٩٦/ لا ترى في مدّته إلا سنّةً وكتابا وإماماً ومحراباً، وسيّئةً مُحِيتْ وبُدِّلت، ثواباً وعدلاً فتح له بابا، وظلماً سَدَّ له بابا، وقائلاً كأن في حرّ الهجير أظل عليه ندى، ورفقاً أرْأَفُ بالأمة من الوالدات على الفطيم، ولُطْفاً يَصُدّ سموم الشمس فيأذن للنسيم، وشكراً يروع العذارى فيلمَسنَ جانب العقد النظيم، وقد ذكر الوزير أبو غالب[٢] نسخة من كتب عن الناصر خَلْعَ ولده الظاهر لما خَلَعَهُ بخطّ المكين ابن العلقمي، ومنه:

وقد كان أمير المؤمنين قلَّدَ ولده أبا نصر محمداً ولاية عهدِهِ ورشَّحَهُ من بعْدِهِ، مؤملاً منه التخلّق بشريف أخلاق أمير المؤمنين التي هي من أخلاق آبائهِ مقتبسةً، وعلى أساس التقوى مبنيّةً مؤسسة، فلما أن وقَّتَ تكامل رشده، رأى من نفسه القصور عن التزام شروط هذا الأمر، واستقال منه، وسأل أمير المؤمنين نزع لباسِهِ عنه، وكتب خطه عن ذلك وتركه وحلّ ما عَقَدَ له منه وفكّه، وتيقَّنَ من حاله وأمره أنه لا يصلح لخلافة المسلمين في الحاضرة ولا في بقية عمره، وأشهد بذلك عليه، وخلع نفسه عما كان فوّض إليه، وأمير المؤمنين لم يَخْلُ في كل وقتٍ باعتبار طرائقه واستقرائها وتتبع خلائقهِ واستبرائها، إلى أن استبان ما كان من أحوالِهِ يلوح، وتألّق نجمه من مراصد الوضوح، فلم يَسَع أمير المؤمنين إلاّ استخارة الله في إقالتِهِ وطلب رضاه سبحانه في حلّ عقد ولايتهِ، وأقال ولده، وحلّ ما لَهُ من ولاية العهد في المسلمين عقده، ونَقَضَ ما إليه عَهَدَهُ، وأسقط ذكره من الخطب، ومحا اسمَهُ من

---

(١) الوجار: حجر الضب والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك.

(٢) الوزير عبد الواحد بن مسعود الشيباني، سبقت ترجمته، وفي كامل ابن الأثير ٩/ ٢٦٩: في هذه السنة (٦٠١هـ) قطعت خطبه ولي العهدوأظهر خط قرىء بدار الوزير نصر الدين بن مهدي الرازي وإذا هو خط ولي العهد الأمير أبي العز بن الخليفة إلى أبيه الناصر لدين الله أمير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الإقالة، وشهد عدلان أنه خطه وأن الخليفة أقاله.

السكك، اجتناباً من تقلّد أوْزاره، وتحمّل أثقال إثمِهِ وأوَضارِهِ، وأمير المؤمنين قد شهد لله بما علمه، وإن كان على ولده، ولم تأخذهُ لومةُ لائم في لزوم منهج الحق وجَدَدِه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] وحيث أقال أمير المؤمنين أبا نصر محمداً وخَلَعَهُ ونضى عنه جلباب /١٩٧/ ولاية[٢] عهده ونَزَعه، لم يَرَ أن يعيّن على أحدٍ بعينه (تحرّياً لا لاحتساب) ما تحمل الأوزار، وتوخياً لما هو أسلم من الأخطار.

ثم:

[٣٦]

دولة المستنصر بالله[٣]، أبي جعفر المنصور بن محمد الظاهر

جهد في طريقة أبيه وما بَلَغها، وحام على مناهِلِهِ وما سوَّغَها، لكنّه قارب معناها، وقام حتى داناها، وأسْغَبَ شهواتِهِ من المظالم وفطمها، وَزَمَّ نظراته عن المحارم وخطمها، وأظْهَرَ السنّةَ وأقامها، وسَمَكَ في أعلا السماء مقامها، فكان لا يكبر رأس متشيّع إلاّ رضَّهُ، ولا يتشاوس نظر مبتدع إلاّ غَضَّه، ولا يستكثر رافضي إلاّ رَفَضَهُ، وحل عقد شعبِهِ وفضّه، سوى أنه أفرط في كبرياء الحجاب، وخالف أباه لا آبائهِ في فرط الإعجاب، وكانت الملوك تحب المستنصر، وتستطيل أمد عوارِفِهِ ولا تستقصر، وكأنما جاء عقيب جدّه الناصر لأن أيام أبيه كانت كأن لم تكن، لأنّه ما بزغ قمره حتى غاب، ولا أصحر ضيغَمُهُ حتى واراه الغاب، وأزاح من تجنّى الناصر تَعَبَ خواطرهم، ومن تعنّى الرسل بينهم وبينه نظر نواظرهم، وكان قد أمَرَ بوظائف الرسل ورتّب لهم لطائف الأنزال في السبل، فسارت إليه بهم ركائبهم الذلل الصعاب، وتحدرت إليه قصاده بطون الأودية وشعاف الشعاب، ثم انتقل إلى الله مُبَوّأً في لحده الكرامات، ممرضاً بعده الصبر والكرى مات.

ثم:

---

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) الأصل: ولا.

(٣) المستنصر بالله، أبو جعفر المنصور بن محمد الظاهر، بويع له يوم وفاة أبيه سنة ٦٢٣هـ وصف بوفرة العقل والحزم وحسن السياسة، وهو باني المدرسة المستنصرية ببغداد وفي عهد استولى المغول على أكثر البلاد وكادوا أن يدخلوا بغداد، توفي سنة ٦٤٠هـ. انظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٣٦٩ وما بعدها، تاريخ الخلفاء ٤٦٠ ومختصر تاريخ الدول ص٤٢٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٥ والعسجد المسبوك ص٤٢٩.

[٣٧]

دولة المستعصم بالله(١)، أبي أحمد عبد الله بن المنصور المستنصر

وهو آخر الخلفاء في بغداد، بل آخرهم في سائر البلاد بالاستبداد، وكان مُحَدثاً سنياً، محمداً سنياً، تفقه على مذهب أحمد، وتشبَّهَ في أوّله في كل ما هو أحْمد، وكان من ذوي العقول، إلا أن باريه كاده، والبصائر إلاّ أن الله أعماه ليمضي مراده، وأُغري باللعب /١٩٨/ بالحمام فَجَلَبَ على المسلمين جالب الحمام، جمع منها عشرين ألف طائر، إلا أنها كانت مياشيم أكثرها قلابات، قَلَبت الدولة وانتهكت الحريم، ومنى بوزير(٢)، بل بكلب خنزير، رافضي خبيث، وغير مأمون حتى ولا على حديث، فرتَعَ في سوام الملك ذيبه، ونَفَقَ على الخليفة كذبه لا تكذيبه، وجَلَب بمواطأته التتار ما أضرَّ بالأمم قتله لا تعذيبه، ولم يجد خمد كمدِهِ ريح فطنةٍ تحلله ولا تذيبه، فغطى على بصر الاسلام تلبيسه تدليسه، وغط دماء الأمة تسليط أباليسِهِ، فكان في دبيبه أرقما، وسقى كؤس الضراء لطعم أبيه علقما، فلا كان العلقمي وما ولد، لقد وَلَدَ أفعى، وألقى عصا قلمه فإذا هي حيةً تسعى، لقد أتى شيئاً نُكرا، وأطْعم الناس منَ طعامِهِ العلقمي مُرّا، فحسَّنَ للخليفة جمع المال، وكاتب التتار سرّاً ومدَّ لهم الآمال، وبقي يقطع ألْفاً فألْفا من الجند ويوفّر ما لهم للديوان، وإنما يريد إضعاف جانب الخليفة، وإرجاف جوانب الأرض بوهن قوته الضعيفة، فلما فلَّ حدَّ العسكر، وقلَّ عديدهم الأكثر، استقدم عسكر العدوّ وبرسلُه وبكتُبه، واستدعى بَرَّهُ

---

(١) المستعصم بالله عبد الله بن منصور المستنصر بن محمد الظاهر، أبو أحمد آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٠هـ، وكان المغول قد اكتسحوا البلاد، وكان المستعصم ضعيفاً، اختاره امراؤه خليفةً لضعفه، وسيطروا عليه فلم يكن له أمر وكف يده وزيره ابن العلقمي عن التصرف وقد اتهم هؤلاء الوزير بممالأة المغول ومكاتبتهم، وأخذ ذلك مؤرخوا الشام فشاعت هذه التهمة في كتب التاريخ قديماً وحديثاً وفي القدماء من ينفيها عنه والدراسات الحديثة تؤكد براءته وللطائفية دور في إلقاء التهم ونفيها، واستمر المستعصم خليفة حتى دخل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ فقتل المستعصم ومعه جمع من أهل بيته وأعلام بغداد، وبموته انقرضت الدولة العباسية بالعراق، وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة، ومدة ملكهم ٥٢٤ سنة.

انظر: العسجد المسبوك ص٦٣٠ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٣ وفوات الوفيات ١/ ٢٣٧ والفخري ص٢٤٤ والحوادث الجامعة ص١٢٩ ـ ٢٤٢ وتاريخ مختصر الدول ص٤٤٥ ومختصر ابن الكازروني ص٢٦٦.

(٢) يريد به مؤيد الدين محمد بن أحمد (أو محمد) بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الاسدي البغدادي، وزير المستعصم العباسي، ما زال المؤرخون يرمونه بتهمة مكاتبة التتار لاحتلال بغداد ويشتمونه بكل قبيح، والغريب أن غيره من الذين ذكرت كتب التاريخ أنهم شاركوا المغول في حصار بغداد لم يتعرض لهم أحد بشتم، ولابن الطقطقي رأي. انظر الفخري ص٢٤٦.

الفسيح بوهادِهِ وكثبه، فجاء مَنْ لا قوة للبلاد بحمل بعضهم، ولا طاقة للتخوم بمثار ركضهم، فغرق جدول الاسلام في تيارهم، وأُحرق نور الإيمان بنارهم، وبدأت الخلافة[١] بعبد الله السفاح، وختمت بعبد الله المستعصم، ولم تَذْرِ الملّة لمن تستخصم، وأُخذ رحمه الله وقُتل، وهُجمت بغداد، وقتل الرجال وسُبي النساء والأولاد، وألْقت الهاشميين في دجلة بأرواحها، وارتجّت النواحي بنواحِها، وكاد الإسلام يذهب بجُملَتِهِ، والدين المحمدي يطوي مُلاءةً ملِّتِهِ، وانقرضت الدولة العباسية، إلاّ بقية أتَتْ مصر، ونويض[٢] سراجها ثم انطفى، وأوْمض بريقُها في آخريات الليل ثم اختفى، وكان المستعصم يسكن إلى وزيره المؤيد بن العلقمي ويسيل بضبعه، ويميل إلى اعتلاء قدره ورفعهِ، ولا يزال يلاطفه /١٩٩/ ويُهاديه، ولا يقطع مكاتباته إما يجاوِبُه أوْ يُباديه، أهدى إليه مرّة قصب أقلام وكتب معها: بعثنا إلى الوزير أعزّه الله بقصب يراع مؤذنةً بأنّه لدينا في المحل الأقصى لا يُراع، فليكتب بها مشرفاً، وفي الأرض وسكانها على رغم مَنْ يشناه مصرّفاً، فلما أتتْ ابن العلقمي قام لها وقبلها، واعتقل خيطها المتفقه وأسلها، ثم كتب[٣]: قبّل المملوك[٤] شكراً للأنعام عليه بأقلام قلّمَتْ[٥] أظفار الحدثان، وقامت له في حرب صرف الزمان، مقام عواسل المرّان[٦]، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها، وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فيا لله كم قعد ذمام في عُقَدِها، وكم بحر سعادةٍ أصبح من مِدادِها ومَدَدِها، وكم مناد حظٍّ استقام بمثقفاتها، وكم صوارم خطوبٍ فلّت مضاربها بمطروف[٧] مرهفاتها، فالله تعالى ينهض المملوك بمفروض دعائه، ويوفقه للقيام بشكر أوْلاه من جميل رأيه وجزيل حِبائه.

وكانت آفته بل آفة الإسلام وزيرُهُ، ولما قدم هولاكو لإزاحة الباطنية عن قلاعهم، امتدَّ إلى استكمال البلاد وواطأه ذلك الوزير الذميم حتى طوى البلاد إلى العراق، ثم أوْهم المستعصم أنه قد أكّد له سبب الصداقة معه، فخرج لملتقاه في الفقهاء والأدباء، وأهل الشرف في يوم الاثنين سابع عشر صفر سنة ست وخمسين

---

(١) في الأصل: الخليفة.
(٢) الاصل: نونص، والصواب ما أثبتت، ونويض: تحرك وتذبذب وتلألأ.
(٣) انظر رسالته في الحوادث الجامعة ص١٩٤ والوافي بالوفيات ٢/ ٣١٣.
(٤) في الحوادث، المملوك الأرض.
(٥) في الحوادث: قلمت عنه.
(٦) في الحوادث: صرف الدهر مقام عوامل المران.
(٧) كذا في الأصل، ولعل الصواب ما جاء في الوافي: بمطرور.

وستمائة، فلما رآه أمر بهِ فرفس حتى مات، ثم ديس بحوافر الخيل، ثم وقع السيف، وعظم الخطب، وأُمهنت المصاحف حتى عملت للخيل معالف، وهُدِمت المساجد، ولم يبق متظاهر بالصلاة إلا حائط جدار ساجِد، وَخَلتْ المنابر والأسرّة، وخلع الخلافة خلع النعل، وطُفي نور الحق وَطُمس مَعْلَمُ الهدى، وكوّر الليل على النهار، وغال خوف الشموس والأقمار ولو شاء ربك ما فعلوه.

وولد المستعصم [يوم السبت ثالث عشري شوال سنة تسع وستمائة][١] وقيل في / ٢٠٠/ ....[٢] وكان عمره [ست وأربعون سنة وثلاثة أشهرو أحد عشر يوماً][٣] ومدته [خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ويومان][٤].

ثم لم يبق للخلافة بقية ذكر إلا لمن وَصَل منهم إلى مصر، واتصل بالظاهر بيبرس البندقداري[٥] بها، وها أنا أذكرهم، فأولهم.

[الخلفاء العباسيون في مصر]

[١]

المستنصر بالله[٦]، أبو القاسم أحمد بن محمد الظاهر بن أحمد الناصر

وصل إلى مصر، وبايعه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب[٧] العلامي المعروف بابن بنت الأعز، ثم الظاهر بيبرس، ثم عامة العلماء، وأهل الشرف ووجوه قريش وعامة أرباب الدولة، وكان شهماً لا يطاق، وشيهما ما لسمّه درياق، ورامياً

---

(١) ما بين قوسين بياض في الأصل، والتتمة من مصادر ترجمته.

(٢) فراغ في الأصل، ولم أجد في مصادر ترجمته اختلافاً في تاريخ مولده.

(٣) بياض في الأصل، والتتمة من مختصر ابن الكازروني ص٢٧٤.

(٤) فراغ في الأصل والتتمة من مختصر ابن الكازروني ص ٢٧٤.

(٥) الملك الظاهر بيبرس، ركن الدين أبو الفتح الصالحي، قيل إنه ولد في أرض الجبجاق سنة ٦٢٥هـ، واسره المغول سنة ٦٤٠هـ وحمل إلى سيواس، ثم إلى القاهرة فاشتراه ايدكين البندقداري، ثم أخذه الصالح نجم الدين أيوب وقدمه على طائفة من الجمدارية وخرج على إيبك التركماني، وقصد الشام إلى الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز محمد، ولم يزل يتنقل من حال إلى حال حتى استقر في مصر، وخاض مع المظفر قطز معركة عين جالوت، ثم قتل المظفر واستولى على مصر والشام إلى أن مات سنة ٦٧٦هـ، انظر: الوافي ١٠/ ٣٢٩ وخطط المقريزي ٣/ ٩٣ ودول الاسلام الشريفة البهية ص٤٤.

(٦) انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٧٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٦ والسلوك ١/ ٤٤٨.

(٧) عبد الوهاب بن خلف بن بدرٍ العلامي، كان إماماً فاضلاً عالماً، ولي المناصب الجليلة، ودرس بالصالحية وبمدرسة الشافعي، توفي سنة ٦٦٥هـ، انظر: ذيل الروضتين ص٢٤٠ والعبر ٥/ ٢٨١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٢ والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٠٠.

رام أن يصمي بسهمه من مصر من بالعراق[١]، وضاق الظاهر به لما رأى منه ومن وقَارِهِ المبثوث في نفوس الخلق، فما صدق أن وردت على المستنصر كتب أهل العراق باستقدامِهِ، فجهزه في جيش استخدمه له، وخرج معه إلى دمشق، وكان الظاهر يركب إلى خدمته في كل يوم، ثم سار إلى العراق في دولةٍ كاملة بأرباب الوظائف والشعار الكامل، ففتح كثيراً من البلاد الفراتية[٢] حتى أتى العراق، فجاءهُ أهْلُها، وتلك شيمتهم من قديم، ونصرهم لكل قائم بدعوة حق، وخرج له التتار، فقاتلهم، وثبت حتى قتل، واستحرّ القتل في عسكره إلاّ مَنْ عجّل الهزيمة وكان قدومه مصر (سنة ٦٥٩هـ)[٣] ومبايعته في (ثالث عشر رجب)[٤].

ثم:

[٢]

الحاكم[٥] بأمر الله أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن الراشد بن المسترشد

ومن هناك يلتقي بعمود النسب المستعصمي وكان غاية في الخير والفضل والثبات، ولما قدم، أتى الحسام البرلي وقد تملك البيرة[٦]، فبايعه، واستخدم له، ثم أتى عيسى بن مهنا[٧] أمير آل فضل، فقام في ناصرِهِ، وقاد له جمهور عسكره،

---

(١) إشارة لقول الشريف الرضي:
سهمٌ أصاب وراميه بذي سَلَم ... مَنْ بالعراق لقد أبعدت مرماك

(٢) فتح الحديثة، ثم هيت، ثم التقى بالتتار، انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٧٨.

(٣) بياض في الاصل.

(٤) بياض في الاصل، والتكملة عن تاريخ الخلفاء ص٤٧٧.

(٥) الحاكم بأمر الله العباسي، أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي القبّي، ينتهي نسبه إلى المستظهر بن المقتدي، اختفى في واقعة بغداد، وجمع عساكراً من العربان افتتح به عانة والانبار، وكر عليه التتار فنجا، فعاد إلى أمير خفاجة حسين بن فلاح، وكان قد التجأ إليه حين خرج من بغداد، ثم ذهب إلى دمشق، فاستدعاه المظفر قطز، وقدم مصر فبايعه الظاهر بالخلافة، وعقد هو للظاهر السلطنة، وضرب السكة باسمهما، ثم تغير عليه الظاهر، وبقي خليفة حتى وفاته سنة ٧٠١هـ فكانت وصف بالشجاعة والديانة.
انظر: الدرر الكامنة ١/١٢٨ وتاريخ الخلفاء ص٤٧٨ وفوات الوفيات ١/٦٨ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٣ و١٤/٨.

(٦) البيرة: بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرملية، وهي قلعة حصينة (ياقوت ـ البيرة).

(٧) عيسى بن فضل الله بن عيسى بن مهنا، شرف الدين بن شجاع الدين، قيل إنه كان من خيار أهل بيته، ولي الإمرة بعد وفاة موسى بن مهنا، ثم صرف عنها، ومات سنة ٧٤٤هـ ودفن بمقبرة خالد بن الوليد =

فخاف الظاهر بيبرس عاقبته، وقال إنه يجتث باقيته، فلاطف عيسى بن مهنا وراسله في تجهيزه إلى مصر ليبايعه، وإنه / ٢٠١/ لا يجد حرجاً في صدره أن يطاوعه، وكان للظاهر على عيسى بن مهنا يدٌ يرعاها، ولكتبه عنده نجاح لا يخيب مسعاها، ورأى في هذا صلاحاً للناس، وجمعاً لكلمة الاسلام، فعمل على هذا، وقدم الحاكم مصر، وبايَعَهُ الظاهر بيبرس، إلا أنه حَجَرَ عليه، وبعد مدة اسقط اسمه عن السكة وأبقاه في الخطبة، ودام مكرماً إلاّ أنّه ممنوع، وموسعاً عليه إلاّ أنّه مضيّق له بالنسبة إلى ما يستحق، فلما أتى الله بالدولة الشريفة الملكية الأشرفية الصلاحية[١] سقى الله عهدها، فَسَحَ له وأخْلى له قصر الكبش، وبوّأه منزله، وكان العزم الأشرفي كلّه مصروفاً إلى استفتاح العراق وإعادة الخلافة إلى مقرها في صدر ذلك الرواق، وتصريف حكم الحاكم في تلك البلاد وإقامةِ الدولة العباسية على ما كانت عليه بالأمراء والوزراء والأجناد. ثم توفي[٢].

ثم قام ابنُهُ:

[٣]

المستكفي[٣] بالله، أبو الربيع سليمان

بعهد أبيه، وكان حسن الجملة، لين الحملة، مع فروسية كانت فيه، لو وَجَدَ لها حين إبراز، أو أصغي جَدٌّ لإحراز، إلاّ أنه لم يجد لغصّته مساغاً، ولا لقصتِهِ بلاغاً، فكان لا يرى لسهولة الجانب ومداهنة المجانب إلاّ أوطأ من رملة وأضْعَف من نملة، وأكثر توقّيا ممّن عُرفت عليه عمله، عهد إليه أبوه الحاكم بالخلافة بعد ابنه

= وآل فضل بطن من قبيلة ربيعة الطائية، ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذين عن شقي الفرات إلى أطراف العراق.

انظر: الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٧ والقلقشندي: نهاية الأرب ص١١٠.

(١) نسبة إلى الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك قلاوون الذي ولي سنة ٧٨٩هـ.
انظر: النجوم الزاهرة ٨/ ٣ وخطط المقريزي ٣/ ٩٦.

(٢) توفي سنة ٧٠١هـ كما في مصادر ترجمته.

(٣) المستكفي بالله، سليمان بن أحمد بن علي، أبو الربيع، ابن الحاكم بأمر الله العباسي، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بتفويض من أبيه ففوض الأمر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر، فشهد مصاف شقحب قرب دمشق، ودخل دمشق سنة ٧٠٢هـ، ثم تغير عليه السلطان، فأخرجه إلى قوص بالصعيد سنة ٧٣٨هـ فأقام بها إلى أن توفي سنة ٧٤٠هـ وكان جواداً شجاعاً يجالس العلماء وأهل الادب.
انظر: البداية والنهاية ١٤/ ١٨٧ وتاريخ الخلفاء ص٤٨٤ والدرر الكامنة ٢/ ٣٣٦.

المستمسك[1] الامير أبي عبد الله محمد، حين توفي المستمسك، وتجرّع أبوه صابَ مصابهِ، وطوى جوانحه على داء أوْصابهِ، ثم جعل بعده العهد إلى إبراهيم[2] ولد المستمسك ظناً أنه يصلح لان يُصرَّح باسمه على المنابر، ويجيء على أذيال آبائه الأكابر، فلما توفي الحاكم وخرج سلار كامل الممالك فمن دونه في جنازته، وقاموا نحو كرامته وغرارته، بويع المستكفي بيعةً طوّقت الرقاب، وطوّلت له ذيل الخلافة على الأعقاب، وكان هو وسلطاننا كأنهما أخوان لما بينهما من إلْفَةٍ جامعة، ومودة لفرق الأعداء قامعة، وحَضَرَ نوبة مرج الصفر وكان /٢٠٢/ على عهد الله المظفر، سار سلطاننا به، فأيّد الله بهما هذه العصابة وكان يومهما بمرج الصّفر ثاني يوم الصحابة، كل منهما هدّ أركان العدو، وهدّم بنيان أهل العتو، ثم لم يزل به لرسم الخلافة آثار باقية، وشيء يحفظ به تلك البقية المتلاشية، حتى كان من نزول السلطان عن الملك سنة ثمان وسبعمائة ما كان، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس، فقلده المستكفي، وسوّره، وصيّره حيث صيّره، فنقمها عليه السلطان وأسرَّها له، ثم لما قام السلطان لاسترجاع ضالته، وإنْباه المظفر من كرى ضالته، استجاش المظفر بالمستكفي يجدّد له الولاية، ونُسِبت في السلطان أقوالٌ إليه حَمَلَتْ السطان على التحامل عليه، فلما عاود الزمان عقله، وحلَّ من الحظ الناصري عقله، وعاد السطان سنة تسع وسبعمائة إلى تختِهِ، وعاد ما ألَّف من بختِهِ، أعْرض عن المستكفي كل الإعراض، ودبّت بينهما الأمراض، فلم يزل يكدّر على المستكفي المشارب، ويقف دونه في وجوه المآرب، حتى تركه في برج في القلعة ورجل آخر معه لا أسمّيه، ولم يزالا يلاطفان السلطان حتى أنزله إلى داره، وأطْلَعَ هلاكهُ نضواً من سِرارِهِ، ثم نُسِبَ إلى ابنه صدقة التعلق ببعض خاصة السلطان، وتردّد ذلك الغلام إليه، فَنُفي الغلام، وأُصعد بالخليفة إلى قوص، فقُدمت له مطايا السفين، وأنزل معه بعض حُرَمِهِ وقد خفين، ثم أَقْلَعَتْ بهم تلك السواري، وعادوا أجِنَّةً في بطون تلك الجواري، إلاّ أنه لم ينقّص من روايته، ولا أسقط اسمه عن المنابر، وغبر عن هذا مدّة يعلّل فيها نفسه إلى أن عَلَقَتْ بابنه صدقة أشراك المنون، وجالت في منيته الظنون، فجزع عليه جزعاً شديداً استخفَّ وقاره، وحرَّكَهُ بَلْ أطارَه، ثم لم تَطُل به المدة ولا بقي إلاّ قليلاً بعده،

---

(١) المستمسك بالله، محمد بن أحمد بن أبي علي العباسي، كان أكبر من أخيه المستكفي. مات في حياة أبيه الحاكم مسجوناً بالبرج من القلعة وقد ولي ابنه الخلافة بعد المستكفي.
انظر الدرر الكامنة ٣/ ٤٣٤.

(٢) بويع له بعد عمه المستكفي وستأتي ترجمته.

وكانت وفاتُهُ سنة أربعين وسبعمائة ودُفن بقوص، وذلك بعد أن أذِن إلى ابنه الحاكم أبي العباس، لكنه لم يجد عهده راعياً، ولا /٢٠٣/ ابنه بعده لوصيته فيه واعياً. ثم قام ابنُ أخيه:

[٤]

الواثق بالله[١]، إبراهيم بن المستمسك أبي عبد الله محمد بن الحاكم

وقد تقدّم القول فيما أصاره إليه جدّه من العهد بعد المستكفي، ظناً[٢] أن يكون صالحاً، أو يجيب لداعي الخلافة صالحاً[٣]، فَما نَشَأَ إلاّ في تهتُّك، ولا دان إلاّ بعد تنسّك، أغريَ بالقاذورات، وفعل ما لم تَدْعُ إليه الضرورات، وعاشر السِّفْلَةَ والأراذل، وهان عليه من عِرْضِه ما هو باذل، وزُيّن له سوء عمله فرآه حسناً، وعُمي عليه فلم يَرَ مسيئاً إلاّ مُحْسِناً، وغوى باللعب بالحمام[٤]، وشرى[٥] الكباش للنطاح، والديوك للنقار والمنافسة في المعز الزرائبية الطوال الآذان، وأشياء من هذا، ومثله ما يسقط المروءة، ويثلّ[٦] عرش الوقار إلى أن صار لا يُعدّ (إلاّ) في سفلة الناس[٧]، هذا[٨] إلى سوء معاملة، ومشترى سِلَعٍ لا يُوفي أثمانها، واستئجار أدور لا يقوم بأجرها، وتحيّل على درهم يملأ بها كفّه، ولسُحْتٍ يجمع به فَمَهُ، وحرام يطعم به حُرَمَه[٩]، حتى كان عِرْضُهُ عُرضةً للهوان، وأكْلَةً لأهل الأوان، فلما توفي المستكفي والسلطان عليه في حدّةِ غَضَبِهِ وتيّاره، المتحايل[١٠] عليه في شدّة غَلَبِهِ، طلب هذا الواثِق المغْترّ والمائق إلاّ أنه غير المضطرّ، وكان مِمّن يمشي إلى السلطان في عمِّهِ

(١) الواثق بالله، إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد العباسي، أبو اسحاق، ولي الخلافة بمصر بعد وفاة عمه المستكفي سليمان، أقامه السلطان الناصر بدلاً من ولي العهد أحمد بن المستكفي ولما مات الناصر وخلفه أبو بكر المنصور خلع الواثق وأقام أحمد سنة ٧٤٢هـ، وبها مات الواثق.
انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٨٨ وهو ينقل ترجمته عن المسالك والدرر الكامنة ١/ ٥٧.

(٢) من هنا، ينقل السيوطي ترجمة الواثق عن ابن فضل الله: تاريخ الخلفاء ص٤٨٩.

(٣) كذا في الاصل، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: صائحاً.

(٤) في تاريخ الخلفاء: وغواه اللعب بالحمام.

(٥) في الاصل: ومشترى، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٦) في تاريخ الخلفاء: ويثلم الوقار.

(٧) هذه الجملة لم ترد في تاريخ الخلفاء.

(٨) في تاريخ الخلفاء: وانضمّ هذا.

(٩) في تاريخ الخلفاء: وحرام يطعم منه، ويطعم حرمه.

(١٠) في تاريخ الخلفاء: المتحامل.

بالنميمة، ويعقد مكائده على رأسه عَقْدَ التميمة، فحضر إليه وأحضر معه عهد جدِّهِ، فتمسك السلطان في مبايعتِهِ بشبهتِهِ، وصرف وجه الخلافة إلى جهتِهِ، وكان قد تقدّم نَقْضُ ذلك العَهْد، ونَسْخُ ذلك العقد، وقام قاضي القضاة أبو عمر بن جماعة[١] في صَرْف رأي السلطان عن[٢] إقامة الخطبة باسم الواثق فلم يفعل، فاتفق الرأيان على ترك الخطبة للاثنين، واكتفى فيها بمجرد اسم السلطان، فترجّل[٣] بموت المستكفي اسم الخلافة عن المنابر، كأنَّهُ ما عَلا ذِرْوَتَها، وخلا الدعاء للخلفاء من المحاريب كأنّهُ ما قرع بابها ومَرْوَتَها، فكأنما كان آخر خلفاء بني العباس وشعارها عليه لباس الحداد، أغمدوا[٤] / ٢٠٤/ تلك السيوف الحِداد، ثم لم يزل الأمر على هذا حتى حضرت السلطان الوفاة، وقَرَعَ الموتُ صفاه، فكان مما أوْصى به ردّ الأمر إلى أهْلِهِ، وإمضاء عقد المستكفي لابنه، وقال: الآن حَصْحَصَ الحق، وحَنَا على مخلفيه ورَقّ، وعزل إبراهيم وهزل، وكان قد رعى الهمم[٥]، وسَتَر اللؤم بثيابِ أهْل الكرم، وتسمَّن وشحمهُ وَرَم وتسمّى بالواثق، وأين هو من صاحب هذا الاسم؟ الذي طالما سرى رُعْبُهُ في القلوب، وأمِنت هيبتُهُ العيوب[٦]، وهيهات لا تُعَدّ من النسر التماثيل، ولا الناموسة وإن طال خرطومها كالفيل، وإنما سوق[٧] الزمان قد يُنفق ما كسد، والهر يحكى انتفاخاً صولة[٨] الأسد، وقد عاد الآن يَعَضُّ يديه، ومَنْ يهن يسهل الهوان عليه[٩].

ثم قام:

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، ولي قضاة القضاة سنة ٧٣٧هـ، وجاور بالحجاز فمات بمكة سنة ٧٦٧هـ. انظر: الدرر الكامنة ٥/ ٣٧٨ والأعلام ٤/ ٢٦.

(٢) في الاصل: على، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٣) في تاريخ الخلفاء: فرحل.

(٤) الاصل: وعمود، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٥) في تاريخ الخلفاء: البهم.

(٦) كذا في الاصل: وفي تاريخ الخلفاء: وأقضّت هيبته مضاجع الجنوب.

(٧) في الاصل: سوء، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٨) في تاريخ الخلفاء: صورة.

(٩) تضمين لقول المتنبي:

مَن يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلام

وفي تاريخ الخلفاء: هذا آخر كلام ابن فضل الله.

[٥]

الحاكم بأمر الله[١]، أبو العباس أحمد بن المستكفي

إمام عصرنا[٢]، وغمام مصرنا، قام على غيظ العدى، وعُرِف بغيض الندىٰ، صارت به الأمور إلى مصائرها، وسِيْقَتْ أمل مُصائرها[٣]، فأحيا رسوم الخلافة، وَرَسَمَ بما لم يستطع أحَدٌ خِلافَه، وسلك مناهج آبائهِ وقد طُمِسَتْ وأحياها بمناهج أنبائه وقد دَرَسَت، وجمع شمل بني أبيه، وقد طال بهم الشتات، وأطال عذرهم[٤] وقد اختلفت الشيات[٥]، ورُفِع اسمه على ذُرى المنابر، وقد عَبر مدة لا يَطلع إلاّ في آفاقِهِ تلك النجوم، ولا تسحُّ[٦] من سُحُبِهِ تلك الغيوم والسجوم، طلب بعد موت سلطاننا[٧] تغمَّده الله برحمتهِ، وأنْفذ حكم وصيتهِ، في تمام مبايعته، والتزام متابعته، وكان أبوه قد أحْكم له بالعهد المتقدم عقدها، وحفظ له عند ذوي الأمامة عهدها، ثم سَلْطَنَ الملك المنصور أبا بكر[٨] ابن السلطان، وعمّر له من تَحْت الملك الأوطان.

قلت: وقد كان حين طار الخبر إلى مصر بموت السلطان بموت أبيه أُشيع إنه لم يعهد إليه، وإنما الناس قد يقع اجتماعهم عليه، فكتبت صورة مبايعةً له وهي[٩]:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[١٠] هذه بيعة /٢٠٥/ رضوان، ونبعة[١١] إحسان، وجُمعة[١٢] رضى يشهدها الجماعة، ويشهد عليها الرحمن، بيعة يلزم طائرها العنق، وتحوم بشائرها[١٣]، ويحمل أنباءها

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء ص٤٩٠ وهو ينقل عن ابن فضل الله والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٤ و٢٩٠ والدرر الكامنة ١/ ١٤٦.

(٢) في الاصل: عصنها.

(٣) كذا في الاصل، وفي تاريخ الخلفاء، وسيقت إليه مصائرها.

(٤) الاصل: عرزهم، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٥) في تاريخ الخلفاء: وقد اختلف السبات.

(٦) في تاريخ الخلفاء: يسبح.

(٧) في تاريخ الخلفاء: السلطان، وما بعدها من ترحم لم يرد فيه.

(٨) كذا في الاصل، وفي تاريخ الخلفاء سلطن الملك المنصور أبو بكر.

(٩) النص في تاريخ الخلفاء ص٤٩١ نقلاً من مسالك الأبصار.

(١٠) سورة الفتح ١٠.

(١١) في تاريخ الخلفاء: بيعة.

(١٢) في تاريخ الخلفاء: وجمعية.

(١٣) في تاريخ الخلفاء: ويحوم بسائرها.

البراري والبحار مشحونة الطرق، بيعة يصلح الله بها الأمة، ويمنح بِسَبَبِها النعمة، وتتجازى[(١)] الرفاق، ويسري الهناء في الآفاق، وتتزاحم زمر[(٢)] الكواكب على حوض المجرّة الدفاق، بيعةٌ سعيدةٌ ميمونة، بيعةٌ[(٣)] شريفة، بها السلامة في الدين والدنيا مضمونه، بيعة صحيحة شرعية، ملحوظةٌ مرعيّة، بيعة تسابق إليها كل نيّة، وتطاوع كل طويّة، ويجمع[(٤)] عليها شتات البرية، بيعة يستهلُّ بها الغمام، ويتهلَّلُ البدر التمام، بيعة متفق على الاجماع عليها والاجتماع[(٥)]، فاعْتَقَدَ صحتها من سمع لله وأطاع، وبذل في تمامِها كلُّ امرىء ما استطاع، حصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع، ووصل بها الحقّ إلى مستحقِّهِ، وأقرَّ[(٦)] الخصم والقطع النزاع، تضمّنا كتابٌ مرقوم بشهده المقرّبون، وتلقّاه الأئمة الأقربون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[(٧)] ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولله الحمد والي بني العباس، اجمع على هذه البيعة أربابُ العقد والحل، وأصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ، وولاةُ الأمور والحكام، وأرباب المناصب والأحكام، وحَمَلة العلم والاعلام، وحماة السيوف والأقلام، وأكابر بني عبد مناف ومن انخفض قدرُهُ وأناف، وَسروات قريش ووجوه بني هاشم، والبقية الطاهرة من بني العباس، وخاصة الأئمة وعامّة الناس، بيعة تُرْسَى[(٨)] بالحرمين خيامها، وتخفق بالمأزمين أعلامها، وتتعرف عرفات[(٩)] بركاتها، وتعرف بمنى ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر، وتؤم ما بين الركن والمقام والقبر[(١٠)]. ولا يبتغى بها إلاّ وجه الله الكريم، بيعة لا يحلّ عقدها، ولا يُنْبذُ عهدها، لازمةٌ جازمة، دائبةٌ دائمة، تامّةٌ عامّة، شاملةٌ كاملة، صحيحةٌ صريحة، متعبةٌ مريحة، ولا [من يوصف بعلم ولا][(١١)] قضاء ولا مَنْ يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء، ولا إمام مسجدٍ ولا خطيب، ولا /٢٠٦/ ذوي فتوى يُسأل فيجيب، ولا مَنْ جنى[(١٢)]

---

(١) في تاريخ الخلفاء: ويتجارى.
(٢) في تاريخ الخلفاء: لزهر.
(٣) ليست في تاريخ الخلفاء.
(٤) في تاريخ الخلفاء: ويجتمع.
(٥) في تاريخ الخلفاء: بيعة متفق عليها الاجماع والاجتماع.
(٦) في تاريخ الخلفاء: أقرّه.
(٧) الأعراف: ٤٣، وقراءة الاية: وقالوا الحمد لله.. الاية.
(٨) في تاريخ الخلفاء: تُرى.
(٩) في تاريخ الخلفاء: بعرفات.
(١٠) في تاريخ الخلفاء: الحجر، وما بعدها في الاصل بياض بمقدار ثلاث كلمات، وليس في الكلام نقص كما جاء في تاريخ الخلفاء.
(١١) ما بين قوسين سقط من الاصل، والتكملة عن تاريخ الخلفاء.
(١٢) في تاريخ الخلفاء: لزم.

المساجد ولا من تضمهم أجنحةُ المحاريب، ولا مَنْ يجتهد في رأي فيخطىء ويُصيب، ولا محدّث بحديث، ولا متكلّم في قديم وحديث، ولا معروف بدين وصلاح، ولا فرسان حربٍ وكفاح، ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح، ولا ضارب بصفاح ولا ساعٍ بقدم، ولا طائر بجناح، ولا مخالطٌ للناس ولا قاعد[1] في عزلة، ولا جمع كثرةٍ ولا قلّة، ولا من يستقلُّ بالجوزاء لواؤه، ولا مَنْ يَعْل فوق الفرقدين ثواؤه، ولا بادٍ ولا حاضر، ولا مقيم ولا سائر، ولا أوّل ولا آخر، ولا مُسْرٍ في باطن، ولا معلن في ظاهر، ولا عرب ولا عجم، ولا راعي إبلٍ ولا غنم، ولا صاحب أناةٍ و بدار، ولا ساكن في حَضَرٍ وباديةٍ بدار، ولا صاحب عمدٍ[2] ولا جدار، ولا ملجج في البحار الزاخرة والبراري والقفار، ولا من يتوقّل[3] صهوات الخيل، ولا من يُسْبل على العجاجة الذيل، ولا مَنْ تطلع عليه شمس النهار ونجومُ الليل، ولا مَنْ تظلُّهُ السماء وتقلّه الأرض، ولا مَنْ تدل عليه الأسماء على اختلافها، وترفع درجات بعضهم على بعض، حتى آمن بهذه البيعة وأَمَّنَ عليها وأمِنَ بها، ومَنَّ الله عليه وهداه إليها، وأَقَرَّ بها وصدق، وغضَّ له بَصَرَهُ خاشعاً وأطرق، ومَدَّ إليها يَدَهُ بالمبايعة، ومعتقده بالمتابعة ورضي بها وارتضاها، وأجاز حكمها على نفْسِهِ وأمضاها، ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها، وقضى بينهم بالحق وقيل: الحمد لله رب العالمين.

وإنه لما استأثر الله بعبده سليمان، أتى الربيع الامام المستكفي بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه، وعوضه عن دار السلام بدار السلام، ونَقَلَهُ مزكّي يديه عن شهادة الاسلام بشهادة الاسلام، حيث آثره بقربهِ، ومهَّدَ لجنبه وأقدمه على ما قدَّمه من مرجوّ عمله وكسبهِ، وخار له في جواره فريقاً، وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا، الله أكبر ليومه، يوماً لولا مخلّفه كانت تضيق الأرض بما رَحُبت، وتجزى كل نفس بما كسبت، وتنبأ كل سريرةٍ ما ادخرت /٢٠٧/ وما جَنَتْ، لقد اضطرم سعير إلاَّ أنه في الجوانح، لقد اضطرب[4] منبرٌ وسرير لولا خَلَفهُ الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح[5]، لقد غاضَتْ البحار، لقد غابت الأنوار، لقد غالت البدور عوارض ما يلحق الأهلّة عن المحاق، ويدرك البدور من السرار، نُسِفَتْ الجبال

---

(١) في تاريخ الخلفاء: قاعدة.
(٢) في الاصل: عهد، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٣) في تاريخ الخلفاء: يعتلي.
(٤) في الاصل: اضطر، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٥) إلى هنا ينتهي نقل السيوطي عن المسالك.

نسفا، وخَبَتْ مصابيح النجوم وكادت تُطْفى، وجاء ربك والملك صفاً صفاً، لقد جمعت الدنيا أطرافها وأزمعت على المسير، وخضت الأمةُ لهول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار، إن ربّهم يومئذ لخبير، وَقَفَتْ الألباب حيارى، وتوقّفت تارةً تصدق وتارةً تَتَمارى، لا تعرف قرارا ولا على الأرض استقرارا، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرْضَعَتْ، وتضع كلّ ذي حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولم[1] يكن في النسب العباسي ولا في جميع مَنْ في الوجود[2]، ولا في البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود، ولا مَنْ تلدْهُ أُخرى الليالي وهي عاقر غير ولود، مَنْ تسلم إليه أمة محمد ﷺ عقد نياتها، وسِرَّ طويّاتها، إلاّ واحد، وأين ذاك الواحد؟ هو والله مَنْ انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأطهار، وتراث أجدادِهِ [الأخيار][3]، ولا شيء هو إلاّ ما اشتمل[4] عليه رداء الليل والنهار، وهو ولد المنتقل إلى ربّه، وولد الإمام الذاهب لصلبه، المجمع على أنه في الأيام فرد هذا[5] الأنام، وهكذا[6] في الوجود الإمام، وإنه الحائز لما زررت[7] عليه جيوب المشارق والمغارب والفائز، بملك ما بين المشارق والمغارب، الراقي في صفح السماء هذه الذروة المنيفة، الباقي بعد الأئمة الماضين ونعم الخليفة، المجتمع فيه شروط الإمامة، المتضع لله وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة، الذي يفضح السحاب نائله، والذي لا يعزّه[8] عاذله، ولا يغيره[9] عاذله، والذي ما ارتقى صهوة المنبر بحضرةِ سلطان زمانه إلا قال ناصره وقام قائمه[10]، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه /٢٠٨/ ما غاب مستكفيه ولا غاب حاكمه، نائب الله في أرضه، والقائم مقام رسوله ﷺ وخليفته وابن عمّه، وتابع عمله الصالح ووراث علمه، سيدنا ومولانا عبد الله ووليّه، أبو العباس الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أَيَّدَ الله ببقائه الدين، وطوّق بسيفه الملحدين، وكبت تحت لوائه المعتدين، وكتب له النصر إلى يوم الدين، وكبّ بجهادِهِ على

---

(١) من هنا يعود السيوطي إلى نقل النص عن مسالك الابصار.

(٢) (ولا في جميع من في الوجود) لم ترد في تاريخ الخلفاء.

(٣) الزيادة عن تاريخ الخلفاء.

(٤) الاصل، اشتملت، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(٥) في الأصل: هو.

(٦) في الأصل: وواحد وهكذا.

(٧) في تاريخ الخلفاء: زرَّت.

(٨) لا يعزه: لا يقلبه، عادله: مساويه.

(٩) في تاريخ الخلفاء: يغرّه.

(١٠) في تاريخ الخلفاء: إلا قال بأمره وقام قائمهُ.

الأذقان طوائف المفسدين، وأعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين، وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون، وعليه كانوا يعملون، ونصر أنصاره، وقدّر اقتداره، وأسكن في القلوب سكينته ووقاره، ومكّن له في الوجود، وجمع له أقطاره[١]، ولما انتقل إلى الله ذلك السيد ولقى أسلافه، ونُقل إلى سرر الجنّة عن سرير الخلافة، وخلا القصر من إمام يمسك ما بقي من نهاره، وخليفةٍ يُغالب مزيد الليل بأنواره، ووارث بني بمثله ومثل آبائه، استغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الانبياء ﷺ عن نبيّ يقتفي على آثاره، ونسى[٢] ولم يعهد، فلم يبق إذ لم يوجد النص إلاّ الاجماع، وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله ﷺ بلا نزاع، اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كلُّ طرفٍ معقود، وعَقَدَ بيعة عليها الله والملائكة شهود، وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، فحضر مَنْ لم يُعبأ بصره بمن تخلّف، ولم يُرْبأ معه[٣]، وقد مدّ يده طائعاً لمن مدّها[٤] وقد تكلّف، وأجمعوا على رأي واحدٍ استخاروا الله فيه فخار، وأُخذ يمين تُمَدُّ لها الأيمان، وتُشَدُّ[٥] بها الأيْمان، وتعطى عليها المواثيق، وتعرض أمانتها على كل فريق حتى تقلّد كل من حَضَر في عنقه هذه الأمانة، وحطّ على المصحف الكريم يده وحَلَفَ بالله وأتَمَّ أيمانَه، ولم يقطع ولا استثنى ولا تردَّد، ومَنْ قَطَعَ عن غير قصْدٍ أعاد وجوَّد، وقد نوى كل مَنْ حَلَفَ ان النيّة في يمينه نيّة من عقدت له هذه البيعة ونيّة من /٢٠٩/ حُلف له، وتذمَّمَ بالوفاء له في ذمّتِهِ وتكفّلَه، على عادة إيمان البيعة وشروطها، وأحكامها المردّدة، وأقسامها المؤكدة، بأن يُبذل لهذا الامام المفترض الطاعةِ الطاعةَ، ولا يفارق الجمهور ولا يظهر[٦] عن الجماعةِ الجماعةِ.

وغير ذلك مما تضمنته نسخ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم، وخطوط العدول الثقات، عن مَنْ لم يكتبوا وأذنوا في أن يُكْتب عنهم، حسبما يشهد به بعضهم على بعض، ويتصادق عليه أهل السماء والأرض، بيعة ثمَّ بمشيئة الله تمامها وعمَّ بالصوب المحْدِقِ غمامُها، وقالوا:

الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن، ووهب لنا الحسن، ثم الحمد لله الكافي عبده، الموافي لمن يُضاعف على كلّ موهبةٍ حمده، ثم الحمد لله على نعمةٍ يرغب

(١) في الأصل: انظاره، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٢) في تاريخ الخلفاء: ومضى، ولعلها: نسيء.
(٣) في تاريخ الخلفاء: ولم ير بائعه.
(٤) في تاريخ الخلفاء: لمن يدها.
(٥) في تاريخ الخلفاء: وتشهد.
(٦) في تاريخ الخلفاء: لا يفر.

أمير المؤمنين في ازديادها، ويرهب إلاّ أن يقاتل أعداء الله بامدادها، ويَرْأب[١] بها من أثر[٢] في بناء ممالكه بما بات من مبانيه أضدادها، نحمده والحمد لله، ثم الحمد لله كلمة لا نملّ من تردادها، ولا يحلّ بما تفوق[٣] السهام من سَدادِها، ولا يطل[٤] إلاّ على ما يوجب تكثير أعدادها، وكبير أقدار أهل ودادها، وتصغير التحقير لا التحبيب لأندادِها.

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له شهادةً تقايس[٥] دماء الشهداء وإمداد مدادها، وتنافس[٦] طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها، وتتجانس رقومها المدبّجة، وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها والليالي من دثارها والاعداء من حدادها.

(ونشهد أن محمداً عبده ورسوله)[٧] صلّى الله عليه (وآله وسلم)[٨] وعلى جماعة أهْلِهِ ومَنْ خَلَفَ[٩] من أبنائها وسلف من أجدادها، ورضى الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن أمير المؤمنين لما أكسبه الله من ميراث النبوّة ما كان لجدّه، ووهبه من الملك السليماني ما لا ينبغي لأحَدٍ من بعدِهِ، وعلَّمَهُ منطق الطير بما يتحمله حمائم البطائق من بدائع البيان، وسخّر له من البريد على متون الخيل ما سخَّره / ٢١٠/ من الريح لسليمان، وأتاه من خاتم الأنبياء ما امتدّ به أبوه سليمان وتصرّف، وأعطاه من الفخار بهِ ما أطاعه كل مخلوقٍ ولم يتخلّف، وجعل له من لباس بني العباس ما يفضي له سواده بسؤدد الأجداد، وينفض على كحل[١٠] الأهداب ما فضل به عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد، ويمدّ ظلّه على الأرض، وكل مكانٍ حلَّهُ دار ملك، وكلُّ مدينةٍ بغداد، وهو في ليله السجّاد وفي نهارِهِ العسكري، وفي[١١] كرمه جعفر وهو الجواد، يديم الابتهال إلى الله في توفيقه، والابتهاج بما يغصَّ كل عدوّ بريقهِ، ويبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأهمّ في مصالح الاسلام، وصالح الأعمال فيما تتحلّى به

---

(١) في تاريخ الخلفاء: ويدأب. (٢) في تاريخ الخلفاء: من ارتقى.

(٣) الاصل: تفوت، والتصويب عن السيوطي.

(٤) في تاريخ الخلفاء: يبطل. (٥) في الاصل: تتقايس.

(٦) في الاصل: تتنافس.

(٧) ما بين قوسين سقط من الاصل، والتكملة عن تاريخ الخلفاء.

(٨) ما بين قوسين سقط من الاصل، والتكملة عن تاريخ الخلفاء.

(٩) في الاصل: سلف، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

(١٠) في تاريخ الخلفاء: ظلّ. (١١) في الاصل: ومن.

الأيام، ويقدم التقوى أمامه، ويقرر عليها أحكامه، ويتبع الشرع الشريف[١] ويقف عنده، ويوقف الناس، ومَنْ لا يحمل أمره طائعاً على العين حَمَلَهُ غصباً على الرأس، ويعجّل أمير المؤمنين بما يستقر به النفوس ويردّ به كيد السلطان وانه يؤوس، ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غني عن هذا ولكنّه يسوس، وأمير المؤمنين يُشهد الله وخلقه عليه[٢] بأنَّهُ أقرَّ وليّ كلّ أمرٍ من ولاة أمور الاسلام على حاله، واستمرّ به في مقيله تحت كنف ظلالِهِ، على اختلاف طبقات ولاة الأمور، وطرقات الممالك والثغور، برّاً وبحراً وسهلاً ووعْراً، وشرقاً وغرباً، وبُعْداً وقُرْباً، وكلّ جليلٍ وحقير وقليلٍ وكثير وصغير وكبير، وملك ومملّك، وأميرٍ وجندي يبرق له سيفٌ شهير، ورمحٌ ظهير، ومن مع[٣] هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب، ومَنْ له تدقيق في إنشاءٍ وتحقيق في حساب، ومن يتحدّث في بريدٍ وخراج، ومَنْ يُحْتاج إليه ومن لا يحتاج، ومَنْ في التدريس والمدارس والربط والزوايا والخوانق، ومَنْ له أعْظَم التعليقات[٤] وأدْنى العلائق، وسائر أرباب المراتب وأصحاب الرواتب، ومَنْ له من مال الله رزقٌ مقسوم، وحق مجهول ومعلوم، استمراراً بكل[٥] امْرِىء على ما هو عليه، حتى يستخير الله تعالى ويتبين له ما / ٢١١/ بين يديه، فمن ازداد تأهيله زاد تفضيله، وإلاّ فأمير المؤمنين لا يريد إلاّ وجه الله، ولا يحابي أَحَداً في دين الله، ولا يُحابي في حق، فإن المحاباة في الحق مداجاة على المسلمين، وكلّما هو مستمر إلى الآن مستقر على حكم الله مما فهَّمَهُ الله له وفهمه سليمان، لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضِهِ مغيراً[٦] شكراً لله على نعمِهِ، وهكذا يجازى مَنْ شكر، ولا يكدر على أَحَدٍ موردِاً نزَّهَ الله نِعَمَهُ أو كفر، ولا يتعلّل متعلّل، فإن أمير المؤمنين نعوذ بالله ونعيذ أيامه (الغرر)[٧] من الغِيَر، وأَقَرَ أمير المؤمنين ـ أعلى الله أمْرَه ـ أن يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق، وإن تُضْربَ[٨] باسميهما النقود وتسير بالاطلاق، ويوشح بالدعاء لهما عطف الليل

(١) في الاصل: المرلع الزيف، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٢) في تاريخ الخلفاء: يشهد الله عليه وخلقه.
(٣) في الاصل: ومع من، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٤) في تاريخ الخلفاء: التعلّقات.
(٥) في تاريخ الخلفاء: واستمر كل امرىء.
(٦) في تاريخ الخلفاء: تغييراً.
(٧) الزيادة عن تاريخ الخلفاء.
(٨) في الاصل: تصرف، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.

والنهار ويصرّح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار[١]، وتتهيّأ به وتتناهى المنابر ودور الضرب (هائل)[٢] يرفع اسمها على أسِرّة مهودها.

وهذه أعلى أسارير يقودها، فالخُطَب والذهب معدنهما واحد، وبهما يذكر الله منهما مساجد، وهذه تقام بها الصلاة، وتلك تُدام بها الصِلات، وكلاهما تُسْتمالُ به القلوب والأقلام على ما تعيه الآذان وتوعيه، وما منهما إلا ما تُحذف بجواهره الاخلاق وتميل إليه الاعناق، وتبلغ به المقاصد، وكلاهما أمرٌ مطاع، وإذا لمعت بارِقَةُ الخطب طار للذهب شعاع، ولولاها[٣] ما اجتمع جَمْعٌ ولا انضمّ، ولا عُرف الإمام ممن يأتم، ولولا الأعمال ما رتبت الأموال، ولولا الأموال ما وليت الاعمال، ولأجل ما بينهما من هذه النسبة قيل إن الملك له السكّة والخطبة، وقد[٤] أسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب، ويتداوله كل بعيد وقريب، ومختصره إن الله أمر بأوامر، ونهى عن نواهٍ، وهو رقيب، وسيفرغ الألباء لها /٢١٢/ السجايا ويفرغ الخطباء لها شعوب الوصايا، وتتكمل بها المزايا، ويخرج من المشايخ الخبايا، من الزوايا، ويَسْمُر بها السمّار، ويترنم بها الحادي والملاح، ويرق شجوها بالليل المقمر ويرقم على جبين الصباح وتعطر[٥] به مكة بطحاءها، ويحيا بحدائها قباه، ويلقنها كل أب فهم ابنه، ويسأل كلُّ ابن نجيبٍ أباه، وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين مرشد[٦] وعليكم بيّنة، وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة، ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة، ولولا قيام الرعايا ما قبل الله أعمالها، ولا أمسك بها البحر ودحى الأرض وأرسى جبالها، ولا اتفقت الآراء على من يستحق، وجاءت إليه الخلافة تجرّ أذيالها، وأخذها دون بني أبيه، ولم تك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح إلا لها[٧]، وقد كفاكم أمير المؤمنين[٨] السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق وأسباب الارتزاق،

---

(١) إلى هنا ينتهي نقل السيوطي عن مسالك الابصار، وسيعود إليه بعد قليل.
(٢) كذا في الاصل، ولم أتبين لها وجهاً.
(٣) الاصل: ولولا.
(٤) منها يعود السيوطي في نقل النص عن المسالك.
(٥) في تاريخ الخلفاء: تعظ. (٦) في تاريخ الخلفاء: من سدد.
(٧) تضمين لقول الشاعر في مدح المهدي العباس:

اتته الخلافة منقادة ... إليه تجرّر أذيالها
فلم تك تصلح إلاّ له ... ولم يك يصلح إلاّ لها

(٨) في الأصل: كفاكم الله أمير المؤمنين.

وأجراكم على وفاقكم، وعلّمكم مكارم الأخلاق، وأجراكم على عوائدكم ولم يُمْسِك خشية الإملاق، ولم يبق لكم على أمير المؤمنين إلاّ أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه [وآله][١] وسلم، ويعمل بما يبعث[٢] به أن يحيا أطال الله بقاء أمير المؤمنين من بعده، ويزيد على مَنْ تقدم، ويقيم فروض الحج والجهاد، وينيم[٣] الرعايا بعدْلِهِ الشامل في مهاد، وأمير المؤمنين يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام، ويشمل ببرّه سكان الحرمين الشريفين وسَدَنَةَ بيت الله الحرام، ويجهز السبيل حالِهِ[٤]، ويرجو أن يعود على حالِهِ الأول في سالف الأيام، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر، ويرسل إلى ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام، ويقيم بعدله قبور الانبياء صلوات الله عليهم أينما كانوا وأكثرهم في الشام، والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سننها وقويم سننها، وستزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم إليه، وفيما يتسلّم من بلاد الكفار منهم على يديه، وأما الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن /٢١٣/ أمير المؤمنين بمأموره، المقلّد عنه جميع ما وراء سريره، وأمير المؤمنين قد وكّل منه ـ خلّد الله ملكه وسلطانه ـ عيناً لا تنام، وقلّد سيفاً لو أغْفَتْ[٥] بوارِقُهُ ليلةً واحدةً عن الأعداء، سلَّت خياله عليهم الأحلام، (فإنه حقه)[٦] وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدى، وقد قدّم الوصيّة بأن يوالي غزو العدوّ المخذول برّاً وبحراً، ولا يكفّ عن من ظفر به منهم قتلا ولا أسْراً، ولا يفك أغلالاً ولا إصْرا، ولا ينفكّ يرسل عليهم في البرّ من الخيل عقباناً وفي البحر غرباناً، يحمل كلّ منهما من كل فارسٍ صقرا، ويحمي الممالك ممن يتخرّق[٧] أطرافها بإقدام، ويتجول أكتافها بأقدام، وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور، وما يحتاج إليه من آلات القتال، (وما يَجْتاح به الاعداء وتعجز حيلة المحتال)[٨]، وأمهات الممالك التي هي مرابط البنود، ومرابض الأسود، والأمراء والعساكر والجنود، وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود، وتفقد أحوالهم بالعرض،

(١) الزيادة عن تاريخ الخلفاء.
(٢) في تاريخ الخلفاء: يسعد.
(٣) في الاصل: ويقيم، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٤) في تاريخ الخلفاء: ضالِهِ.
(٥) الاصل: اغبت، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٦) لم ترد في تاريخ الخلفاء.
(٧) الاصل: يتخوّف، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٨) لم ترد في تاريخ الخلفاء.

بما لهم من خيْل تعقد ما بين السماء والأرض، وما لَهُم من زَرَدٍ موضون[١] وبيض مسَّها ذهب ذائب فكانت كأنها بيضٌ مكنُون، وسيوفٌ قواضب، ورماح لشيب ذوائبها[٢] من الدماء خواضب، وسهام تواصل القسيّ وتفارقها، فتحنّ حنين مفارق، ويزمجر القوس زمجرة مغاضب، وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها إطابة قلوبكم، وإطالة ذيل التطول، على مطلوبكم، ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حِمايةٍ إلاّ ما أباح الشرع المطهر، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر، وأما جزئيات الأمور فقد علمتم بأن مَنْ بَعُدَ عن أمير المؤمنين غنيٌّ عن مثل هذه الذكرى، ومنى حقاً لا يستغل يتطلب شيءٍ نكرا[٣]، وفي ولاة الأمور ورعاة الجمهور ممن هو سداد عمله، ومراد أمله، ومراد من هو منكم معشر / ٢١٤/ الرعايا وأنتم على تفاوت مقاديركم عندهم وديعة أمير المؤمنين، ومن خَوله وأنتم وهم فما منكم من سيعرف أمير المؤمنين، ويمشي في مراضي الله على خُلقه، وينظر ما هو عليه، ويسير سيرته المثلى في طاعة وليّ خلقهِ، وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين، وله عليكم[٤] أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بسريرةٍ صحيحة، فقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رِقّة، ولزمه حكم بيعته أُلْزِمَ طائِرَهُ في عُنُقِهِ، وسيعمل كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليما، ومَنْ أوْفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً [عظيما][٥].

هذا قول أمير المؤمنين، وقال وهو يعمل في ذلك كلّه بما تحمد عاقبته من الأعمال، وتُحمل منه ما يصلح له به المآل، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد، وما سوى هذا فجورٌ لا يشهد به عليه ولا يُشْهد، وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ويستعيذ به من الإهمال، ويسأل أن يمدّه لما يحبّ من الإمهال[٦]، ولا يمدّ له حبل الإمهال.

ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والاحسان والحمد لله، وهو من الخلق أحمد، وقد آتاه الله ملك سليمان، والله يمتع أمير المؤمنين بما وهبه، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمل الطويل عقبه، فلا يزال سُدَّة العلياء قعوده،

---

(١) الاصل: موصوف، والتصويب عن تاريخ الخلفاء.
(٢) في تاريخ الخلفاء: بسبب دوامها، وهو تصحيف.
(٣) كذا في الأصل، المعنى غامض. ولم ترد في تاريخ الخلفاء.
(٤) في الاصل: ولكم عليه، وهو من سهو الناسخ.
(٥) الزيادة عن تاريخ الخلفاء.
(٦) في تاريخ الخلفاء الآمال.

ولدسْت الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أوْدى مهديُّهُ ولا ذهب رشيده[١].

/ ٢١٥/ أدام الله أيام الديوان العزيز المولوي السيدي النبوي الامامي الحاكمي، ونصر به جمع الإيمان، وبشّر بأيامه الزمان، ومَتَّعَهُ بالملك السليماني الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده، بما ورثه من سليمان، ولا زال يخضع لمقامه كل جليل، ويُعرف لأيامه كل وجهٍ جميل، ويعترف بشوفهِ كلُّ معترفٍ بالتفضيل، ويشهد بنفاذ أوامرِهِ من ذي نسبه الشريف كل أخٍ وخليل، ولا كان إلاّ كرمه المأمول، ودعاؤه المقبول، وعدوّهُ المصروع، ووليّه المحمول، ولا برحت طاعته يعقد عليها كل جمع، ومراسمه ينصت إليها كلّ سمع، وطوائف الذين كذبوا لا تتلى عليهم آياته إلاّ تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع[٢].

المماليك يقبلون الأرض بالأبواب الشريفة التي هي حطة شرفهم، ومكان تعدّد القدماء منهم ومن سَلَفهم، ويلوذون بذلك المقام، ويعوذون بذلك الحرم الذي لا يبعد نسبه من البيت الحرام، ويؤمّلون ذلك الكرم الذي ما منهم إلاّ من سعد به طائرهُ، وجاءته به في وجه الصباح أشايرُه وفي وجه العشاء بشائره، فنالوا به أقصى المرام، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سعد لا يعنون إلاّ تلك الايام، وينتهون إلى ما وَرَدَ به المرسوم الشريف الذي ما من المماليك إلاّ من ثبت لديه تقديم عبوديته ورقِّهِ، وسارع إلى طائره الميمون وحمله بسيفه، وفتح له عَيْنَهُ وظنَّ أنه حاكم وامتثلوا أمره، وكيف لا تمتثل الرماة أمر الحاكم لا سيما ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ، الإمام الحاكم، وأجلوه عن رفعه إلى العين، إذْ كانت تلك منزلة الحاجب وقدّموا إليه خوافق قلوبهم الطائرة، وما علموا أن كانوا قاموا بالواجب، ووقفوا على أحكام حاكمه فما شكّوا أن زمان هذا الفتى بحياة ناصرِهِ في بغداد قد عاد، وأن مثاله الممثل في سواد الحدق مما حملته أيامه العباسية من شعار السواد، وعلموا ما رسم به في معنى محمد بن الحمص الذي / ٢١٦/ ما نورت الليلة الظلماء أكاريخُهُ ولا بعدت في الاقعاد له تواريخُه، بل أخْمَدَتْ دموع ندمه نيرانُهُ المشعلة، وأصبح لا يحمل القوس في يده إلاّ على أنه مَشْعَلَهْ، وما كان أنهاه بالديوان العزيز ما لم يذكر الخواطر الشريفة بأنه فيه المقتدى، وأنه صاحب القوس إلا أنه ماله سعاده المشترى، وأنه موّه

(١) ما بعده بياض في الاصل بمقدار ستة أسطر.

(٢) بعده في الاصل: بياض بمقدار كلمة، ومن الواضح أن ما بعده لا صلة له بما سبقه.

تمويه الجاحد، وتلوَّن مثل قوس قزح، وإلاّ فقوس البندق قوسٌ واحد، وأدلى بغروره، وعرض المحضر الذي حمله على تقريره، وذلك في غيبة الأمير بهاء الدين أرسلان البندقداري الحاكمي الذي لو كان حاضراً لكان نبأ بخبره، وأحْسَنَ بالاعلام بسوء محضرِهِ، وتحيّل الخط الشريف الذي لو عقل لكان حجة عليه ومؤكداً لابطال رميه وقوسِهِ وبندقهِ في يديه لما تضمَّنَهُ الخط الشريف المقيد اللفظ بعد الاسوله[1] المكتب على المصطلح الساحب ذيل فخاره على المقترح الذي هدى إلى الخير وبدأ بهِ ما وهب من الملك السليماني الذي أُوتي من كل شيء، وعُلّم منطق الطير، فإنه لم يلبث إلا بأن يرمى على الوجه المرضي واستبقاء شروط البندق، والخروج من جميع الاشكال عملاً بقواعدِهِ، وبهذا الذي كتب له يكتب ويستمرّ قعوده وينكب، ويعلم به، أنه ما رعى حق قدمته، ولا فعل في الباب العزيز ما يجب من التحلّي بشعار الصدق في خدمته، وأنه خالف عادة الادب، وأخطأ في الكل ولكنه ندب، وذلك بعد أن عمل جمع برماة البندق، وسُئل فأجال: بأنه سالم من كل أشكال الشكل، وأنه بعد أن أقعد رمى وحَمَل وحُمل، فشهد عليه السادة الأُمراء ولاة العهد، إخوة أمير المؤمنين ومَنْ حَضَرَ وكتبوا خطوطهم في المحضر، وما حصل الآن عن عرض قصة المماليك بالمواقف المقدسة ووضوح قضيته المدنسة، من التعجب من اعتراف المماليك لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخط الشريف، وهو لفظ مُقَيَّد، وأمر أيَّد فيهِ رأي الامام الحاكم بأمر الله المسترشد بالله والمؤيد، وكلما أمر به أمير المؤمنين لا معدل عن طرقه ولا جدال إلا به، إذا ألزم كل /٢١٧/ أحد طائره في عنقه، وأمر أمير المؤمنين بحر لا مَدَدَ إلاّ من علمه، وهو الحاكم ولا رادّ لحكمِهِ، وإنما ابن الحمص المذكور عُدِمَ السداد، وخالف جاري العادة، فإنه الذي سلق في الافتراء بألْسِنةٍ حِداد، ولم يوقف المهالك من الخط الشريف إلاّ على بعضهِ، ولا رآهم من برقهِ المماليك غير ومْضِهِ، والذي أوقفهم عليه منه أن يرمى محمد بن الحمص ويرمي معه، وكلمةُ أمير المؤمنين مُسمعة، ومراسمه مُتبعة، وإذا تقدم كان كل الناس تبعه، غير أن المذكور بدت منه أمور قطع بها الامير صارم الدين صارجا[2] الحاكم في

(١) كذا في الاصل، ولم أفهم معناها.

(٢) صارجا المظفري، صارم الدين، كان أميراً بمصر، وأرسله السلطان الناصر مع سيف الدين تنكز إلى الكرك فخدم تنكز، ثم اعتقله الناصر مدة عشرة سنين، ولما افرج عنه أرسله أميراً على صفد، ثم نقله تنكز أميراً إلى دمشق، وحظي عنده ثم امسك بالامير تنكز فاعتقل معه صاروجا وسملت عيناه، ومات بدمشق سنة ٧٤٣هـ، انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٢٩٦ والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٢٤ ونكت الهميان ١٧٠ وشذرات الذهب ٦/ ١٣٨.

البندق وكان في حقه، وأقعده عن قدمته التي كان يمتُّ فيها بسيفه، وانتقل عنه غلمانُهُ، ونقل عنه زمانُه، ونودي عليه في جمع كبير يزيد على تسعين قوساً، وخرج بخطأ بندقه خرجاً لابوساً، ثم بعد مدة سنين توسَّلَ لولد الامير المرحوم سيف الدين تنكز[1] إلى أبيه، وتوصل به إلى مراميهِ، فأمر بأن يُرمى معه، وهدّد المخالف بالضرب، ولم يرم معه أحَدٌ يرضاه إلاّ خوفا أن يوقد عليه نار الحرب، فلما مَضَتْ تلك الأيام وانقضت تلك الأحلام جمع مملوك الأبواب العالية الامير علاء الدين أبي الابوبكري الحاكم الآن في البندق من رماة البندق جمعاً كبيراً واهتم به اهتماماً كبيراً، وذكر أمر المذكور وأحضر بحضرة المسطور، فلم يكن عليه تعويل، ولا في حكم الحاكم المتقدم تعليل، ولا عند هذا الحاكم الذي دعى له وادعى عنده بحور الأباطيل، وتحقق أن الحق فيما حكم به عليه، فتبع وترجّح أن لا يقام معه من أقعد، ولا يوصل ما قطع، فنفذ حكم الحاكم المتقدم، واستمر بقعودِهِ المتحتّم، ووافقه على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية، وحكامها، ومَنْ يرجع إليه في الرماية وأحكامها، وبطلت قدمة المذكور التي ذهب فيها عمره متابعاً، وزمانه الذي لو اشتريت منه ساعة بالعمر لم يكن بائعاً، ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفاً، قبلوا الأرض لديه، وأوْقفوا عليه حاكمهم المسمى فوقف له وعليه، وجمع له /٢١٨/ جمعاً لم يدع فيه من الرماة معتبراً، ولا من يُلقم القوس وتراً، ولا مَنْ إذا فُقد كالعين جرى ما جرى، ثم قرأ عليهم ما تَضمّن، ودعوا لأمير المؤمنين، ولم يبق منهم إلاّ مَنْ دعى أو أمّن، وتضاعف سرورهم بحكمه الذي دفع الخلل، وقطع الجدل، وقالوا لا عدمنا أيام هذا الحاكم الذي أنصف، والامام الذي عدل، وبقي ابن الحمص مثله، ونودي عليه أنه مَنْ رمى معه كان متخطياً مثله، وَوَقَرَتْ هذه المناداة في كل مسمع، وقرت استقراراً انفصل عليه المجمع، وذلك بما فهم من أمير المؤمنين ونص كتابه المبين، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكم، والله أحكم الحاكمين، وطالعوا بها وأنهوا صورة الحال، ووجهوا في إمضائه الآمال، لا زالت سعادة أمير المؤمنين منزهة عن الشُّبَه آخذةً من خير الدارين كل اثنين في وجه، تحصل كل رميةٍ عن كثب،

(١) تنكز، سيف الدين أبو سعيد، من كبار الامراء، نائب الشام أيام السلطان الناصر، جلب إلى مصر ونشأ بها، فاشتراه حسام الدين لاجين، ولما قتل لاجين صار إلى السلطان الناصر وشهد معه بعض حروبه، ثم أرسله إلى دمشق نائباً وعظم شأنه، وكان عادلاً حازماً مهيباً، ثم اعتقله الناصر وصادر أمواله وكانت كثيرة جداً، ومات سنة ٧٤١هـ،
انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٦٠ والوافي بالوفيات ١٠/ ٤٢٠.

ولا يرى في كل أمنيّة إلاّ كل مصطحب، ما غبَّ في السماء المرزمّ، ووقع العقاب على ثنية يقرع سِنّهُ ويتندّم، وعلا النسر الطائف والواقع على آثارِهِ وسائر طيور النجوم الحوَّم[١].

/ ٢١٩/ يقبل اليد الشريفة لا زال اعتناؤها أَحَد النجاحين وأَحَدَّ السلاحين، وأقوى القوادم إذا جنى الحين حصّ الجناحين، ويقدم شكراً يعجّله كما يؤمله من نوالِهِ قبل سؤاله، ويرجوه بإمامه بجاهِهِ أو بماله، بسبب ناصر الدين محمد بن الحمص أحد قدماء البندق، فقد علم ما جرى له مع رفاقِهِ، وكسادِهِ عندهم بعد نِفاقِهِ، وانهم نَتَفوا ريشَه ثم عادوا إليه ورشقوه، وأوقدوا له النار ثم جابوا الحمص الخزين وسلقوه، ثم إنهم لما سلقوه أكلوه، بألسنتهم الحداد وطحنوه بسواعدهم الشِّداد، وهو المعتر الآن بينهم في غاية الاضامة، وقد تنقَّلوا بعرضه وجعلوه قضامة، وما تكلم في الجمع الذي جمع له، حاشا مولانا، إلاّ فشّروه، وقالوا: نحن أخبر بك يا حمص ثم أنهم قشَّروه، وعملوا معه عمل رماة البندق حتى رموه في وسط الموجلة، وقرعوا من كل أحدٍ وخلّوه لهم مشغله، وما رؤي من اكريحة[٢] الحمص إلاّ الصارخ، ولا عرفوا قدره إلاّ بالكسوة فحصَّلوا القدرة وقدّموا النافخ، وقد مضى عليه زمان وهو كبير الجماعة، وجائل القدر بينهم قبل أن يأكلوا الحمص بينهم هذا الأكل من المجاعة، وما فطن لهم وقد حطبوا عليه هذا التحطيب، فرَّد وأوقدوا جمرته وغطّوا عليه القضيّة حتى طخوا[٣] قدرته، وصادفوا كل الطير بمعاداته، واستراحوا من الملق بابطال عاداته، وقد زَمِنَ المسكين من طول القعود، وندس لما لم يخرج إلى البرزات في الربيع، وقد دبَّ الماءُ في العود، وقد قتله طول الاختشاء وذهب عمره وما سُرَّ له قلبٌ في وجه صباح ولا وجه عشاء، وكلّما أراد أن ينطق قيل له أُسكُت لا تتكلم، واُسْتَمر قاعداً مكانك لا تتقدم، والمذكور له منذ طار بجناح المولى نجاح، وقد أصيب وله سوابق فيحمل بالسبق وبالجناح، وقد آن لهذا الزمن أن يقف على قدمِهِ، ولهذا الطير المذبوح بلا سكين أن يسكن مما يتخبط في دمه، وسيقف مولانا على ما يرد من الجواب وما فيه وارد، ويرى كيف / ٢٢٠/ تجمعت الرماة عليه ورموه بقوسٍ واحد، ويعوزه عناية تحدّ لها هذه الطيور أعناقها، وتعجل له من أحواله المسترقّة أعناقها، وذلك جمع يُجمع بالديار المصرية بحضرة الإمامة،

(١) ما بعده بياض في الاصل بمقدار نصف صفحة.

(٢) كذا في الاصل، ولم افهم لها معنى.

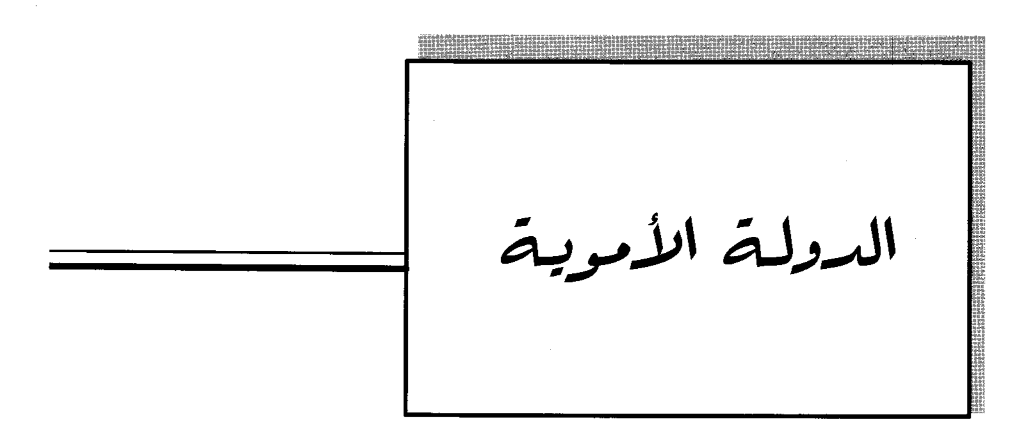
(٣) طخوه، رموه وأبعدوه.

ومكانٍ لا يُغم على أحَدٍ فيه إلاّ أوقات الهجير ظل الغمامة، فقد ضجر هذا الذاهب المهجة في حب البندق مما يصبر وما يؤجر، وقد يبس قوسُه وصار حطبه مما هو مفكوك ما يوتر، وهو ما لا ينقلب من غير مرامي البندق إلى أهْلِهِ مسروراً، وممن يهون عليه إذا قوسه أن يفقد عينيه ويكون موتورا، وقد قنع من المملوك بالشفاعة، وبان يتلطخ بندقه بالدم يَقْنَع بالشناعة، فقد شكى في هذه المدة لعدم الحمل كمندانه[1] وقعوده وقد برز إلى المبرز جماعة أخدانِهِ، وهو الآن مما طحنوه مثل هشيم المحتضر، وقوسه قد التوى عنقه لكن إلى صوب مولانا لما ينتظر، وفي الحديث: استعينوا على كلّ صنعةٍ بصالح أهلها، وهذا في صنعة البندق هو الصالح الفاسد، وله في كثرة رمي البندق ما لا ينكره الحاسد، وأعجب الأشياء أن اللحم بعده قَدْ قلَّ، ومع هذا الحمص كاسد، وعلى هذا فقد طالَتْ على هذا الشيخ الصالح كما تقدم الخلوة، فقد نَضَجَ الحمص، وأما السلق الذين دقّوا به قفاه فبعد عليه غلوه وقد مزّقوا جلده أضعاف ما قُدَّ لعلائق جراوته من السبور، ودقَّ دقّاً ناعماً من القضامة، وجُعل في معالف الطيور، ولا يردّ المولى له الشفيع المشفّع، ويخفف ما به، فكلّه حتى عين قوسه بكاءً ما يجفّ لها مدمع.

* * *

(١) كذا وردت في الأصل.

وهذه:



وانساق فيها ذكر ابن الزبير، لأن أيامه تخلّلتها وشغلتها مُدةً ما أخلتها، وأتينا بهذه الدولة مؤخرة هُنا، وهي مقدّمة في الزمان على حسب النسب، والكل من جوهر النسب منه ما طَفَا ومنه ما رَسَب.

[١]

دولة معاوية بن أبي سفيان

صخر بن حرب بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف، وزعم قوم أنهم لهم أَلْقاباً مثل أَلْقاب بني العباس يجري إلقاؤها بينهم على القياس، وهذا لمن كان منهم بدمشق، ولا يدعي في هذا قول حق، فأما مَنْ كان منهم بالأندلس فإنهم تعرفوا بعواري أعلامها وتشرّفوا بطوارق أحلامها، ونحن لا نذكر معهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إذْ لم يكن لذكره هنا معنى، ولا مع الخلفاء الراشدين مجنى، وإنما تذكر دولة بني حرب ومروان من لدن معاوية إلى آخر أوان،

كان معاوية صاحب رسول الله ﷺ، وكاتب الوحي منذ أسلم، ثم كانت له منزلة قريبة وصلة بأم حبيبة[١]، أسْلَمَ يوم فتح مكة، وفتّ في مهاب الكفر شركة، وكان يقول أنه أسلم من قبل، وإنما كان يكتم إسلامه، ويُظهر لأبيه مطاوعته واستسلامه، وإنما هي دعوى اللهُ أَعْلم بغيبها، وأحكم بما فيها جلاء ريبها، وإنما إجماع المحدّثين والقديمين والمحدثين على أنه هو وأبوه وأخوه وذووه من مسلمة الفتح قولاً ثبتاً، وقطعاً بتّاً، طلقاء الفتح، وعُتقاء الصفح، أَخَذَ العباس رضي الله عنه لأبيه أبي سفيان الأمان، وكرَّمه بأمور منها أنه كلّ مَنْ دَخَلَ دار أبي سفيان على ما تقدم من السيرة، ثم كانت إلى الله السريرة، فأما الظاهر فإنهم من المؤلفة قلوبهم، والمؤلّبة على أول الاسلام وآخره حروبهم.

وكان معاوية رضي الله عنه كثير السؤدد، لا يخف كالجبل القردد[٢]، بحر لا يدرك قراره، وطودٌ لا يدهك[٣] وقاره، وفحلٌ لا يُردّ نِفارُهُ، /٢٢٢/ ومِنْصَلٌ لا يَحدّ غراره، طبعَ الحلْمُ فيه غريزةً، وَوِضع السَّدادُ فيه نَحيزَةً[٤]، لم يكن أوسع منه بطاناً ولا أمنع منه سلطاناً، لا يؤثر ذنب في غزير حلمه، ولا يُؤاخذ مسيئاً بكبير جرمه، لو أن أمله في النجم لَبَلَغَهُ، أوْ في اليمِّ لسوَّغَهُ، بحبل اصيد من الفخاح، وأجول في الفضاء من الرّخاخ[٥]، بتلطفٍ لو أراد لتشرَّب في مسامّ الزجاج، وعَذُبَ بهِ مذاق

---

(١) أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبد الله بن جحش، فهاجر بها إلى الحبشة ثم انه تنصّر وأقامت أم حبيبة على الإسلام فتزوجها رسول الله ﷺ ومهرها عنه النجاشي، توفيت سنة ٤٤هـ، انظر: أنساب الاشراف ١/٥٢٨ وطبقات ابن سعد ٨/٦٨.

(٢) القردد: المستوي الغليظ المرتفع.

(٣) دهك: كسر وطحن.

(٤) النحيزة: الطبيعة.

(٥) الرخاخ: جمع رخ، وهو طائر خرافي، بالغ القدامى في وصفه، وبه سميت قطعة من قطع الشطرنج.

البحر الأجاج، أمَّره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بعد أخيه يزيد[١]، وقرّرَهُ على الشام كما يُريد، فقرَّت بها قرارتُه، وأقْمَرَتْ فيها دارتُه، وتحبّبَ إلى أهلها حتى كأنّه بينهم رُبي، أوْ لهم خُبي، لتألّفه لأهوائهم، وتعرّفه لأدوائهم، بما دَخَلَ بهِ على قلوبهم، بسدِّ خلل مطلوبهم فاستحمد طوياتهم، واستعبد نيّاتهم، حتى اتخذهم شيعة، وأَنْفَذَهُم سهاماً في كل وقعية، وآستمر حتى قُتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فقام يطلب بدمِهِ، ويبدي التغصّص بندمهِ، وشَهَّرَ بالبكاء دمعته، وشهر بالانتكاء سُمعته، وقال: أنا ولي عثمان لا أرجع بأربع ولا ثمان، ولا أبيع دمي الأثمان، ولا أتبع قدمي إلا المضرّج بدمه ذلك الجمان، وذلك حين لم يقرّه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه على الشام والياً، ولم يقله للإسلام كالياً قال ابن عباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، ولّهِ شهراً واعْزله دهراً، فقال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٢]، وكذلك قد كان، قال له المغيرة[٣]، وهو أحَدُ العرب دهاءً، وأخفُّ بجدٍ لا يطرف عينه التهاءً، فأجابه بنحو حوى[٤] ذلك الجواب، وكان سوى ما قصد الصواب، فلما رأى المغيرة أنه لا يقبل رأيه تركه، وصوَّب له رأيه وهو مهلكه، فأتاه ابن عباس والمغيرة قد خرج من عنده، وما خرج نار رأيهِ من زَنْدِهِ، فلما دخل عليه قال له: ما قال لك المغيرة، وما أجبته؟ فلما قصّ عليه القصص، قال: ولم خالفته وقد /٢٢٣/ نَصَحَك والله أوّلاً وغشَّك ثانياً، وقَرُب له الرأي ولم يكن مُدانياً، فلما أتى كتاب عليّ معاوية ألْقاه وقبله صدر الخيل ولقاه، وأُيّد بعمرو بن العاص رضي الله عنه، وأدرج طلب الخلافة في أمر القصاص، فنشأت تلك الحروب السجال، والحروب المتلفة لمهج الرجال، حتى كادت تأتي على الاسلام، وتحوي في حضانة السيوف من لم يبلغ الاحتلام، وبإجماع العلماء ان حزب الشام هم البغاة والناطق كتاب الله بحربهم، المصيب عليّ رضي الله عنه في قتال حزبهم، ولا يُعدّ أهل الحق لمعاوية خلافة إلاّ منذ سلّم إليه الحسن فسلم من الفتن.

---

(١) يزيد بن أبي سفيان، أسلم عام الفتح، ثم ولاه أبو بكر دمشق، مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وأوصى ان يلي بعده أخوه معاوية فأقره عمر على ذلك، انظر: الاصابة تسلسل (٩٢٦٥) والاستيعاب بهامش الاصابة ٤/١٤٩.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أحد دهاة العرب، ولد بالطائف، وأسلم عام الهجرة بعد أن غدر برفقة له، وشهد معارك الفتوحات الاسلامية ثم ولاه عمر البصرة، وعزله بعد أن اتهم بالزنا، ثم ولاه الكوفة، واعتزل الفتنة أيام عثمان وعلي، ثم ولاه معاوية الكوفة إلى أن مات سنة ٥٠هـ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ، انظر: الاصابة ترجمة ٨/٨ واسد الغابة ٤/٤٠٦.

(٤) كذا في الاصل، ولعله أراد فحوى.

وكانت[(١)] أُمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس عند الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان له بيت للأضياف يَغْشاه الناس فيه بغير إذنِهِ، فَقَعَدَ فيها يوماً ومعه هند، ثم خرج عنها وتركها به نائمة، فجاء بعض مَنْ كان يغشى البيت فدخل عليها وخرج، فجاء الفاكه ونبّهها وقال لها: مَنْ هذا الذي خرج من عندك؟ قالت له: ما انتبهت حتى نبّهتني، فقال لها: إلْحقي بأهلكِ، فخاض الناس في أمرهم، فقال لها أبوها: اثْبِتيني شأنك، فقالت: والله يا أبة إنه لكاذب، فخرج به وهند معه ليحاكمه إلى بعض كهان اليمن، فلما قاربوه، تغيّر وجْه هند، فقال أبوها ألا [كان][(٢)] ذلك قبل أن يشتهر خروجنا في الناس؟ قالت: والله ما ذلك لمكروه قِبلي، ولكنا نأتي بشراً يُخطىء ويُصيب، ولعلّه يِسِمُني بميسم يبقى عليّ، قال: صدقت وسأختبره، فأصفر لفرسه فأدْلى[(٣)]، فَعَمَدَ إلى حبّة بُرّ، فأدّخلها في إحليل الفرس، ثم أوكأ عليها، فلما نزلوا على الكاهن قال له: إنّا قد أتيناكَ في أَمْرٍ، وقد خبأتُ لك شيئاً اختبرك بهِ، فما هو؟ قال: ثمرةٌ في كمرة[(٤)]، قال: أبين من هذا، قال: حبّة بُرّ في إحْليل مُهْر، قال: صدقت فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح على رأس كل امرأة منهنّ ويقول: قومي لشأنك، حتى بلغ هنداً / ٢٢٤/ مَسَحَ على رأسها وقال: قومي غير رسْحاء[(٥)] ولا زانية، وستلدين ملكاً اسمه معاوية، فلما خرجت أخَذَ الفاكه بيدها، فأزالت يدها من يَدِهِ، وقالت: والله لأحْرِصَنّ أن يكون من غيرك، فتزوجها أبو سفيان، فولدت له معاوية.

وعن أبي السائب، قال: كان رأس معاوية كبيراً، فقال أبو سفيان: والله ليسودنَّ ابني قريشاً، فقالت هند: ثكلته إن لم يسود[(٦)] العرب قاطبة، وحكي إن هنداً لما فارقها الفاكه ورآها الكاهن اليمني قالت لأبيها: إنك زوّجتني ولم تؤامرني في نفسي فَعَرضَ ما ترى، فلا تزوجني أبداً زوجاً حتى تُعرض عليّ خصاله، فخطبها بعد ذلك سهيل بن عمرو[(٧)] وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها، فقال: [من الطويل]

أتـاك سـهـيـل وابـن حـرب وفـيـهـمـا ... رضىً لـك يـا هـنـد الـهـنـود ومقْـنَـعُ
فـمـا مـنـهـمـا إلاّ كـريـمٌ مـرزّأٌ ... ومـا مـنـهـمـا إلاّ أغـرَّ سـمـيـدعُ
فـدونـك فـاخـتـاري فـأنـت بـصـيـرةٌ ... ولا تُـخْـدعـي إن الـمـخـادع يـخـدع

---

(١) انظر خبر هند والفاكه في تاريخ الخلفاء ص١٩٨ وورد مختصراً في أنساب الاشراف ٤/ ١٢ والأغاني ٩/ ٥٣.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) أدلى الفرس وغيره: أخرج جردانه ليبول أو يقرب.
(٤) الكرة: رأس الكمرة.
(٥) الرسح: خفة العجيزه ولصوقها.
(٦) كذا في الاصل، وهو لحن والصواب لم يَسُد.
(٧) سهيل بن عمرو، أبو يزيد من بني حسل بن عامر بن لؤي من قريش، من ساداتها، أسر يوم بدر وأسلم بعد الفتح، فكان من المؤلفة قلوبهم، خرج إلى الشام ومات بطاعون عمواس سنة ١٨هـ. المعارف ص٢٨٤ وطبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٥.

قالت[١]: فسّر لي خصالهما، فبدأها بذكر سهيل، فقال: أما أحدهما ففي ثروةٍ وسيطة، إن تابعته تابعك، وإن مِلْتِ عنه حطّ إليك، تحكمين عليه في ماله وأهْلِهِ، وأما الآخر فموسع عليه منظور إليه في الحسب الحسيب، والرأي الأريب، مِدْره أُرومته، وغرة عشيرته، شديد الغيرة كثير الطيرة[٢]، لا ينام عن ضيعة ولا يرفع عصَاه عن أهله، قالت: أما الأول فسيّد مضياع للحرة، فما عَسَتْ أن تلين بعد إبائها، تابعها بعلها فأشرت، وخافها أهلها فأمِنَتْ، فساءت عند ذلك وقبح هناك دلالها، فإن جاءت بولدٍ من هذا أُحْمِقَتْ، وإن أنْجَبَتْ فعن خطأ ما أنجبتْ، فاطو ذكر هذا عني. وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة، وأنا التي لا تريب له عشيرة فتغيره ولا يصيبه مزعر فيضيره، فزوجنيه، فزوجها من أبي سفيان.

ويقال: انه أُهْديت /٢٢٥/ للكعبة جزر من أحد ملوك الهند وقال: لا ينحرها إلاّ أعز منْ بمكة، فقالت له هند وهو في سابعها: أخرج لئلا يسبقك أحَد إلى هذه الكرامة، فقال لها: دعيني وشأني، والله لا ينحرها أحد إلا نحرته، فربطتْ الجزر بفناء الكعبة حتى خرج أبو سفيان من سابعه فنحرها.

وأما ما كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، فلا حاجة بنا إلى ذكره لشهرته، إلاّ أن الاجماع على أن عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية حزب معاوية، ولما استثبت له الأمر دخل عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: السلام عليك أيها الملك، فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا اسحق رحمك الله لو قلْتَ يا أمير المؤمنين، فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً؟! والله ما أحب أني ولّيتها بما وليتها به[٣].

وقال معاوية: لو وُزنت بالدنيا لرجحتُ بها، ولكني وزنت بالآخرةِ فرجَحَتْ بي[٤].

ويقال انه (أول)[٥] من حول الخلافة ملكاً، وأول من ترك حدّاً من حدود الله، ترك رَجُلا وَجَبَ عليه القطع.

وأما بعد غوْرِهِ، فقد حكي أنه قال لعمرو بن العاص: أيّنا أدْهى؟ قال: أمّا في البديهة فأنا، وأما في الأناة فأنت، قال معاوية: أدنُ لي أسارّك بشيء، فأدنى رأسه، وكانا خلوين يتسايران فقال له معاوية: غَلَبْتُكَ أيها الداهية، هل هاهنا أَحَدٌ أسارك دونه[٦]؟

وقال له يوماً: ما بلغ من دهائك؟ فقال: لم أدخل في أمرٍ إلا خرجتُ منه، قال معاوية: لكني لم أدْخل في أمرٍ فاحتجت إلى طلب الخروج منه[٧].

---

(١) انظر الحوار باختلاف يسير في أمالي القالي ٢/ ١٠٤.

(٢) في الاصل: النظرة.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ٤/ ٣١.

(٤) أنساب الاشراف ٤/ ٣١.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٣٧.

(٧) أنساب الاشراف ٤/ ٤٨ باختلاف يسير في الألفاظ.

وحُكي: أنه أسر رجل من قريش فحمل إلى صاحب القسطنطينة فكلّمه ملك الروم فجابه بجوابٍ لم يوافقه، فقام إليه رجل من بطارقته فوكزه، فقال القرشي: وامعاويتاه، لقد أغْفَلْت أمورنا، وأضعتنا، فأتاه الخبر، فطوى عليه حتى احتال في فدائه، فلما وصل إليه سأله عن اسم البطريق، فلما عرفه أرسله إلى رجل من قواد صور وكان من قوّاد البحر المشاهير بالنجدة والبأس، وقال له: انشىء مركباً يكون له مجاذيف /٢٢٦/ في جوفه، وسافر إلى بلاد الروم على أنك سافرت مستتراً، وتوصّل بملك الروم ومكنه، واحمل الهدايا إلى جميع أصحابه ولا تعرض لفلان، يعني الذي لَطَم القرشي، واعمل كأنك لا تعرفه فإذا كلّمك وقال لك: لأي معنى تهادي أصحابي وتتركني، اعتذر إليه وقل له: أنا رجل أدخل إلى هذه المواضع متستراً ولا أعرف إلاّ مَنْ عُرّفتُ به، فلو عرفت بك لهاديتك كما هاديتُ أصحابك ولكنّي إذا انصرفت إليكم مرّةً أخرى سأعرف حقّك، فلما انصرف إليهم ثانيةً هاداه وألْطَفَ وأربى في هديته على أصحابه حتى اطمأن إليه البطريق، ثم قال له: كنت أحبّ أن تجلب إليّ من بلاد المسلمين بساط ديباج يكون على ألوان الزهر، فقال له: نعم، ثم رجع إلى معاوية فأخبره بما طلب، فأمر أن يُشترى له بساط على ما وصف له، وقال له: إذا دَخَلْتَ وادي القسطنطينية أخرج البساط وٱبسطه على ظهر المركب وتربّص حتى يصل إليه الخبر لعلّه يحمله الشّر على الدخول إليك، فإذا حصل عندك عرفت رجالك بالامارة ليخرجو المجاديف المخبّأة وتكرّ به راجعاً إلى بلاد الاسلام، ففعل ما أمره بهِ فلما بسط ذلك البساط على مركبه وأتى البطريق الخبر فحمله الحرص والنشاط إلى أن دخل عليه، فلما حصل في المركب، أظهر الامارة التي كانت بينه وبين رجاله، وكرَّ به راجعاً الى بلاد الاسلام حتى وصل به الى معاوية فأحضر معاوية القرشيّ، وقال له: هذا صاحبك؟ قال: نعم، قال: فقم فاصنع به مثلما صنع بك ولا تزد، فقام القرشي فوكزه كما كان فعل به العلج، ثم قال معاوية للعلج: ارجع الى ملكك وقل له: تركت ملك الاسلام يقتصّ ممّن حولك، ثم قال للذي [أتى] به: انصرف به الى أول أرض الروم واتركه واترك له البساط وكلّ ما سألك أن تحمله إليه من هدية، فانصرف به إلى فم وادي القسطنطينية فوجد ملك الروم قد صنع /٢٢٧/ سلسلة على فم الوادي ووكل بها الرجال فلا يدخل أحد الوادي إلاّ بإذنه، فأخرج به العلج وكل من كان معه ومن معه، فلما وَصَلَ إلى ملكه ووصف له ما صنع به معاوية قال: هذا ملك كثير الحيلة، فعظم معاوية في أعينهم وفي نفوسهم فوق ما كان.

ومن حِيلِهِ التي انعكست عليه: أمر زينب[1] بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام

---

(١) اسمها في المصادر الاخرى (أرينب) انظر الخبر في: الامامة والسياسة ١/ ١٩٥ وثمرات الاوراق ص٢٢٩ ويبدو أن القصة مختلقة إذ ان أبا الدرداء احد شخوص القصة مات سنة ٣٢هـ.

القرشي، وكان والياً على العراق[١] لمعاوية، وكانت زينب مثلاً في نساء زمانها جمالاً ومالاً وشرفاً وآداباً، وكان يزيد بن معاوية قد سمع بما هي عليه، ففتن بها، فلما عِيل صبره فاستراح بالحديث الى بعض خصيان أبيه، وكان ذلك الخصي خاصاً بمعاوية فذكر له ذلك، فبعث معاوية الى يزيد فسأله، فبثَّ له حاله، فقال: مهلاً يا يزيد، فقال: أتأمرني بالمهل وقد عِيل الصبر، فقال: اكتُم يا بني أمرك، فإن البوح به غير نافعك، والله بالغٌ أمْرَهُ فيك، ثم أخذ معاوية في الحيلة ليزيد فكتب الى عبد الله بن سلام أن أقْبِل حين تنظر في كتابي هذا لأمرِ فيه حظُّك، فلما قدم عليه ابن سلام أمَرَ معاوية أن يَنزل منزلاً قد هيّأه له، وأعَدَّ فيه نزله ثم قال لأبي هريرة[٢] وأبي الدرداء[٣]، وكانا يومئذٍ عنده: ان الله قد قسم بين عبادِهِ نعماً أوجب عليهم فيها شكرها، وختم عليهم حفظها، فحباني منها بأتم الشرف ليبلوني أأشكر أم أكفر، وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقّده أمر من لا غناء به عنه، وقد بَلَغَتْ لي ابنةٌ أُريد نكاحها وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القُرشي لشرفِهِ ودينِهِ وفضلْهِ، ثم قال لهما: ألا فاذكرا ذلك له، وكنت قد جعلتُ لها في نفسها شورى غير أني أرجو أن لا تخرج من رأيي، فأتيا ابن سلام فذكرا ذلك له، ثم دخل على ابنته فقال لها: إذا دخل إليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر ابن سلام، قولي لهما عبد الله كفؤ كريم، وقريبٌ حميم، غير أن تحته زينب /٢٢٨/ بنت اسحق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للَنساء، فأتناول منه ما يسخط الله فيه، ولستُ بفاعلة حتى يفارقها، فلما ذكرا ذلك لابن سلام، قال لهما: حبذا ذلك ومن أين لي به فجاءا معاوية فذكرا له ما قال، قال: فادخلا إذن إليها، فاستأمراها، فلما دخلا إليها قالت لهما ذلك القول، فقال: اذهبا فاعلماه، فأتياه فأعلماه أنه لا يمنعها منه إلاّ فراق زينب، اشهدهما بطلاقها، وبعث بها إليها خاطبين، فلما أتيا، أظهر الكرامة لفعله، وقال: ما كنت لاستحسن له طلاق امرأته، فانصرفا الى غَدٍ، ثم استأذناها، ثم كتب الى ابنه يزيد بالخبر، ثم شرع في مطل ابن سلام والأخذ به من يوم الى يوم، ثم أبت بنت معاوية إلاّ المنع، فعلم انه إنما خُدع، واجتمع له عقلُهُ، واسْتدَّ[٤] له رأيه ليس بدافعِ

---

(١) لم تذكر المصادر أن عبد الله بن سلام ولي امر العراق لمعاوية.

(٢) أبو هريرة الدوسي، اختلفوا في اسمه، اسلم عام الحديبية فكان من أهل الصفة، وولاه عمر بن الخطاب البحرين ثم عزله وعاقبه، والتحق بمعاوية فولاه المدينة وبها مات سنة ٥٩هـ وهو من أكثر الصحابة رواية للحديث، ولعبد الحسين شرف الدين: أبو هريرة، ولمحمود أبو رية أبو هريرة شيخ المضيرة، انظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٢/ ٥٢ والمعارف ص٢٧٨.

(٣) ابو الدرداء، عويمر بن مالك من الخزرج صحابي من الزهاد، انتقل الى الشام وبها مات سنة (٣٢)هـ: المعارف ص٢٦٨ وطبقات ابن سعد ٧/ ٢/ ١١٧.

(٤) استدَّ: استقام وانتظم.

عن نفسهِ قدراً برأي ولا كيد، ولعلّ ما سوّلوا به واستجدلوا به[١]، لا يدوم لهم سروره، ولا يُصرف عنهم محذوره، فلماانقضت اقراؤها وجّه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطباً لزينب على ابنه يزيد، خرج حتى قدمها، وبها يومئذ الحسن بن علي رضي الله عنهما فبدأ أبو الدرداء بزيارته، فلما رآه قام إليه وصافحه إجْلالاً لصحبته، ثم قال له: ما أتى بك يا أبا الدرداء؟ قال: وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد زينبْ بنت اسحق، فقال له الحسن: لقد كنت أُريد نكاحها، وما أخّرته إلاّ لينقضي إقراؤها، فاخطب رحمك الله عليَّ وعليه، وابذل لها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه، فقال: أفعل، فلما دخل عليها أعْلَمها بما كان، فقالت: يا أبا الدرداء لَوْ أن هذا الأمر جاء في وأنت غائب لأشخصْتُ فيه الرسل إليك، واتبعت فيه رأيك ولم أقطعه دونك، فأما إذا كنت أنت المرسل فقد فوّضتُ أمري بعد الله إليك، وجعلته في يديك، فاختر لي أرضاهما لديك، والله شاهدٌ عليك، فاقض في قصدي بالتحري، ولا يصُدنّك اتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفيّاً، ولا أنت عما طوقتك /٢٢٩/ غنياً، فقال أبو الدرداء: ايتها المرأة إنما عليَّ إعلامك وعليك الاختيار لنفسك، قالت: عفا الله عنك إنما أنا ابنة اخيك، ولا غنى لي عنك فلا تمنعك رهبة أحَدٍ من قول الحق فيما طوقتك، فقد وَجَبَ عليك أداء الأمانة فيما حملتك، والله خير مَنْ رُوعي وخِيف، إنه بنا خبير لطيف، فلما لم يجد بُدّاً من القول، قال: أي بنيّة، ابن بنت رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ والله أعْلَم بخيرهما لك، وقد رأيت رسول الله ﷺ واضعاً شفتيه على شفتي حسن، فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله ﷺ شفتيه، قالت: قد اخترتُه فتزوّجها الحسن عليه السلام، ساق لها مهراً عظيماً، وبلغ معاوية ما فعل أبو الدرداء، فتعاظمه جِدّاً ولامه شديداً، وقال: مَنْ يرسل ذا بَلَهٍ وعمىً ركب خلاف ما يهوى، وكان عبد الله بن سلام قد استودعها مالاً قبل شخوصه الى الشام مالاً عظيماً، فلما طال مكث ابن سلام بدمشق جفاه معاوية لقوله فيه أنه قد خَدَعه، فشخص الى العراق وهو لا يظنّ إلاّ جحودها الوديعة لطلاقها لها من غير سبب، وبقي لا يعرف ما يصنع، فأتى الحسن رضي الله عنه، فأخبره بخبر الوديعة ليقول لها، فلما أتاها قال لها: إن ابن سلام أتاني فذكر لي أنه كان استودعَكِ مالاً، فادّ إليه أمانته، فإنه لم يَقُلْ إلاّ صدقاً، ولم يطلب إلاّ حقاً، قالت: لعمري لقد صدق، ولقد أوْدَعَني مالاً لا أدري ما هو فادفعه إليه بطابعهِ، فأثنى عليها الحسن خيراً، ثم قال: ألا أدْخله عليك حتى تبرأي إليه منه كما دفعه إليك، ثم لقى عبد الله وقال له ما قالت، فأدخل عليها وتوفَّ مالك منها، ثم أَخَذَه ودخل به عليها، فأخرجت إليه المال فشكر وأثنى، ثم أعْطاها بعضه، وقال: خُذي فهذا مني، فبكيا حتى عَلَتْ أصواتهما

(١) استجدلوا به: اشتدّت خصومتهم.

بالبكاء أَسَفَاً على ما ابتليا به من الفراق، فرقَّ الحسن لهما، ثم قال: اللهم / ٢٣٠/ أنت تعلم اني لم استنكحها رغبةً في مالها ولا جمالها، ولكن اردت إحلالها لبعلها، وأنا اشهدك انها طالق ثلاثاً، فشكراه، فسألته زينب أن تُعيد إليه ما كان ساق إليها، فأبى، فلما انقضى إقراؤها تزوجها ابن سلام، ثم بقيا زوجين متصافيين الى ان فرّق الموت بينما وحرمها الله يزيد بن معاوية.

وكان معاوية يقول: لا[1] أضَعْ سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجِدْ بدّا من السيف ركبته.

ومما روي من حلمِهِ انه كلّم الأحنف[2] يوماً كلاماً عتبه فيه، فقال له الأحنف: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإن القلوب التي أبغضناك بها بين جنوبنا، وإن السيوف التي قاتلنك بها على عواتقنا، وإن الخيل التي طاردناك بها لفي مرابطنا، وأن الرجال الذين[3] دهمناك بهم لحول بيوتنا، فإياك وأن[4] تردّها فتنة، فقال: عذراً يا أبا بحر.

وبعث معاوية إلى رجل من الأنصار بخمسمائة دينار، فاستقلّها، فأقسم على إبنه أن يأتي بها معاوية فيضرب بها وجهه، فانطلق حتى أتاه، فقال: ما جاء بك يا ابن أخي، قال: يا أمير المؤمنين، إن لأبي طيرة، وقد قال لي كيت وكيت، وعزمة الشيخ على ما قد علمتْ، فوضع معاوية يده على وجههِ وقال: إفعل ما أَمَرَكَ به أبوك، وارفق بعمِّك، فرمي بالدنانير، وأمر معاوية للأنصاري بألف دينار، وبلغ الخبر يزيد فَدَخَلَ على معاوية مغضباً فقال: لقد أفرطْتَ في الحلم حتى خفْتُ أن يُعدَّ ذلك منك ضُعفاً، فقال: إي بُني إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمّة[5].

وذكر عمرو بن العلاء: إن جابر بن عبد الله الأنصاري[6] وَفَدَ على معاوية، فاستأذن، فأبطأ عليه الإذن، ثم أُذِن له، فقال له: ويلك يا معاوية، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حَجَبَ ذا حاجةٍ حَجَبَهُ يوم حاجَتِهِ وفاقته، فقال له معاوية: صبرت يا جابر/ ٢٣١/

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٢٨ وفيه: لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي.. الخ.

(٢) الاحنف، واسمه صخر بن قيس بن معاوية، وقيل الضحاك بن قيس، اسلم على ايام رسول الله ﷺ ولم يفد عليه، ووفد على عمر بن الخطاب، وسكن البصرة، واعتزل أيام الجمل، وشارك عليا عليه السلام في صفين، وكان سيداً حليماً، مات أيام مصعب بن الزبير انظر: المعارف ص٤٢٣ وطبقات ابن سعد ٧/ ٦٦ ووفيات الاعيان (٣٠).

(٣) في الأصل: الذي. (٤) في الأصل: وما.

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٩١.

(٦) جابر بن عبد الله بن عمرو، صحابي، استشهد أبوه يوم أحد، وشهد جابر العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم سناً، شهد ما بعد أحد وعاش طويلاً، مات بالمدينة سنة ٧٨هـ، المعارف ص ٣٠٧ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢/ ١١٤ و٥/ ٤١٠ والخبر في مروج الذهب ٢/ ٨٨.

فخرج جابر مغضباً، فركب ناقته يريد المدينة، فأقبل يزيد على أبيه، وَقَلَّ ما تكلّم بخير، فقال بعيد الشّقّة، عاتوا الزيارة، أتاك فَحَجَبته وتجهمته، قال: لم أصبر عندما سمعت كلامه، قال الحقه، فأعطه خمسمائة دينار، فلحقه يزيد، فقال له: إن أبي يقرأ عليك السلام ويقول لك: استعن بهذِهِ على سفرك، فقال له جابر: أُرددها عليه وقلْ له: [من الطويل]

وإني لأختار الحياء[1] على الغنى إذا اجتمعا والصبر[2] بالبارد المحضِ
وأَنْزَع أثواب الغنى ولقد أرى[3] مكان الغنى ألاّ أهين لها عرضي

فجاء يزيد فأخبر أباه بشعرِهِ فقال: ارجع فارددها إليه وقلْ له: [من الطويل]

سأمنحكم عرضي ولو شئت مسَّكُم قوارع تبري العظم من كلم مضّ
ولا أُحرم المعترّ إن جاء طالباً ولا البخل فعلي من سمائي ولا أرضي

فعاد يزيد فأخبر جابراً بشعر أبيه، فقال: أرددها عليه، وقل له ما كنت أرى يا ابن آكله الأكباد في صحيفتك حسنةً أنا سبَبُها.

وبَلَغَ معاوية أن يزيد ضَرَب غلاماً له فقال: يا بُني كيف طوّعت لك نفسك قتل مَنْ لا يستطيع امتناعاً منك[4]؟

ولما قدم عبد الرحمن[5] بن حسان على معاوية، طال مقامه، فقال شعراً شبَّبَ فيه بأُخت معاوية، فَغَضَبَ يزيد بن معاوية، فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين، أُقتل عبد الرحمن بن حسان، قال: ولم يا بني، قال: لأنّه شبّبَ بأختك، قال: وما قال؟ قال: قال: [من الخفيف]

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومَلَلْتُ الثواء في جيرونِ

قال: وما علينا من طول ليله وحزنه، أبعده الله، قال: إنه يقول:

/ ٢٣٢/ وذلك اغْتَرَبْتُ بالشام حتى ظَنّ أهلي مُرَجَّمات الظُّنونِ

قال: وما علينا من ظنّ أهله؟ قال: إنه يقول:

وهي زهراء مثل لؤلؤةِ الغوّا صِ مِيزت من جوهرٍ مكنونِ

قال: صدق يا بني، وإنها لمن جوهرٍ مكنون، قال: وإنه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدْها في سناءٍ من المكارمِ دونِ

قال: بحمد الله هي كذلك، قال: وإنه يقول:

---

(١) في المروج: القنوع.
(٢) في المروج: والماء.
(٣) في المروج: والبس أثواب الحياء وقد أرى.
(٤) انساب الاشراف ٤/ ٩٢.
(٥) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، أمه سيرين اخت مارية القبطية سرية رسول الله ﷺ كان شاعراً محسناً، مات بالمدينة سنة ٧٠هـ، انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ١٩٦ والاغاني ١٥/ ١١١ والوافي ٨٨/ ١٣١ والخبر في انساب الاشراف ٤/ ٢٤.

ثم خاصَرْتُها الى القبّة الخضراء ... تمشي في مَرْمَرٍ مسنونِ

قال: لا ولا كل هذا، وضحك، وقال: ما قال أيضاً؟ قال: وقال:

قُبَّةٌ[(١)] من مراجلٍ ضربوها ... عند حَدّ[(٢)] الشتاء في قيطون

عن يساري إذا دَخلْتُ من الباب ... وإذا كنتُ خارجاً عن يميني

تجعل الندَّ والألوَّة ... والمسك صِلاءً لها على الكانونِ

وقبابٌ قد أُسرجت وبيوتٌ ... نظّفوها[(٣)] بالآس والزيتونِ

قال: يا بني، لا يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل تُغْريه فيزيد في قولِهِ، ولكن نلقه بالتجاوز والصِّلة، فوصله وصَرَفَهُ، وعن زيد بن عياض، قال[(٤)]: قال معاوية: الأرض لله وأنا خليفةُ الله، فما أخذتُ فلي، وما تركته للناس فالفضل مني، قال صعصعة[(٥)] بن صوحان: بل أنت وأقصى الأُمة سواء، ولكنْ مَنْ ملك استأثر، فغضب معاوية وقال: لهممتُ بك، فقال صعصعة: ما كلُّ مَنْ همَّ فعل، قال: ومَنْ يحولُ بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه[(٦)]، قال له: صدقت، ولم يعرض له.

ودخل عليه أبو الأسود الدؤلي[(٧)]، فإنه ليحدثه إذْ حَبِقَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عائذ بالله وبسترك، ثم خرج ودخل عمرو بن العاص فحدّثه، فبلغ أبا الأسود، فأتاه فقال: يا معاوية، إنّ الذي قد كان مني قد كان مثله منك ومن أبيك، ومَنْ لم يؤمن على ضرطة لجدير ألاّ يؤمن على أمر الأمة[(٨)]، وأتى معاوية رجُلٌ فسأله

---

(١) في الاصل: فيه، والتصويب عن الانساب.

(٢) في الاصل: جدّ الشتاء، ولا معنى لها والتصويب عن الانساب، وفي الاغاني ١٣٨/٧ برد الشتاء ونسبها لابي دهبل الجمحي.

(٣) في الاصل: يطيفوها، والتصويب عن الانساب.

(٤) انساب الاشراف ٤/ ٢٧.

(٥) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث، من سادات عبد القيس وخطبائهم وشجعانهم وذوي رأيهم، ولد قرب القطيف وسكن الكوفة، ونصر عليا عليه السلام في حروبه فأبلى أحسن البلاء، ووفد على معاوية، نفاه المغيرة عن الكوفة الى اوال في البحرين فمات بها سنة ٥٦هـ وقيل مات بالكوفة انظر: الاصابة ترجمة ٤١٢٥ والمعارف ٤٠٢ وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥٤ وأخبارهُ كثيرة في مروج الذهب.

(٦) بعده في الانساب: فخرج وهو يقول ببيت الشماخ:

اريدوني ارادتكم فإني ... وحَذْفة كالشجا تحت الوريد

(٧) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، من الفقهاء الشعراء الفرسان الاعيان، من التابعين، سكن البصرة أيام عمر ووليها أيام علي عليه السلام وشهد معه صفين، ثم وفد على معاوية فأكرمه، وقيل إنه أول من وضع النحو ونقط المصحف مات بالبصرة سنة ٦٩هـ.

انظر: خزانة الادب ١/ ١٣٦ ووفيات الاعيان ١/ ٢٤٠ وصبح الأعشى ٣/ ١٦١ والمعارف ص٤٣٤.

(٨) الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٣٣.

بالرحم، فقال معاوية: ذكرتني رحماً بعيدة، /٢٣٣/ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرحم شنَّة إنْ بلَلْتها ابتلّتْ، وإن تركتها تقصَّفت، ثم أخذ يغلظ القول، فقال له معاوية: دع عنك هذا وسَلْ حاجتك، قال: مائة ناقة مُتّبع وألف شاة رُبّى[١]، فأمر له بذلك.

وعن عنيز بن القسم[٢]: قال معاوية ما شيء أعجب إليّ من غيظٍ أتجرعه، أرجو بذلك ثواب الله عز وجلّ.

وزوّج[٣] معاوية ابنته رملة من عمرو بن عثمان بن عفان، فسمعت مروان بن الحكم يقول له وقد عادَهُ: إنما ولي معاوية الخلافة بذكر أبيك فما يمنعك من النهوض لطلب حقّك؟ فنحن أكثر من آل حربٍ عدداً، فما أظهرتْ انها تسمع، ومكثت إلى أن خرج عمرو بن عثمان حاجاً فاستأذنته في زيارة أبيها، فأذِن لها، فأتته، فقال لها: مالكِ أطلّقك زوجُكِ؟ قالت: الكلب أظنّ بشحمتِهِ، وحدثته حديث مروان واستكثارِهِ آل ابي العاص، واستقلالِهِ آل حرب، فكتب معاوية الى مروان: [من الطويل]

أواضِعُ رجلٍ فوق رِجْلٍ تَعُدُّنا ... كعدِّ الحصى ما إنْ نراك تكاثر[٤]
وأمكم تُزْجي توأماً لبعلها ... وأُم أخيكم نزْرَةُ الولد عاقرُ

وَدَخل[٥] اعرابي المسجد ومعاوية يخطب، فقال: أيها المتكلم[٦] أسكت، أنشد جَمَلي، فسكت معاوية، فقال الاعرابي: أيها الناس، من دعا الى جملٍ عليه قَتَب، فردَّدَ القول مراراً، فقال معاوية: ايها الأعرابي حِلْهُ حِلْيّةً سوى القتب، فلعلَّ القتب قد ضاع، ثم مضى في خطبته، ودخل[٧] على معاوية عَديُّ بن حاتم[٨]، وعنده ابن

(١) الخبر في أنساب الاشراف ٤/ ٤٠، ولم يرد فيه: ثم اخذ يغلظ...
(٢) انساب الاشراف ٤/ ٤٦، وفيه: المدائني، قال: ونهاية الأرب ٦/ ٥٠ وفيه ما وجدت لذة هي عندي ألذ من غيظ.
(٣) الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٥٤ ونسب قريش ص١٠٩.
(٤) الابيات في النقائض ص٣٩٢ لعباس بن ريطة الرعلي.
(٥) انساب الاشراف ٤/ ٥٨.
(٦) في الانساب: المعظّم.
(٧) انساب الاشراف ٤/ ٥٩.
(٨) عدي بن حاتم (الذي يضرب بجوده المثل) بن عبد الله بن سعد بن الحشرج، كان رئيس طيّىء في الجاهلية، أسلم سنة ٩هـ وشهد فتح العراق وسكن الكوفة وآزر عليا عليه السلام في حروبه فشهد معه =

الزبير، فقال ابنُ الزبير: إن عند هذا الأعور جواباً، فأُحرّكه؟ قال: نعم، فقال له: يا عدي، أين ذهبت عينُك؟ قال: يوم ذَهَبَ أبوك هارباً، وضُربتَ أنت على قفاك مولّيا، وأنا يومئذ مع الحق وأنت على الباطل.

وعن[١] حبيب بن مسلمة[٢] الفهري، قال: ركب معاوية وأنا معه، فبينا نحنُ نسير إذْ طلع علينا رجل جميل[٣] الهيئة، فلم أرَهُ أكْبَرَ معاوية ولا اكتَرثَ له، وأكْبَرَهُ معاوية وأعْظَمَهُ إعظاماً شديداً، ثم قال: أجِئت زائراً أمْ طالب حاجة؟ قال: لم آتِ لشيء من ذلك، ولكني جئت مجاهداً، وأرجع زاهداً، فمضى معاوية عنه، فقلت: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا عقبة بن عامر الجهني[٤]، قلت: ما أدري ما أراد بقوله خيراً أم شرّاً؟ قال: دعه فلعمري إن كان أراد الشرّ إنّ الشرّ لعائد بالسوء على أهله، قلت: سبحان الله، مَا وَلَدَتْ قرشية أذلَّ منك، فقال: يا حبيب، أأحلم عنهم ويجتمعون خيراً، أم أجهل ويتفرقون؟ قلت: بل تحلم ويجتمعون، ثم قال: امض، فما ولدت قرشية قرشياً له مثل قلبي، قلت: إني أخاف أن يكون ما تصنع ذلاًّ؟ قال: وكيف وقد قاتلتُ علياً، فصبرتُ على مناواءهم وبغضهم.

وعن[٥] سحيم بن حفص، قال: كانت لعبد الله بن الزبير أرض الى جانب أرض لمعاوية، فاقتتل غلمان معاوية وغلمان ابن الزبير، فكتب ابن الزبير لمعاوية: أما بعد، فقد غَلَبْتنا بحُمرانك وسودانك، ولو قد التقتا حلقتا البطان[٦] فاستوت بنا وبك

= الجمل وصفين والنهروان، وفقئت عينه في أحد تلك الحروب وقتل ابناؤه، مات سنة ٦٨هـ، بعد أن جاوز المئة سنة.
انظر: الاصابة ترجمة ٥٤٧٧ وخزانة الادب ١/ ١٣٩ وطبقات ابن سعد ٦/ ١٣.

(١) الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٥٩.

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك، الفهري، قائد، من الشجعان، ولاه عمر بن الخطاب اعمال الجزيرة وضمّ إليه ارمينية وأذربيجان، وانضمَّ الى معاوية من قادته في حرب صفين، توفي سنة ٤٢هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢/ ١٣٠ والمعارف ٢٥٦ ووفيات الاعيان ٣/ ١٨٦ والوافي ١١/ ٢٩٠ واخباره كثيرة في كتب التاريخ.

(٣) في الانساب: باذّ.

(٤) عقبة بن عامر الجهني، صحابي، أسلم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، ونزل الشام فشهد صفين مع معاوية، ثم نزل مصر وبنى بها داراً، توفي في آخر أيام معاوية.
انظر: المعارف ص٢٧٩ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢/ ١١٠.

(٥) انظر الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٦٤.

(٦) في الانساب: التقت، وهو مثل في الامر اذا اشتدّ، ويعني إذا التقت حلقتا حزام السرج على الدابة عندما يشدّ ليثبت على ظهر الدابة.

الأقدام علمتَ إن حمرانك[١] وسودانك لا يغنون عنك شيئاً، فقرأ معاوية الكتاب ثم رمى به الى ابنه يزيد فقال: ما عندك؟ قال: تبعث إليه مَنْ يقتله فتستريح، من حمقه وعُجْبِهِ، قال: يا بني، له بنون وعشيرة تمنعه إن بعثت بمائةٍ رجل أعطيتُ كل رجلٍ الفاً فبلغ ذلك مائة أَلْف ولا أدري على مَنْ تكون الدائرة[٢]، فإن غُلبوا بعثتُ أَلْفاً وأعْطيتهم أَلْف أَلْف، ولكني اكتب إليه: من معاوية أمير المؤمنين الى عبد الله بن الزبير، أما بعد، فقد جاءني كتابُكَ، تذكر إنا غلبناك بحمراننا وسودانا /٢٣٥/ وإنه لو التقت حَلَقَتا البطان واستوت بنا الأقدام علمت ان حُمراننا وسودانا لا يُغْنون عنا شيئا، وأني قد وهبتُ لك ذلك المال بحمرانِهِ وسودانِهِ، فخذه خضِراً ذخراً والسلام.

فكتب إليه: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير، أما بعد، فقد غلبتنا بحلمك، وجُدْت لنا بمالك، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً، فلما أتى الكتاب معاوية قال ليزيد: يا بني أهذا خيرٌ أم ما أردتَ؟

وأنشد معاويةَ رجلٌ شعراً قاله عبد الله بن همام السلولي[٣]: [من الوافر]

حُشينا الغيظ حتى لو سُقينا ... دماء بني أُميّة ما رُوينا[٤]

لقد ضاعت رعيتكم وأنتم ... تصيدون الأرانب غافلينا

فقال: ما ترك ابن همام شيئاً، وذكر انه لو شرب دماءنا ما اشتفى اللهم اكفناه.

وعن المدائني قال: قال معاوية: إني لأرفع نفسي عن أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوي، وجهلٌ أكبر من حلمي، وعَوْرَةٌ لا أُواريها بستري، وإساءة لا تمحوها حَسَناتي[٥]، وكان يقول: لو أنَّ بيني وبين الناس شعرة لما انقَطَعَتْ، قيل له: كيف؟ قل: إن جذبوها أرسلتها، وإن خلوها جذبتها[٦].

ومما يؤثر عنه انه قال لابنه يزيد: يا بني اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب

---

(١) في الانساب: علمت من عبد الله إن سودانك وحمرانك.

(٢) في الانساب: الدبرة.

(٣) عبد الله بن همام بن نشبة السلولي، شاعر إسلامي، كان يقال له العطار لحسن شعره، له اخبار، يقال انه أول من جمع بين التعزية والتهنئة حين عزى يزيد بوفاة ابيه وخلافته، مات ايام سليمان بن عبد الملك سنة ١٠٠هـ،
انظر: الشعر والشعراء ٢٤٨ وطبقات ابن سلام ص٥٢٢ والسمط ص٦٨٣ والخزانة ٣/ ٦٣٨.

(٤) البيتان من أبيات له في أنساب الاشراف ٤/ ٧٤، وهي لعبد الرحمن بن همام في مروج الذهب ٢/ ٢١.

(٥) انساب الاشراف ٤/ ٣٢ وعيون الاخبار ١/ ٢٨٣ ونهاية الارب ٦/ ٨.

(٦) انساب الاشراف ٤/ ٩٨ وعيون الاخبار ١/ ٩ والعقد الفريد ١/ ٢٥.

لتستميل به مودّتهم، وتعظم بهِ في أعينهم، وتكفُّ به عنك عادِيتهم، وإيّاك والمنع، فإنه مفسدة للمروءة وإزراءٌ بالشرف[١].

ونظر معاوية الى النخار[٢] العذري في عباءة فازدراه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلّمك وإنما يكلّمك مَنْ فيها[٣].

وقال يوماً: أُعِنْتُ علىٰ عليٍّ بكتمان سرّي وفشي أسرارِهِ، وبطاعة أهل الشام لي ومعصية أصحابه له، وبذلي المال وإمساكه إيّاه[٤].

وكان معاوية أكولاً نهماً[٥]، وهو أوّل مَنْ نوّع في /٢٣٦/ هذه الأمة المطاعم.

وحجَّ[٦] معاوية، فلما كان بالأبواء خرج يستقْري مياه كنانة حتى إذا صار لعجوز، فقال لها: مِمّنُ[٧] أنتِ؟ فقالت: من الذين يقول فيهم الشاعر: [من الطويل]

هُمُ منعوا جيش الأحابيش عنوةً وهم نَهْنَهُوا عنهم غزاة بني بكرِ

فقال لها معاوية: فإذن أنتِ دؤلية[٨]، قالت: فإني دؤلية، قال: أعندك قرى؟ قالت: عندي خبز خمير وحيساً كثير[٩]، ولين خرير[١٠] وماء نمير، فأناخ وجَعَلَ يأخُذ الفلذة من الخبز فيملؤها من الحيس فيغمسه في اللبن، ثم يأكل حتى فرغ، قال: حاجتك؟ قالت: حوائج الحيّ، فنودي فيهم، فأتاه الأعراب، فرفعوا حوائجهم، فقضاها، وامتنعت العجوز أن تأخذ شيئاً لنفسها، وقالت: لا آخذ لقراي ثمناً.

وكان معاوية يجوع في رمضان جوعاً شديداً، فشكا ذلك لابن أثال[١١] الطبيب، فاتخذ له الكنافة، فكان يأكلها في السحور، فهو أول من اتخذها.

---

(١) انساب الاشراف ٤/ ٣٣ وفيه: ازراء بالشريف.
(٢) في الاصل: الهجار: التصويب عن الانساب ٤/ وفي البيان والتبيين ١/ ١٠٥ و١/ ٢٣٧: النخار بن أوس العذري، قال: وربما حمي فنخر.
(٣) الخبر في انساب الاشراف ٤/ والبيان والتبيين ١/ ٢٣٧.
(٤) انساب الاشراف ٤/ ٢٤ والبيان والتبيين ٢/ ١١٥ والعقد الفريد ٤/ ٣٦٦.
(٥) في الاصل: شهماً.
(٦) الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٢٩.
(٧) في الاصل: من، والتصويب عن الانساب.
(٨) الدؤل، فرع من بكر بن مناة بن كنانة.
(٩) في الانساب: فطير.
(١٠) في الانساب: ثمير، وفي اللسان: هجير.
(١١) ابن آثال: طبيب نصراني من أهل الشام، كان من اخصاء معاوية، خبير بالادوية والسموم، اخباره كثيرة في طبقات ابن أبي أصيبعة.

وحكي: ان أبا هريرة رضي الله عنه حضر صفين، فكان يصلّي خلف عليّ ويأكل على سماط معاوية، فإذا قامت الحرب اعتزل الفئتين، وقَعَدَ على تلٍّ هناك، ينظر إليهما، فقيل له: ما رأينا رجلاً يصنع مثل صنعك، فقال: الصلاة خلف عليّ أفضل، وطعام معاوية أدْسَم، والقعود فوق التل أسْلم.

وكان يقال: انه على سعة كرمهِ ربما بَخَلَ على الطعام.

وحكي: إن رجلاً أكل معه، فنظر معاوية إلى الرجل فرأى شعرةً في لُقْمَةٍ تناولها من الطعام، فقال له: أزِلْ الشعرة، فألقاها من يده ثم أبى أن يأكل وقام ينشد: [من الطويل]

ولـلـمـوت خـيـرٌ مـن زيـارةِ بـاخِـلٍ   يـلاحـظ أطـراف الأكـيـل عـلـى عَـمْـدِ

وأكل معه صعصعة بن صوحان، فتناول شيئاً بين يديه، فقال له معاوية: لقد أبْعَدْتَ النجعة، فقال: مَنْ أجدب انتجع[١].

وتغدّى /٢٣٧/ معه يوماً عبيد الله بن أبي بكرة[٢]، ومعه ابنه بشير، فاكثر ابنه من الأكل، ومعاوية يَلْحَظه، فلما خرج ابن عبد الله لامه أبوه على ما صنع، ثم عاد عبد الله وليس معه ابنُه، فقال له معاوية: ما فَعَلَ ابنك التلقامة؟ قال (اشتكى)[٣]، قال: قد علمتُ إن أكله سيورثه داءً.

ولد قبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين، وتوفي في رجب سنة ستين، ومدة عمرهِ ثمان وسبعون سنة تقريباً، ومدة خلافته تسع عشرة سنة وأشهر، وقبره خارج باب الصغير بدمشق.

ثم دولة ابنه

[٢]

يزيد بن معاوية[٤]

أبي خالد، فتى الف صباه، وكلف بنجدٍ وصَباه، ونام على فرش الرفاهة، ونادم أهْلَ الفكاهة، وهام بما يهيمُ به الكَلِف، ويدوم عليه الشَّعِف[٥]، لا يرد عن جماع[٦]

(١) انساب الاشراف ٤/ ٤٩.

(٢) في الاصل عبد الله بن أبي بكر والتصويب عن انساب الاشراف ٤/ ٥٠.

(٣) الزيادة عن أنساب الاشراف.

(٤) اخباره كثيرة في كتب التاريخ ولا أرى حاجة في ذكرها.

(٥) الشعف: بالعين الذي احرق الحب قلبه، وشعف به: احبه وشُغل به.

(٦) كذا، ولعله اراد: جماح.

غوايته، ولا يرتدّ عن طماح غايته، وعمر أيام الشبيبة بإلمام الحبيبة، وتيّم قلبه بالنساء تتيم ذي الرمّة بالخنساء[١]، وَوَجَدَ بكلّ غانيةٍ سمع بها وَجْدَ الفرزدق بنوّار، وعمرو بعرار، وكان من دمشق في عرائش الكروم، وعرائس الكروم، من جنى أعناب كأن عصارتها جنى عنّاب، فعكف عليها مثواه، وعطف إليها هواه، وثوى يهتصر قطوفها، ويَعْتَصِر صنوفها، وزفها أوْقات أُنْسِهِ عروساً، وحفّها حول مجلسه شموساً، وأقام لا يُريم بين كاسٍ وريم، لا يرى إلا بناناً مخضوباً بالعنم، أو بحمراء صافيةً كالعلم، ويُروى له شعرٌ اكثره لا يصح له، بِكبرِهِ من جهله، وكان أبوه يؤثره، ويعظم قليله ويكثِره، ويتوسم مخايل نجابته، ويتنسَّم لدلايل اجابته، فمهَّدَ له في تقدّمه، ووطّد له أكناف السرير لِقَدَمِهِ، ولما خاف أن لا يتم له ما أراد، ولا يلم فيه رأيه بالمراد، بَذَلَ له جهد سيفه ودرهمه، فكفّ جهل عذّالِهِ ولوَّمِهِ، ولم يبق إلاّ ثلاثة قريش شرفاً وسؤدداً وسَلَفاً، يُخرس لدداً، الحسين بن علي وعبد الله بن عمر /٢٣٨/ وعبد الله بن الزبير، فجدَّ في مُداراتهم فما قَدَر، وجَهَدَ على إرادتهم وما قَسَر، فَنَصَبَ مصايد حِيَلِهِ، ومكائد طيله، وأمر بأن يجمع الناس بالمدينة، وفيهم أولئك الأماجد، وأوْقَفَ على رؤوسهم رجالاً بأيديهم السيوف جرائد، ثم أمَرَ بأخذ البيعة ليزيد[٢] وأخذ من خالَفَ الأخْذَ الشديد، وقال: مَنْ تكلَّم من هؤلاء وأشار الى الثلاثة فاضربوا عنقه، وأضرموا بجذوة السيف حَنَقَه، فلما اجتمع الناس، قام فيهم مروان وقال: أيها (الناس)[٣] إن هؤلاء رؤوسكم وسادتكم، وقد أعطوا البيعة، فقوموا فبايعوا، فما منهم إلاّ مَنْ بايع ومن تابع، إلاّ أولئك النفر، إلاّ أنهم ما استطاعوا أنْ يتكلّموا، ولا استطالوا الى أكثر مِنْ أن يتألّموا، ثم كان من خروج الحسين وابن الزبير ما كان، هذا الى العراق وهذا الى مكة، وما فتئا فيما يزعزع ملكه، إلا أن الحمام عاجل سيّد الشهداء الحسين، وأدْلى له الحين، وفرغ ابن الزبير لمنابذته، وقَرَعَ ظُبّةَ الحرب لمؤاخذته، ثم لم يتمكن من قتالِهِ، ولم يتبين له وجه احتياله، فأخّرها الى أوانها، وادّخرها الى إبانها، ثم وثَبَ لها وثوب الفَهْد، ودأب لها دُؤب الفرس النهد، وأما ابن عمر، فدخل فيما أجْمع الناس عليه، وبايع، وجمع أطراف قومِهِ وما نازع، ثم كان من مصرع الحسين ما صَرَعَ الدموع، وصدع الضلوع، وكَسَرَ القلوب كسْراً لا يُجْبَر، وأمات للاسلام ميّتاً لا يُقبر، فآهاً لها رزيّة فتت العضد، وفلّت السيف

---

(١) المعروف ان ذا الرمة تيّم بميّة وليس بالخنساء.

(٢) انظر خبر بيعة يزيد في المدينة: تاريخ الطبري وكامل ابن الاثير احداث سنة ٥٦هـ.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

والغُمد، لقد انْضَبتَ الثمد، وانْضت بطلاب مثلها المهرية الأُجُد[١]، فيا لها فجيعة، ويالها من مصيبة وجيعة، لعمرو أبيه لقد نُبذ غير مُليم، ولقد عكفت الطير منه على لحم كريم، وقد تقدم منه طرف في ذكره، وهذا الآن موضع شرحه، وسنذكر منه ما يزيدً القلب قرحاً على قرحهِ، ويُتبِعُهُ وما اندمل الأول جرحاً على جرحهِ، / ٢٣٩/ وصفى الأمر ليزيد ليته لا صفا، واشتفى ليته لو كان أصبح على شفا، فكم أساء على قصر مدّة أيامه مرة، وأذاب القلوب وأسال عن المدامع الحرّة، فأما كربلاء، فتلك كربٌ وبلاء، وبالطف ماطف، وكم بوارق بات يوقدها، وبوائق مات وهو يحقدها، هذا كلّه من وراء تخلّف لا كفاية، وتعسّف لا بدرايةٍ، كان يلعب بالنرد، وينادم القرد، ويشتري لهو الحديث بمال الله لا بمالِهِ، ويُسْخط بعملِهِ هذا وسائر أعماله، ودام على قبح فعلاته، وفضوح ضلالاته، حتى مات وليته لا ولد ولا عرف، فلا ذُمّ ولا حُمِد.

أتاه وهو بحوّارين موت[٢] أبيه معاوية، فجاء وقد دفن فقال[٣]: [من البسيط]

جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبّ به	فأوجَسَ القلب من قرطاسه فزعا
قُلْنا: لك الويل ماذا في صحيفتكم[٤]؟	قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
فمادت الأرض أوْ كادت تميد بنا	كأنّ أغْبَرَ من أركانها انقلعا
ثم ابتعثنا على خوصٍ مُرمَّمَةٍ	نرمي الفجاج بها لا نأتلي سُوَعا
وما نُبالي إذا بلّغْنَ أرْحُلَنا	ما مات منهنّ بالبيداء أو ظلعا
لما انتهينا وباب الدار منصفقٌ	لصوت رملة ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب منّى بعد طيرته	والنفس تعلم ان قد اثبتت جَزَعا
أوْدى ابن هندٍ وأوْدى المجد يتبعه	كانا جميعاً خليطا قاطنين معا
أغرُّ أبلجُ يستسقى الغمام بهِ	لو قارع الناس عن أحسابِهم قَرَعا

ثم صعد الضحاك[٥] بن قيس الفهري المنبر، وفي يده أكفان معاوية، فحمد الله

(١) الأجد: الناقة القوية المحكمة.

(٢) في الاصل: من، والخبر في انساب الاشراف ٤/ ١٧٤ وتاريخ الطبري ٥/ ٣٢٨ وفيه: بوجع معاوية.

(٣) الابيات في انساب الاشراف ٤/ ١٧٥ وتاريخ الطبري ٥/ ٣٢٨ والاغاني ١٦/ ٣٣ والمعمرون ١٥٧ والعقد الفريد ٤/ ٣٧٣.

(٤) في المصادر الاخرى: كتابكم.

(٥) الضحاك بن قيس الفهري، القرشي، شهد فتح دمشق وسكنها، وشهد صفين مع معاوية، ثم ولي لمعاوية الكوفة بعد موت زياد سنة ٥٣هـ، ثم عاد الى دمشق، وقام بخلافة يزيد الى أن قدم دمشق، ثم =

وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، إن أمير المؤمنين كان عود العرب وحدّها ونابها، قطع الله به الفتنة، وجمع به الكلمة، وملّكه خزائن العباد، وفتح له البلاد، إلا انه قد مات، وهذه أكفانه، ونحنُ مدرجوه فيها، ثم مدلجوه قبره، ومخلّون بينه وبين ربّه، ثم هو البرزخ[١] الى يوم / ٢٤٠/ القيامة، فمن كان يُريد أن يشهده فليحضر عند الظهر، ثم أتى يزيد بن معاوية قبر معاوية، وترحّم عليه، ثم أتى المنبر فخطب، ثم قال: إن معاوية، كان عبداً من عبيد الله، أنعم الله عليه ثم قَبَضَهُ إليه، وهو خير ممن بعده، ودون من قبله، ولا أزكيه على الله فهو أعلم به، فإن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فَبِذَنْبِهِ، واني (لن أني)[٢] عن طلب أعتذر عن تفريط، وعلى رسلكم إذا أراد الله شيئاً كان.

فقام إليه عطاء بن أبي صيفي الثقفي[٣]، فقال:

يا أمير المؤمنين إنك رزيت الخليفة وأَعطيت الخلافة، قضى معاوية نَحْبَهُ، فغفر الله ذنْبَه، ووليت الرياسة، وأنت أحق بالسياسة، فاحتسب عند الله عظيم الرّزيّة، واشكره على حسن العطية، أَعْظَم الله على أمير المؤمنين أَجْرَك، وأَحْسَنَ على الخلافة عونك، ثم أتاه عبد الله بن همام السلولي، فقال: يا أمير المؤمنين، أَعْظَمَ الله أَجْرك في الخليفة وبارك الله لك في الخلافة، ثم أنشد[٤]: [من البسيط]

اصْبِر يزيد فقد فارقت ذا ثِقَةٍ[٥] — واشكر عطاء[٦] الذي بالملك أصفاكا
أَصْبَحْتَ لا رُزْءَ في الأقوام نَعْلَمُهُ — كما رُزِئت ولا عُقْبى كَعُقْباكا
أعطيت طاعة أهل الأرض[٧] كلِّهم — فأنت تَرْعاهُمُ واللهُ يَرْعاكا
وفي معاوية (الباقي)[٨] لنا خَلَفٌ — إذا قعدت[٩] ولا نَسْمع بمنعاكا

= انصرف بعد موت يزيد الى الدعوة لابن الزبير، فقاتله مروان بن الحكم في مرج راهط وقتله سنة ٦٤هـ.
انظر: تاريخ الطبري وكامل ابن الاثير احداث سنة (٦٤)هـ.

(١) في الأنساب: الهرج.
(٢) في الأصل: لن آبي.
(٣) عطاء بن أبي صيفي بن نضلة بن قائف الثقفي وانظر خبره في أنساب الاشراف ٤/ ١٧٦ وفي مروج الذهب: عاصم بن ابي صيفي.
(٤) الابيات في أنساب الاشراف ٤/ ٧٧ ومروج الذهب ٢/ ٥٢.
(٥) في المروج: ذا مقةٍ.
(٦) في المروج: حباء.
(٧) في المروج: خلق الله.
(٨) الزيادة عن مروج الذهب والانساب.
(٩) في المروج: اما بعدت، وفي الانساب: إذا هلكْتَ.

وأرسل يزيد الى الوليد بن عتبة[١] بأخذ البيعة على الحسين وابن عمر وابن الزبير، ثم سائر الناس، فقال لمروان: ما عندك في هذا؟ قال: أُطلبهم ليلاً، وخذهم بالبيعة، فإن بايعوا وإلاّ فاضرب أعناقهم، فطلبهم ليلاً فأتوه[٢]، فطلبهم بالبيعة، فخاف ابن الزبير أن يهنأ فبدر فقال: ما عندنا خلاف ولكن يقال إنما بايعوا خوفاً، وإنما ادعوا الناس الى المسجد لنبايع تشهد الناس، وبايع الناس، فقال: أفْعل، فأومى إليه مروان ان اضْرِب أعناقهم، فأبى، وخرجوا من عنده، فقال له مروان: والله لا أصبح منهم بالمدينة أحد /٢٤١/ فكان هكذا، خرجوا ليلتهم تلك من المدينة، فأما ابن عمر فذهب الى مال له وبعث يقول: اذا اجتمع الناس بايعتُ، فتركوه لعلمهم بزهده، وأما ابن الزبير فانطلق الى مكة، وأما الحسين، فألهاهم عنه طلبُ ابن الزبير، ثم سار الحسين يريد مكة، فقال: ما كنت لأنطلق على مكان بِهِ ابن عمر ولا أراه، فأتاه فاعلمه أن أهل العراق بعثوا إليه كتباً وقْر جمل، فقال: إيّاك وهم، فهم أهل غدر، ولقد كان أبوك اكرم عليهم منك وما وفوا له، فلما أبى عانقه وقال: استودعك الله من قتيل، ثم أتى الحسين عبد الله بن مطيع العدوي[٣]، فقال له نحو قول ابن عمر فأبى وأتى مكة، فرأى بن الزبير إنه لا يتم له (أمر)[٤] مع وجود الحسين، فحسَّن له قصد العراق، حتى ذهب فقتل كما تقدم في ذكره[٥]، ثم قام ابن الزبير يذكر قَتْلَتَهُ ويلعن قتلته ويدعوا الى الشورى ويستر أمره، ويقول: أنا عائذ هذا البيت، ثم باح ومَدَّ يَدَهُ للمبايعة فبويع، وأغزاه يزيد الجيش، ثم لم تحن منيته إلاّ في زمن عبد الملك على ما يأتي ذكره بعد.

وحكى البلاذري[٦] عن يزيد أنه أول من أظهر شرب الشراب والاشتهار بالغناء والصيد، واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود

---

(١) في الاصل: عقبة، والتصويب عن مصادر الخبر، وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ولي لمعاوية المدينة، انظر: أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٢.

(٢) في المصادر الاخرى أن ابن الزبير تمنّع بأهله ولم يأت الوليد حتى إذا جنّه الليل هرب الى مكة انظر: انساب الاشراف ٤/ ٣٣٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٤٠.

(٣) عبد الله بن مطيع بن الاسود العدوي، من رجالات قريش شجاعة وجلداً، ولد في حياة النبي ﷺ، وشارك في ثورة المدينة على يزيد، ثم لحق بمكة فكان مع عبد الله بن الزبير فولاه الكوفة فأخرجه منها المختار بن أبي عبيدة فلحق بمكة فقتل معه سنة ٧٣هـ، انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٦ والمعارف ٣٩٥ والبداية والنهاية ٨/ ٣٤٥ والشذرات ١/ ٨٠ والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٢٠.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) لم يتقدم ذكر الحسين في هذا الجزء.

(٦) أنساب الاشراف ٤/ ٣١٧.

والمعافرة[١] بالكلاب والديكة، ثم جرى في زمنه قتل الحسين بن علي عليهما السلام، وقتل أهل الحرّة، ورمي البيت وإحراقه، وكان مع هذا صحيح العقيدة[٢]، ماضي العزيمة لا يهم بشيء إلاّ ركبه، ووقع بين غلمانه وغلمان عمرو بن سعيد الأشدق[٣] فأغْضَبَهُ ذلك، وأمر باحضار اولئك الغلمان فلما أُتي بهم قال: خَلّوا سبيلهم، ثم قال: إن القدرة تذهب الحفيظة.

وأخطأ[٤] يزيد في شيء وهو صغير، فقال له مؤدّبُهُ: أخطأت يا غلام، قال يزيد: الجواد يعثر، قال المؤدب: إي والله ويُضرب، قال يزيد: أي والله ويرمح[٥] سائسه فيحطمه.

وكان يزيد على علاّته جواداً كريماً، فيما روي انه أجاز عبد الله بن جعفر[٦] رضي الله عنهما أربعة آلاف ألف درهم، وكان لا يعد وعْداً بكرم إلاّ أنجزَهُ وفيه يقول /٢٤٢/ عبيد بن حصين الراعي[٧]:

راحَتْ كما راح أو تَغْدُو بغدوتِهِ عَنْسٌ وخُودٌ عليها راكبٌ يَفِدُ[٨]
تَنْتابُ آل أبي سفيان واثقةً بِسَيْبِ أبيضِ منجازٌ لما يَعِدُ[٩]

وكان أيام أبيه معاوية خير من يحضره من جلساءه.

حكي إن عقيل بن أبي طالب دَخَلَ يوماً على معاوية وقد كفّ بصره فأجْلَسَهُ الى جانبه على سريره، ثم جاء بعده عتبة[١٠] أخو معاوية فأجلسه بينه وبين عقيل فلم يَرَهُ،

---

(١) في الاصل: المعاقرة، والتصويب عن الانساب طبعة القدس ح٤/ ب٢/ ص١.
(٢) في الانساب: صحيح العقدة فيما يري.
(٣) عمرو بن سعيد بن العاص، قبل له الأشدق للقوة عرضَتْ له فأمالت شدقَهُ، حارب مع مروان يوم مرج راهط، ثم طلب الخلافة أيام عبد الملك فقتله، انظر أنساب الاشراف ٥/ ٢٣ ومروج الذهب٥/ ٧٩.
(٤) انظر الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٣٢٠.
(٥) في الانساب: أي والله ويضرب أنف سائسه.
(٦) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أحد أجواد العرب في الاسلام، انظر الخبر في انساب الاشراف ٤/ ٣٢٠.
(٧) البيتان في انساب الاشراف ٤/ ٣٩٣ وفي ديوان الراعي ص١٦٨ انهما في مدح عبد الله بن يزيد بن معاوية وليست في يزيد.
(٨) في الديوان: كغدوته
عنسٌ تجودُ عليها راكبٌ أفِدُ
(٩) في الديوان: بفضل أبلج منجازٌ كما يعَدُ.
(١٠) عتبة بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولاه معاوية مصر سنة ٤٣هـ، ثم خرج الى الاسكندرية مرابطاً فمات بها سنة ٤٤هـ، وكان قد شهد الدار مع عثمان وحضر الجمل مع عائشة.
انظر: نسب قريش ص١٢٥و١٥٣ والنجوم الزاهرة ١/ ١٢٢.

فقال له معاوية: أنتم يا بني هاشم لم تصابون في أبصاركم؟ فقال عقيل: كما تصابون يا معشر بني أُمية في بصائركم، فتنحْنَحَ عتبة ليتكلّم بشرٍّ، فأوْمى إليه معاوية أن اسكت، فقال عقيل: من هذا الذي أجْلَسْتَهُ يا معاوية الى جانبي، فقال معاوية: هو أخوك وابن عمك عُتبة، فقال عقيل: لئن كان أقرب مني إليك، فأنا أقرب منه ومنك إلى رسول الله ﷺ وأنتم مع رسول الله ﷺ تحْتَ سماء، وكان يزيد غلاماً واقفاً في الشبيبة، فابتدر فقال: يا عم أنْتَ كما وصَفْت ورسول الله ﷺ فوق ما ذكرتَ، وأمير المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا مما تحبّ أكثر مما لنا عندك مما تكره، فأسْكَتَ عقيلا وكان لسان قريش.

وولد يزيد (سنة خمس أو ست وعشرين)[١] وركض فرساً، فأرداه فمات يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خَلَتْ عن شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، ومدّة عمره تسع وثلاثون سنة وقيل ست وثلاثون، ومدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر تقريباً، وقبره بحوّارين، وقيل إنه نقل إلى مقبرة باب الصغير بدمشق[٢].

ثم:

[٣]

دولة معاوية[٣] بن يزيد بن معاوية: أبي عبد الرحمن

ويعرف بأبي ليلى، وهو درٌّ تكشَّف عنه صدف، وفجر تكشط عنه سدف، وتبرٌ أخرجَهُ رغام، وزهرٌ أنْبَتَهُ ركام /٢٤٣/ أتى وبنو حربٍ قد أسرت على الرقاب ظباهم، وعَقَدَتْ على الملك خباهم، فما أهَمّه زخرفهم، وما أعْظَمَهُ أن عرضوا مصرّفهم، فكان عجباً في أولئك، وعجلا الى الاتّكاء على الأرائك، زهد فيما رَغَبَ فيه بنو أبيه، وغرب نجمه وما طَلَعَ على ما كانوا فيه، أَتَتْهُ الدنيا منقادةً فردّها، وجاءته مواصلة فَصَدَّها، فما غَرَّهُ بُرْدُها القشيب، ولا سرّه وردها قبل المشيب، عصمةً من الله وَقَتْهُ سهام عوادتها، وكفته سِمام اعادتها، وكان أجَلَه قصيراً، وما أجَّلَهُ إلاّ يسيراً، أقام أربعين يوماً، ثم انتقل وما تزوّد شكراً ولا لوما، وماتَ ولم يعهد، ومال

---

(١) بياض في الاصل بمقدار خمس كلمات والتكملة عن تاريخ الخلفاء.

(٢) انظر خبر وفاته ومقدار عمره ودفنه في أنساب الاشراف ٤/ ٣٩٣ وتاريخ الطبري ٥/ ٤٩٩.

(٣) معاوية بن يزيد بن معاوية، ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه، وبقي فيها أربعين يوماً وقيل شهرين، ومرض فلما حضره الموت أُريد منه أن يستخلف أحداً فأبى وقال: والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها، وتنوزع في سبب موته، قيل أنه سقي شربة سم وقيل غير ذلك. انظر: مروج الذهب ٢/ ٥٧ وانساب الاشراف ٤/ ٣٩٦ وتاريخ الخلفاء ص٢١٠ وتاريخ الطبري ٥/ ٥٠١.

سريره ولم يشهد، ولقد قالت له أُمُّهُ: يا بنيّ اعهد، فبالغ في ردِّها، وقال ما كنت لأذهب بحرِّها ويذهب بنو حرْبٍ ببرْدِها، فأبى أنْ يتطوّق بها لا حيّاً ولا ميتا، أوْ يتعلّق بها لا منجزاً ولا موقتاً، وبموتهِ انقضت دولة بني حرب، ونقضت حبالها في كل شرْقٍ وغرب، ثم لم تَقُم لهم قائمة إلاّ مَنْ نَجَمَ وما طلع، وتحامَلَ فأعْجَزَهُ الظلع، إلاّ ما وضَعَهُ خالد بن يزيد[١] ان ستكون لهم دولة يقوم بها قائم يسمى السفياني، أراد بهم أن لا تنقطع منهم الأماني، ولقد خرج منهم بأطراف الشام من تسمّى بهذا[٢]، ثم ما طار حتى وقع، ولا أسْفَرَ محيّاه حتى اْمْتَقَعْ، ولا أشرف رأسه حتى خضع، ولا أسْرف حتى بطل ما خلّد خالد وما وضَعْ.

ذكر البلاذري[٣]: إن أباه يزيد بن معاوية كان قد مرض بعد ولايته بسنتين من كبده، فلما برء واستقل، أتاه ابنُهُ معاوية وأُمُّهُ أم هاشم[٤] بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس عنده، وكانت امرأةً بَرْزَةً عاقلةً، فقالت له: لو عهدتَ إلى معاوية، فقال: هكذا أفعل، ثم قال لحسان بن مالك بن بحدل[٥]: إني أريد البيعة لمعاوية بن يزيد /٢٤٤/ فقال: افعل، فدعاه يزيد فصافقه بولاية العهد، وبايع له حسان بن مالك والناس وهو كاره، وكان معاوية بن يزيد فتىً صالحاً متألِّها، كثير الفكر في أمْر معادِهِ، لا يكاد يَلْتفت الى أمر الدنيا، ولا يبالي كيف تقضّت به، وإنما كنى أبا ليلى للينهِ وهي كنية كل ضعيف، ثم جدد يزيد له البيعة حين احتضر، فلما مات بايعه الناس، وأتَتْهُ بيعة الآفاق إلاّ ما كان (من)[٦] ابن الزبير، ولما أفْضى الأمر إليه قام خطيباً، فقال[٧]: أيها الناس، إن يكن هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آل أبي

---

(١) خالد بن يزيد بن معاوية، أبو هاشم، كان شاعراً له نظر في الكيمياء والنجوم وغيرها، تزوج مروان أمه ليغضّ من شأنه، ثم عيره بها، قيل أنها غمّته فقتلته، ومات خالد أيام عبد الملك، انظر: انساب الاشراف ٤/ ٣٩٩ والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٧٠.

(٢) تسمى بهذا أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، خرج بأهل قنسرين سنة ١٣٢هـ فقاتله عبد الصمد بن علي، وهزمه فهرب الى الحجاز ولم يزل متغيباً حتى عرف مكانه فقتل أيام ابي جعفر المنصور انظر: تاريخ الطبري ٧/ ٤٤٤ كما تسمى بالسفياني علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ابو العميطر، واستولى على دمشق سنة ١٩٥هـ، انظر كامل ابن الاثير ٥/ ١٤٧.

(٣) أنساب الاشراف ٤/ ٣٩٧.

(٤) كذا في الاصل، وهي كما في الانساب: ام هاشم بنت ابي هاشم بن عُتبة.

(٥) حسان بن مالك بن بحدل وهو الذي قام بالبيعة لمروان، أخباره في تاريخ الطبري (انظر القوس) والوافي بالوفيات ١١/ ٣٥٩.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) نقلاً عن انساب الاشراف ٤/ ٣٩٨.

سفيان، وإن يكن شرّاً فما أوْلاهم بتركه، والله ما أحبُّ أن أذهب إلى الآخرة وأَدَع لهم الدنيا، ألا فليصلّ بكم حسان بن مالك، وتشاوروا في أمركم، عَزَمَ الله لكم الرشد والخيرة في قضائه، ثم نزل، فأغلق بابه وتمارض فلم ينظر في شيء، ولم يعزل معاوية أحَداً من عمال أبيه، ولا حرّك شيئاً ولا أمر ولا نهى، وكان حسان يصلّي بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى مات، ولما[1] مرض قيل له: لو بايعت لأخيك خالد بن يزيد، فإنّه أخوك لأبيك وأمّك، فقال: يا سبحان الله كفيتها في حياتي، وأتقلّدها بعد موتي، يا حسان بن مالك، اضبط ما قبلك، وصلّ بالناس الى أن يرضى المسلمون بامام يجتمعون عليه، وأخلعوني فأنتم في حِلّ من بيعتي، فقالت له أُمُّهُ أم هاشم: لوددت يا بني إنك كنت نَسْياً منسيّا، قال: وددت والله إني كنت نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم، ثم دخل عليه مروان بن الحكم وكان قد قدم من دمشق، فقال له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين، ثم رفع صوته، فقال: من أراد أن ينظر في خلافة آل حرب[2] بن أمية فلينظر الى هذا، فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء، أُخرج عنّي، لا قَبِل اللهُ لك عذراً يوم القيامة.

ويقال: انه لما مات قام مروان على قبره وقال: أتدرون مَنْ دفنتم؟ /٢٤٥/ قالوا: نعم، معاوية بن يزيد، قال: بل دفنتم أبا ليلى، فَعُرف فيما بعد بها.

ثم كانت لبني أسد بن عبد العزّى دولة قام بها:

[٤]

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

وكانت دولة صلاح، ومدّة فلاح، وزمان ملك شحاح غير كريم زنده شماح، وعهده ما فيه سوى صوب دَم سحّاح، وهو أوّل مولود ولد في الاسلام بالمدينة للمهاجرة، وضجّت بالتكبير لمولدِهِ أرجاءُ تلك الحاضرة، وقد كانت يهود زعَمَتْ أنه لا يولد لهم ولا ينتج طير طيبة نسْلُهُم[3]، وكان زعيم يوم الجمل، وكان هو الذي يصلّي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مدّة تلك الوقيعة الدائرة بمحنها، والنوبة التي أَشابَتْ نواصي الليالي أيام فتنها، ثم كانت مقدمة لبليّة صفين، وشفاء صدور قوم وما شفين، ودامت مدّته، ثم لم تُزَل إلاّ على يد الحجاج زمان عبد

---

(١) انساب الاشراف ٣٩٨/٤، وما قبلها وما يليها عن الانساب بترتيب مختلف.

(٢) في الاصل: في خالقه الى حرب بن أمية، والتصويب عن الانساب.

(٣) كذا في الأصل.

الملك بن مروان، ستذكر عند انتهائها في ذلك الأوان، ثم لما انقضت دولة بني حرب وفرغت منها الأيام، ونزعَت في صدور الزمان شياطين أنصارها اللثام، أعقبتها الدولة المروانية، تنزوا قردتهم على المنابر، ويعلوا صغارهم مكان الأكابر، إلاّ فرد رجل واحد، غَلَبَتْ عليه شيمةُ خاله لا عمّه، وما مال الى جدِّهِ لأبيه إلاّ لأمِّهِ(١).

وأوّلها:

[٥]

دولة مروان بن الحكم

ابن ابي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ابو عبد الملك، كان أبوه الحكم طريد رسول الله ﷺ، الى أنْ تلقى عثمان الأمر وتسلّم، وهو أحَدَ ما انتقد على عثمان وحقد على ابن أبي سفيان، كان معاوية / ٢٤٦/ يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص(٢)، ويراقب منه سطوة الأسد على القناص، خوفاً من توثبِهِ، وخوضاً في حديث كان يخشى بسببه، فكان يُداريه ويَدْرأ حدّه بشبهة أنّه يولّيه، ولم يزل مُذْ كان، عيبُه عناد، وغيبُهُ ما توارى في زباد، ويقدح كل سرّ، ويجدح حماه كل ضر، ويقسو في موضع اللين، ويعتو في متبع الدين، إلا انه كان من رجال قريش حزماً لا يغلط، وعزماً لا يغمط، ملقح حرب حيال، وملحق ترح بحي حلال، يلفّ آخر الخيل بأوّلها، ويدير مدبرها على مقبلها، تعرّض للحرب حتى صلي بها، وبلى لما بلى عجْم عيدانها بصليبها، أخْرَجه عمّالُ ابن الزبير على المدينة في بني أميّة، وأحْوَجه الاستعجال على الخروج على عمية، فخرج أجرأ من ابن سميّة(٣)، وأجرى من عمرو بن أمية(٤)، قال منتهكا، وآب ملكاً، ما برح يُسول له القيام، ويناجي بها

---

(١) يريد به عمر بن عبد العزيز بن مروان، وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أدرك النبي ﷺ ولم يدخل مع معاوية في حروبه، الا أنه ولاه المدينة غير مرة، وكان عاقلاً كريماً وقوراً توفي سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين بالمدينة ودفن بالبقيع.
انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ١٩ والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٢٧.

(٣) ابن سمية هو عبيد الله بن زياد ابن ابيه، كان بالبصرة حين مات يزيد، فوثب عليه أهل البصرة، فخرج الى الشام، انظر التفاصيل في أنساب الاشراف ٤/ ٤٤٠ وتاريخ الطبري ٥/ ٥٠٤.

(٤) عمرو بن امية بن خويلد بن عبد الله بن إياس الضمري، شهد بدراً واحداً مع المشركين ثم أسلم بعد أحد، وكان رجلاً شجاعاً مقداماً، وكانت أول مشاهده بئر معونة اسرته بنو عامر ثم أطلق فقدم المدينة، مات بالمدينة أيام معاوية بن أبي سفيان، طبقات ابن سعد ج٤ق١ص١٨٢ والاصابة ترجمة ٥٧٦٥.

ضمائره، وينادي سرائره، حتى أخرج هذا المخرج، خرج لضائقة المخرج، فسار يريد الشام، وهو لا يعرف كيف يسير، ولا على رشدٍ يمشي أم تغرير، فلما كان بالطريق، وَهَنَ لقلّة ناصِرِهِ، وذلة أهل أواصِرِهِ، فهمّ أن يعطي بالمبايعة يَدَهُ، ويُعري من لبوس المقارعة جَسَدَه، فقال له رجال: أومثلك وأنت شيخ بني عبد مناف ترضى أن تكون لفتى من بني أَسَد مربوباً، ومعه هذه الرماح ما قصف من صُلْبها أنبوبا، وهذِهِ الأسنة تتقد، ولا تدع جمر الحرب مشبوبا، فحينئذ ألْوى بأنفه الشمم، وبعطفِهِ التيه على منابت اللحم، ودعى الى نفسه وسعى كالأرقم بكسر أنيابه لنهشه، وكان الأمر قد كاد يتمُّ لابن الزبير، ويدم[1] من أجمع على خير، ومما دان له دمشق وسائر الشام إلاّ حمص[2]، ولم يكونوا على نزاعِهِ أهل حرص، إلاّ أن عامل بني أمية كان بها متماسكاً، وبزمام حزبها ماسكاً، هذا مع ما كان قد اجتمع له من طاعة أهل الحجاز والعراق، وقلّة /٢٤٧/ طماعة من تظاهر له بالشقاق، وإنما مروان قام غير منتكل، بسيرٍ ولا ضَجِرٍ ولا وَكِل، وعضُدَهُ من ذوي قرابته رجال بل نصال لا مجال معها لانفصال، وقامت اليمانية معه على القيسية، وصوّب كل قبيل الى الآخر قسيّه، وكانت اليمانية أمويّة والقيسية زهرية بلا مثنوية، ودخل مروان دمشق وأتى تل راهط[3]، بجأشٍ حلَّ كل رابط، وهنالك كان موعد اللقاء ومورد عدم البقاء، وشبّت الحرب العوان، وشبّت بعد المشيب همّة مروان، حتى أحرز من الملك ما ورثه بنوه بعده، ومات وأوْرَثه ولْدَه، وأمّهُ آمنة بنت علقمة الكناني، وأمها الزرقاء التي يعيرون بها، وهي مارية بنت موهب الكندي، وكان موهب قيناً، وكان مروان يسمّى خيط باطل، لطولِهِ ودقّته، شبّه بالخيط الأبيض الذي يرى في الشمس، وكان قارئاً للقرآن حازماً، حزماً.

كان كما قلنا رأس كل هوى، وأسَّ كلِّ بلوى، ولما نَهَضَتْ سمعة ابن الزبير كتب الى عبد الله بن مطيع، وكان عامله على المدينة في نَفْي[4] بني أمية ومروان يومئذ شيخهم، وابنه عبد الملك ناسكهم وموضع رأيهم، وكان بعبد الملك جدري قد ظهر به، فَوَجَدُوا مشقّة عظيمة لمخرجهم، فحمل عبد الملك على جملٍ شُدَّ عليه

---

(١) كذا في الاصل.

(٢) كان أمير حمص النعمان بن بشير الانصاري قد بايع لابن الزبير (تاريخ الطبري ٥/ ٥٣١).

(٣) كان الضحاك بن قيس قد بايع لابن الزبير، ونزل بمن معه مرج راهط فقاتله مروان بها وقتله سنة ٦٤هـ، انظر تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٥.

(٤) الاصل: نعي.

شدّاً، وأكبَر قريش هذا على ابن الزبير، وقالوا له: إنما بعثت عليك أراقم لا يُرقى سليمها، فكتب الى ابن مطيع بإقرارهم بالمدينة، فبعث بردّهم، فأبوا أن يردّوا، وقد سوّل لمروان الأمر، فأتوا الشام وقد بايع الناس لمعاوية وهو كاره لذلك، ثم لم يلبثوا أن مات معاوية وظنّ ابنُ الزبير ان قد صفا له الأمر، وبثَّ ولاته، وأطاعه أكثر أهلِ الشام إلاّ حسان بن بحدل[١] وقوم معه[٢]، فإنهم دعوا لخالد بن يزيد، فقال له ابنِ عضاه الأشعري: أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد، /٢٤٨/ وهو حديث السن، فقال: إنه معدن الملك، ومقرّ السياسة والرئاسة، فأتى ابن عضاه خالداً فوجده نائماً ضحى نهارٍ، فقال: يا قوم، أنجعل نحورنا غرضاً للأسنّة والسهام لهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة، وإنما صاحب هذا الأمر المجدّ المشمّر الحازم المتيقّظ، فأتى مروان بن الحكم فألفاه في فسطاطه، وإذا درعه الى جنبه، وعليه سيفُه والرمح مركوزٌ بفنائه، وفرسه مربوط اليجانب الفسطاط، والمصحف بين يديه، وهو يقرأ القرآن، فقال ابن عضاه: يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر، فرجعوا الى حسان بن مالك فأخبروه بخبر خالد ومروان، وأعلموه أنهم مجمعون على مروان، فقال ابن بحْدل: رأيي لرأيكم تبع، إنما كرهت أن تخرج الخلافة من أهل هذا البيت، ثم قام حسان خطيباً، فحمد الله ثم ذكر مروان وأثنى عليه، وقال: قوموا فبايعوه، فقاموا فبايعوه، وأقبل الضحاك حتى نزل مرج راهط داعياً الى ابن الزبير وقد اجتمعت بنو أُميّة بالجابية، فقال مالك بن هبيرة[٣] للحصين: هَلُمَّ نبايع لخالد بن يزيد فقد عرفت مرتبتنا كانت من أبيه، فقال الحصين: لا والله لا يأتينا الناس بشيخ، ونأتيهم بصبي، فقال مالك: ويحك إنَّ مروان وآل مروان يحسدوك على سوطك وشراك نعلك، وظلّ شجرة تُظِلّ بها، وهو أبو عشرة وأخو عشرة، وعم عشرة، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم، فقال: مروان شيخ قريش، ومَنْ يدبّرنا ويسوسنا خيرٌ من نُدبّره ونسوسُهُ، فأجمعوا على مروان على أن يكون بعده خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد، فبويع مروان، ولم يقع لهما اسم معه، فلما دان لمروان أصحابه سار بهم يريد

---

(١) حسان بن مالك بن بحدل الكلبي، أمير بادية الشام، شهد صفين مع معاوية، ثم آزر مروان في حربه مع الضحاك بن قيس، توفي سنة ٦٥هـ، انظر: سير اعلام النبلاء ٣/ ٥٣٧.

(٢) الخبر عن انساب الاشراف ٥/ ٢٨٩ باختلاف يسير.

(٣) مالك بن هبيرة السكوني، من رؤساء كندة بالشام، ادرك النبي ﷺ وشهد مع معاوية صفين، ثم ولي له حمص، ثم آزر مروان بن الحكم وسار معه الى مصر، توفي سنة ٦٥هـ، النجوم الزاهرة ١/ ١٣٧ والاغاني ١/ ٢١.

تل راهط وعلى ميمنته عمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وجعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي وعلى ميسرته زحر بن أبي شمر الهلالي وثار يزيد بن أبي النِّمس[١] على دمشق فَغَلَبَ عليها. /٢٤٩/ ودام القتال بين مروان والضحاك عشرين ليلة وكان مروان يرتجز فيها ويقول[٢]: [من الرجز]

لـمـا رأيـتُ الأمـر أمـراً صـعـبـا
سـيَّـرتُ لـلـقـوم سـراةً غـلـبـا[٣]
لا يـأخـذون الـمـلـك إلاّ غَـصْـبـا
فـإن دنـت قـيـسٌ فـقـل لا قُـربـا

ثم كانت آخر تلك الايام ونهاية ذلك القتال اللزام ان انجلَتْ سحابة الحرب العُوان عن تبلّج النصر على قسمات مروان، ودخل دمشق فبايع له أهلُها واستوسق له الشام والجزيرة، وأنشده بعض الانصار[٤]: [من الرجز]

الله أعـطـاك الـتـي لا فـوقـهـا
وقـد أراد الـمـلـحـدون عَـوْقَـهـا
عـنـك ويـأبـى الله إلاّ سـوقـهـا
إلـيـك حـتـى قـلّـدوك طـوقـهـا

وأنشده زياد الاعجم[٥]: [من الوافر]

رأيـتـك أمـس خـيـر بـنـي لـؤيّ وأنـت الـيـوم خـيـرٌ مـنـك أمـس[٦]

---

(١) في الاصل: يزيد بن ابي اليمن، وهو تصحيف.
(٢) الرجز بروايات مختلفة في انساب الاشراف ٥/٣٠٣ وتاريخ الطبري ٥/٥٣٨ ومروج الذهب ٢/٦٧ والمؤلف ينقل هنا عن الانساب.
(٣) في الانساب: سيّرت غسان لهم وكلبا.
(٤) الرجز في انساب الاشراف ٥/ ١١٣: لرجل من الأنصار قاله لعبد الملك حين قتل مصعب بن الزبير ودخل الكوفة، وهو في تاريخ الطبري ٦/ ٤٢٣ لعبد الله بن همام السلولي، قاله للوليد بن عبد الملك عندما بويع بالخلافة بعد أبيه.
(٥) زياد الاعجم، أبو امامة، مولى عبد القيس، سمي الاعجم لعجمة في لسانه، وكان شاعراً محسناً جعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام، شهد ابا موسى الاشعري وعثمان بن أبي العاص وشهد معهما فتح اصطخر، مدح المهلب وولده، انظر اخباره في الاغاني ١٤/١٠٢ والشعر والشعراء ٢٥٧ ومعجم الادباء ١١/١٦٨ وفوات الوفيات ١/ ٣٣٢ والوافي بالوفيات ١٤/ ٢٤٤ وطبقات ابن سلام.
(٦) البيتان له في انساب الاشراف ٥/ ٢٩٣ ومجموع شعره ص١٣١.

وأنت غداً تزيد الضعف خيراً كذاك تكون سادةُ عبد شمسِ

فأجازه ألف دينار، وقيل بَلْ كان إنشاده إياها وهو بالمدينة، ولما انجلت نوبة تل راهط عن نصرة مروان فرَّ زفر بن الحارث الكلابي[١] الى قرقيسياء[٢] فدخلها وجعل يرثي قتلى راهط، فمن ذلك قوله[٣]: [من الطويل]

لعمري لقد أبْقت وقيعةُ راهطٍ لمروان صَدْعاً بيّناً متساويا

أتذهبُ كلبٌ لم تنلْها رماحُنا وتترك قتلى راهطٍ وهي ماهيا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أبَعْدَ ابن صقرٍ وابن عمرو تتابعا ومصرع همّامٍ أَمِنّا الأمانيا

فأجابه ابن مخلاة الكلبي[٤]: [من الطويل]

لعمري لقد أبْقَت وقيعة راهطٍ على زُفْرِ داءً من الداء باقيا

يُبكّي على قتلى سليم وعامرٍ وذبيان معروفاً[٥] ويُبكي البواكيا

/ ٢٥٠/ ومما قال زفر أيضاً: [من الطويل]

ويوم ترى الرايات بيضاً كأنها حوائم طير مستديرٌ وواقعُ

مضى أربع بعد اللقاء وأربعٌ وبالمرج باق من دم القوم ناقعُ

طعنا زياداً في استه وهو مدبرٌ وثور أصابته السيوف القواطعُ

ونجّى حبيباً ملهبٌ ذو غلالةٍ وقد جُذّ من يمنى يديه الأصابع

وقد شهد الصفّين عمرو بن محرزٍ فضاق عليه المرج والمرج واسعُ

ثم استخلف مروان ابنه عبد الملك بدمشق فسار الى مصر، وكان عليها عامل ابن الزبير فافتتحها[٦]، ثم تزوج أم خالد ليغضّ من ابنها خالد بن يزيد، وكان هو

---

(١) زفر بن الحارث الكلابي، من التابعين، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية اميراً على أهل قنسرين، ثم شهد مرج راهط مع الضحاك، فقتل الضحاك وفر هو الى قرقيسياء (عند مصب الخابور في الفرات) فاعتصم بها الى ان مات سنة ٧٥هـ.
خزانة الادب ١/ ٣٩٣ وشرح شافية ابن الحاجب ص٣٠٠ وانساب الاشراف ٥/ ٣٠٩.

(٢) قرقيسياء بلد على الخابور، وعندها مصب الخابور في الفرات فهي في مثلث بين الخابور والفرات (ياقوت ـ قرقيسياء).

(٣) الابيات له في: أنساب الاشراف ٥/ ٣٠٩ وتاريخ الطبري ٥/ ٥٤١.

(٤) الابيات له في الاغاني ١٧/ ١٢٢ وهي لجواس بن القعطل الكلبي في أنساب الاشراف ٥/ ٣١٠ وتاريخ الطبري ٥/ ٥٤٢ وكامل ابن الاثير (أحداث سنة ٦٤هـ).

(٥) في الانساب والطبري: معذوراً.

(٦) كان ذلك سنة ٦٥هـ، وكان عامل ابن الزبير عليها عبد الرحمن بن عتبة بن أبي اياس الفهري انظر: =

وعمرو بن سعيد يدعيان إن الأمر لهما بعد مروان، فكلم حسان بن مالك في ذلك وقال: إني أُريد أن أعهد الى ابني عبد الملك ثم عبد العزيز، فقال: أنا أكفيك هذا الأمر، فلما اجتمع الناس عند مروان قام ابن بحدل فقال: انه يبلغنا ان رجالاً يتمنّون أمانيَّ ويدّعون أباطيل، فقوموا فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين بالعهد ولعبد العزيز من بعده، فقام الناس مسارعين من عند آخرهم، وكان مروان قال لحسان: بلغني انك تقول اني اشترطت على مروان ان يولي خالد بن يزيد الخلافة من بعدِهِ، فحداه ذلك على الجدّ وبيعة عبد الملك ليكذب ما أبلغ مروان عنه، ثم عقد مروان لعبيد الله بن زياد على العراق والجزيرة، ووجهه فقتل بالموصل قتله ابراهيم بن الاشتر[١]، وبعث الى ابن الزبير جيشاً عليه يوسف بن الحكم الثقفي ومعه يومئذ ابنه الحجاج[٢]، فأتوا وادي القرى، فهرب عامل ابن الزبير عليها، ووضعوا عليها ضريبةً ادّوها إليهم، ثم نزلوا بذي المروة فلقى أهلها منهم عنتاً، وبلغ أهل المدينة ما نابهم، فتغيّب بشر من الصالحين وقيل لسعيد بن المسيب لو تغيّبْتَ أوْ أتيت البادية، فقال: فأين فضل الجماعة، والله لا رآني الله والناس أخوف عندي منه، ثم ساروا /٢٥١/ حتى أتوا المدينة، ثم صعد يوسف بن الحكم الثقفي المنبر فقال[٣]: يا أهل المدينة يقول الله تعالى: لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنُغْرينّك بهم ثم لا يُجاورونك فيها إلاّ قليلا، فكيف رأيتم ما صنع الله بكم، والله لا يتكلّم أحد منكم بكلمة إلاّ ضربته بسيفي هذا، ثم لاقوا بالربذة جيشاً كان قد أقدمه ابن الزبير من البصرة[٤]، وكانت الدائرة على جيش مروان، وفرّ يوسف الثقفي ورديفه ابنُه الحجاج على فرس، وكان الحجاج يقول: ما أقبح الهزيمة، لقد كنتُ ورجل آخر يعني أباه، فانهزمنا على فرسٍ فركضنا ثلاثين ميلاً حتى قام بنا الفرس وأنه

= انساب الاشراف ٥/ ٣١٨.

(١) في الاصل، الأثير، وهو ابراهيم بن مالك الاشتر بن الحارث النخعي، قائد من الشجعان التحق بالمختار فكان قائد جيشه، فاشخصه لقتال عبيد الله بن زياد الذي توجه للعراق فالتقاه قرب الموصل ومزّق جيشه وقتله سنة ٦٧هـ، ثم التحق بمصعب بعد مقتل المختار وقتل معه سنة ٧١هـ، انظر: تاريخ الطبري في مواضع متفرقة من الجزء السادس.

(٢) في انساب الاشراف ٥/ ٣٣٢ ان مروان وجّه جيشاً من فلسطين عليه حُبيش بن دلجة القيني فيهم يوسف بن الحكم وابنه الحجاج، انظر كذلك تاريخ الطبري ٥/ ٦١١.

(٣) في انساب الاشراف: ان الذي صعد المنبر وتكلم حبيش بن دلجة.

(٤) كان جيش البصريين بقيادة الحنتف بن السجف، فخرج له حبيش من المدينة فلقاه بالربذة انظر: انساب الاشراف ٥/ ١٥٢ وتاريخ الطبري ٥/ ٦١١.

ليخيل إلينا ان رماح القوم في اكتافنا، وجعل ابن الزبير[١] لمن يأتيه بيوسف الثقفي وابنه جُعْلاً، فلم يقدر عليهما.

ثم كان بين مروان وبين خالد بن يزيد كلام، فقال له: يا ابن الرطبة، فقال خالد: والله لقد أضيعت الأمانة وفَضَحْتَ الستر، ثم دخل عليها فقال: يا أماه ماذا ألْحقتِ بي من العار؟ قالت: وما ذاك يا بني؟ فقال لها ما كان من قول مروان، فقالت: أما والله لا تسمع منه شيئاً تكرهه بعدها أبداً، فلما دَخَلَ عليها مروان قال لها: قد كان منّي الى خالد كلام فهل قاله لك؟ فقالت: أنْتَ يا أمير المؤمنين أجلّ في صدر خالد وأكبر في عينه من ذلك، ثم تركته حتى نام وعمدت الى مرفقةٍ محشوّة ريشاً فجعلتها على وجههِ وجلست عليها حتى مات غمّاً، ثم صرخَتْ وجواريها وقلن: مات أمير المؤمنين فجأة، وقيل بل كان يعجبه اللبن فجاءته بلبن مسموم، فقال: ائتوني به إذا أفطرت، فلما أفطر أتوه فشربه، فاعتقل لسانه، وصرخ جواريها، وأقبل يشير الى من اجتمع إليه من ولدِهِ وغيرهم أنها قتلتني، وجَعَلَتْ هي تقول: أما ترونه يوصيكم بي، ويشير إليكم بحفظي[٢].

/ ٢٥٢/ وولد مروان لثلاث من الهجرة، وتوفي في رمضان سنة خمس وستين وهو في ثلاث وستين سنة، ومدّة خلافته تسعة أشهر وأيام وقبره بدمشق.

ثم دولة ابنِه

[٦]

عبد الملك[٣] بن مروان، ابن الحكم، أبو الوليد

الفحل الذي لم يُحْطَم، والرمح الذي لم يُحطَّم، سهم لا تعد له خطا، وسيف لا يحدث لنبوتهِ نبا، ثارت عليه ثوار، فوطئهم بمنسمِهِ، وأبكاهم دماً بدوام تبسّمه، كان ابن الزبير بمكة، وأخوه مصعب بالعراق، وخرج عليه عمرو بن سعيد بدمشق، وكاد يصيبه الرشق، ويصل إليه من تفريق الخطبة المشق، وأحاط به البلاء وادّاركَتْ عليه النوب الولاء، وظنّ انه قد أُخِذ، وان ملكه قد تمزّق مما جُبِذ، وهو مع هذا

---

(١) في انساب الاشراف ٥/ ١٥٤: مصعب بن الزبير، وكان أخوه ولاّه المدينة، فجاء إليها وقتل أسرى الشام بها.

(٢) نقلا عن انساب الاشراف ٥/ ٣٣٢، وانظر خبر موت مروان ومدة حكمه في تاريخ الطبري ٥/ ٦١٠ وانساب الاشراف ٥/ ٣٣٤.

(٣) عبد الملك بن مروان، من دهاة بني أميّة ورجالها حزماً وعزماً وإقداماً، أخباره كثيرة في كتب التاريخ.

جمل يحمل ما حُمِّل، وجَبَلٌ لو تقسَّمَهُ أهل الارض ما حوّل، فجثا على ركبتيه، وجفا المنام مقلتيه، وادّكر تحيّف القوم لممالكه، وتحيّن الأوقات لمهالِكِهِ، فشمَّر لطلابها، وضمَّر خيله لغلابها، وبدأ بالعود الى دمشق، وخادع عمرو بن سعيد[١] حتى استنزله عن سريرها، واستقلّه ان يبيت ضجيع سرورها، وما زال به حتى استدعاه خالياً، واستدناه مماليا، حتى إذا كان قريباً منه وثَبَ عليه، وبثَّ سرّ حتفهِ إليه، ثم أشرف فهاله تجمّع أصحابه بداره ليوقع ما به وبداره، وكان لا طاعة له على جمعهم، ولا طاقة له بدفعهم، فَوَجَدَ الحيلة أنصر له وأقدر على هدر دم من قتله، فكأنما كان سكراً أصحابه، فألقى رأسه الى أصابه مقروناً بنثارٍ من الذهب شغلهم لَقْطُهُ عن أخذِ ثار مَنْ ذهب، فراح دَمُهُ مطلولاً، وطاح لا يجد عنه سائلاً ولا مسؤولاً، ثم يطلب الاثنين ولم يُبْدِ اكتراثه، ولا قال وما شرّ الثلاثة[٢]، فوجّه الحجاج نحو ابن الزبير يمحو بقيّةَ ذلك الخير، ففعل تلك القبائح /٢٥٣/ وأكثر بمكة لا بمنى الذبائح، من دماء محرّمات سفكها وحُرماتٍ انتهكها، ورمى بخطّارة المنجنيق حجارة البيت العتيق، نَصَبها على أبي قبيس وقيقعان[٣]، ورمى الكعبة، فتجافتها الحجارة، ورامتها فما أوْمى لها بنانها بإشارة، وحَمَتْ الملائكة حماها، وصانَت عن تقبيل ثغور تلك الحجارةِ لماها، ففطن ان الملائكة تدفع عن أركانها، وتمنع من مكانها، فلطخ الحجارة بالعذرة وألْقاها، إذْ كانت الملائكة تَتَوَقّاها، فأصاب جدارها، وأصارَ الى الأرض أحْجارها، فأحلّ من الحرم ما لم يحلّ، واستحلّ ما لا يجوز لمستحل، وبث الأضاليل، ونصب حبائل الأباطيل، وقصد بيت الله بأشدّ مما قصده أبرهة عام الفيل، إلا أن حرمة تسميته بالإسلام دَفَعَت عنه عاجِلَ البلاء وأخّرته، وما نقول انها سامحته، ولكنّها أنْظَرتْهُ، ثم لما قُتل ابن الزبير أمَرَ له بجذع فَنُصِب، ومنَّ به إليه فَصُلِب، وكانت أُمّه قد قالت له: يا بني لأن تُقْتَل خير من أن تُخْتَلْ[٤]، فقال: أخشى أن يمثلّوا بي فقد نمى إليّ أنهم تقبّلوا له بصلبي، يا بني لا يضرّك هرير النبح فالشاة لا يؤلمها السلخ بعد الذبح، وكان ابن عمر رضي الله

---

(١) عمرو بن سعيد الاشدق، مضت ترجمته، وانظر خبر قتله في مروج الذهب ٢/ ٧٨ وتاريخ الطبري ٦/ ١٤٠ ـ ١٤٨ والاخبار الطوال ص٢٨٦ وانساب الاشراف ٥/ ٢٧.

(٢) تضمين لقول عمرو بن هند في معلقته:

وما شرّ الثلاثة ام عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

(٣) ابو قبيس وقعيقعان جبلان مشرفان على مسجد مكة، وجه ابي قبيس الى قعيقعان ومكة بينهما، (ياقوت ـ ابو قبيس).

(٤) تختل: تخدع، والمخاتلة، الخداع والمراوغة.

عنهما يقول: جنّبوني خشبة ابن الزبير، ويتجنّبها، ويمشي بها ولا يقربها، فعبر ليلةً عليها، فوقف عليه مترحماً وقال: والله لقد عهدتك صوّاما قوّاماً، وإنما أعجبتك بغلات معاوية، وولى ودموعه هاوية.

وذلك بعد أن نَهَدَ عبد الملك الى مصعب ونهض، كأنه جَمَلٌ مصعب، فسار يتقدم في فرسانه، ويتحطّم في أرسانه، ولم يكن همته فيما يصان به عرينها، حصانُ عليها عقد درٍّ يزينها[1]، إذ كان من قوم من عهد لؤي ابن غالب، ما لوى به غالب، إذا حاربوا شدّوا دون النساء مآزرهم، وشدّ بصدق الحفيظة موازرهم، وأعمل الحيلة على مصعب بكتب الى أصحابه كتبها، وأعاجيب كذب كذبها، / ٢٥٤/ ثم كان الملتقى فَخَذَلَ مصعباً أصحابُهُ وخَزَل جمعه حتى خَلَتْ منهم رحابُه، فتركوه وأسلموه، وخلّوه لمضارب السيوف، وسلّموه.

وكان عبد الملك يكنى بأبي الذباب لبَخَرِهِ، كانت لثته تدمى دائماً فتتغيّر ريحها، وكان مظفراً على أعدائهِ، فإنه غَلَبَ في أيامه على عدّة رجال أكابر، كلّهم كانوا في زمانه يبارزونه في السلطان مثل عبد الله بن الزبير والمصعب أخوه وعمرو بن سعيد الأشدق، وعبد الرحمن بن الأشعث[2]، فكل واحد منهم ما قام له معه قائمة، وكلّهم قتل، وحكم قاضيه ومع هذا فلم ينفعه ولا أغنى عنه شيئاً حتى تمَّت أيامُه، وأتاه حمامه، ويؤيد هذا خبر الرجل الذي وَرَدَ على معاوية وكان من أهل الكتاب والعلم بالحدثان، فقال له معاوية: أتجدني في شيء من كتاب الله؟ قال: أي والله حتى لو كنت في أمّةٍ من الأُمم لوضعتُ يدي عليك من بينهم، قال: فكيف تجدني؟ قال: أول من يحوّل الخلافة ملكاً، والخشونة ليناً، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم، قال له معاوية: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجلٌ شرّابٌ للخمر، سفاك للدماء، يصطنع الرجال، ويحتجز الأموال، ويجنب الخيول، ويبيح حرمة الرسول، قال: ثم

---

(١) تضمين لقول كثير عزة، وكان عبد الملك قد تمثل به لما أراد المسير الى مصعب فنهته عاتكة بنت يزيد فلما رأت جدّه في الخروج بكت:

إذا ما أراد الغزو لم تُثن همّه ... حصانٌ عليها نظم درّ يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقَهُ ... بكت فبكى مما عراها قطينها

(انظر الاخبار الموفقيات ص٥٤٥).

(٢) عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان، ثار على الحجاج سنة ٨٢هـ وبايعه أهل العراق، فدخل البصرة وهرب منها الحجاج، ثم حدثت بينها حروب كثيرة انتهت بأسر ابن الاشعث وقتله سنة ٨٤هـ، انظر اخباره في: تاريخ الطبري ٦/ ٣٤٢ وكامل ابن الاثير ٤/ ٤١٣ وما بعدها والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٢٥ والبداية والنهاية ٩/ ٣٥ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٢ ومروج الذهب ٢/ ١٠١ والاخبار الطوال ص٣١٦.

ماذا؟ قال: ثم تكون فتنة تتشعب بقوم حتى يفضي الأمر الى رجل أعرفه بعينه، يبيع الدار الآخرة الدائمة بحظّ من الدنيا مخسوس، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزال لعدوّه قاهراً، وعلى مَنْ ناوأه ظاهراً، ويكون له قرين أمين مبين، قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال: أشدّ ما، فأراه من بني أمية بالشام، قال: ما أراه ها هنا، فوجهه الى المدينة مع ثقاة من قومِهِ، فبينما هو يمشي في أزِقّة المدينة إذ رأى عبد الملك يلعب بطائر على يده، فقال: ها هو ذا، ثم صاح به: أبو مَنْ؟ فقال: أبو الوليد، فقال: يا أبا الوليد بشرتك ببشارةٍ تسرّك، ما / ٢٥٥/ يكون لي عندك؟ فقال: وما مقدارها حتى أرى مقدارها من الجعل، قال: أن تملك الأرض، قال: ما لي مِنْ مال، ولكن أرأيت ان تكلفتُ لك جعلاً أتاني ذلك قبل وقته؟ قال: لا، قال: إن حرمتك أيؤخّر ذلك عن وقته؟ قال: لا ، قال: فحسبك، وكان عبد الملك من أكثر الناس علماً وأبرعهم أدباً وأحسنهم ديانةً في شبيبته، وكان يواظب المساجد حتى سمّى حمامة المساجد، وكان لا يعيا بجوابٍ إلاّ إن كلّم أخاه عبد العزيز[(١)].

حكي ان عبد الملك استقبل أخاه عبد العزيز حين رجع من مصر على ألف جمل، فقال له: على كم كانت البدأة؟ فقال: على مائةٍ، فقال عبد الملك: ما عيرٌ أحق بأن يقال لها: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[(٢)] من عيركم هذه، فقال له عبد العزيز: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾[(٣)].

ويحكى عن عبد الملك انه لما أراد الخروج الى مصعب تعلّقت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وجعلت تبكي حتى بكى لبكائها حَشَمُها، فقال: قاتل الله كثيراً، كان يرى موقفنا هذا حيث يقول[(٤)]: [من الطويل]

إذا همّ بالأعداء لم تثن همَّهُ ... حصانٌ عليها عقد درٍ يزينها
نَهَتْهُ فلما لم تر النهيَ عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم خرج يريد مصعباً وكثيرٌ في موكبه، فقال: يا أبا جمعة، ذكرتك الساعة ببيتين من شعرك، فإن أصبتهما فلك حكمك، قال: نعم أردت الخروج فبكت عاتكة بنت يزيد وبكى حَشَمُها فذكرت قولي وأنشده البيتين، قال: نعم، وأعطاه ما طلب، ثم نظر إليه في عرض الناس مفكراً، فقال: عليَّ بأبي جمعة، فجيء به، فقال: إن

(١) أبو الاصبغ، عبد العزيز بن مروان بن الحكم، كان جواداً كريماً ولي العهد بعد أخيه عبد الملك فمات قبله في مصر، وكان عبد الملك أراد خلعه وتولية الوليد ابنه فمات قبل ذلك، انظر انساب الاشراف ٥/ ٣٦٦.

(٢) يوسف: ٧٠. (٣) يوسف: ٧٧.

(٤) الخبر والبيتان في الاخبار الموفقيات ص٥٤٥، وهما في ديوان كثير (بيروت ٩٥) ص٢٣١.

عرّفتك بفكرتك فيما هي فلي حكمي، قال: نعم، قال: قلت في نفسك أنا في شرّ حالٍ خرجتُ مع رجلٍ من أهل النار، وليس على نحلتي، وربما أصابني سهم غرب فأتلفني لغير معنى، قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت ما في نفسي، قال: فاحتكم، قال: حكمي ان آمر لك بعشرة آلاف درهم، /٢٥٦/ واردّك الى منزلك، ففعل به ذلك، فمدح كثير عبد الملك، فمما قال فيه[١]: [من الطويل]

يجيئون بسّامين طوراً وتارةً ... يجيئون عبّاسون شوس الحواجبِ

من النفر البيض الذين إذا انتخوا ... أقرّت لنجواهم لؤي بن غالب

كريمٌ يؤل الراغبون ببابِهِ ... الى واسع المعروف جَزْل المواهبِ

إمام هدى قد سدَّدَ الله رأيَهُ ... وقد أحْكَمَتْهُ ماضياتُ التجاربِ

والتقى عبد الملك ومصعب بالجاثليق[٢]، فبقى مصعب كلّما قال لرجلٍ احمل في خيلك اعتلّ عليه، ولحق غالبهم بعبد الملك، وبقي مصعب في شرذمةٍ قليلة وحمل عليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فرفع يده ليضربه فَبَدَره مصعب فضربه على البيضة فنشب السيف في البيضة، فجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعباً فقتله، ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك، فخرّ ساجداً، فقال عبيد الله: ما ندمتُ على شيء نَدَمي على عبد الملك حين سَجَدَ إذْ لم أضْرب عنقه، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يومٍ واحد، وفي ذلك يقول: [من الطويل]

هَمَمْتُ ولم أفْعَل وكدتُ وليتني ... فَعَلْتُ فأدمنت البكا لأقاربه

فاوردتها في النار بكر بن وائل ... وأَلْحقتُ من قد خرَّ شكراً بصاحِبِهِ

وأما حديث[٣] قتل عمرو بن سعيد الأشدق، وأبوه سعيد بن العاصي، وكان يقال لعمرو لطيم الشيطان، فهو أن مروان لما قام يطلب الأمر عضده عمرو بن سعيد واتّفق معه على أن يكون له الأمر بعده، فلما كبر أمر مروان صيّر الأمر لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز على أن يصير الأمر لعمرو بعدهما، فلما كاتب أهل العراق عبد الملك خرج نحوهم، وكان في العراق مصعب فقال له عمرو: إن الأمر كان لي بعد

---

(١) ديوانه ص٤٦.

(٢) دير الجاثليق موضع بمسكن نزله مصعب ونزل عبد الملك الأحيونية بين تكريت ومسكن وانظر خبر مصعب بن الزبير ومقتله في انساب الاشراف ٦/ ١٨٥ وتاريخ الطبري وكامل ابن الاثير (أحداث ٧١هـ) ورغبة الآمل في مواضع متفرقة ومروج الذهب ٢/ ٨١ والاخبار الطوال ص٣١١.

(٣) انظر خبر مقتل عمرو الاشدق في مروج الذهب ٢/ ٧٨ والامامة والسياسة ٢/ ٢٦ وتاريخ الطبري ٦/ ١٤٠ وانساب الاشراف ٥/ ٢٧ وكان قتله سنة ٦٩هـ.

مروان، ثم صيّره لك، لكن اكتب لي أنت به بعدك، فسكت عبد الملك، وخرج لوجهه نحو مصعب، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل كرَّ عمرو راجعاً في الليل الى دمشق، وغلق أبوابها في وجه عبد الملك، وتسّمى بالخلافة، فرجع عبد الملك /٢٥٧/ حتى نزل على دمشق وحاصرها، فصالحه عمرو على أن يكون له الأمر من بعده، وأن له مع كل عامل عاملاً، ففتح دمشق، وكان بيت المال بيد عمرو، فأرسل إليه عبد الملك أن أخرج أرزاق الحرس، فقال عمرو: إن كان له حرس، فإن لنا حرساً، قال: وأخرج لحرسك أيضاً، فلما كان ذات يوم أرسل عبد الملك الى عمرو أن آتني يا أبا أمية حتى أُدبّر معك أمراً، فقالت له امرأته: لا تذهب إليه، فإني أخافه عليك، فقال: أبو ذبان، والله لو كنت نائماً ما أيقضاني، فقالت: والله ما آمنة عليك، وإني لأجِد ريح دم، فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجّها، وقام فلبس درعه تحت ثيابه، فلما أراد الخروج عثر بالبساط، ثم مضى، وكان معه أربعة آلاف في السلاح، وكان عمرو عظيم الكبر، لا يلتفت وراءه ولو انطبقَتْ الأرض إعجاباً وزهواً، فلما وصل القصر الذي فيه عبد الملك غلّقت الأبواب، فلم يدخل معه إلاّ غلام وهو لا يدري، فلما حصل لعبد الملك قال لغلامه: اذهب للناس (وقل)[1] ما به بأس فقال عبد الملك: تريد أن تخدعني خذوه، فلما أخذوه قال له عبد الملك: إني أقسمت أن أعمل في عنقك جامعة، وهذه جامعة من فضّة أريد أن أبرّ بها قسمي، فطرحها في عُنُقِهِ ثم جذبه إلى الأرض بيده، فضرب فمه في جانب السرير، فانكسرت ثنيته، فجعل عبد الملك يتأملها، فقال عمرو: لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر، ثم قال: سألتك بالله يا أمير المؤمنين لا تخرجني[2] الى الناس على هذه الحالة، فقال له: مكراً يا أبا أمية وأنت في الحديد، فبينما هو في ذلك إذْ جاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة، فقام إليها وقال لأخيه عبد العزيز: أُقْتُلْهُ، فقال عمرو: يا عبد العزيز لا تكن أنت مِنْ بينهم قاتلي، فتركه، فلما رآه عبد الملك رآه جالساً فلامَ عبد العزيز، ثم أخذ الحربة بيده وقال: قرّبوه إليّ، فقال عمرو: فعلتها يابن الزرقاء /٢٥٨/ فقال له عبد الملك: لو علمت أنك تبقى ويسلم لي ملكي لفديتُك بدم النواظر، ولكن قلَّ ما اجتمع فحلان على مذود[3] إلاّ بغى أَحدُهُما على صاحبه، ثم ضَرَبَ بالحربة في صدره فلم تُغْنِ شيئاً، فضرب بيده على عاتقه فأصاب الدرع تحت ثيابه، فقال: لقد

---

(١) سقطت من الاصل.

(٢) كذا في الاصل: والصواب ألا أخرجتني، انظر مصادر الخبر.

(٣) المذود: معلف الدابّة.

كنت معتدّاً يا أبا أُمية، اضربوا به الأرض، فَصُرِع له، ووقف على صدره فذبحه، ولما لم يخرج عمرو الى الصلاة قاتل أصحابُهُ البوابين، وشُجَّ الوليد بن عبد الملك، فلما رأى ذلك قبيصة ابن ابي ذؤيب[١]، قال لعبد الملك، إرم إليهم بالرأس وأنثر الدنانير عليهم ليشتغلوا ويتفرقوا، فَفَعَل، وكان الأمر على ما قال ابنُ ابي ذؤيب، وذهب دم عمرو هدراً.

ويحكى أنه لما قَتَلَ عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة سُلّم عليه، سلم عليه أول تسليمة والمصحف في حجره، فأطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك، وكان في عنفوان نسكه صديق من أهل الكتاب يقال له يوسف[٢]، وكان قد أسْلَم، فقال له عبد الملك يوماً وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري يريد المدينة ألا (ترى)[٣] خيل عدوّ الله كيف تقصد حرم رسول الله ﷺ، فقال له يوسف: جيشك والله الى حرم الله أكبر من جيشه الى حرم رسول الله، فقال عبد الملك: عياذاً بالله ، فقال له يوسف: والله ما قلتُ شاكاً ولا مرتاباً وأني لأجدك بجميع أوصافك، قال عبد الملك: فيكون ماذا؟ قال: يتداولها رهطك الى أن تخرج الرايات السود من خراسان.

[٧]

عبد الله[٤] بن الزبير رضي الله عنه

وكان يكنى أبا بكر، ويكنيه مَنْ ذمَّهُ أبا خبيب، فإنه لما قتل أخوه مصعب، وبايع الناس عبد الملك ودخل الكوفة قال له الحجاج: يا أمير المؤمنين، إني رأيتُ في المنام كأني أسلخ ابن الزبير من رأسه الى قدمه، فقال له عبد الملك: أنت /٢٥٩/ صاحبه، فأخْرَجَ معه الجيوش، فسار بها حتى نزل على مكة، ونصب المجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقعان، وما زال يحاصره ويضيّق عليه، فلما كان في الليلة التي قُتل صبيحتها جمع القرشيين فقال لهم: ما ترون؟ فقال رجل من بني مخزوم: والله لقد

---

(١) كذا في الاصل، وهو قبيصة بن ذؤيب، أبو سعيد الخزاعي المدني، الفقيه، ولد عام الفتح وروى عن جماعة من الصحابة، وكان آثر الناس عند عبد الملك، وكان على الخاتم والبريد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت ثم يدخل بها على عبد الملك، مات سنة ست أو ثمان وثمانين، انظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٣١و٧/ ٢/ ١٥٧ ومشاهير علماء الامصار ٤٣٣ والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٨٧.

(٢) انظر خبر يوسف في تاريخ الخلفاء ص٢١٦.

(٣) ساقطة من الاصل.

(٤) انظر خبره ومقتله في أنساب الاشراف ٦/ ٥ وتاريخ الطبري في مواضع متفرقة من الجزئين ٥و٦ والاخبار الطوال ص٣١٤ ومروج الذهب ٢/ ٨٦.

قاتلنا معك حتى لا نجد مقتلاً، والله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت، وإنما هي إحدى خصلتين، إما أنْ تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ولك، وإما ان تأذن لنا فنخرج، فقال له رجل: اكتب الى عبد الملك، قال: وكيف اكتب، من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان، فوالله لا يقبل هذا أبداً، أو اكتب لعبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير، فوالله لئن تقع الخضراء على الغبراء أهون عليَّ من ذلك، فقال له عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير: يا أمير المؤمنين، قد جعل الله لك إسوة، قال: ومن؟ قال: الحسن بن علي خَلَعَ نفسه وبايع معاوية، فرفع عبد الله رجله ورَكَضَهُ في رجله ركضةً أرماه عن السرير، وقال: يا عروة قلبي إذن مثل قلبك، والله لو قلتها ما عشت إلاّ قليلاً، وقد أخذتني الدنيا، ولئن أُضرب بسيفٍ من عزّ خيرٌ من أن أُلْطم في ذلّ، فلما أصبح دَخَلَ على امرأته أم هاشم بنت منظور وهي التي يقول فيها الفرزدق إذْ نافرتْهُ زوجته النوّار الى عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير، ونزلَتْ زوجته النوار على بنت منظور بن زبان، فكان كلّما أصلح حمزة من شأن الفرزدق عند أبيه نهاراً أفْسَدَتْهُ زوجته ام هاشم ليلاً، حتى غلبته النوّار ففي ذلك يقول[1]: [من البسيط]

أما البنون فلم تُقبل شفاعتهم وشفّعت بنت منظورين زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

/ ٢٦٠/ فلما دَخَلَ ابن الزبير على أم هاشم قال لها: اصنعي لي طعاماً، فلما صَنَعَتْ له ذلك أخَذَ منه لقمةً فلاكها، ثم لفظها، وقال: اسقوني لبنا، ثم اغتسل وتحنَّطَ، وتطيّب، ثم أتى أُمّه اسماء ذات النطاقين، فقال: ما ترين يا أُماه؟ فقد خذلني الناس، فقالت: لا يلعب بك صبيان بني أميّة، عِشْ كريماً، ومُتْ كريماً، قال لها: إني أخشى أن يُمثل بي بعد الموت، فقالت: إن الشاة لا تألم بالسلخ بعد الذبح، فقبّل بين عينيها وودّعها، وخرج، وأسند ظهره الى الكعبة، وجعل يقاتل، فلا يؤم جمعاً إلاّ هدّه، فقال رجل شامي اسمه حلبوب اما يمكنكم أخْذه إذا ولّى؟ قيل له: فخذهُ أنت إذا ولّى، قال: نعم، وهو يريد أن يحتضنه من خَلْفِهِ، فعطف عليه فقطع ذراعيه، فصاح، فقال: اصبر حلبوب[2]، ثم جعل يقول: [من الرجز]

---

(١) البيتان اخلّ بهما الديوان وهما والخبر في أنساب الاشراف ٦/ ٢٢.
(٢) في انساب الاشراف ٦/ ٢٢٩: وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده وقال: اصبر أبا حممة اصبر ابن حام.

قد جَدَّ أصحابي ضرب الأعناق
وصارت الحرب بينهم على ساق[١]

فبينا هو يقاتل جاء حجر من حجارة المنجنيق (وهم) يرتجزون:

خطّاره مثل الفنيق المزيد
يُرمى بها عُوّاذ أهل المسجدِ[٢]

ولما صَرَعه المنجنيق اقتحم عليه أهل الشام، فحملوه، فذهبوا به الى الحجاج فدعا بالنطع، وحزّ رأسه بيده، وبعث به الى عبد الملك، ثم أتى الحجاج أمّه ليعزيها فيه، قالت له: يا حجاج، أقتلت عبد الله؟ قال لها: يا ابنة أبي بكر إني قاتل الملحدين، قالت له: قاتل الموحدين، قال لها: كيف رأيتني صنعتُ بابنك؟ قال: رأيتُك أفْسَدْتَ عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، ولا ضير إن أكرمه على يديك، ولقد أهدى رأس زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل.

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان عثمان بن عفان قد استخلف عبد الله ابن الزبير على الدار فبذلك ادعى الخلافة.

ثم لما صُلب الزبير كان عبد الله بن عمر يقول لقائده: جنبني خشبة ابن الزبير، فوقف ودعا لَهُ وقال: إن عَلَتْك رجلاك ـ وكان / ٢٦١/ منكساً ـ لطالما وقفت عليهما في صلاتك، وإن قوماً كنت شرّهم، لقومٌ كلّهم أخيار[٣] ثم قال لأصحابه: أما والله ما عرفته إلاّ صوّاماً قوّاماً، ولكن ما زلت أخاف عليه مُذ رأيته أعجبته بغلات معاوية الشهب، وكان معاوية قد حجّ فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان فيها الجواري عليهن الحُلي والمعصفرات، فَفَتَنتِ الناس.

وَإذ إنتهينا في ذكر ابن الزبير، فلنعد الى تتمة أخبار عبد الملك بن مروان،

قال المدائني: دخل عبد الملك على يزيد بن معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لك أرضاً بوادي القرى ولا غلّة لها، فإن رأيت أن تأمر لي بها، فقال يزيد: إنا لا نُخْدع عن صغير، ولا نبخل بكبير، قال: فإنها تغلّ كذا وكذا، قال: هي لك، فلما

---

(١) في أنساب الاشراف ٦/ ٢٢٩:

صبراً عناق إنه شرّ باق — قبلك سنّ الناس ضرب الاعناق
قد قامت الحرب بنا على ساق

(٢) الرجز في انساب الاشراف ١/ ٢٢٣ والاخبار الطوال ص٣١٤.

(٣) قريب منه في الاخبار الطوال ص٣١٥ وأنساب الاشراف ٦/ ٢٣٥.

ولّي قال يزيد: هذا الذي يقال إنه يلي بعدنا، فإن كان ذلك باطلاً فقد وصلناه، وإن كان حقاً فقد صانَعْناه[١].

وعن ذكوان قال: كان فقهاء المدينة يعدّون أربعةً منهم عبد الملك بن مروان[٢].

وعن نافع قال: لقد رأيت بالمدينة وما بها شاب أشدّ تشميراً ولا أملك لنفسه ولا أظهر مروءةً من عبد الملك، قال: وكان يقال لعبد الملك بالمدينة حمامة المسجد لعبادته[٣].

وشكى بعض العمال الى ابن عمر وعبد الملك يُصلّى الى ساريته، فقال ابن عمر: لو وليهم عبد الملك هذا ما رضوا به، يضرب به المثل في الفضل والصلاح[٤].

قال الشعبي: دخَلْتُ على عبد الملك فقلت: أنا الشعبي يا أمير المؤمنين، فقال: لو لم نعرفك لم نأذن لك، فلم أدْرِ ما أقول، ثم قال علّم بنيّ الشعر فإنه ينجدهم ويمجدهم[٥].

وقال: وفدتُ على عبد الملك، فما أخذتُ في حديث أرى أنه لم يسمعه إلاّ سبقني إليه، وربما غلطتُ في الشيء وقد علمه فيتغافل عنّي تكرّماً.

وقال عبد الملك: شممتُ الطيب حتى ما أبالي ما وجدتُ، وأتيت النساء /٢٦٢/ حتى ما أبالي أرأيتُ إمرأةً أم حائطاً، وأكلتُ الطعام حتى ما أبالي ما أكلت، وما بقيت لي لذة إلاّ في محادثه رجل ألقي التحفّظ بيني وبينه[٦].

وأوصى أهل بيته[٧] فقال: يا بني مروان إبذلوا معروفكم، وكفّوا أذاكم، وأعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سُئلتم، ولا تحلفوا إذا سألتنم، فإنه مَنْ ضيّق ضُيّق عليه، ومَنْ وسَّعَ وُسِّع عليه.

وقيل له: لقد شِبْتَ يا أمير المؤمنين، فقال: وكيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس كل جمعة، يعني الخطبة[٨].

وقال: وقد قيل له هذا مرةً أخرى: لقد شيبتني قعقعة لجام البريد وصرير أعواد المنابر.

وعن جويرية بن أسماء قال: كان لعبد الملك بيت مال لا يدخلُهُ إلا مال طيّبَ لم يُظْلم فيه مسلم ولا معاهد، قد عرف وجوهه، فكان يُصدق منه النساء ويشتري منه الإماء اللّاتي يتخذهن أمهات أولاد، ويقول: لا أستحلّ انكح إلّا طيّباً، فإن ذلك

---

(١) الخبر في انساب الاشراف ٦/ ٣٠٧.
(٢) انساب الاشراف ٦/٣٠٨.
(٣) انساب الاشراف ٦/ ٣٠٨.
(٤) انساب الاشراف ٦/٣٠٨.
(٥) انساب الاشراف ٦/ ٣٠٩.
(٦) انساب الاشراف ٦/٣١٨.
(٧) في الأصل: أهل مكة، ولعله من وهم الناسخ، والتصويب عن أنساب الأشراف ٦/ ٣١٨ وفيه: أوصى عبد الملك ولده وأهل بيته.
(٨) أنساب الأشراف ٦/ ٣١٨ وتاريخ الخلفاء ص٢١٨.

(يظهر)[١] في الأولاد.

وحكى البلاذري[٢]: أن عبد الملك كان يشتو بالصنبرة[٣] من الأردن فإذا انسلخ الشتاء نزل الجابية حتى إذا حان حمّارة القيظ أتى بعلبك فأقام بها حتى تهيج رياح الشتاء فيرجع إلى دمشق، فإذا اشتدَّ البرد خرج إلى الصنبرة.

وعن المدائني[٤] قال: أرى عبد الملك كأنه بال في الكعبة، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عنه، وقال له: لا تخبره أنني رأيتها، فقال له الرجل: أني رأيت كذا، فقال له سعيد: مثلك لا يرى هذه الرؤيا فرجع إلى عبد الملك، فأخبره إني رأيتها، فرجع إليه فأخبره، فقال: يخرج من صلبه مَنْ يلي الخلافة.

وعن حبيب بن قُنيع قال: جلست إلى سعيد بن المسيب[٥] يوماً والمسجد خال فجاءه رَجُلٌ فقال: يا أبا محمد رأيت في النوم كأني أخذتُ عبد الملك بن مروان فوتدتُ في ظهرِهِ أربعة أوتاد، وتداً بعد وتد، فقال: ما أنت / ٢٦٣/ رأيت هذه الرؤيا، فاخبرني من رآها. قال: اين الزبير، قال: الآن صَدَقت، وان صدقت الرؤيا قتل عبد الملك عبد الله بن الزبير، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلُّهم يكون خليفة.

قال: فرحلْتُ الى عبد الملك، فدخلتُ عليه وهو في الخضراء[٦] بدمشق فأخبرته الخبر، وسألني عن ابن المسيب، ثم سألني عن ديني فقلت: أربعمائة دينار فأمر لي بها من ساعتهِ ومائة دينار أخرى وإبل أحملني عليها وحملني طعاماً وزيتاً وكساءً، فانصرفتُ راجعاً إلى المدينة[٧].

وقال عبد الملك لسعيد بن المسيب: يا أبا محمد، صرتُ أعمل الخير فلا أسرّ به، وأفعل الشر فلا أساء له، قال: الآن تكامل فيك موت القلب[٨].

وكان يقال: معاوية أحلم وعبد الملك أحْزم[٩]، وكان على ديوان الصدقة حتى كانت الفتنة[١٠].

---

(١) الزيادة عن أنساب الأشراف ٦/ ٣٤٠. (٢) أنساب الأشراف ٦/ ٣٤٣.

(٣) الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق بينها وبين طبرية ثلاثة أميال (ياقوت ـ الصنبرة).

(٤) أنساب الأشراف ٦/ ٣٦٧.

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، من أهل المدينة ولد لأربع مضين من خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة أربع وتسعين، احد فقهاء المدينة السبعة، انظر: طبقات ابن سعده ٥/٨٨ والوافي بالوفيات ١٥/. ٢٦٢

(٦) الخضراء: قصر الامارة بدمشق. (٧) انساب الاشراف ٦/ ٣٦٧.

(٨) انساب الاشراف ٦/ ٣٨٣. (٩) انساب الاشراف ٦/ ٣٨٦.

(١٠) في الانساب ٦/ ٣٨٦: كتب مروان الى معاوية يسأله أن يصير عبد الملك ديوان المدينة، فصيّره فلم يزل عليه حتى كانت الفتنة.

وذكر البلاذري[١]: انه لما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك في أمر ابن الأشعث[٢]، نزل عن سريره وأرسل الى أبي هاشم خالد بن يزيد فأقرأه الكتاب فلما رأى ما به من الجزع والارتياع قال: إنما تخاف الحدث من خراسان وهذا الحدث من سجستان فلا تخفه، ثم خرج عبد الملك على الناس فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ان أهل العراق قد استطالوا عمري فاستعجلوا قدرتي، فسلِّط اللهم عليهم سيوف أهل الشام حتى تبلغ رضاك. وصار الحجاج الى البصرة فأقام بها وعزم على لقاء ابن الاشعث وجعل فرسان أهل الشام يأتونه أرسالاً في اليوم المائة والعشرة، والأقل من ذلك وأكثر، وسار الحجاج فنزل الأهواز، وتلاقت المقدمتان فانتصرت مقدمة الحجاج، فلما رأى ابن الاشعث ما فُعل بأصحابه عبر الى أصحاب الحجاج فاقتحم الناس خيولهم في دُجيل حتى صاروا الى موضع الوقعة في يوم ضباب لا يكاد الرجل يتبين فيه صاحبه، فهزم ابن الاشعث أصحاب الحجاج، ودخل ابن الأشعث البصرة، ونزل الحجاج الزاوية، ثم اقتتلوا، وكان النصر لأصحاب الحجاج، وفُقد ابن الأشعث /٢٦٤/ فأمر الحجاج فرفعت راية أمان، فأتوه طائعين، ودخل البصرة، فخطب خطبةً قال فيها: ان الله عزّ وجل لم ينصركم بأهل الشام على عدوّكم، ولكنكم كنتم أهل الطاعة وهم أهل المعصية، فنصركم بغير حولٍ منكم ولا قوة، فاحمدوا الله على نِعمة ولا تبغوا ولا تظلموا، وإياكم أن يبلغني ان رجلاً منكم دَخَلَ بيت امرأةٍ فلا يكون له عندي عقوبة إلاّ السيف، ثم أُتي الحجاج بآل الأشعث فلم يقتل إلاّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وابن عمِّه عبد الله بن إسحاق[٣]، ودَخَلَ البراء بن قبيصة الثقفي على عبد الملك، وكان الحجاج قد طلبه لخروجه مع ابن الاشعث، فأنشده قوله[٤]:

---

(١) انساب الاشراف ٦/ ٤٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي، أمير، من القادة، أرسله الحجاج لغزو بلاد رتبيل، فافتتح حصوناً ومدناً وكتب الى الحجاج يخبره بذلك، ويرى أن يتوقف على أن يختبر مداخل المدن ويحصّن ما بيده، فاتهمه الحجاج بالضعف وأمره بالتوغل، فسرى بين جنده انه يريد اهلاكهم والتخلص منهم، فبايعوه على خلع الحجاج، فرجع بهم سنة ٨١هـ الى العراق، وخلَعَ عبد الملك أيضاً، فاستولى على سجستان وكرمان والبصرة وفارس، ثم أخذت البصرة منه فتحول الى الكوفة وجرت له مع الحجاج وقائع كثيرة انتهت بهزيمته فلجأ الى رتبيل، فكتب إليه الحجاج يتهدده، ان هو لم يقتل ابن الاشعث فقتله وارسل رأسه إليه سنة ٨٥هـ.
اخباره كثيرة في تاريخ الطبري وكامل ابن الاثير (أحداث ٨١هـ وما بعدها) والاخبار الطوال ص٣٠٦.

(٣) انظر خبر مقتل عبدالله بن اسحاق بن الاشعث في انساب الاشراف ٦/ ٤٨٩.

(٤) الخبر والابيات في أنساب الاشراف ٦/ ٤١٣.

[من الطويل]

أرى كلَّ جارٍ قد وفى بجوارِهِ وجارُ أمينِ الله في الأرض يُخْذَلُ

فما هكذا كنتم إذا ما أجرتُمُ وما هكذا كانَتْ أُميّةُ تفعَل

فقال عبد الملك: صدقت، وأمر الحجاج أن يمسك عنه.

وكان[١] عبد الله بن أنس[٢] بن مالك قد قتل مع ابن الجارود[٣]، وكان شجاعاً شديد البطش، حَمَلَ بخراسان بدرةً بفمِهِ فعَبَرَ بها نهراً، فلما بَلَغَ الحجاج خبر مقتله قال: لا أرى أنساً إلاّ يُعين عليّ، فلما دخل البصرة استصفىٰ مال أَنَس، فلما دخل عليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً إيها يا شيخ ضلالة، جوّال في الفتن مع أبي تراب مرّة، ومرّة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود، أما والله لأجردنك جَرْدَ القضيب، ولأعْصَبنّك عَصْب السَّلَمة، ولأقلعنّك قَلْعَ الصمغة، فقال أنس: مَنْ يعني الأمير؟ قال: إياك أصَمَّ الله صداك، فرجع أنس فأخبَرَ ولده بما لقيه من الحجاج، فأجابه[٤] عبد الملك جواباً لطيفاً، وكتب الى الحجاج:

أما بعد[٥] يابن ام الحجاج، فإنك عبدٌ طَمَّت بك الأمور حتى عدوْت طورك وتجاوزت قدرك، وايم الله يابن المستعجمة بالزبيب[٦] لاغمزنّك غمزةً[٧] كبعض غمزات الليوث للثعالب، ولأخبطنك خبطةً[٨] تودّ لهاأنك رجعت في مخرجك من بطن أمك، أما تذكر حال آبائك[٩] بالطائف / ٢٦٥/ حين كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم، وهم يحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم، أم نسيت حال آبائك

---

(١) نقلاً عن انساب الاشراف ٦/ ٤١٠ والخبر أيضاً في الاخبار الموفقيات ص٣٢٨.

(٢) أنس بن مالك بن النضر الانصاري، صحابي، خدم رسول الله عشر سنوات، وشهد معه ﷺ الحديبية والفتح وحنيناً والطائف، سكن البصرة فكان آخر من بقي فيها من الصحابة، توفي سنة ٩٥هـ، الاصابة (٧٧).

(٣) عبد الله بن بشر بن الجارود العبدي، خرج على الحجاج بالبصرة سنة ٧٥هـ فقتله الحجاج انظر: الطبري ٦/ ٢١٠ وانساب الاشراف ٦/ ٣٩٨ وطبقات ابن سعد ٧/ ١٠.

(٤) كذا في الاصل، ومن الواضح أن جملة قبلها سقطت وهي في الانساب والموفقيات: فأشاروا عليه بأن يكتب بذلك الى عبد الملك، فكتب إليه كتاباً شكا فيه الحجاج وما صنع به وما قال له فأجابه....

(٥) الرسالة في جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢٤٦ وانساب الاشراف ٦/ ٤١١ والاخبار الموفقيات باختلاف يسير، وبعضها في البيان والتبيين ١/ ٣٨٥.

(٦) في الاخبار الموفقيات والانساب: المستفرمة بعجم الزبيب.

(٧) في الاخبار الموفقيات: إن أضغمك ضغمةً كبعض ضغمات الليوث الثعالب، وفي البيان: اركلك ركلة تهوي بها الى نار جهنم.

(٨) في الاصل: اخطبنك خطبةً.

(٩) في الموفقيات: كأنك نسيت مكاسب آبائك.

في اللؤم والدناءة في المرؤة والخلع وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك الى أنس بن مالك جراءةً وإقداماً، وأظنّ أنك أردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره، فَتَعْلَم إنكاره أو إغضاؤه عنه، فإن سوَّغَك ما كان منك مضيت عليه إقداماً، فعليك لعنة الله من عبْدٍ أخفش العينين أصَكّ الرجلين ممسوح الجاعرتين[١] ولولا أن أمير المؤمنين يظنّ أن الكاتب كثّر في الكتاب من الشيخ الى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك على ظهرك وبطنك حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك، فأكْرِم أنساً وأهل بيته، واعرف له حقّه وخدمته رسول الله ﷺ، ولا تقصّر في شيء من حوائجِهِ، ولا يبلغنّ أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنسٍ وبرِّهِ وإكرامه، فيبعث إليك من يضرب ظهرك، ويهتك سترك ويُشمت بك عدوّك، وألْقِهِ في بيته متنصّلا إليه، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله والسلام.

وبعث بالكتاب مع إسماعيل[٢] بن عبد الله مولى بني مخزوم، فأتى اسماعيلُ أنساً بكتاب عبد الملك إليه فقرأه، ثم أتى الحجاج بالكتاب إليه، فَجَعَل يقرأه ووجهه يتغيّر ويتمعّر[٣]، وجبينه يرشح عرقاً وهو يقول يغفر الله لأمير المؤمنين، فما كنت أظنّه يبلغ منّي هذا كلّه، ثم قال لاسماعيل، انطلق بنا الى أنس، قال اسماعيل: فقلت: يأتيك، قال: فقم إذاً، فأتى أنساً، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحجاج، فرحَّب به الحجاج وأدناه، وقال: يا أبا حمزة عجلت يرحمك الله باللائمة والتنكية الى أمير المؤمنين، قبل أن يَعْلَم كل الذي لك عندي، إنَّ الذي فرط منّي إليك عن غير نيّة ولا رضىً بما فعلت، ولكني أردت أن يعلم أهل العراق إذْ كان من ابنِك ما /٢٦٦/ كان إذا بلغتُ منك ما بلغت كنت بالغلظة والعقوبة أسْرَع، فقال أنس: ما شكوت حتى بلغ الجهد[٤]، وقد زعمت إننا الأشرار وسمانا الله عزّ وجل الأنصار[٥]، وزعمت إنا أهل النفاق، ونحن الذين تبوّؤا الدار والإيمان، وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على الغير[٦]، لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق

(١) الجاعرتين: هما لحمتان تكتنفان أصل الذنب في الحيوان.
(٢) اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، مولى بني مخزوم، أبو عبد الحميد، مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان وولاه عمر بن عبد العزيز افريقية، مات سنة ١٣٢، انظر: الشذرات ١/ ١٨١ ومشاهير علماء الأمصار (٨/ ١٤).
(٣) يتمعّر: يتغير وتعلوه صفرة.
(٤) في الاصل الحقد والتصويب عن الانساب وفي الاخبار الموفقيات: ما عجلت باللائمة حتى تناولنا العامة دون الخاصة.
(٥) بعدها في الموفقيات: وزعمت أنا أهل بخل، ونحن المؤثرون على أنفسهم.
(٦) في الاصل: العز، والتصويب عن انساب الاشراف.

الكذب وزعمتَ انك اتخذتني ذريعة وسلّماً الى مساءةِ أهل العراق باستحلال ما حرّم الله عليك مني، ولم يكن لي عليك قوّة فوكلتك الى الله والى أمير المؤمنين، فحفظ من حقّي ما لم تحفظه، فوالله إن النصارى على كفرهم لو رأوا رَجُلاً خَدَم المسيح ابن مريم عليه السلام يوماً واحداً لعرفوا من حقّه ما لم تَعْرِفْهُ من حقّي، وقد خدَمْتُ رسول الله ﷺ عشر سنينَ وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عز وجل عليه، وإن رأينا غير ذلك صبرنا، والله المستعان[١]، فردّ الحجاج عليه ما كان قبض من أموالهم.

وأراد عبد الملك أخاه عبد العزيز على أن يخلع نفسه فأبى، فكتب إليه يعتبه ويقول: احمل إليّ خراج مصر، فكتب إليه[٢]: يا أمير المؤمنين إنا قد بلغنا سنّاً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلاّ كان بقاؤه بَعْدَها قليلا، وأنا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت ألاّ تُغثِّث[٣] عليّ بقيّة عمري فافعل، فرقّ له عبد الملك، وقال: لعمري لا فعلتُ ذلك، ولا سؤت أخي، وقال لبنيه، إن يُرد الله يُعْطِكم إياها، ثم لم يلبث أن أتاه نعي عبد العزيز، فاسترجع وبكى وَوَجَمَ ساعة، ثم قال: رحم الله عبدالعزيز، فقد مضى لسبيله ولا بُدَّ للناس من علم يسكنون له، وقائم يقوم بالأمر بعدي، وكان مؤثراً للوليد من بنيه على حبّه لكلّهم، وكان الحجاج يكتب إليه بأن يعهد إلى الوليد، فعهد الى الوليد، ثم الى سليمان، وكتب ببيعتهِ الى المدينة وسائر الآفاق.

/ ٢٦٧/ مرض عبد الملك مرض موته، فقال بعض الاطباء: إن شرب الماء مات فاشتدَّ عطشه، فقال: يا وليد اسقني، قال: لا أعين عليك، فقال: يا فاطمة اسقيني، فقامت لتسقيه فمنعها الوليد، فقال له عبد الملك[٤]: لتدعنها أو لأخلعنّك، فقال: لم يبق بعد هذا شيء، فسقته، فَخمَدَ.

وكان عبد الملك قد كرب للموت، فقال: اصعدوا بي أعلا الدار فصعدوا فرأى من كوّةٍ فيها قصّاراً ومن حوله حمار له يرتع، فقال: يا ليتني كنت قصاراً، يا ليتني كنت حمار القصّار، فأتى الوليد يسأل عنه وفاطمة بنت عبد الملك تبكي، ففتح عبد الملك عينه وأنْشَدَ[٥]: [من الطويل]

---

(١) في الاخبار الموفقيات: فإن يكن منك إحسان شكرنا ذلك، وان يك غير ذلك صبرنا الى أن يأتي الله بالفرج.

(٢) انظر رسالته في تاريخ الطبري ٦/ ٤١٤، والخبر في انساب الاشراف ٦/ ٣٧١.

(٣) تغثث: أي تفسد وتكدّر.

(٤) في الاصل: الوليد، وهو من سهو النّساخ، والتصويب عن انساب الاشراف ٦/ ٣٨٧.

(٥) البيت والخبر في مروج الذهب ٢/ ١٢٣ وفيه:

ومشتغل عنا يريد بنا الردى ومستعبرات والدموع سواجمُ

ومستخبرٍ عنّا يُريد لنا الرّدى ومستخبراتٍ والدموع تسيلُ

ثم طَلَبَ ابنه الوليد وقال له[1]: إذا أنا مت فضعني في قبري ولا تعصر عينيك عَصْر الأمة، ولكن شمّر وأبرز والبس للناس جلد نمر، فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك هكذا، فقلّما اجتمع فحلان في ذَوْد إلاّ بغى أحدهما على الآخر، فكن أنت الباغي، ثم بقي بمنتهه يقول: إنه لا يقول: انه لا يجتمع فحلان في ذود، ولا سيفان في غمد.

ولد عبد الملك في رمضان سنة ست وعشرين، وتوفي في نصف شعبان سنة ست وثمانين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة ولايته بعد مقتل ابن الزبير وهي الخلافة المجمع عليها ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً، وكانت الفتنة نحو تسع سنين، وقبره خارج باب الجابية بدمشق، وقال شاعر يَرثيه[2]: [من الطويل]

سقاك ابن مروان من الغيث مُسْبِلُ اجشُّ سماحيّ يجودُ ويهطل

فما في حياةٍ بعد موتك رغْبَةٌ لحرٍّ وإن كان الوليدَ يؤمَّلُ

[٨]

دولة ابنه الوليد[3] بن عبد الملك، أبي العباس

عَمَّر بيوت الله التي أذِن أن تُرفع، وسطّر في صحفه من أجرها /٢٦٨/ ما ينفع، عمَّ المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ لها الرحال، ولَمَّ شعثها في أيْسَرِ حال، وعنى بمسجد دمشق حتى انتاش من أيدي النصارى شطره، وكمّل بالمساحة قطره، فقوّم شقّه المائل، واستسلم كافره المتحايل، فقام المؤذن لا يشوش عليه صوت ناقوس، والامام لا يخلط عليه ترنّم قسوس، وحسم في الشقّ المائل منه العلّة، ونصب وجه المديح الى القِبْلة، وأصبح الدين كلّه لله من بعدما أعرض، ونأى بجانبه، وشأ كفره جُهْدَ مُناصِبِهِ، وعوّض النصارى بما كان للمسلمين من نصف كنيسة مريم، وعوّل على ما رآه وصمَّم، ثم أغْربَ بناءه وأغرب سماءه، حتى رفع على السماك سُمُكه، ووضع بإزاء السماء حبكه، ولو كان هذا موضع القول لأطلت وأطْنبتُ وأمللت، إلاّ أن الوليد كان يُعاب لبُّه بالفراغ، ورأسُهُ بخفّة الدماغ، كان أخف من خطْرة نسيم،

(١) انظر وصيته للوليد في: تاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٩.

(٢) البيتان بدون نسبة في انساب الاشراف ٦/ ٣٨٨.

(٣) بويع له يوم وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، وكان ظلوماً غشوماً، إلا أنه اهتم بالبناء، فبني المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله ﷺ بالمدينة والمسجد الأقصى، ومنع المجذومين من مخالطة الناس وأجرى لهم الارزاق وبنى المستشفيات، وهو أول من أحدثها في الاسلام، وفتحت في أيامه بلاد كثيرة امتدت الى الهند وتركستان والصين، توفي سنة ٩٦هـ وله (٤٣) سنة. انظر: انساب الاشراف ٧/ ٥ ومروج الذهب ٢/ ١٢٣ وتاريخ الطبري وكامل ابن الاثير احداث ما بين ٨٦ و٩٦هـ.

وأطْيش من نارٍ في هشيم، وكان يَتَلَجْلَج لحناً، ويتحرج ولا يقول كلاماً لا معنى، غالبه مثل كلام النائم، أو السكران، هي ألفاظ إلاّ أنّه لا يفهمها الانسان، فكان خفيفاً لحّاناً، لا يقيم لسانهُ خطأً ولا عقلُه امتحاناً، وكان على هَوجِهِ الشديد وعوجِهِ عن النهج السّديد، شديد المهابة، مجيد الإصابة، سعادةً أخْدَمَتْه بها الأقدار، وقدّمَتْهُ إليها أضعاف المقدار، وكان معظِّماً لجانب الحجاج، حتى أنه كان أمكن عندَهُ بما كان عند أبيه عقدة، وأقرب مكاناً ومودّة، وإمكاناً في رخاءٍ وشدّة، وكان الوليد إذا ذكره قال: هو الذي مهَّدَ لمنابرنا وسهّد جفونه لنوم أكابرنا، يُعدّد صُنعةُ السالف، وردعة المخالف، ويرى أنّه من أكرم زُلَفِهِ وأعظم ما جاءَهُ الدهر به من تُحَفِهِ، وكذلك كان الحجاج، له صدق ولاءٍ لا يُكذَّب، واجماع لا يُشذّب، حتى إنه لما احتضر كتب إليه كتاباً أوْدَعَه ما فارقه به وودَّعه، زَعَمَ فيه أنّ رضى الوليد سبب مفازِهِ، وموجب دخولِهِ الى الجنّة وجوازِهِ، وقال فيه: [من الطويل]

/٢٦٩/ إذا لقيتُ الله عنّي راضياً فإن سرور النفس فيما هنالك

ولما رجع الوليد من جنازة أبيه، صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال[١]: لم أرَ مثلها مصيبة، ولم أر مثله ثواباً، فإنا لله وإنا إليه راجعون لعظم المصيبة، والحمد لله على حسن العطيّة، إني قد كفيت ما كفت الخلفاء قبل تتكلم به فمن كان في قلبه حبُ فليمت بدائه، ومن مال به أملنا رأسه.

وولّى عمر بن عبد العزيز المدينة[٢] وأمره أن يبني مسجدها ويجعله مائتي ذراع، وبَعَثَ بالفَعَلَةِ من الشام، وكتب الى ملك الروم أن يُعينه في بنائه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب، ومائة فاعل وأربعين جملاً فسيفساء[٣] مذهبة وبعث الى عاملة بمكة في عمل الفسيفساء[٤] وترخيم الجُدَر بالمسجد، وبَعَثَ في عمارة المسجد الأقصى، وشرع هو في عمارة مسجد دمشق، وقال[٥] لأصحابه: أقسمت عليكم لما أتاني كل واحدٍ بلبنةٍ، فجعل رجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال: يا أهل العراق، تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة.

وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة اصبغ بن محمد بن محمد بن لهيعة السكسكي: ان الوليد حين بنى مسجد دمشق مَرَّ برجل مِمّن يعمل فيه وهو يبكي، فقال: ما قصتك؟

---

(١) انظر خطبته في أنساب الاشراف ٦/ ٣٨٨ ومروج الذهب ٢/ ١٢٤ وتاريخ الطبري ٦/ ٤٢٣.
(٢) ولاه سنة ٨٧هـ وعزله سنة ٩٣هـ انظر: تاريخ الطبري ٦/ ٤٢٧و٤٨١.
(٣) في الاصل: فستغليسا.
(٤) في الاصل: فسفيسا، وانظر الخبر في الاخبار الطوال ص٣٢٦ وانساب الاشراف ٧/ ١٣.
(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٩.

فقال: يا أمير المؤمنين، كنت رجلاً جمالا، فلقيني يوماً رَجُلٌ فقال لي: أتَحْملني الى مكان كذا، وذكر لي موضعاً في البريّة، فقلت: نعم، فلما سِرنا بعض الطريق الْتَفَتَ إليَّ فقال: إنْ بلغنا الموضع الذي ذكرتُهُ لك أغْنيتُك، وإن متُّ فاحمل جثتي الى حيث أصِفُ لك، فإن ثم قصراً خراباً فإذا بلغته فامكث إلى ضحوة نهار، ثم عد سبع شرفات من القصر، واحفر تحت ظل السابع قدر قامه تجد بلاطة فاقلعها، تجد مغارة ترى فيها سريرين على أحدهما رجل ميّت، فاجعلني على السرير الآخر، وحَمِّل ما معك مالاً من المغارة وارجع الى بلدك، فمات الرجل في الطريق، فَفَعَلْتُ ما أمرني به، وكان معي أربعة جمال وحمارةً، فاوسقتها كلّها مالاً، / ٢٧٠/ من المغارة، وسرتُ بعض الطريق، وكانت معي مخلاة نسيتُ إملاءها، وداخلني الشَّرَهُ، فرجعتُ بها وتركْتُ الجمال والحمارة، فلم أجد المكان، ورجِعتُ فلم أجِد الدواب، فبقيت أدور، فلما يئستُ رجعتُ الى دمشق ولم أحصل على شيء، واضطرني الأمر الى ما ترى، أعمل في التراب كل يوم بدرهم، وكلّما ذكرت حالي لم أمْلك نفسي أن أبكي، فقال له الوليد: لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئاً، وإليَّ صارت وبنيت بها هذا المسجد.

وعَزَل المجذمين في مكان، وأعطاهم، وقال: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادماً، وكلَّ ضرير قائداً[1].

وكان[2] صاحب بناء واتخاذ مصانع، وكان عند أهل الشام من أفضل خلفائهم قال ابن الاثير[3]: وفتح في ولايته فتوحات عظام، منها الاندلس وكاشغر والهند، ثم قال: يمرّ بالبقّال فيقف عليه يأخذ حزمة بَقْل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلسٍ، فيقول: زِدْ فيها.

قلت: وقد قيل أنه أوّل من تجبَّر من الخلفاء، وقال الوليد[4]. أنا أنفق على الكعبة وأكسوها وأطيّبها، فعلام يأخذ بنو شيبة هداياها، لأمنعنّهم إياها العام، فأرْمَضَهُم، وخرج الوليد حاجاً فخرجوا يتلقونه، فوجدوا الحجاج معه، فقالوا له: أنت وإن كنت معزولا عنا، فإنك محمود عندنا، وحُرْمَتُنا لا تنكر، وقد بَلَغَنا كذا، ففزعنا إليك، فقال: إذا دخلتم على أمير المؤمنين فتجنبوني عنده، ثم سلّموا عليه خالي الوجه، ودعوني أكفيكموه، ففعلوا، فلما خرجوا قال الحجاج: على ما يدعُ هؤلاء وهدايا الكعبة، قال: قد أجْمعتُ على أخذها، قال: فافعل، فإني أشرت بهذا على أمير المؤمنين عبد الملك، فقال: أنا أبرأ الى الله من هذا؟ فقال الوليد: أنا أبرأ مما برأ منه أميرُ المؤمنين عبد الملك، وتركها لهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٦.
(٢) النص في تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٦.
(٣) الكامل ٤/ ١٣٧.
(٤) انظر الخبر في انساب الاشراف ٧/ ١٤.

واستعمل عاملاً له، فأتاه رجلٌ (فقال)[١]: نصيحة، قال: إن كانت لك رددناها عليك، وإن كانت لنا فلا حاجة لنا فيها، قال: جارٌ لي أخلَّ بمركزِهِ، فقال: بئس الجار أنت، نحن ناظرون فيما ذكرت، فإن كنت صادقاً مقتناك / ٢٧١/ وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن أحْبَبْتَ ان نعفيك عافيناك، قال: اعفني، قال: قد فعلتُ.

وعن عامر بن عبد الأعلى قال[٢]: حُدِّثَ الوليد أن (رجلاً)[٣] جمع بين هند بنت الخسّ[٤] العمليقي[٥] وبين جمعة بنت عابس الأيادي، فقيل لجمعة: أيّ الرجال أحبُّ إليكِ؟ قالت: الغليظ الكتد، الظاهر الجلَد، الشديد الجذب بالمسد، ثم قيل لهند: أي الرجال أحبُّ إليك؟ قالت: القريب الأمد، الواسع البلد، الذي يُوفد إليه ولا يفِد، فقال الوليد: مَنْ هذا الرجل؟ فقال له هشام[٦] ابن عبد الأعلى الفزاري: أنت يا أمير المؤمنين.

وحكى المدائني: قال[٧]: مرض الوليد بن عبد الملك، فرهقته غَشْيَةٌ فَمَكَثَ عامّة يومه عندهم ميّتاً، فبكي عليه، وخرجَت البُرُد بموته، فقدم رسول على الحجاج بذلك، فاسترجع، ثم أمر بحبل فَشُدَّ في يدِهِ ثم أُوْثِقَ الى اسطوانة، ثم قال: اللهمَّ لا تُسلّط عليّ مَنْ لا رحمة له، فطالما سألتك أن تُميتني قبل أمير المؤمنين، فبينا هو كذلك إذْ قدم عليه بريد بإفاقته، فخرَّ ساجداً وأعْتق كلّ مملوك له، وصدّق بصَدَقةٍ كثيرة، ولم يكن أَحَدٌ أسرَّ بعافيته من الحجاج، وبعث إليه كتاباً بالتهنئة ومعه من تُحف الهند وخراسان، ثم[٨] لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد فقال خادم للوليد: إني لأُرضّيه يوماً لصلاة الغداة، إذ مَدَّ يده فجعلتُ أصبُّ عليها الماء وهو ساهٍ والماء يسيل ولا أقدر أن أتكلّم، ثم نَضَحَ الماء في وجهي وقال: أناعِسٌ أنت؟ ثم رفع رأسه إليَّ فقال: ويلك أتدري ما جاء الليلة، [قلت: لا][٩] قال: ويلك مات الحجاج، فاسترجعتُ، فقال: اسكت ما يسرّ مولاك أنَّ في يدِهِ تفاحةً يشمُّها، وانه لم يمت، ثم قال: رحم الله الحجاج، لقد كان منا أهل البيت.

وحجّ[١٠] الوليد، فوفاه محمد بن يوسف أخو الحجاج من اليمن، وحمل هدايا

---

(١) الزيادة عن انساب الاشراف ٧/ ١٥، وفيه: استعمل الوليد عبد العزيز على بعض الشام فأتاه رجل فقال: ...الخ.

(٢) انساب الاشراف ٧/ ١٦. (٣) الزيادة عن الانساب.

(٤) في الاصل: الحسن وهو تصحيف والتصويب عن الانساب.

(٥) في الانساب: الايادي وقيل العمليقي. (٦) في الانساب: هاشم.

(٧) انظر الخبر في تاريخ الطبري ١٦/ ٤٩٧ وأنساب الاشراف ٧/ ١٨.

(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٧ وأنساب الاشراف ٧/ ١٩.

(٩) ليست في الاصل، وهي في تاريخ الطبري والانساب.

(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٨ وانساب الاشراف ٧/ ٢٠.

للوليد، فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد: اجْعل لي هدية محمد بن يوسف فأمر /٢٧٢/ بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين الى محمد بن يوسف بقبض الهدايا، فأبى وقال: لا أسلّمها حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت ودَخَلَتْ على الوليد فقالت: (لا حاجة)[١] لي في هدايا محمد فإنه بلغني أنه أَخَذَها من الناس ظلماً وغصباً وأنه يسخرهم بعملها، فلما حملها الى الوليد قال له: بَلَغَني انك اغتصبتها الناس وكلّفهم عملها وظلمتهم، فقال: معاذ الله، فأَحْلَفَهُ خمسين يميناً بين الركن والمقام انه ما ظَلَمَ أَحَداً وما أصابها إلاّ من طيب، فَحَلَفَ، فقبلها الوليد وبَعَثَ بها إلى أم البنين، ومات محمد بن يوسف باليمن، أصابَهُ داءٌ تقطّع منه.

واستند الى حائط يلي زمزم والفضل[٢] بن عباس بن أبي لهب يستقي من زمزم ويقول[٣]: [من الرجز]

يـــا أيـــهـــا الـــســـائـــل عـــن عـــلـــي[٤]
تـــســـأل عـــن بـــدرٍ لـــنـــا بـــدري
مـــردّدٌ فـــي الـــمـــجـــد ابـــطـــحـــي
زمـــزم يـــا بـــوركـــت مـــن ركـــي
بـــوركـــت لـــلـــســـاقـــي ولـــلـــمـــســـقـــي
اســـقـــي عـــلـــى مـــأثـــرة الـــنـــبـــي

ثم أتى الوليد منها بماء فشربه، ومسح منه على وجهِهِ ولم ينكر عليه قوله، إلاّ أنه لم يصله حتى كلّم فيه.

وعن مدرك بن حجوة أن قوماً دخلوا على الوليد وعنده أخوه مسلمة، فشكوا أمراً

---

(١) زيادة يقتضيها السياق وهي من انساب الاشراف، وفي تاريخ الطبري: فقالت: إنك أمرت لي بهدايا محمد أن تُصرف إليّ ولا حاجة لي بها.

(٢) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، الهاشمي، من شعراء بني هاشم وفصحائهم المذكورين، صحب علياً عليه السلام، واتصل بالامويين فمدح الوليد، جمع مهدي بن الحسين النجم شعره ونشره في (ديوان) في بيروت سنة ١٩٩٩م، وانظر: الاغاني ١٦/ ١٧٥ وتجريد الاغاني ١٧١٣ وسمط اللآلي ٧٠٠ والدرجات الرفيعة ص١٩٣ وشرح التبريزي ص٧٤.

(٣) الاشطار والخبر في أنساب الاشراف ٧/ ٢٤ وهي من (٢٨) شطراً في أخبار الدولة العباسية ص١٥٢، وانظر التخريج في الديوان ص٤٤.

(٤) هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وفي أخبار الدولة العباسية أن الراهب العذري أَخَذَ بخطام راحلة الوليد بن عبد الملك وحدا به، فأخذ الفضل بخطام راحلة علي بن عبد الله بن عباس وأنشأ يقول: يا أيها السائل عن علي....

من أمرهم فلم يبيّنوا ولا أحسنوا العبارة، فتكلم رَجُلٌ منهم فأفصح وأوْضح، وعَبَّر عن نفسه وعن القوم، فقال مسلمة: ما شبّهت كلام هذا الرجل إلاّ بسحابة لبدت عجاجاً[1].

ولما[2] مرض الوليد بن عبد الملك ذكر له موسى بن نصير طبيباً قدم به معه من المغرب رومياً، فأدخَلَهُ عليه وعنده ابن راس البغل ويقال ابن راس الحمار[3] طبيب عمه عبد العزيز بن مروان، وكان من أهل الاسكندرية فتراطنا بالرومية، فقال أحدهما لصاحبهِ: ما تأوّله[4] قال: السلّ، قال: صدقت، ودعا له صاحب موسى بفرخ فطبخ، وألْقى عليه مرقةِ دواء وحسّاه منه جُرَعاً فلم يثبِتْ في جوفهِ وقاءه، وقال: لاَ أرى هذا وافقك وعندي /٢٧٣/ ما هو أسهل منه وأنا آتيك به غداً، فخرج من عندِهِ وقال: والله لا يصبح حيّاً، فمات في السحر، وتوفي سنة ست وتسعين وهو ابن تسع وأربعين[5]، وملك تسع سنين ودُفن خارج باب الصغير بدمشق، وكان نقش خاتمه (أذكر الموت يا وليد) وقيل بل كان (يا وليد إنك ميت)[6].

[٩]

دولة سليمان[7] بن عبد الملك بن مروان، أبي أيوب

وكان أَلَذّ من غفوة النّوم، وجفوة اللّوم لطيب زمانهِ، ووطيء المخاوف بأمانِهِ، وكان مفرط الغيرة، يؤاخذ بالظنون وينابذ بريب المنون، سمع رجلاً يرجّع في الغناء فتوجّع وقال: هذا رائد الزنا، وأمر بأن يُخصى فجذّ انثييه، وبذّ السوابق بما جنى عليه، وكان مدّة أبيه عبد الملك وأخيه الوليد مغرى بعيب الحجاج، مُعنّى منه بما

---

(١) الخبر في انساب الاشراف ٧/ ٣٤. (٢) الخبر في انساب الاشراف ٧/ ٣٥.

(٣) في الاصل: الحمال، غير معجمة والتصويب عن الانساب.

(٤) كذا في الاصل، ولعلّه تصحيف، وفي أنساب الاشراف: ماداؤه؟.

(٥) كذلك في انساب الاشراف ٧/ ٣٥، وفي مروج الذهب ٢/ ١٢١: مات وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وفي تاريخ الخلفاء ص٢٢٤، وله احدى وخمسون سنة، وفي تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٥: واختلف أيضاً في مبلغ عمره، فقال محمد بن عمر: توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر. وقال هشام بن محمد: توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر ويقال انه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة.

(٦) في مختصر ابن الكازروني ص٩٣: (لكل أجلٍ كتاب).

(٧) سليمان بن عبد الملك، بويع له بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ، فأحسن إلى الناس، وكان مولعاً بالفتوحات، أرسل أخاه مسلمة لحصار القسطنطينية، وفي أيامه فتحت جرجان وطبرستان، مات سنة ٩٩هـ، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر، انظر: تاريخ الطبري ٦/ ٥٢٥ وما بعدها، وأنساب الاشراف ٧/ ٤٠ والاخبار الطوال ص٣٢٩ وتاريخ الخلفاء ص٢٢٥ ومروج الذهب ٢/ ١٣٥.

يكثر ريب اللّجاج، وكان ينوي إن صارت إليه نوبة الخلافة، له نومة كل آفة، فمات قبل ذلك الحجاج، وفات الحجاج، فسبقت نيّة سليمان فعله، وسيفه عذله، وكان سليمان نهماً لا يشبع، مُلتهماً يأكل مع اللقمة الاصْبع، حتى استأسد واستسبع، وأكل ما طار بجناح أو مشى على أربع، وامهُ وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جزي العبسي، نشأ في أخوالِهِ بني عبس، ونأى في أحواله عن اللبس، وكان أبيض جعداً، كاد محياه يندى، نظر يوماً الى المرآة، وقد لبس حلّةً خضراء، رَفَلَ في سندسها ونحل نوار الخمائل من أنواره ضوء مشمسها، فقال: أنا الملك الفتى، أو قال انا الملك الشاب، لما داخله بالملك الإعجاب، ومرَّ في خروجهِ الى مصلاه بجاريةٍ له كان بها كلفاً، وبحبّها شغفاً، فلما قال لها هذا القول قالت[1]: [من الخفيف]

أنت نعم المتاع لو كنتَ تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

/ ٢٧٤/ ليس فيما علمته فيك عَيْبٌ ... كان في الناس غير أنّك فان[2]

فتطيّر من قولها وتشاءم، وراجع الفكر في هذا وداوم، ثم أتى المنبر، فخطب فأسمع، ثم تقدّم الى المحراب وصوته لا يتعدى له خرق مسمع، فعادَ الى منزلهِ ساكناً يتوجع، وطلب تلك الجارية كالمنكر عليها، فأقْسَمَت أنها لم تره ذلك اليوم أجْمع، فعلم أنه نعي، وأنه إنما خرج ليودّع، وكان ملك حُسْنٍ وإحسان، وخليفة يُمْنٍ وأمان، ولي سنة ست وتسعين، فجاء جميل المذهب، كأنما أيامه الطراز المذهّب، أبقى مِن حسن السيرة ذكراً لا يَبْلى، وأثراً لا يذهب، ملك أمره فما شعث ولا تشعّب، وأنصف من الظالم فأخْمَدَ سورة من تشعَّب، وأخرج من الحبوس، ونزع عن المستورين لباس البوس، وكساهم حُلَل الكرامة، وأنساهم بعدْله ما مسَّهم من السآمة، وردَّ عنه بردهم الملامة، وأخذ الظلامة، وراقب الله كأنما يتمثل وقوفه بين يديه يوم القيامة.

وكان الوليد أخوه ولاّه فلسطين فأحدث مدينة الرملة وبنى مسجدها وأتاه نعي الوليد وكان ولي العهد بعده، فخرج من فلسطين الى دمشق، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، فأسف الرعايا على ملكه القصير، وزمانه الغضّ النضير، ولكن ليالي الوصل فيهنّ تقصير، ومات بدابق[3] ودفن بها، وكفّن ثم وسّد في مضاجع تربها،

---

(١) الابيات والخبر في مروج الذهب ٢/ ١٣٧ وتاريخ الطبري ٦/ ٥٤٧.

(٢) في المروج: يا سليمان غير أنك فانِ.

(٣) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ، عندها مرج معشب كان ينزله بنو مروان إذا غزو الصائفة (ياقوت ـ دابق).

وذلك في سنة تسع وتسعين، وكان يوم مات ابن خمس وأربعين[١]، وحسبهُ من حسن الخاتمة في الدنيا والامارة، الدالة على تنقله في الدرجات العليا أن صلّى عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وَرَحَل من حرم الخلافة المستباح الى حرز الله الحريز.

وكان له أولاد منهم أيّوب[٢] المكنّى به، وكان من (أكثر)[٣] قريش عفافاً وأدباً وكان أبوه قد بايع له بالعهد، وكان مؤدبه وحاضنه عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر وقال فيه جرير: [من البسيط]

إنّ الامام الذي تُرجى فواضله ... بعد الامام وليُّ العهد أيّوبُ

/ ٢٧٥/ وهلك في حياة أبيه، فرثاه عبد الله بن عبد الاعلى بقصيدة يقول فيها[٤]: [من الكامل]

قد بانَ أيّوب الذي لفراقِهِ ... سرَّ[٥] العدوّ غضاضتي وتخشّعي

أيوب كنت تجود عند سؤالهم ... وتظلُّ مُنْخَذِعاً وإن لم تُخْدَعِ

قال البلاذري[٦]: خرج سليمان الى دابق ليُغزي منها، فأغزاهم وعليهم ابنه أيوب ومعه مسلمة بن عبد الملك، وكان أيوب وليّ عهده، فلما احتضر سليمان قال: إنّ ابني أيّوب بإزاء عدوّ، ولا أدري ما يحدث به، فإن أهمل الأمر الى قدومه ضاع وانتشر، ولم تؤمن الفتنة على الناس في جميع الأقطار، ولعل الحدثان أن يكون قد غاله، على أني ولّيته العهد وأنا أظنّ أن عمري يطول، وهو حدث، فولى عمر بن عبد العزيز، ولقد وفّق في نظرِهِ الوجيه ورأيه الوجيز، فارق الناس على وجهٍ جميل، واختار لهم ما لا يمين مع الهوى ولا يميل، عمر وما أدراك ما عُمَر، نَزَعَ من جدّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين الى أحسن السير.

وعهد سليمان بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك، ثم أيوب إن كان بعد يزيد، وكره أن يخرجها من ولد عبد الملك فيختلفوا، وصوّب رجاء بن حيوة[٧]

---

(١) في مروج الذهب ٢/ ١٣٥: وهو ابن تسع وثلاثين سنة.

(٢) ايوب بن سليمان، كان ابوه يرشحه لولاية العهد، ولي غزو الصائفة ومات قبل أبيه بأيام، فجزع عليه أبوه، انظر: انساب الاشراف ٧/ ٥٧ وتاريخ الطبري ٦/ ٥٤٥ والوافي بالوفيات ١٠/ ٤٥.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) البيتان في انساب الاشراف ٧/ ٤١.

(٥) في الانساب: سدَّ.

(٦) انساب الاشراف ٧/ ٤١.

(٧) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، أبو المقدام، شيخ أهل الشام، من الفصحاء العلماء الوعاظ، استكتبه سليمان بن عبد الملك، ولازم عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٢هـ، انظر: حلية الاولياء ٥/ ١٧٠ وطبقات ابن سعد ٧/ ٢/ ١٦١ ووفيات الاعيان ٢/ ٦٠ والوافي بالوفيات ١٤/ ١٠٣.

رأيه في ذلك، وقوى عزمه، وهو هالك، وتوفي أيوب في غزاته، وقيل أن أباه علم بمماتِهِ قبل وفاتِهِ، فَفَعَل ما فعل، وما عسى أن يُغْني قول ليت ولعل.

وقال المدائني[١]: دَخَلَ رَجُلٌ على سليمان بن عبد الملك فتكلّم، فأراد أنْ يسبر عقله فإذا هو مضعوف، فقال سليمان: زيادة منطق على عقل خدعة، وزيادة عقل على منطق هجنة، وأحسن (من)[٢] ذلك ما زان بعضُه بعضاً.

ومن كلامه: الحسود لا يسود[٣].

وقال سليمان ليزيد[٤] بن أبي مسلم: ما تقول في الحجاج؟ قال: يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فَضَعْهُ حيث شئت.

وقال المدائني: دَخَلَ[٥] أيوب بن سليمان على أبيه فقال: مالك يا بني؟ قال: خَدِرت رجلي، فقال: يا بني أذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: صلى الله / ٢٧٦/ على محمد، فقال سليمان: ابني سيّد، وإني عنه لفي غفلة، فولاّه عهده.

وتذاكر هو ورجل كان يأنسه الملاذ، فقال سليمان: والله لقد أكلنا الطيّب ولبسنا الليّن، وامتطينا الصافن، وأتينا العذراء، فلم يبق من لذّتي إلاّ صديق أطرح فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ.

وضمَّ[٦] سليمان عون[٧] بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الى ابنه أيوب، فأتاه فحَجَبَهُ، فجلس في بيته فعتب أيوب عليه، فعاتبه عون فغضب وشكاه الى أبيه ولامه، فقال: ضمَمْتَني الى رجل إن أتيته حجب، وإن جَلَسْت عنه عتب، وإن عاتبته غضب.

وكان سليمان يؤتى في كل يوم صلاة الغداة بعشر رقاقات وخروفين عظيمين، ودجاجتين سمينتين، فيأكل ذلك كلّه [نجل فيه الجذان ومري][٨].

---

(١) الخبر في انساب الاشراف ٧/ ٤٥. (٢) الزيادة عن الانساب.

(٣) انساب الاشراف ٧/ ٤٦.

(٤) يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج والمستولي عليه ثم ولاه الوليد خراج مصر وافريقيا، وانظر كلامهما في حوار طويل في مروج الذهب ٢/ ١٣٧ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٤٣، والخبر هنا عن انساب الاشراف ٧/ ٤٦.

(٥) كذا في الاصل، ولعلها تصحيف، وفي أنساب الاشراف ٧/ ٤٨: زَحَل.

(٦) الخبر في انساب الأشراف ٧/ ٤٩.

(٧) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، وعتبة جدّه أخو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، كان ثقة كثير الإرسال، توفي بين ١١٠-١٢٠هـ.
طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٨ والمعارف ٢٥١ وصفة الصفوة ٣/ ٥٥.

(٨) الكلمات غير واضحة في الاصل، وأثبت ما في انساب الاشراف ٧/ ٥٠ وفي الهامش، قال المحقق: =

وحجّ[١] سليمان فقال لقيّمه على طعامه، أطعمني من خرفان المدينة، أو قال: من جدائها[٢]، فجعل القيّم يأتيه بواحدٍ واحدٍ فيتناول حرما جزّه[٣] ويضرب بيده الى شحم كليته[٤]، فأكل أربعة وثمانين جرماً زجة لشحم أربعة وثمانين كلية، ثم قال: ادْعُ يا غلام عمر بن عبد العزيز، وأذِن للناس، ووضع الغداء فأكل معهم كما أكلوا.

وأتى[٥] الطائف فلقيه ابن أبي زهير الثقفي، رجل من أهْلِها، فسأل أن ينزل عليه، قال: إني أخاف أن أنهمك[٦]، قال: قد رزق الله خيراً كثيراً، فنزل عليه، فجعل يأتيه من حائطه وهو فيه بخمس رمانات خمس رُمانات حتى أكل مائة وسبعين رمانة، ثم أتي بخروف وست دجاجات، فأكل، ثم أتي بمكوك زبيب فأكله، ثم وُضع الطعام، فأكل وأكل الناس، وفتح ابن أبي زهير أبواب الحيطان، فأكل[٧] الناس من الفاكهة، فقال سليمان: قد أضررنا بالرجل، وأقام بالطائف سبعاً، ثم صار الى مكة، فقال: الحقني، فلم يفعل فقيل له: لو لحقته، أقول ماذا، اعْطِني ثمن طعامي،

وأتاه[٨] بدابق رجُلٌ نصراني كان منقطعاً /٢٧٧/ إليه من قَبْل الولاية، فقال له: هل أهديت لي شيئاً؟ قال: نعم، وأتاه بزنبيل مملوء بيضاً مطبوخاً، وزنبيل ملؤه تيناً، فجعل يقشر له البيض فيأكل بيضةً بتينة حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بسكر، فأكل ذلك ومرض ومات.

وقال[٩] سليمان وقد ذكر عنده تشقيق الخطب والاسهاب: مَنْ أكثر القول فأحسن، قَدَر على أن يُقلّ فيحسن، وليس مَنْ قَصَّرَ فأحسن بقادر على أن يطيل فيحسن.

وقام[١٠] إليه رجل وهو يأكل فقال: إني زوجت ابني وليس عندي ما أجمع به أهله

= الجزان ومرعي: هكذا في المخطوطتين، ولعلهما نوع من الرياحين لأن المرو: شجر طيب الريح، وضرب من الرياحين.

(١) انساب الاشراف ٧/ ٥٠.

(٢) بعده في الانساب: ودخل الحمام ثم خرج وقد شوي له أربعة وثمانون خروفاً أو جدياً.

(٣) كذا في الاصل: وفي الانساب: جزماجة، وفي الهامش علق المحقق: هكذا جاءت في أصل المخطوطتين.

(٤) في الانساب: ويضرب بها شحم كليته.

(٥) انساب الاشراف ٧/ ٥٠ وفيه: حجّ سليمان فأتى الطائف.

(٦) في الانساب: أبهّتك.

(٧) في الانساب: فأحلّ.

(٨) أنساب الاشراف ٧/ ٥١.

(٩) انساب الاشراف ٧/ ٥٢.

(١٠) انساب الاشراف ٧/ ٥٢.

إليه، فأسْلِفْني من بيت المال، فقال: ما يزال عاض لبطن أُمه يقوم إلينا فَيُفْسِد علينا طعامنا، فتنحّى الرجل وجلس، فلما فرغ من طعامه قال: قلت ماذا لله أبوك؟ فردّ عليه مسألَتَهُ، فقال: فكم عطاؤك؟ قال: مائتا دينار، فقال: يا قسامة، أعطِهِ مائتي دينار ومائتي دينار ومائتي دينار، وطوّل نفسه[١]، حتى انقطع، فنظر فإذا جميع ذلك قيمة اثنين وسبعين ألْف درهم، ثم قال: أيارُجَي[٢] رضيت؟ قال: نعم فرضى الله عنك يا أمير المؤمنين، فقال: يا قسامة، اضْعِفها له، فأخذ مائة ألف وأربعين ألف درهم.

وحدَّثَ محمد بن سعد، عن الواقدي، قال[٣]: انصرف سليمان من صلاة الجمعة، فأكل شحم كُلى أربعين جدياً وصحيفة مملوءة مخّاً وغير ذلك، ثم جامع فقام عن الجارية موعوكاً، فمات بدابق.

وقال جرير[٤]: [من الطويل]

فيا قوم ما بالي وبال ابن نَوْفَلٍ ... وبال بكائي نوفل بن مساحِقِ
ولكنها كانت سوابق عبرةٍ ... على نوفلٍ من كاذبٍ غير صادق
فهلاّ على قبر الوليد سفحتها ... وقبر سليمان الذي عند دابِق

قال المدائني[٥]: الثبت أن أيوب بن سليمان توفى بالشام ولم يكن غازياً، إنما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك، وكان سليمان أراد أن يُغْزيه /٢٧٨/ على الجيش فمرض، فلمّا احتضر أيوب دَخَلَ عليه وهو يجود بنفسه ومعه عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة، فجعل ينظر في وجْهِهِ فتخنقه العبرة فيردّها، فلما قضى نحبه ودُفن وقف على قبره وقال: [من الطويل]

وقفْتُ على قبْرٍ مُقيمٍ بقفرةٍ ... متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مفارقِ

ثم قال: السلام عليك يا أيّوب: [من السريع]

كنتَ لنا أُنْساً ففارقتنا ... فالعيش من بعدك مرّ المذاقْ

ثم ركب دابّتَهُ وقال: [من البسيط]

---

(١) وطول نفسه: مكررة في الاصل.
(٢) في الاصل: أبا زجيّ، بالزاي، والتصويب عن الانساب.
(٣) انساب الاشراف ٧/ ٥٣.
(٤) كذا في الاصل، وفي الانساب: الحزين، وهو عمرو بن عبيد بن وهب، شاعر حجازي هجاء والابيات لم ترد في ديوان جرير صنعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي.
(٥) نقلاً عن انساب الاشراف ٧/ ٥٦.

فإن صَبَرتَ فلم الفظك من بَزَعٍ وان جَزِعتُ فعلقٌ مُنْفَسٌ ذهبا

[١٠]

دولة [عمر بن[١] عبد العزيز بن مروان، أبي حفص

ناهيك بفذٍّ لا يُقرن بتوأم، وَمَلكٍ كانت أيامه كالمنام ورعاياه نُوَّم، تقابل في منابت أبيه وأُمّه، وتماثل بمناصب خالِهِ وعمّه، تكنّفه من قبل الأبوّة النسب الأموي، ومن قبل الأمومة الحسب العدوي، فطابت نبعتُه، وطافت الأرض بأغضر الأنفاس سمعتُه، وأخذ نفسه بسلوك سيرة جدّه لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقارب فعل سميّه وقارن منهم ذلك الوليّ بوسميِّهِ[٢]، وجَدَّ فما قصّر، وَوَجَدَ محاسن ما تبصّر، وقد كان من آنق بني أبيه تمتعاً، حتى شمَّر، وانف إخوانه تمنّعا حتى تأمّر، فلما ولي، ولى بتلك الزخارف، ولوى ورقات تلك المطارف، وسَأَلَ عن مذاهب الراشدين، ثم ما تعدّاها، وتَجَلْبَبَ تلك الخلائق الظاهرة وَتَرَدّاها، وأوّل ما بدأ به أمْرُهُ أنْ أَبْدَلَ سبَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٣] وأبدل تلك السيئة بهذِهِ الحسنة الباقية الإحسان[٤]، وأزال تلك السبّة ومحاها، وأزاح ليلها الدامي بارتفاع ضحاها، فَخَلَصت الذمم من إرهاقها، واستراحت المنابر مما كانت تحمله من إثم / ٢٧٩/ هذه الخطبة في أعناقها، وقنع بالقليل من القوت طلباً لحلّه وسبباً لتخفيف حمله، وهَجَرَ النساء منذ ولي، وقال لزوجتهِ: إن رضيتِ بهذا وإلاّ فاعتزلي، ثم أَمَرَها أن تردّ إلى بيت المال ما كان أبوها عبد الملك نَحَلَها، وألْزم بمثل هذا سائر بني أُميّة، واستعاد نقلها، وقال: هذه فواضل أموالٍ لبيت المال لا يجوز أن تحتجز، ولا أن تؤخذ بأيديكم عبثاً وتكتنز، ولقد أعطاكموها أئمة جورٍ، أعْطَت ما لم تملك، وأعدت بالهلاك بها ما لم يهلك، وأخْلَصَ الله كلَّ عملِهِ، وخلّى جُلَّ أَمَلِهِ، وكان يُبْرد البريد إلى المدينة لابلاغ سلامَهُ لساكنها عليه أفْضَل الصلاة والسلام، لا يشغل له غيره خاصّة ولا لعامّة الاسلام، ودام حميداً حتى توفى وما بلغ الأربعين، وأنشد باب الخير فلا لَهُ فاعل

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص الاموي، الخليفة الصالح، أخباره كثيرة في كتب التاريخ والادب، ولا أرى حاجة إلى ذكرها.

(٢) الولي: المطر يسقط بعد المطر، والوسمي: مطر الربيع الأول.

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) كذا في الاصل، والصواب أن يقول: وأبدل بالسيئة الحسنة، لان الباء تكون مع المتروك.

ولا عليه معين، ما طالَتْ مدّته فما سَلّم حتى ودّع، وما أوْمَضَ بارِقُهُ حتى انطوى وكأنه لم يَلْمَع، دُفِن بخناصره[١]، وغيّبَ الحقُّ في ذلك الثرى ناصره، ولم يَقُم بعده ملكٌ ولا إمام، ولم يتم مثله في موضعِهِ سقاه الغمام،

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، واسمها ليلى، وأُمها بنت الامرأة التي كانت تمذق اللبَن بالماء، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهاها فتنتهي لمحضره ثم تعاود فعلها في مغيبهِ، وحديث ابنتها معها مشهور، وهو كان سبب تزويج عاصم بن عمر بها برأي أبيه عمر، قال البلاذري[٢]: ولى سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز الخلافة، وكتب كتاباً سمّاه فيه، ويزيد بن عبد الملك إن كان من بعده، فلما مات سليمان أخرج رجاء بن حيوة الكتاب، وأظهر اسمه وبايَعَهُ الناس بدابق، فقال لرجاء ذبحتموني بغير سكين، وكان عمر بن عبد العزيز، أشجّ، ضربه حمار وهو بمصر فما رآه أخوه الأصبغ[٣] قال: هذا والله أشجّ بني أمية الذي يملأ الأرض عدلاً، وكانت خلافته ثلاثين شهراً، ووفاتُه وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وتوفي في سنة إحدى ومائة، ودفن بدير سمعان[٤]، وكان نزوله بخناصرة من عمل جند قنسرين[٥]، وبها وفاته، /٢٨٠/ وصلى عليه رجاء بن حيوة الكندي، ويقال مسلمة بن عبد الملك.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال[٦]: أيها الناس، من صحبنا، فَلْيَصْحَبنا بخمسٍ، يبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ويدلّنا من العدل على ما لم نهتد له، ويؤدي الأمانة إذا حَملها، ويُعيننا على الخير، ويدع ما لا يعنيه، فمن كان كذلك فَحَيّ هلا بهِ، ومن لم يكن كذلك فلا يقربنا، قال أبو سنان ضرار: فَحجبوا والله دونه، قال: وهذا والله أوّل كلام تكلّم به حين استخلف.

ولما ترعرع عمر بن عبد العزيز استأذن أباه في إتيان المدينة، وقال: أحبّ أن

---

(١) خناصرة: بليدة من أعمال حلب، تحاذي قنسرين نحو البادية (ياقوت ـ خناصرة).

(٢) في انساب الاشراف ٧/ ٦٦.

(٣) الاصبغ بن عبد العزيز، أخو عمر، استخلفه أبوه على مصر مدة، توفي بالاسكندرية شابا سنة ٨٦هـ (النجوم الزاهرة ١/ ١٩٣).

(٤) دير سمعان: دير بنواحي دمشق، وهو موضع نزه (ياقوت ـ دير سمعان).

(٥) قنسرين: مدينة بالشام منها حلب، وكانت مدينة بينها وبين حلب رملة من جهة حمص وهي الآن خراب بجانب الطريق الذاهب إلى حلب من حماة على يمين الطريق قريبة من الزربة عند قرية رسم العين، (ياقوت ـ قنسرين) وهامش ص٦٦ من انساب الاشراف ج٧.

(٦) انظر كلمته في انساب الاشراف ٧/ ٦٦.

اكتب العلم وأحضر قبر رسول الله ﷺ، ويقرب عليّ الحج، فأذِنَ له في ذلك، فأتى المدينة، وقال الواقدي[١]: أذن له أبوه في إتيان المدينة وقال له: اجتنب آل عبد الرحمن بن عوف وآل سعيد بن العاص فإنّ ثمّ شرارةً وشراسة[٢]، وسوء أخلاق، فكان يجالس أهل الفقه والورع، وقال المدائني[٣]: أوصى عبد العزيز لعمر بأربعين ألف دينار، ودفعها إلى ابن رُمّانة مولى لبعض أهل المدينة، فلما توفي عبد العزيز أتاه بالمال فقبضَهُ ثم ذهب ابن رمّانة فَحُدِّثَ بذلك أبا بكر بن عبد العزيز، فَغَضِبَ وكتب الى عمر: إنك أخذْتَ هذا المال دوننا، ثم شخص عمر من المدينة، فقدم الشام فلما استخلف الوليد بن عبد الملك، وهو صهره، إذ كانت أم البنين بنت عبد العزيز عنده، ولاّه الوليد المدينة، فأحْسَنَ السيرة، إلاّ أنه كان لبّاساً عَطِراً، وإنما تقشَّفَه بعد ذلك، فكان يُعمل له ثوب الخز بمائة دينار[٤] فيستخشنه، ثم إنه كان يؤتى بالثوب الخشن بأقل من دينار أو بدينار[٥]، فيقول: ما أصنع بهذا إئتوني بأخشن منه وأقلّ ثمناً، وكان ابن رمّانة لمغاضبته إياه يرفع على عماله ويقع فيهم حين عُزِل عن المدينة، فقال عمر: لو أشاء أن آخذ كتاب الوليد الى عامل المدينة في ضرب ابن رمانة مائة سوط وحلْق رأسه ولحيته فَعلْتُ، ولكنّي رأيت مُتّقى الله منجاً[٦].

وفي ولاية عمر المدينة يقول الأحوص[٧]: [من الكامل]

/ ٢٨١/ وأرى المدينة إذْ وليت أمورها   أَمِنَ البريءُ بها وخاف المذنبُ[٨]

وقال أيضاً:

وأرى المدينة حين كنت أميرها   أَمِنَ البريءُ بها ونام الأعْزَلُ[٩]

وأراك تفعل ما تقول وبَعْضُهم   مَذِق الحديث يقول ما لا يَفْعَلُ

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٦٧.
(٢) في الاصل: شرارة، والتصويب عن الانساب.
(٣) انساب الاشراف ٧/ ٦٧.
(٤) في مروج الذهب ٢/ ١٤٥: بألف دينار.
(٥) في المروج: بعشرة دراهم، والمسعودي ينقل عن المدائني أيضاً.
(٦) في الاصل: رايته يتقي الله منجى، والتصويب عن انساب الاشراف، وعنه نقل المؤلف.
(٧) الأحوص: عبد الله بن محمد بن عاصم الانصاري، وعاصم هو الصحابي الذي قتل ببئر معونة فحمته الدبر، وكان الاحوص من شعراء المدينة المحسنين.
(٨) لم يرد البيت في ديوانه طبعة بيروت ١٩٩٤.
(٩) ديوانه: ص١٢٣.

وكان[١] عمر يساير سليمان بن عبد الملك، فرعدت السماء وبرقت، فقال عمر: يا أمير المؤمنين هذه قدرة الله عند الرحمة، فكيف بها عند العذاب، وقال عمر لرجل: مَنْ سيّد قومك؟ فقال: أنا، قال: لو كنت كذلك ما قلته.

وقال المدائني[٢]: جمع عمر بني مروان فقال: يا بني مروان، أني أظنّ نصف جميع مال الأمة عندكم، فأدّوا بعض ما عندكم الى بيت مال المسلمين، فقال هشام: لا يكون والله ذاك حتى تذهب أرْواحنا، فغضب عمر وقال: أما والله يا بني مروان ان لله فيكم ذبحاً ولولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا المال منه لأضرعْتُ خدودكم.

وقال المدائني[٣]: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه ان مدينتنا تحتاج الى مرمّة[٤]، فكتب إليه: أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه، فحصّن مدينتك بالعدل، ونقّها من الظلم والسلام.

وقال: كتب عمر إلى عبد الحميد[٥] بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة: اجتنب الحاجات عند حضور الصلوات والسلام.

وقيل لعمر: أيّ الجهاد أفضل؟ قال: جهاد المرء هواه[٦].

وقال المدائني: قال رجاء بن حيوة: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فكاد المصباح يُطفى، فقمتُ لأصلحه، فقال: مَهْ ان جهلاً بالرجل أن يستخدم ضيفه ثم قام فوجد غلامه نائماً فلم يُوقظه، وتولى صلاح المصباح، ثم عاد فقال: قُمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، وقعدتُ وأنا ذاك[٧].

قالوا[٨]: وكان عبد الملك ابنه زاهداً خيّراً، فقال له: يا بني لأن تكون في ميزاني أحبُّ إليّ أن أكون في ميزانك، فقال: ولأن يكون ما تحبّ أحبّ إليَّ من أن يكون ما أحبّ، فلما مات عبد الملك خرج عمر إلى الناس، وقد اكتحل، فسأل عنه فقال: /٢٨٢/ قد سكن (علزه)[٩] ورجاه أهله، وما كان في حال أحبّ إليّ من

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٦٩.
(٢) انساب الاشراف ٧/ ٧٠.
(٣) انساب الاشراف: ٧/ ٧٠.
(٤) المرمة: اصلاح الشيء الذي فسد بعضه (اللسان ـ رمّم).
(٥) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، ابو عمر، من حملة الحديث، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة، توفي بحران سنة ١١٥هـ، انظر: العقد الفريد ٤/ ٤٣٦ ورغبة الآمل ٤/ ١٧٩، والخبر في انساب الاشراف ٧/ ٧٠.
(٦) انساب الاشراف ٧/ ٧١.
(٧) انساب الاشراف ٧/ ٧١.
(٨) انساب الاشراف ٧/ ٧١.
(٩) الزيادة عن أنساب الاشراف، والعلز الضجر، والعَلَزُ: شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على =

حاله، ثم عُلم بموته، فقيل له: فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ وقد مات، فقال: أحْببتُ أن أُرغم الشيطان وانصرف من جنازتِه، فرأى قوماً ينتضلون، فقال لبعضهم، أخطأت، فافعل كذا، فقيل له في ذلك، فقال: ليس في موت عبد الملك ما يُشغل عن نصيحة المسلم.

وكان سعيد بن مسعود المازني عاملاً لعدي بن أرطاة[1] على عُمان فأخَذَ رجلاً من الأزد (فضربه)[2] مائة سوط في ناقةٍ أرادها منهُ، فأتى الى عمر وشكى إليه وأنشده قول كعب الأشقري[3]: [من الكامل]

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما ... عمال أرضك بالعراق ذئاب[4]

لن يستقيموا للذي تدعوا له ... حتى تضرّب بالسيوف رقابُ[5]

بأكفّ منصلتين أهْلِ بصائرٍ ... في رفعهنّ مواعظٌ وعقابُ[6]

لولا قريشٌ نصرها ودفاعها ... أمسيتُ منقطعاً بي الأسباب[7]

فقال عمر: لمن هذا الشعر؟ فقال: لرجل من أزد عمان يقال له كعب، فقال: ما كنت أظنّ أهل عمان يقولون بمثل هذا الشعر، فكتب إلى عدي بن أرطاة: إنّ استعمالك سعيد بن مسعود قَدَرٌ من الله قَدَّرَهُ عليك، وبليّةٌ ابتلاك بها، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله، وابعث به إليَّ مشدوداً موثقاً، فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس، وحمل سعيداً الى عمر، فلما دَخَلَ عليه كلَّمَهُ عمر فقال: أصلحك الله، اتكلّمني وأنا موثق؟ أطْلق عنّي حتى أتكلّم بحجّتي، فأطلق عنه، وقال للأزدي: أضْرِبْهُ، فقال قُمير بن سعيد: أنا الذي ضربته ولم يضربه أبي، قال: فاعط الأزدي

= الشيء كأنه لا يستقر في مكانه من الوجع (اللسان ـ العلز).

(١) عدي بن أرطاة، أمير من أهل دمشق، من العقلاء الشجعان، ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة ٩٩هـ، وقتله معاوية بن يزيد بن الملهب بواسط في فتنة أبيه يزيد سنة ١٠٢هـ، انظر: تاريخ اليعقوبي ٣/ ٥٣ والكامل للمبرد ٢/ ١٤٩.

(٢) الزيادة عن انساب الاشراف ٧/ ٧٢.

(٣) كعب بن معان الاشقري، والاشاقر قبيلة من الازد، شاعر محسن، كان مع المهلب في حرب الازارقة، توفي سنة ٨٠هـ، انظر: الاماني ١/ ٢٦٥ والمرزباني ص٣٤٦.

(٤) الابيات والخبر في أنساب الاشراف ٧/ ٧٢ والبيان والتبيين ٣/ ٣٥٨ وفيه: قال كعب الاشقري لعمر بن عبد العزيز، وهو وهم.

(٥) في البيان: لن يستجيبوا... حتى تجلّد.

(٦) في البيان: مزاجر وعقاب.

(٧) في البيان: ألفيت منقطعاً.

سوطاً، وقال عمر: قم فاجلده كما جَلَدَك، فَجَلَد قميراً مائة سوط، فقال له أبوه: يا قمير أصْرِر أذنيك إصرار الفرس الجموح، وعض على نواجذك، وأذكر أحاديث غَدْ، وإياك وذكر الله فإنه معجزة.

وقال المدائني[١]: قال عمر: ما قرن شيء الى شيء أحسن من علمٍ الى حلمٍ وعفوٍ الى مقدرة.

وقال[٢]: وقال عمر: تعلموا العلم، فإنه زينٌ للغنيّ، وعون /٢٨٣/ للفقير لا أقول انه يكسب به ولكنّه يدعوه الى القناعة.

وقال البلاذري[٣]: قدم وفدٌ على عمر من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتهيّأ للكلام، فقال عمر: ليتكلّم أكبركم سِنّاً، فقال الفتي: يا أمير المؤمنين ليس الأمر بالسن، ولو كان كذلك لكان في المسلمين مَنْ هو أَسَنُّ منك، قال: صدقت، فتكلّم، فقال: إنا لم نأتِكَ رَغبةً ولا رهبة، أما الرغبة فأتتنا في بلادنا ودخَلَتْ علينا منازلنا، وأما الرهبة فإنا قد أمناها بعدْلِك، قال: فما أنتم؟ قال: نحن وَفْد الشكر، فنظر محمد بن كعب القرظي[٤] الى وجه عمر يتهلّل، فقال: يا أمير المؤمنين: لا يغلبنّ جهالة القوم، بل معرفتك بنفسك[٥] فإن من الناس ناساً غرَّهم الستر، وخَدَعهم حُسْنُ الثناء، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم، فبكي عمر رحمه الله.

وقال البلاذري[٦]: وَفَدَ جرير على عمر بن عبد العزيز فَغَبَر حينا لا يصل إليه، ثم رأى ذات يوم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يريد الدخول عليه، قال: كان قارئاً، فقام إليه جرير فقال له: [منْ البسيط]

يا أيها القارىء المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني[٧]
أبْلغْ خليفتنا إن كنت لاقِيَهُ أنّي لدى الباب كالمقرون في قَرَنِ

فقال له عون: إن أمكنني ذلك فعلتُ إن شاء الله، فلما دخل عون على عمر سلّم

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٧٤. (٢) انساب الاشراف ٧/ ٧٤.
(٣) انساب الاشراف ٧/ ٧٤ والخبر باختلاف يسير في مروج الذهب ٢/ ١٤٦.
(٤) محمد بن كعب بن سليم القرظي، من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن، مات سنة ١٠٨هـ انظر: مشاهير علماء الامصار (٤٣٦) وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٧.
(٥) في الانساب: لا يغلبنّ جهالة القول بك معرفتك بنفسك.
(٦) انساب الاشراف ٧/ ٧٤.
(٧) البيتان من ثلاثة في ديوانه ص٥٨٨.

وجَلَسَ حتى فرغ من حوائج الناس، ثم أقبل عون عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك جرير بن عطية الشاعر وهو يطلب الإذن، فقال عمر: أوَ يُمنع أحدٌ من الدخول عليَّ، قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكنه يطلب إذناً خاصاً ينشدك فيه، فقال: يا غلام، أدْخِل جريراً، فأدخل عليه وعون جالس، فأنشد جرير: [من البسيط]

أأذكر الجهد والبلوى التي شَمَلَتْ ام اكتفي بالذي أبليت من خبري[1]

كم بالمواسم من شعثاء مُرمِلَةٍ[2] ومن يتيم ضعيفِ الصوت والنظرِ

ممن ترجّى له من بعد والدِهِ كالفرخ في العشِ لم ينهض ولم يطرِ

فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته، وأمر بصدقاتٍ تفرّق على الفقراء، / ٢٨٤/ فقال جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجةِ هذا الأرمل الذّكرِ

فقال له: يا جرير، أأنت من المهاجرين الأوّلين؟ قال: لا، قال: أفمن أولاد الأنصار؟ قال: لا، قال: أفمن أولاد التابعين باحسان؟ قال: لا، قال: أفمن فقراء المسلمين فنجريك على ما نجري عليه الفقراء؟ قال: قدري فوق ذلك، قال: أفأنت ابن سبيل فَنُعينك على سفرك؟ قال: وقدري فوق ذلك، فقال: يا جرير ما أرى لك بين الدفتين حقاً، فولّى جرير، فقال عون: يا أمير المؤمنين، إن الخلفاء كانت تعوّد الاحسان، وإن مثل لسانه يتّقى، فقال عمر: ردّه، فردّ، فقال: يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب، فأقاسمك ذلك؟ فقال: بل نوفّر يا أمير المؤمنين، ونحمد، فلما خرج تلقّاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: خرجت من عند رجلٍ يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني له لحامد، ولم يذكره بسوء، ورثاه حين مات.

وقال البلاذري[3]: كتب عدي بن أرطاة الى عمر يستأذنه في عذاب قومٍ من عمال الخراج امتنعوا من أداء ما عليهم، فكتب إليه: أما بَعْدُ فالعجب كلّ العجبِ من استأذانك إيّاي في عذاب البشر، كأنّي جُنّة لك من عذاب الله، أو كأن رضاي ينجيك من سخط الله، فمن أعطاك ما قبله عفواً فاقبلْه، ومن قامتْ عليه البيّنة فخذه بما ثبت بالبيّنة عليه، ومَنْ أنكر استحلفه، فوالله لأن تلقوا الله بجناياتهم أحبّ إليّ من أن ألقاه بعذابهم والسلام.

---

(١) الابيات من قصيدة في ديوانه ص٢٧٤، وفيه: ... البلوى التي نزلت.
(٢) الديوان: أرملة.
(٣) انساب الاشراف ٧/ ٧٨.

وقال كاتبه اسماعيل بن أبي حكيم: ما كتبت له قط في أكثر من شبر حتى خرج من الدنيا[١].

ودخل[٢] عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضته التي مات فيها، فقال: ألا توصي بمعروف يا أمير المؤمنين؟ قال: بِمَ أوصي، والله ليس لي مال؟ قال مسلمة: هذه مائة ألف فَمُر فيها بما أحْبَبْتَ، فقال: أَوَ تَفْعَل؟ قال: نعم، قال: تردّ على مَنْ أُخِذتْ مِنْهُ ظلماً، فبكى مسلمة وقال: رحمك الله، لقد أَلِنْتَ لنا قلوباً قاسية، وأبْقيتَ منّا / ٢٨٥/ في الصالحين ذكراً.

[١١]

دولة يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبي خالد

عريق في العظام البالية، حقيق بالملك، أبواه مروان ومعاوية[٣]، بايعه بالعهد أخوه سليمان، وقد كان همّ بهذا أبوه عبد الملك بن مروان، وقال سليمان إذْ عهد إليه بعد عمر بن عبد العزيز: لولا إني أخاف اختلاف بني مروان ووقوع الفتنة ما وليت يزيد ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز.

وقال عمر حين احتضر[٤]: لو اخترت للأمة غير يزيد كان ذلك أوْلى، ولكنّي أخاف أن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع فتنة وفرقة، وأنا أولي سليمان ما تولّى، والمسلمون أولى بالنظر في أمرهم.

وهو أول مَنْ غالى بالقيان، وعالى في تشييد هذا البنيان، وما منع هواه عن قينةٍ، ولا قطع في غير مناه آونةً ولا فينة، وانعكف على اللهو والطرب والزهو بخرائد العرب، ولبث مدّة ملكه بين النساء يجرّ ذيول الغانيات، ويُسَرّبهنّ بائنات ودانيات، عشق سلامة[٥] وحبابة[٦] وطفق على المدامة والصبابة، فظلّ يرتشف ثغر قدح أو

(١) انساب الاشراف ٧/ ٨٢.
(٢) انساب الاشراف ٧/ ٣٠٥ باختلاف يسير.
(٣) امه عاتكة بنت يزيد بن معاوية (مروج الذهب ٢/ ١٥٣).
(٤) انساب الاشراف ٧/ ١٨٦.
(٥) سلامة: وتعرف بسلامة القس، نسبة الى عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي، وكان من قراء مكة، سمي القس لعبادته، شغف بها فنسبت إليه، وكانت سلامة من المغنيات الظريفات، من مولدات المدينة نشأت بها، سمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها ونقلها الى دمشق، وبقيت عنده الى أن مات، وماتت هي سنة ١٣٠هـ،
انظر: الاغاني ٨/ ٣٣٤ وانساب الاشراف ٧/ ١٩٧.
(٦) حبابة، مغنية جميلة، أخذت الغناء عن سريج وابن محرز وطبقتهما، وروت الشعر، وتعلمت العربية، =

جارية، لا يطبي[١] شيخ ولا جارية، كأن العرب ليسوا بآبائه، أو بالعرب ليسوا على آبائه، وعَمَدَ يزيد الى كلٍّ ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لا يوافق رَأْيَهُ ولا يطابق تنكبه عن الحق ولائه، فردَّهُ الى ما كان عليه قبل عمر وعدَّهُ من إحسان ما أمر، ولم يخف فيه إثماً في دنيا و لا آخرة، ولا كلّما ظلماً تبع به أوائله واستلحق أواخره، إصراراً على الحنث العظيم، واغتراراً بالله الحليم، هذا وهو كريم يُقفى على منهجِهِ، ويُعفى صنائع السحاب بانصباب خُلُجِهِ، وله فتوّة ما أَخْلَقَ انهماكه على الطرب، يُردها، ولا أَخْلَف عهدها لما خُلق في عنصره القرشي طباعا واطبق على جوهره الاموي شعاعا.

حكى المدائني عن محمد بن خالد قال: /٢٨٦/ كان لسعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد[٢] قصرٌ بحيال قصر يزيد بن عبد الملك، فكان يزيد إذا ركب الى الجمعة توافيا في موضع واحد، فقال له يزيد في بعض الجمع: ما أراك تخلُّ في جمعة واحدة، فقال له سعيد: إن قصري بحيال قصرك، فإذا ركبت ركبتُ فتلاقينا في هذا الموضع، فقال يزيد: فإنّ لي إليك حاجة، قال: إذا لا يردّ عنها أمير المؤمنين، قال: تهبني قصرك، قال: هو لك يا أمير المؤمنين، قال يزيد: فلك خمس حوائج، قال سعيد: أن تردّ قصري عليّ، قال: نعم قد فَعَلْتُ، فاذكر الأربع، فَذَكَرها، فقضاها له يزيد.

وها أنا اذكر شيئاً من أمره مع سلامة وحبابة[٣].

أما سلاّمة فكانت لرجل من أهل الكوفة اشتراها سهيل الزهري[٤] ثم اتصلت بيزيد، وكانت تعرف بسلامة القس لأنه كان يهواها صفوان[٥] بن أميّة الجمحي

واشتراها يزيد بن عبد الملك، فغلبت عليه، وشغف بها ماتت سنة ١٠٥هـ فحزن عليها ومات بعدها بأربعين يوماً.

أخبارها كثير في الاغاني (انظر الفهرست) وانساب الاشراف ٧/ ٢٠ وما بعدها واعلام النساء ١/ ١٩٥.

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الاصل، وهو كما في انساب الاشراف ٧/ ١٨٨: سعيد بن خالد بن أسيد.

(٣) انظر خبره معهما في: مروج الذهب ٢/ ١٥٣ وانساب الاشراف ٧/ ١٩٧ وما بعدها وتاريخ الطبري ٧/ ٢٢.

(٤) هو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كما في المروج، وفي تاريخ الطبري: انه اشترى سلامة من عثمان بن سهل بن حنيف.

(٥) كذا في الاصل، وهو وهم، إنما القس الذي نسبت إليه سلامة عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي الملقب بالقس، أما صفوان فقد توفي سنة ٤١هـ، وهو من أشراف قريش في الجاهلية أسلم بعد الفتح (انظر الاصابة ٤٠٧٣).

المسمّى بالقس لعبادته، هوىً لا يكدره آثام، ولا يغيره أن هواؤه مرّت ريحُهُ على حرام، وله فيها شعرٌ منه: [من الكامل]

ما بال قلبك لا يزال يهيجُهُ ... ذِكرى عواقب غبهنّ سَقَامُ[1]
باتَتْ تعلّلنا وتحسب أنّنا ... في ذاك أيقاظٌ ونحنُ نيام
حتى سطع الصباح لناظرٍ ... فغدا وقربك بيننا أحلام[2]
قد كنت أعذر[3] في السفاهة أهلها ... فاعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأَعْلَمُ أنّما ... سُبُل الضلالةِ والهُدى أقسام

أما حبابة، فكانت تسمى العالية، كانت لرجل من الموالي بالمدينة، ثم اشتراها يزيد، وكان بكل واحدة منهما كلفاً هائماً، لا يقبل فيهما عاذلاً ولا لائماً، قد قصَّر على مجالستهما زمانه، وعلى مؤانستهما بيانه، صادف هواهما قلبه فارغاً فتمكن في سويدائه وتوطّن به شغَفَهُ بهما حتى صار أكبر دائه[4].

[١٢]

دولة هشام[5] بن عبد الملك أبي العباس

/٢٨٧/ ملك همام، وفلك لا يطاوله يَذْبُل ولا شمام[6]، بعزمةٍ لا يفري فَرْيُها، وهمّةُ لا يقصّر عبقريُّها، هو الأحول الحوّل، المنوّه المنوّل، وهو واحد القوم، ولا لوم، لم يكن في القوم أحْوطَ منه حزماً، ولا أحوج إلى أن لا يجد عزماً، بما طاوَعَتْهُ المقادير وتابعَتْهُ، لا يلوى بالمعاذير، ومنه البقية الأموية الداخلة الى الاندلس أيام

---

(١) الانساب ٧/١٩٨ وفيه: ذكرٌ عواقِبٌ غِبِهن سقام.

(٢) في الانساب: لناظرينا ذا وذلك بيننا أحلام.

(٣) في الانساب: أعذل وهو الاصوب.

(٤) توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من أعمال دمشق سنة ١٠٥هـ وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته اربع سنين وشهراً ويومين، انظر: مروج الذهب ٢/١٥٣ وتاريخ الطبري ٧/٢١ وفيه خلاف ذلك، وفي أيامه خرج يزيد بن المهلب، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمة فقتله قرب كربلاء سنة ١٠٢هـ، انظر خبر ابن المهلب في انساب الاشراف ٧/٢٢٢.

(٥) هشام بن عبد الملك بن مروان، من خلفاء بني أمية ذوي الحزم، ولي بعد موت يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ، وخرج في أيامه زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة سنة ١٢٠هـ، فقتل وصلب بها، وحدثت في ايامه حروب هائلة مع الترك انتهت بمقتل خاقان الترك والاستيلاء على بعض أراضيه، توفي سنة ١٢٥هـ أخباره كثيرة في كتب التاريخ، انظر: تاريخ الطبري: ٧/ ٢٥ـ٢٠٨ وانساب الاشراف ٧/ ٣١٠ ومروج الذهب ٢/ ١٦١ والاخبار الطوال ص٣٣٥.

(٦) يذبل وشمام: جبلان بنجد.

السفاح، الداخرة لخوفها في قصوره تحت العمد والصفاح حتى هبت ريحُها، وذهبت فيحها، وإنما كانت بقية من سعادتِهِ رُدَّت على الأعقاب، وردت ملابس الملك الجدد للأعقاب، حتى توقّد جمرهم الخامد، وكان هشام فحل بني مروان عزمةً لا يفتُّ في عضدها، وهمّةً لا يفوت حصول مقصدها، ولقد كان المنصور على اتساع عِلْمِهِ، وإجماع الناس على حزمِهِ، يعظّم شأن هشام إذا ذكره، وإذا ذُكر في مجلسِهِ شَكَرَه، ولا يكشف العوائد إلاّ من دواوينِهِ، وثوقاً بضبطهِ، ووقوفاً على أمور الملك على شرطهِ، وجمع هشام من الأموال ما طاول جُدُر الخزائن اعتلاء، وأخرج صدور البيوت إمتلاءً، وأحوج الشمس ان يظهرها اجتلاءً، إلا أنه كان مفرطاً في البخل، لو تخيّل أن له شبيهاً في ضَنانِتِهِ يُخل، كانت يدُهُ مغلولة، ومدده كلّها لا يُرى له فيها صرّةً محلولة، ما عرفت أنامِلُهُ يوماً بسطا، ولا نائله مكاناً إليه يُتخطّى، إلاّ أن رأيه كان يصيب المقاتل، ويصيد المخاتل، بتوفيقٍ ما خانه منذ عاهده، ولا حلّ رأيه تأييده منذ عاقده، فما حال حائلٌ بينه وبين من عانَدَه، ولا حوّل حتى راجع ما أراده وعاوده.

وكانت خلفاء بني العباس تؤامر دواوينه، وتداوم قوانينه، وثوقاً بحزمِهِ الذي لم يكن فيه مطمع، وعزمه الذي ما رآه السيف إلاّ أوى إليه بالسجود أو انحنىٰ ليركع.

قال البلاذري[1]: كنيته أبو الوليد، وكان أحول بخيلاً، وأُمّه أم هشام بنت الوليد بن المغيرة[2] بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويقال: عائشة بنت هشام ويقال: مريم بنت هشام، وكانت أمّه حمقاء، وكانت تُثني الوسادة، ثم تركبها /٢٨٨/ وتزجرها، فطلّقها عبد الملك، وسار الى مصعب وهي حامل، فلما قتله بَلَغَهُ مولد هشام، فسمّاه منصوراً تفاؤلاً بذلك، وسمَّتْهُ أُمُّه هشاماً باسم أبيها، وولد هشام بن عبد الملك عام قُتل مصعب سنة اثنين وسبعين، وأَتَتْهُ الخلافة وهو بالزيتونة[3]، ومات بالرصافة التي بقرب الرقة في شهر ربيع الآخر لستٍ خَلَوْنَ منه سنة خمس وعشرين ومائة، وصلّى عليه ابنه مسلمة وكانت خلافته عشرين سنة إلاّ خمسة أشهر، ومات ليلة الاربعاء لسبعٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة وهو

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٣١٠.

(٢) كذا في الاصل، وفي الانساب: ام هشام واسمها فاطمة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

(٣) الزيتونة: موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام، فلما عمّر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات (ياقوت ـ الزيتونة).

ابن ثلاث وخمسين سنة.

قال المدائني[١]: لما خُلع يزيد[٢] بن المهلّب وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة ابن عبد الملك والعباس[٣] بن الوليد بن عبد الملك، وقال: أمير الجيش مسلم فإن حَدَثَ به حدث فالعباس بن الوليد، فقال العباس: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق قوم غُدُر كثيرٌ إرْجافُهُم، وأنت توجّهني محارباً، والأحداث تحدث، ولا آمن أن يرْجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد، فيفتُّ ذلك في أعضاد أهل الشام ويدخلهم له الوهن والفشل، فلو بايعت لعبد العزيز[٤] بن الوليد، قال: غداً إن شاء الله، وبلغ مسلمة ذلك فَدَخَلَ على يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، أَوَلَدُ عبد الملك أحبُّ إليك أم ولد الوليد؟ قال: ولد عبد الملك إخوتي، وأَحَبُّ إليَّ، قال: أفابنُ أخيك أحبُّ إليك وأحق بالخلافة من أخيك؟ قال: لا، قال: أفتبايع لعبد العزيز؟ قال: لا غداً أبايع لهشام أخي، وبعده للوليد ابني، وبلغ عبد العزيز قوله، وأتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر فقال له: يا أبا الاصبغ غداً يُبايع لك، قال عبد العزيز: هيهات، أفْسَدَ ذلك علينا مَسْلَمة ونقضه، فلما كان الغد بايَعَ لهشام ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد، فكان يزيد إذا نظر إلى الوليد قال: الله بيني وبين مَنْ جعل هشاماً /٢٨٩/ بيني وبينك.

وقال المدائني[٥]: كتب سليمان بن عبد الملك إلى أبيه، إن بغلتي عجزَتْ عنّي،

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٣١٢.

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي، امير من القادة الشجعان الاجواد، ولي خراسان بعد أبيه سنة ٨٣هـ، ثم عزله عبد الملك برأي الحجاج، وحبسه الحجاج فهرب الى الشام، ثم ولاه سليمان العراق وخراسان، ثم ولي البصرة، فعزله عمر بن عبد العزيز وحبسه بحلب، فلما مات عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن، فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١هـ، فقاتله مسلمة بن عبد الملك وقتله في مكان اسمه (العقر) بين البصرة وواسط سنة ١٠٢هـ.
انظر: تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٨ وانساب الاشراف ٧/ ٢٢٢ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٥٨ والتنبيه والاشراف ٢٧٧.

(٣) العباس بن الوليد بن عبد الملك، من كبار القادة، كان يقال له (فارس بني مروان) افتتح مدنا وحصونا في بلاد الروم وولاه أبوه حمص، سجنه مروان بن محمد في حران فمات سجيناً سنة ١٣١هـ.
انظر: النجوم الزاهرة في مواضع متفرقة من الجزء الاول والعقد الفريد ٤/ ٤٤٢ والمرزباني ٤/ ٤٤٢ و٤٦١.

(٤) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو الاصبغ، وهو ابن اخت عمر بن عبد العزيز ولي نيابة دمشق لابيه، مات في حدود ١١٠هـ.
الوافي بالوفيات ٨/ ٥٦٥.

(٥) انساب الاشراف ٧/ ٣١٣ والخبر أيضاً في مروج الذهب ٢/ ١٦٥.

فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابةٍ، فكتب إليه: قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وقد ظنّ أمير المؤمنين ان عجز بَغْلتك عنك من قلّة تعهدك لها، وان علفها يضيع، فتعهد دابتك وقُم عليها وسيرى أمير المؤمنين رأيه في حُملانك إن شاء الله، والسلام.

قال[١]: وكتب الى بعضهم: قد أتت أمير المؤمنين الكمأة التي بعثت بها إليه وهي خمسون، وقد تغيّر بعضُها، ولم يُؤت ذلك إلاّ مِنْ قبل حشوها، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين بشيء من الكمأة، فأجِد الحشو في طرقِهِ بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب بعضُها بعضاً إن شاء الله.

قال[٢]: وقال الابرش، وهو سعيد بن الوليد بن عبد عمرو لهشام، وكان جليسُهُ وأنيسُهُ: يا أمير المؤمنين، لو ينادى رجل في عرض الناس: يا مفلس، فسمع رجل من جلسائك نداءه ما ظنّ أنَّهُ عنىٰ غيره.

ودخل أبو النجم[٣] العجلي على هشام، فقال له: كيف رأيك في النساء؟ قال: ما لي عندهنّ خير، ولا لهنّ عندي خير، فقال: ما ظنّك بأمير المؤمنين؟ قال: مثل ظنّي بنفسي، فبعث هشام إلى جواريه، فأخبرهنّ بما قال أبو النجم فقلْنَ: كذب عدوّ الله ما مِنّا جارية تصلي حتى تغتسل، فوهب لأبي النجم جارية منهنّ، ثم سأله عما صنع، فأنشده[٤]: [من الكامل]

نَظَرتْ فأعجبها الذي في دِرْعها ... من حسنهِ ونظرْتُ في سرباليا
فرأت لها كفلاً ينوء بخصرها ... ثقلاً وأخثم في المجسَّةِ رابيا
ورأيتُ منتشر العجانُ مقَلَّصاً ... رَخْواً حمائِلُهُ وجِلْداً باليا
أدْني له الركب الحليق كأنما ... /٢٩٠/ أدني إليه عقارِباً وأفاعيا

وهمَّ[٥] هشام ان يكتب الى عامله على المدينة بإشخاص أشْعَبَ الطامع إليه، فقال له الأبرش: أتتحدث الناس بأنك كتبت على عاملك بمدينة رسول الله ﷺ،

(١) انساب الاشراف ٧/ ٣١٣.
(٢) انساب الاشراف ٧/ ٣١٤.
(٣) أبو النجم العجلي، الفضل بن قدامة العجلي، راجز كبير، محسن، نبغ في العصر الأموي وجالس عبد الملك وابنه هشام، مات سنة ١٣٠هـ.
انظر: الاغاني ١٠/ ١٥٠ والشعر والشعراء ص٢٣٢ والمرزباني ص٣١٠.
(٤) الابيات والخبر في انساب الأشراف ٧/ ٣١٥، والابيات في ديوانه ص٢٣٥، جمع علاء الدين آغا - الرياض ١٩٨١.
(٥) انساب الاشراف ٧/ ٣١٧ والخبر برواية مختلفة في مروج الذهب ٢/ ١٦٥.

فأشخص منها مضحكاً لتلهو بهِ، فقال: أمسكوا أمسكوا، فإنها وصمة عظيمة، ثم قال بيتاً زعموا أنه لم يقل قط بيتاً غيره، ويقال أنه تمثّل بهِ: [من الطويل]

إذا أنت لم تُعْصِ الهوى قادك الهوى[١] إلى بعض ما فيه عليك مَقالُ

فقال المدائني[٢]: رأى عبد الملك بن مروان كأن ابنة هشام بن إسماعيل فُلقت رأسه، فلطعت منه عشرين لطعة، فغمَّهُ ذلك، فأرسل إلى سعيد بن المسيب من قصَّها عليه، فقال سعيد: تَلِدُ غلاماً يملك عشرين سنة، فولدت هِشاماً.

قال المدائني[٣]: كان هشام يتكلّم بكلماتٍ في العيدين في خطبةٍ لا يقولهنّ في غير هذين اليومين، ثم يخطب بعد ذلك: الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء أعطى وما شاء منع، ومن شاء خَفَض ومن رَفَع، ومن شاء ضرّ ومَنْ شاء نَفَع.

وقال المدائني[٤] وغيره: قال مسلمة بن عبد الملك لهشام وتلاحيا في شيء: كيف ترجو الخلافة وأنت جبانٌ بخيل؟ فقال: لأني عفيف حليم.

وقال المدائني[٥]: كان المنصور يذكر هشاماً فيقول: كان رجل القوم.

قال[٦]: وبعثَ هشام إلى أبي حازم[٧] الأعرج فأبطأ عليه، ثم أتاه، فقال: ما منعك من إتياني؟ قال: والله لولا مخافة شرِّك ما أتيتك، قال: ما ترى في إنفاق هذا المال؟ قال: إن أخَذْته من حلِّه ووضعته في حقِّهِ سلمتَ، وإلاّ فهو ما تعلم.

قال[٨]: وكان هشام إذا حدّث قال: ألقوا عنّي مؤنة التحفّظ.

قال[٩]: وكان المنصور إذا ذَكَرَ بني مروان يقول: أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي ما أقدم عليه، وأما الوليد فكان مجنوناً، /٢٩١/ وأما سليمان فكان همُّهُ بطنُهُ وفرجُهُ، وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان، ورجل القوم هشام.

قالوا: وكان الجَعْدُ بن[١٠] درهم، مؤدب مروان بن محمد ومعلّمه، وكان دهرياً

---

(١) في مروج الذهب: إذا أنت طاوعْتَ الهوى، والبيت لهشام في تاريخ الخلفاء ص٢٤٨ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٢.

(٢) انساب الاشراف ٧/ ٣١٨.

(٣) انساب الاشراف ٧/ ٣١٩.

(٤) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٠.

(٥) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٠.

(٦) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٠.

(٧) أبو حازم الأعرج، سلمة بن دينار المخزومي، عالم المدينة وقاضيها، فارسي الاصل، من العباد الزهاد توفي سنة ١٤٠هـ.
انظر: المارف ٤٧٩ ومشاهير علماء الامصار (٥٧٥).

(٨) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٠.

(٩) انساب الاشراف ٧/ ٣٢١.

(١٠) الجعد بن درهم، من الموالي أدب مروان بن محمد، فنسب مروان إليه، أتهم بالزندقة والبدع فقتل سنة ١١٨هـ. النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٢.

ويقال له: معتزلياً، شهد عليه ميمون[١] بن مهران، وعدة شهدوا عند هشام على الجعد بن درهم بالكفر، وطلبه هشام فهرب إلى حرّان ثم إنه ظفر به، فحُمل إلى هشام، فأخرجه من الشام إلى العراق، وكتب إلى خالد[٢] بن عبد الله القسري، وهو عامله على العراق بأن يحبسه عنده، فلم يزل محبوساً حيناً، ثم إن امرأته رفعت إلى هشام في أمره تعلمه بطول حبسه وسوء حال عيالِهِ، فقال: أوَ حيٌّ هو؟ وكتب إلى خالد في قتله، فقال خالد في يوم أضحى: أيها الناس، انصرفوا إلى أضاحيكم فإني مضحّ بعدو الله الجعد بن درهم.

قالوا[٣]: وكان غيلان يقول: كلّمت جعداً فوجدته معطلا.

قال المدائني[٤]: وكان عقال بن شبّة يقول: دخلْتُ على هشام، فدخَلْتُ على رجلٍ محشوٍّ عقلاً.

قال البلاذري[٥]: بعث يوسف بن عمر الى هشام بياقوتةٍ حمراء يخرج طرفاها من الكفّ، وحبَّة لؤلؤ من أعظم ما يكون من الحبّ، قال الرسول: فدخلْتُ على هشام: فدنوتُ منه، فلم أر وجْهَهُ من السرير وكثرة الفرش فلما تناول والحجر والحبّة قال: كتب معك بوزنهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين هما أَجَلّ بأن يكتب بوزنهما، ومِنْ أيْنَ يوجد مثلهما؟ قال: صدقت، وكانت الياقوتة لرابعة جارية خالد بن عبد الله القسري، اشترتها بثلاثة وتسعين ألف دينار.

ومات هشام[٦] بالذبحة، فروى عن سالم ابي العلاء أنه قال: خرج علينا هشام يوماً وهو كئيب، يُعرف ذلك فيه، مسترخي الثياب، قد أرخى عنان دابته، فقال: ادعوا الأبرش، فدُعي، فسار بيني وبين الأبرش، فقال الأبرش: يا أمير المؤمنين:

---

(١) ميمون بن مهران الرقي، فقيه من القضاة، كان مولى لامرأة بالكوفة فاعتقته، فنشأ بها ثم سكن الرقة فاستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها، وأدب أولاد عمر بن عبد العزيز، وكان في جيش معاوية بن هشام لما عبر البحر إلى قبرص سنة ١٠٨هـ، توفي سنة ١١٧هـ، انظر: حلية الاولياء ٤/ ٨٢ وتذكرة الحفاظ ١/ ٩٣.

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، البجلي، أمير من كبار الولاة، ولي مكة للوليد وسليمان، وولى العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزله بعمر بن يوسف الثقفي فحبسه واستصفى أمواله، مات في الحبس سنة ١٢٦هـ، وكان جوادا كريما ممدّحاً وطعن في دينه.
انظر: الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٥٧ والبيان والتبيين (انظر الفهرس) وانساب الاشراف ٧/ ٣٥٦ وسير اعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥ والبداية والنهاية ١٠/ ١٧ والشذرات ١/ ١٦٩.

(٣) انساب الاشراف ٧/ ٣٢١. (٤) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٢.

(٥) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٢ وانظر أيضاً: تاريخ الطبري ٧/ ٢٠٧.

(٦) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٣.

لقد رأيت منك ما غَمَّني، قال: ويحك يا أبرش، وكيف /٢٩٢/ لا أغْتَم وقد زعم أهلي اني ميّتٌ إلى ثلاثة وثلاثين يوماً. قال الأبرش: فلما انصرفتُ الى منزلي كتبت: زعم أمير المؤمنين أنه يسافر يوم كذا، فلما كانت ليلة اليوم الذي كمل الثلاثة والثلاثين أتاني رسول هشام فقال: أجِبْ واحمل معك دواء الذبحة، وقد كانت الذبحة عَرَضَتْ له مَرَّة فتداوى بذلك الدواء، فانتفع به، قال: فأتيتُهُ ومعي الدواء، فتغرغَرَ به، فازداد الوجَعُ شدّةً، ثم سكَنَ، فقال: قد سَكَنَ بعض السكون، فانصرف إلى أهلك، وخلّف الدواء عندي، فما استقررت في منزلي حتى سمعت الصراخ، فقالوا: مات أمير المؤمنين، فلما مات أغْلَق الخزّان الأبواب، فطلبوا قمقماً يسخّن فيه ماء لِغَسْلِهِ فما وجدوه، حتى استعاروا قمقماً، وكان الوليد[1] شخص عن الرصافة لكثرة عبث هشام به، وخلّف عياض بن مسلم، مولى عبد الملك بن مروان، وهو كاتبه بالرصافة، وأمره أن يكتب إليه الأخبار، فَعَتَب عليه هشام، فضربه وحبسه، وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمنعه، فقال: أرانا إنما كنّا خزّاناً للوليد، ثم مات من ساعتِهِ، فخرج عياض من الحبس، وختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه وحازها، فما وُجِدَ له كَفَنٌ، حتى كفَّنَهُ غالب مولى هشام، فتباً لدنيا متاعها قليل وعزيزها ذليل، بينما المرء خليفة، فإذا بِهِ جيفة.

ومن كلام هشام[2]: اثنان يتعجلان النصب، ولعلهما ان يظفرا بالبغية: الحريصُ في حرصه، ومعلم البليد ما لا يبلغه فهمه.

[١٣]

دولة الوليد[3] بن يزيد بن عبد الملك

الجبار العنيد، لقباً ما عداه، ولقماً سلكه فما هداه، حقيقةً تَمَهَّجَها، وطريقةً تهجمها فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعايب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار، ويرديهم العار، فبئس /٢٩٣/ الورد المورود، والبرد المودي في ذلك اليوم المشهود، رَشَقَ المصحف بالسهام[4]، وفَسَقَ ولم يخف

---

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك. (٢) انساب الاشراف ٧/ ٣٢٧.

(٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك، من فتيان بني أمية وظرفائهم وأجوادهم وشعرائهم اتهم بالالحاد واشتهر به، ولي الخلافة بعد موت هشام سنة ١٢٥هـ، فمكث سنة وبضعة أشهر فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، فأرسل إليه جمعا وهو بالبخراء، فقتله، وحمل رأسه إلى دمشق.

وأخباره في الاغاني ٧/ ١ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٩ ومروج الذهب ٢/ ١٦٧ وانساب الاشراف ٧/ ٤٧٤.

(٤) يشير الى ما ذكر أنه قرأ يوماً ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ =

الأنام، وهو يُدعى بالإمام، ويسعى بما لم يحمد الله ولا الأنام، وأبرز جارية وطئها لتصلّي بالناس في زي غلام[١]، ورضيها استخفافاً منه بذلك المقام، ولكنّه كان فتى من فتيان قريش يرتاحُ للندى، ويلتاح قمراً إذا بدا، لم يكن في بني مروان أفخم منه وسامة، ولا أفخر إذا لبس العمامة، يُعطي الأُلاّف الآلاف، ولا يُبالي بالتلاف، جوداً خُلق من عُنصرِهِ، وخلّق وهو نطفةً من عنبرِهِ، استنشد طوائف الشعراء وأجازهم، واستقدم أهل الغناء ليكمل به مجلسه وما عازهم، وما سَمِعَ بفتاةٍ ذاتِ جمالٍ إلاّ هام بها، وهانَ عليه ما يبذل بسببها، لإفراط ولوعه بالقيان، ونزوعِهِ الى المشاهدة منهنَّ والعيان، هوى سلمى وسعدى[٢]، وفنى بهما تيماً ووجدا، خطبهما في آل عثمان اختين بكل واحدةٍ منهن كَلَفاً انتهب خلْبه، وشغَفَ شَغَفاً سَلَبَ من صدره قَلْبه، حتى كانت تلك الميتة مِيتته، وتلك البيتة التي صبح في غداتها بيتتُه ولجَبَ عليه الدار، ولجَّت في طلبه بالدمار، فلما علم أن الموت قد أبْرَزَ له من خبء الضلوع دفائنه، وأنْشَبَ به من مُدى الأعداء براثنه، تاب حين لا متاب، وعتب حين لا ينفع الاعتاب ولا يُسمع العتاب، وأخَذَ المصحف وقعد يقرأ القرآن، ويدرأ الحدّ بالتظاهر بالإيمان، وبعد عن نفسه حين لا ينفع نفساً إيمانُها، ولا يكفّر سيئات إحسانها، ظناً أنه بقية الإيمان، ويقول: يومٌ كيوم عثمان، وهيهات وقد حَضَرَت المنيّة، ونظرت إلى مواضعها في بيوتِهِ الرزيّة، ونَضَجَت على وريده رشاش البليّة، وإنما عوقب بحقّ واضح، وحوبِ فاضح، انتهك حرمة الاسلام فأُخِذَ تلك الأخذةِ الرابية.

وحكى ابن الاثير[٣]: ان الوليد هذا قال: الغناء يزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وينوب عن الخمر، ويفعل ما لا يفعل السكر، فإن كنتم / ٢٩٤/ ولا بُدَّ فاعلين

= صَكِدِيدٍ ﴿١٦﴾ [إبراهيم: ١٥ ـ ١٦]فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب وقال:

أتوعد كل جبار عنيد	فها أنذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر	فقل يا رب خرقني الوليد

انظر: مروج الذهب ٢/ ١٧٠ والاغاني ٧/ ٤٩.

(١) انظر الخبر في الاغاني ٧/ ٤٧.

(٢) كانت عنده سعدى أو سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان قبل أن يلي الخلافة فزارتها اختها سلمى فرآها الوليد فأعجبته، فطلق أختها وخطبها إلى أبيها فامتنع، فلما ولي الخلافة بعث إلى سعيد بن خالد فقسره على أن يزوجه سلمى، فلماحملت إليه ماتت في الطريق. انظر: انساب الاشراف ٧/ ٤٧٤ والاغاني ٧/ ٢٥، وسيذكر المؤلف ذلك عن الانساب.

(٣) الكامل ٤/ ٢٦٩.

فجنّبوه النساء، فإن الغناء فيه الزنا، وأني لأقول ذلك على أنه أحَبُّ إليّ من كل لذّةٍ، وأشهى لنفسي من الماء إلى ذي الغلّة، ولكن الحق أحقّ أن يتبع.

حكى البلاذري[١] قال: وكانت عنده ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان فزارتها أُختها سلمى بنت سعيد، وكانت من أحسن الناس وجهاً، فبصر بها الوليد ومن حديث المدائني قال[٢]: /٢٩٥/ دخل الوليد يوماً فجلس هشام، ثم أقبل هشام، فما كان الوليد يتزحزح له عن صدر المجلس، فَزَحل قليلاً، وجلس هشام، فقال: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالح، قال: ما فَعَلَتْ برابطك؟ قال: معلّمة، قال: فكيف ندماؤك؟ قال: لعنهم الله إن كانوا شرّاً من جلسائك، فغضب هشام وقال: أوْجؤا عنقه، فلم يفعلوا ودفعوه دفعاً رفيقاً، فقال الوليد[٣]: [من البسيط]

أنا الوليد ابو العباس قد عُلِمتْ　　عُلْيا مَعَدٍّ مدى كرَّي وإقدامي
أكون في الذروة العليا أن نُسبوا　　مقابلاً بين أخوالي وأعمامي[٤]

وقال[٥]: [من الطويل]

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي　　ومروان جدّي ذو الفعال وعامرُ
أنا ابنُ عظيم القريتين وعِزُّها　　ثقيفٌ وفهرٌ والرجال الأكابرُ[٦]
نبي الهدى خالي ومن يك خاله　　نبي الهدى يعل النهى في المفاخرِ[٧]

ولما زاد ضَرَرُ هشام به ونظر إلى ما يغشاه من قطيعتِهِ وسبّه، كتب إليه يقول[٨]: [من الطويل]

رأيتُكَ تبني جاهداً في قطيعتي[٩]　　فلو كنتَ ذا عقلٍ لهدّمت ما تبني

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٤٧٤ وانظر الخبر في الاغاني ٧/ ٢٥.
(٢) انساب الاشراف ٧/ ٤٧٨.　　(٣) من أبيات له في الاغاني ٧/ ١٠.
(٤) في الاغاني:
اني لفي الذروة العُليا إذا انتسبوا　　مُقابلٌ بين أخوالي وأعمامي
(٥) الابيات في الاغاني ٧/ ٦ وانساب الاشراف ٧/ ٤٧٩.
(٦) القريتان: مكة والطائف، واختلف في عظيم القريتين، وفي الاغاني: العصاة الاكابرِ.
(٧) في الاغاني: يقهر به من يفاخرُ، وقال: نبي الله خالي، لأن أم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، وأم عبد الله بن عامر، أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب.
(٨) البيتان من أبيات في تاريخ الطبري ٧/ ٢١٥ والاغاني ٧/ ٨ وكامل ابن الاثير ٤/ ٢٥٧ وتاريخ الخلفاء ص٢٥١.
(٩) الاغاني وابن الاثير: تبني دائماً.

ستركت[١] للباقين عني ضغينة ... وويل لهم ان مِتّ من شرّ ما تجني

وقال[٢] الهيثم بن عدي: كان الوليد يسمّى البيطار، لأنه كان يصيد الحُمر الوحشية، فَيَسِمُها بالوليد، ثم يخلّيها، فوجدت في أيام السفاح والمنصور (حُمُرٌ)[٣] موسومة باسمه، وكان يحبّ دخول الكوفة والحيرة، فخرج كالمتبدي[٤]، ثم أتى الكوفة فنادمه شرّاعة[٥]، ومطيع بن أياس[٦] وحماد الراوية[٧] وحماد عجرد[٨] وبعض آل أبي معيط[٩]، وكان ممن سمع بها فأعجبه غناء قينتين لعبد الله بن هلال الهجري المعروف بصديق إبليس، فقال[١٠]: [من الكامل]

يا أهل بابل ما نفستُ عليكُمُ ... من عيشكم إلاّ ثلاث خلال

خمر العراقِ وليل قيظٍ باردٍ ... وسماع مُسمعتين لابن هلال

---

(١) كذا في الاصل، وفي المصادر الاخرى: تُثيرُ على الباقين مجنى ضغينةٍ.

(٢) انساب الاشراف ٧/ ٥٠٠.

(٣) الزيادة عن الانساب.

(٤) في الاصل: كالمسدي، والتصويب عن أنساب الاشراف ٧/ ٥٠١.

(٥) في الاصل: سراعة (بالسين) وهو شراعة بن الزندبود كما في أنساب الاشراف ٧/ ٥٠١ وكان من المجان الندماء من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع ابن زياد وحماد عجرد، له أخبار في الاغاني.

(٦) مطيع بن إياس الكناني، شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية من أهل الكوفة ليس من الفحول، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو النادرة، كان يجتمع هو وحماد الراوية وحماد عجرد ووالبة بن الحباب لا يكادون يفترقون، توفي سنة ١٦٩هـ، وأخباره كثيرة في الاغاني ١٣/ ٢٧٤ وطبقات ابن المعتز ٩٣ والامالي للقالي ١/ ٢٧٠ وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٥.

(٧) حماد بن أبي ليلى ميسرة أبو سابور، أبوالقاسم الكوفي، المعروف بالراوية من الموالي، كان إخبارياً علامة خبيراً بأيام العرب وأشعارها ووقائعها، وكان ملوك بني أمية يؤثرونه بمجالسهم، توفي سنة ١٦٥هـ. أخباره كثيرة في الاغاني ٦/ ٧٠ وخزانة الادب ٤/ ١٢٩ وامالي المرتضى ١/ ١٣١ والشذرات ١/ ٣٣٩ وطبقات ابن المعتز ٦٩ ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٥٨.

(٨) حماد عجرد، بن يحيى بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي، من الموالي، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية، نادم الوليد الاموي، وقدم بغداد أيام المهدي، وكان شاعراً محسناً مجيداً له مع بشار بن برد مهاجاة مات سنة ١٦٨هـ، وقيل في سنة ١٦١هـ أخباره كثيرة في الاغاني ١٤/ ٣٣١ وطبقات ابن المعتز ص٦٧ وامالي المرتضى ١/ ١١٣ وتاريخ بغداد ٨/ ١٤٨ والوافي بالوفيات ١٣/ ١٤٢.

(٩) في الاصل: واك عبد الله بن مطيع، وهو تحريف، والتصويب عن انساب الاشراف ٧/ ٥٠١ وذكر ذلك ثانية في ٧/ ٥٠٩ فقال: وفتيان آل أبي معيط.

(١٠) الابيات له في انساب الاشراف ٧/ ٥٠٩ ونسبا الى عمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص٣٧٦ والاغاني ١/ ١٥٣.

/٢٩٦/ وروى البلاذري[١] عن اسحاق بن محمد[٢]، قال: دخلتُ على منصور[٣] بن جمهور وعنده جاريتان من جواري الوليد، فقال: اسمع ما يحدثانك به، فقالتا: كنا آثر جواريه عنده، فوطّىء هذِهِ، فجاء المؤذن يؤذنه بالصلاة، فأخرجها وهي جنبٌ متلثمة فصلّت بالناس.

وحكى أن نقش خاتمه كان: أؤمن بالله مخلصاً، وإنه كان يقول: عقيب كل حوب استغفر الله.

قال البلاذري[٤]: كان الوليد شديد البطش، طويل أصابع اليدين والرجلين تُوتَّر له سكّة الحديد، وفيها خيط، ويُشدّ الخيط في رجله، ويؤتي بالدابة فيثب عليها، فينزع السكّة ويركب، ما يمسُّ الدابّة بيدِهِ.

وروى[٥] مسلمة بن محارب: إن أيوب[٦] السختياني قال حين بَلَغَهُ مقتل الوليد: ليتهم تركوا لنا خليفتنا فلم يقتلوه، قلت[٧]: وإنما قال ذلك خوفاً من الفتنة.

وقال[٨] المهدي يوما وقد ذُكر الوليد: رحمه الله ولا رحم قاتله فإنه قد كان إماماً مجمعاً عليه، فقيل له: إن الوليد كان زنديقاً، فقال: إن خلافة الله عز وجل (أجل)[٩] من أن يوليها من لا يؤمن به.

قلت: ولئن صح أن المهدي قال هذا من سوء رأي القوم في أخيار بني أميّة

---

(١) انساب الاشراف ٧/ ٥١٠.
(٢) في الانساب: جويرية بن أسماء بن إسحاق بن محمد.
(٣) منصور بن جمهور بن حصن الكلبي، كان من أمراء بني أمية من أهل دمشق، خرج مع يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ، ثم سار إلى العراق فحكم به أربعين يوماً، ثم عزل فسار إلى بلاد السند فغلب عليها مدة، ولما استولى السفاح سنة ١٣٢ سيّر إليه جيشاً لقتاله فانهزم ومات بالمفازة بين السند وسجستان سنة ١٣٣هـ.
انظر: تاريخ الاسلام ٥/ ٣٠٣ وتاريخ الطبري ٧/ ٤٦٤ (أحداث ١٣٤هـ).
(٤) انساب الاشراف ٧/ ٥١٢. (٥) انساب الاشراف ٧/ ٥٣٥.
(٦) أيوب السختياني، أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي بالولاء، البصري من التابعين، ولد سنة ٦٨هـ ومات سنة ١٣١هـ من سادات البصرة وفقهائهم وعبادهم.
انظر: مشاهير علماء الامصار (١١٨٣) وطبقات ابن سعد ٧/ ٢/ ١٤ وسير اعلام النبلاء ٦/ ١٥.
(٧) كذا والقول للمدائني الذي روى الخبر عن مسلمة بن محارب.
(٨) انساب الاشراف ٧/ ٥٣٥.
(٩) الزيادة يقتضيها السياق، وهي في تاريخ الخلفاء ص٢٥١ وفي أنساب الاشراف: خلافة الله أعزّ وأجلّ من أن يوليها من لا يؤمن.

كيف في شرارهم!! فإنما قاله إقامةً لحرمة الخلافة أن تنتهك، وللوليد[١]: [من الطويل]

واقسم ما ادنيت كفي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعْلَمُ أني لم تُصبني مصيبةٌ من الدهر إلاّ قدْ أصابتْ فتى قبلي

[١٤]

دولة يزيد[٢] بن الوليد بن عبد الملك، أبي خالد

وكان أَقيْل، وأمُّهُ شاهفريد[٣] بنت فيروز بن يزدجر بن شهريار، مقابل في الملك بين أبيه وأمّه، وعزمه وعجمه، تطرّف بجلبابي تقى ونسك، وخلافةٍ وملك، يجاذبه طرفا شرفٍ حلّ فيهما وما حلّ في طرف.

/٢٩٧/ وكان يلقّب بالناقص، لأنه نقَّص في العطاء، وغصَّصَ على البعداء والخلطاء، وما أراد إلاّ مناقضة الوليد ومعارضة سفاهِهِ بالرأي السديد، (فأداه فعله الى خلاف ما يريد، وعداه الغرض في الاقتصاد الى التشديد)[٤] فكره على عظيم شَرَفيه، وكريم فخاره الملتقين من طرفيه، وما كان موسوماً به من الجمال الفائق، ومعلوماً منه من الكمال اللائق، ومعروفاً به من النسك والتألّه، وموصوفاً به من التخلّق بأخلاق السَّلَف الأول والتشبُّه، وافراطه في التواضع حتى كأنه ما امتاز عن الناس، ولا حاز ما يشمخ بدونِهِ الراس، على أنه تذكّر يوماً سَلَفَهُ فذكر شرفَهُ فقال[٥]: [من الرجز]

أنــا ابــن كــسـرى وأبــي مــروان
وقــيــصــر جــدّي وجــدّي خــاقــان

---

(١) شعر الوليد بن يزيد ص١٠٦.

(٢) يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ثار على ابن عمه الوليد، فقتله سنة ١٢٦هـ وبويع له بالخلافة فاستمر بها خمسة أشهر، ثم مات، وصف بالورع والتقوى والنسك، وسمي الناقص لنقصه الزيادات التي أعطاها الوليد قبله للجند،
انظر: انساب الاشراف ٧/ ٥٤٠ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٦١ وكامل ابن الاثير ٤/ ٢٦٩ـ ٢٧٨ ومروج الذهب ٢/ ١٧٣ وتاريخ الاسلام ٥/ ١٨٨ واليعقوبي ٣/ ٧٤ والنجوم الزاهرة ١/ ١٢٦.

(٣) في الاصل: ساهقريد، والتصويب عن الانساب.

(٤) ما بين قوسين خرجه من الحاشية.

(٥) الشطران في أنساب الاشراف ٧/ ٥٤١ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٩٨ ومروج الذهب ٢/ ١٧٧ وتاريخ الخلفاء ص٢٥٢ وكامل ابن الاثير ٤/ ٢٧٨.

قلت: وإنما جعل قيصر وخاقان جدّيه لأن أم فيروز بن يزدجر بن كسرى شرويه أم أبيه وأمها ابنة قيصر، وأم شيروية ابنة خاقان ملك الترك، ذكره ابن الاثير[١]، وكان أبوه الوليد بن عبد الملك يذكر وِلْدَهُ فيقول[٢]: عبد العزيز سيدهم، والعباس أفرسهم، ويزيد ناسكم، وروح عالمهم وعمر فحلهم[٣] وبِشْر فتاهم.

ولقي[٤] يزيد بن الوليد أيّوب السختياني في السنة التي حج بها فكتب عنه وكان كثير الصلاة طول الليل.

وقال ابن الاثير[٥] عنه: قيل إنه كان قدرياً، وكان أسمر طويلاً صغير الرأس جميلاً، وقال: إنه أول من خرج بالسلاح يوم العيد، خرج بين صفين عليهم السلاح، قال: وكان آخر ما تكلّم به، يعني عند موته: واحسرتاه وأسفاه.

وكان نقش خاتمهِ: العظمة لله، ولما ولّى الخلافة عاتبته[٦] امرأته هند الكلبية التي تدعى بنت الحضرميّة فقالت: أوْسع علينا، فقال لها: لقد فسدتِ عليَّ فيمن فسد، أما لو علمت أنكم تميلون الى الدنيا هذا الميل لكان أن أخُرَّ من السماء الى الأرض أحبّ إليّ من أن أتَلَبّس بما تلبّسْتُ[٧] به، ومالك في هذا المال إلاّ بالسوداء أو حمراء من المسلمين، ولكن ائتيني بثيابي، فجاءت تنحب، فقال لها: هذه ثياب كنت أتزيّن بها، فشأنك فخذيها /٢٩٨/ فإنه لا حاجة لي اليوم فيها، فأما مال المسلمين، فلا حقّ لي ولا لك فيه الا مثل ما للمسلمين[٨].

ولما ولى خطب الناس فقال[٩]: أيها الناس إني والله ما خرجت بطراً[١٠] ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبةً في الملك، وما أقول هذا إطراءً لنفسي[١١]، إني لظلوم لها[١٢] إن لم يرحمنى ربّي، ولكن خرجتُ غَضَباً لله ولدينهِ[١٣]، وداعياً الى الله وكتابهِ وسنّة نبيّه، لمّا هُدِمت معالم الدين، وعفا أثر الحق وأطفىء نور الهدى[١٤]، وظهر الجبار العنيد المستحلّ لكل حرمة، الراكب لكلّ بدعة، مع أنه والله ما كان يُصدِّق

---

(١) الكامل ٤/٢٧٨.
(٢) انساب الاشراف ٧/٥٤١.
(٣) في الاصل: نجلهم، والتصويب عن الانساب.
(٤) الخبر في: أنساب الاشراف ٧/٥٤١.
(٥) الكامل ٤/٢٧٨.
(٦) انساب الاشراف ٧/٥٤٢.
(٧) في الانساب: التبست به.
(٨) في الاصل: مال المسلمين.
(٩) انساب الاشراف ٧/٥٤٢ والخطبة في تاريخ الطبري ٧/٢٦٨ والبيان والتبيين.
(١٠) في الطبري: اشراً ولا بطراً.
(١١) في الطبري: وما بي اطراء نفسي.
(١٢) في الطبري: لنفسي.
(١٣) في الطبري: لله وسوله ودينه.
(١٤) في الطبري: ولما هدمت معالم الهدى، وأطفىء نور أهل التقوى.

بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، وإنه لابن عمّي في النسب، وكفيّي في الحسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في امره[١] حتى أراح الله منه بحول الله وقوّتهِ لا بحولي وقوّتي.

أيها (الناس)[٢] ان لكم أن لا أضَع حجراً على حجر، ولا لبنةً على لبنة، ولا أكري فيكم نهراً، ولا أبني قصراً، ولا أكنز مالاً ولا أوثر به[٣] زوجةً ولا وَلَداً، ولا أنقل مالاً من بَلَدٍ الى بلد حتى أسدّ ثغره وخصاصة[٤] أهله بما يُغنيهم، فإن فضل فَضْلٌ نقلته الى البلد الذي يليه مما هو إليه أحْوَج[٥]، وعليكم أن لا أغلق[٦] بابي دونكم فيأكل قويّكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جِزْيتكم ما يُجْليهم عن بلادكم[٧]، وعندي إدرار عطاياكم[٨] في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن أنا وفيتُ لكم بما قلت، فعليكم السمعُ والطاعة، وحُسْن المؤازرة، وإن أنا لم أفعل[٩] فلكم أن تخلعوني[١٠].

ثم لما مات يزيد بن الوليد انبثقت البثوق[١١] وكثرت الخوارج ودعا كل الى نفسه.

[١٥]

دولة إبراهيم[١٢] بن الوليد بن عبد الملك، أبي إسحاق

وكان مغلّبا لا يغلب، ومضعّفاً لا يرغَب ولا يُرهب، عَدَما في ذي وجودٍ،

---

(١) بعده في الطبري: وسألته ألاّ يكلني إلى نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي وسعيت فيه.

(٢) الزيادة عن مصادر الخطبة.

(٣) في الطبري: ولا أعطيه.

(٤) الخصاصة: الفقر.

(٥) بعده في الطبري: ولا أُجمرّكم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم.

(٦) في الطبري: ولا أغلق.

(٧) في الطبري: بلادهم.

(٨) الطبري: وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة.

(٩) الطبري: لم أفِ.

(١٠) بعده في الطبري: إلا أن تستتيبوني.. الى كلام كثير بعده.

(١١) البثوق: السرقات والفساد.

(١٢) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، بويع له بعد موت أخيه الناقص، وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره، خرج عليه مروان بن محمد، وكان والياً على اذربيجان، فلما قدم دمشق، اختفى إبراهيم، ثم أمّن فخرج، وقتل فيمن قتل من بني أمية سنة ١٣٢هـ.

=

ومعدماً في مثل ذي مالٍ وجنود، بايَعَهُ الناس لما ولى أخوه يزيد بالعهد بعده، وعقدوا له عقدةً وما أحكموا شدّه، فلما مات يزيد جدّدت له بيعة ما تمّت، وجنّدت له قلوبٌ ما خصّت مولاتها ولا عتّت، وكان /٢٩٩/ بدمشق، ما نفذ له أمرٌ وراء سورها، بل ولا جازَ فناء دورها، وكان يخاطب تارةً بالخلافة وتارة بالامارة، وهو كالبعير، لا عير لديه ولا نكير، ولا رمح ضرير ولا سيف شهير، ولا اتباع مأمور ولا متابعة أمير، وقد كان حين وثب أخوه على الوليد حصاة لا يستلينها نفس بازغ، لكنّه مني بعوائق الخذلان، ورمي سوابق الخلاّن، خَذَله أصحابُه، وهزله أربابُه، فما همَّ بأمر فقدَر عليه، ولا قهر سواه حتى وصل إليه، ولم تكن مبايعته إلاّ شقوةً طبع بطابعها، وهفوةً ضربت عنقه بأسياف مطامعها، ودام ملك بني أميّة على هذا الهوان حتى ملك مروان، ورفع بالسيف هذا العار، ونزع ما جلَّلَهم من شبه هذا الرداء المُعار.

وقال البلاذري[١]: قالوا بويع ابراهيم وهو المخلوع، وأمه ام ولد، بالخلافة في أول سنة سبع وعشرين ومائة[٢] بعد موت يزيد أخيه الناقص وكان نقش خاتمه إبراهيم يثق بالله، وكان مروان بن محمد بن مروان حين قتل الوليد قدم الجزيرة فدعا الى نفسه سراً، وسمى الوليد الخليفة المظلوم وأظهر أنه يطلب بدمه، وقال: إنما قتلته قدرية غيلانية، فبايعه خلقٌ من أهل الجزيرة، ثم ظهر أمره بعد بيعة إبراهيم بنحو شهر بحرّان، وقال: أمري شبيه بأمر معاوية حين طلب بدم الخليفة المظلوم عثمان، ثم انه سار بأهل الجزيرة وقنسرين وحمص يريد إبراهيم، وبعثَ الى الناس ان إنهضوا لمحاربة هذا القدري أخي القدري الغيلاني المبتزّ لأمور الناس بالبدعة[٣] والضلالة فإن جهاده واجبٌ على كل مسلم، فقد كنت على مجاهدة أخيه، فسبقني بهِ أجَلُه، فوجّه إليه إبراهيم أخويه بشراً ومسروراً ابني الوليد، فأسرهما وفضّ عسكرهما، فوجّه إليه ابراهيم سليمان[٤] بن هشام بن عبد الملك /٣٠٠/ في خيول أهل دمشق، فالتقيا بعين الجرّ[٥] من البقاع من عمل بعلبك في صفر سنة سبع وعشرين، فتناوشوا يومهم،

= انظر: كامل ابن الاثير ٤/٢٧٨ وانساب الاشراف ٧/٥٤٨.

(١) انساب الاشراف ٧/٥٤٨.

(٢) في الطبري ٧/٢٩٨: انه بويع بعد وفاة يزيد في ذي الحجة سنة ١٢٦هـ ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٦هـ.

(٣) في انساب الاشراف: الآمر بالبدعة والضلالة والمؤلف ينقل عنه.

(٤) في الاصل: فوجه إليه ابراهيم بن سليمان، والتصويب عن انساب الاشراف.

(٥) عين الجر، موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق (ياقوت ـ عين الجر).

ثم بكّروا على الحرب، فاقتتلوا أشدّ قتال، فانهزم سليمان ومَنْ معه، فلحق بإبراهيم، وكتب مروان الى وجوه أهل دمشق، يُعلمهم أن الذين بايعوا يزيد الناقص شرارهم ورعاعهم وغواتُهم ودعاهم الى طاعته، ووعدهم ومنّاهم على الوفاء والاحسان، فانتقضوا على إبراهيم، ونزل مروان بن محمد الغوطة[1]، فخرج إليه خلْق فبايعوه، فلما رأى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري أخذا عثمان والحكم ابني الوليد فقتلاهما في محبسهما وخافا أن يتخلّصا فكان الناس يقولون: يا معشر الفتيان، أين الحكم وعثمان؟ وقال الشاعر حين أقبل مروان: [من الرجز]

أتـــاك مـــروان شـــبـــيـــه مـــروان
يـــجـــرّ جـــيـــشـــاً غـــضـــبـــاً لـــلـــرحـــمـــن
بـــتـــغـــلـــب الـــغـــلـــبـــا وقـــيـــس عـــيـــلان

وَوَهَن أمر إبراهيم،واستخفى، ثم أُخذ له الأمان وظهر، فكان مع مروان في طاعته، ولم يزل حيّاً حتى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع مَنْ قتل من بني أمية، وكانت أيام ابراهيم أربعة أشهر ويقال ثلاثة اشهر وبعضهم يقول أربعين يوماً.

ولما دَخَل مروان دمشق طلب عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري فظفر بهما فقتلهما بعثمان والحكم وجعلهما على باب الجابية[2] أو باب الفراديس[3].

[١٦]

دولة مروان[4] بن محمد بن مروان أبي عبد الملك

المنبوز بالجعدي وبالحمار، أما قولهم الجعدي فنسبةً الى الجعد بن الدرهم، لأنه كان على مثل رأيه المبهم، وأمّا قولهم الحمار فقيل لشدّته في الحرب تشبيهاً بحمار الوحش، إذْ كان أحمى حامٍ لِسربِهِ، ومحامٍ عن مزاحمة / ٣٠١/ الغرائب له في شربهِ.

---

(١) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق (ياقوت ـ الغوطة).

(٢) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان، وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع (ياقوت ـ الجابية).

(٣) باب الفراديس: الفراديس موضع بقرب دمشق، وباب الفراديس من أبواب دمشق، (ياقوت ـ الفراديس).

(٤) مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بالشام أخباره كثيرة في كتب التاريخ.

وكان مروان بن محمد رجل الدهر، إلاّ أنّه خانه، وبطل الكتيبة إلاّ أن الحظ ما أعانه، كان بالجزيرة ورعى كلأها، وهو بأطراف الأسنّةِ وبيل، وحمى ملأها وما لمدارج الرياح إليها سبيل، ثم كان بأرمينية يسدُّ ثغرها وهو يَهْتِمُهُ، ويسدُّ أمرها وهو يهدمُهُ، ثم آب الى دمشق وفي ظنّه لمّ شعثها ويرمُّ منتكثها، حتى تفرّقت بها الآراء المجتمعة، وتمزَّقت الأُمراء في طلب الدعة، وقوى هيج الرعايا للرعاع، وموج الثعالب الحقيرة لأكل السباعْ، وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره شكره وقال: هو فحل القوم، وإنما غلبناه بالجدّ لا باليد.

وكان عبد الملك[1] بن صالح رجل بني العباس، أمّه أم ولد كانت لمروان بن محمد، ثم صارت الى صالح بن علي فولدت له عبد الملك، ويقال إنها حملت به من مروان وولدته على فراش صالح، فلما كان من توهّم الرشيد منه ما كان، قال له يوماً كالمعيّر له: أنت لمروان، لست لصالح، فقال: لا أُبالي لأيّ الفحلين كنت، فلما غاب عنه قال الرشيد: لعمري إنه لا يبالي لأيهما كان.

وقدم مروان دمشق وقد تصرّمت فتنها، وتصرَّرت بحمل الحقود إحنها، فهدأ به اضطرابُها، وتألّفت به بنو أمية وبدأ اقترابها، ولكن بعد دماء أطلّها، ودماءٍ ساوى بالقتلى مطلّها، فلما ظن ان السيف له قد دوّخَ، والمغير عليه قد نوّخ، واطمأنّ وسادُهُ القلق، وعفىٰ بالمسالمة هن جفنه الأرق، ثارت عليه من خراسان تلك الثائرة، وانقلبتْ عليه تلك الدائرة، وأظلّت عليه الرايات العباسية لياليَ تُطْلع بدورا، ولمم شبيبةٍ تتلألأ لأنها الوجوه نورا، فتراكم بسواد الشعار العباسي السيل، وأدبر بياض العلم المرواني في النهار لإقبال الليل.

قال البلاذري[2]: أم مروان كردية، أَخَذَهَا أبوه من عسكر / ٣٠٢ ابن الاشتر[3]، وكان مروان بخيلاً، وبويع لأربع عشرة ليلة خَلَت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة، وكان أبيض أحمر أزرق أهدل الشفة لا يخضب، ولم يكن بالذاهب طولاً، وكنتَ إذا

---

(١) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمن، كان من رجال بني العباس وخطبائهم وفصحائهم وذوي الرأي فيهم، ولي المدينة والصوائف للرشيد والشام والجزيرة للامين، توفي سنة ١٩٦هـ.
انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٤٨/١ وفوات الوفيات ٣٩٨/٢ والوافي بالوفيات ١٦٦/٩ وله أخبار في تاريخ الطبري وكامل ابن الاثير.

(٢) انساب الاشراف ٥٦١/٧.

(٣) يريد به إبراهيم بن الاشتر، قائد جند مصعب، مضى خبره.

استدبرته ظننت إن على كتفيه رجلين جالسين، واسع الصدر، وكان يقول: اللهم لا تبلني بطلب ما لم تجعل لي فيه رزقاً، وكان يقول في خطبته: اللهم (إنك)[1] أعْلَم بوليّنا وعدوّنا منا، فكن لنا ولياً وحافظاً، وكان غيوراً، وَجَدَ كتاباً الى جاريةٍ له من أمّها فقال: مَنْ أدْخَلَ هذا الكتاب، فقال خصيٌّ له: أنا، رحمتُ أمها لبكائها فأخذْت كتابها، فقطع يَدُ الخصي.

وعرض الجند فشكّوا في حلية رجلٍ فأسقطه فقال: [من السريع]

هلاّ بعين الجرّ خلّيتني لما توافى القوم في الخندق[2]

فأجازه.

وهو أوّل من حلّى الجند، وفيه يقول الشاعر: [من الرجز]

يا أيها السائل عن مروانا
دونك مروان بعسقلانا
يجيد ضرب القوم والعطانا[3]
حتى ترى قتلاهم ألوانا

قال البلاذري[4]: لما سار مروان بجند أهل الجزيرة، وتفرّق أصحاب بشر ومسرور من غير قتال، وجّه إبراهيم المخلوع بسليمان[5] بن هشام، فنزل بعين الجرّ في خلق كثير، فنزل مروان بدير الأبرش في زهاء سبعين ألفاً وبينهما ثلاثة أميال، وكتب مروان كتاباً منه إلى أهل فلسطين: إني نزلت بدير الأبرش وسليمان بعين الجرّ، وطالعت عسكره بنفسي، فرأيتُ جمعاً كثيفاً، وأنا متوجه إليكم في طريق كذا، ودفع الكتاب إلى رجلٍ وقال له: تعرّض لهم، ففعل، فأُخِذ وأُتي به سليمان، فلما قرأ الكتاب قال: أنا أبو أيوب، هرب مروان والله، لأحولَنّ بينه وبين ذلك، وقال مروان

---

(١) الزيادة عن انساب الاشراف ٧/ ٥٦١.
(٢) كتب في الاصل رسم النثر، وهو بيت شعر ووزنه من السريع.
(٣) في انساب الاشراف (والمؤلف ينقل عنه): والظعانا.
(٤) انساب الاشراف ٧/ ٥٦٤.
(٥) سليمان بن هشام بن عبد الملك، من أمراء بني أمية، غزا أيام أبيه أرض الروم، وحج بالناس سنة ١١٣هـ ولما مات أبوه حبسه الوليد بن يزيد، فلما قتل الوليد خرج من السجن وولاه يزيد بن الوليد بعض حروبه، ولما ظهر مروان جمع سليمان جيشاً وحارب مروان، فهزم ولحق بالضحاك بن قيس الخارجي، وهو في نصيبين، ولما ولي السفاح اقبل عليه سليمان فقتله السفاح سنة ١٣٢هـ.
انظر: انساب الاشراف ٧/ ٥٦٥.

لابنهِ اني مرتحلٌ غدوةً، فإن ارتحل سليمان من هذا المنزل فانزله وخلّفه في غَيضَةٍ هناك كامناً في ألفين، وأصبح مروان يوم الأربعاء فغدا[١] متوجهاً في طريق العرب، وخرج سليمان زَعَمَ يباردة الى الطريق التي ذكر مروان في كتابه /٣٠٣/ انه يسلكها، وأقبل ابن مروان فنزل معسكره وسرح الى أبيه رسولاً يُعلمه ذلك فلما أعْلَمَهُ الرسول رجع، وقد سار ستة أميالٍ فصار في عسكر سليمان، فقال سليمان: مكر بنا مروان، وإنما فعل مروان ذلك لأن عسكر سليمان أخْصب وأحصن وأكثر مياهاً، فقاتلهم مروان فظفر بهم، وقتل منهم مقتلةً عظيمةً يقال عشرة آلاف، ومضى سليمان منهزماً الى دمشق، فأخذ مالها وقسَّمه، ثم كان من انتهاء الأمر من يد المخلوع إبراهيم الى مروان، وكان دخوله دمشق من باب الجابية وأتاه إبراهيم وخَلَع نفسه، فآمَنَهُ، وجاء سليمان بن هشام فآمنه، ثم حمل مروان ما كان بدمشق من الأموال وتحوّل الى الجزيرة، فنزل حرّان، وأقام بها ثلاثة أشهر أو أرْبَعة، ثم بَلَغَهُ ان ثابت بن نعيم[٢] عامله على فلسطين قد خَلَعَ، فسار يريده، قالوا: وكان سبب خلع ثابت بن نعيم أن عطية[٣] ابن الأسود قال: [من البسيط]

يا ثابت بن نُعيم دعوةً جَمَعَتْ ... عقَّتْ[٤] أباها وعقَّتْ أُمَّها اليمنُ
أتاركٌ أنت مال الله تأكله ... عَيْرَ الجزيرة والأشراف تُمتهنُ
أوْقِدْ على مُضرٍ ناراً يمانيةً ... تَشْفي الغليل وتحيا بعدها السنَنُ

قلت[٥]: وأقبل ثابت في زهاء خمسين ألفٍ من لخم وجذام وغيرهم، فحصروا طبرية مدينة الأردن، وبها الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك عامل مروان فسار إليه أبو الورد[٦]، فلما التقوا خرج إليهم الوليد عامل طبرية في أهل الأردن

(١) في الاصل: قعدا.
(٢) ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع الجذامي، وخبره في انساب الاشراف ٧/ ٥٧٤ وانظر: تاريخ الطبري ٧/ ٣١٢ وكامل ابن الاثير ٤/ ٢٨٦.
(٣) عطية بن الاسود الكلبي، من الموالي، شاعر شامي هجا مروان بن محمد وحرّض اليمانيين على الثورة، فقتله مروان بن محمد سنة ١٣٠هـ، المرزباني ص٢٩٧.
(٤) في انساب الاشراف: عصت.
(٥) عن انساب الاشراف ٧/ ٥٧٤.
(٦) ابو الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، واسمه مجزأة كما في تاريخ الطبري ٧/ ٣١٣ وكان أبو الورد من قواد مروان، ثم التحق بالعباسيين، ثم أعلن العصيان بقنسرين، وجمع جمعاً كثيفاً فقوتل وقتل سنة ١٣٣هـ (انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٤٣).

فهزموا ثابتاً وقتلوا أصحابه، وتفرّق من بقي منهم عنه ومضى ثابت الى فلسطين واتبعه (أبو)[١] الورد ولحق ثابت بجبال الشراة[٢]، فظفرت به خيلٌ لمروان قد كان وجّهها مادّةً لأبي الورد، فأخذوه وأتوا به مروان وهو بدير أيوب، فقتله وأفْلَتَ ابنهُ رفاعة.

ثم كانت من أحوال مروان المتناقضة وأموره المتعارضة، وخلافته المحلولة المعاقد، ومملكته المتجاذبة بأيدي الثوائر، وجنوده المختلفة الآراء، وبنودِهِ /٣٠٤/ المنكسة بالخذلان ما كان، حتى ابتزّت منه الدولة العباسية الخلافة قهراً بالسيف.

وحكى الحسن بن زيد بفرغانة قال: بَلَغَني أن مروان بن محمد مرّ على راهب في صومعةٍ وهو هارب من جيش أبي مسلم، فأشرف عليه الراهب فسلّم عليه، فقال له: يا راهب هل عندك علمٌ بالزمان؟ قال: نعم، عندي من تلوّنه ألوان، قال: هل تبلغ الدنيا من الحر أن تجعله مملوكاً؟ قال: نعم، قال: كيف؟ قال: هل تحبّها؟ قال: نعم، قال: فأنت مملوك لها، قال: فكيف السبيل الى العتق؟ قال: تبغضها والتخلّي عنها، قال: هذا ما لا يكون، قال الراهب: أما تخليها منك فسيكون، فبادر بالهرب منها قبل أن تبادرك، قال: هل تعرفني؟ قال: نعم، أنت ملك العرب مروان، تقتل في بلاد السودان، وتُدفن بلا أكفان، ولولا أن الموت في طلبك لدللتك على موضع هربك.

قلت: ولمروان شعرٌ يُروى منهُ[٣]: [من الطويل]

وما زال يدعوني الى الصبر ما أرى ... فآبى ويُدْنيني الذي لك في صدري
سأبكيك لا مستبقياً فيضَ عَبْرَةٍ ... ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبْرِ

ويقال: ان نقش خاتمه كان: رضيتُ بالله العظيم.

وقتل مروان بيوصير[٤]، وصار آخره الى ذلك المصير على ما هو ملمح، به في ترجمةِ أبي العباس السفاح، وملمع بخلوق دَمِهِ درع ذلك الصباح، وبهزيمة مروان على الزاب[٥] زال عن جمهور المعمور ميسم بني مروان، وطالما افْتَرَّ بدولتهم مَبْسَم الزمان، إلاّ انها الأيام لا يُطْمَئَنَّ الى خُداعها، ولا يوثق بعواري متاعها، لا تبقي أحداً، ولا تثبت على حالةٍ أبَداً، ومهما نَوَّلَتْ في اليوم سَلَبَتْ

(١) ابو: سقطت من الاصل.
(٢) الشراة جبل مرتفع، وهو عن يسار عسفان (ياقوت ـ الشراة).
(٣) البيتان من قطعة له في العقد الفريد ٥/٤٠٧ والبداية والنهاية ١٠/٤٧.
(٤) بوصير، اسم لاربع قرى بمصر، وبوصير التي قتل بها مروان تسمى بوصير قوريدس (ياقوت ٠ بوصير).
(٥) معركة الزاب كانت على الزاب الاعلى بين الموصل وأربل (ياقوت ـ الزاب).

غداً، فسبحان الباقي بلا زوال.

ولما قتل مروان قصد عامر بن اسماعيل[١] قاتله الكنيسة التي فيها حرم مروان وقد كان وكّل بهنّ مروان خادماً له، وأمره ان يقتلهنّ بعده، فأخَذَهُ عامر، وأخَذَ نساء مروان وبناته فسيَّرهنّ[٢] الى صالح بن علي، فلما دَخَلْنَ عليه، تكلّمت ابنة مروان الكبرى، فقالت: يا عم أمير المؤمنين / ٣٠٥/ حفظ الله من أمرك ما تحبّ أن يحفظ، نحنُ بناتك وبنات أخيك وابنُ عمك، فليسعنا من عفوك ما وسِعَكُم من جورنا، قال: إذن لا استبقين منكنّ واحدةً، ألم يقتل أبوك ابن أخي إبراهيم الامام، ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وصلبه في الكوفة، ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان، ألَمْ يقتل زياد الدعيّ مسلم بن عقيل، ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي، ألَمْ يخرج إليه بحرم رسول الله ﷺ سبايا فوقفهنّ موقف السبي، ألَم يُحمل إليه رأس الحسين، فقرع دماغَهُ، فما الذي يحملني على الإبقاء عليكن؟

قالت: فليسعنا عفوكم، قال: أما هذا فنعم، وإن أحْببت زوجتك ابني الفضل، قالت: وأيّ حين عرسٍ هذا؟ بل تُلْحقنا بحرّان، فحملهنّ إليها مكرماتٍ، فلما دخَلْنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء، قلت: وهيهات البكاء، والبكاء لا يرد الفائت، ولا ينقع الغليل، فأُفٍّ للدنيا، وتبّاً لخدع الغرور، مرّت ببني مروان، ونَسَفَت ملك آل أبي سفيان، وخضّبت دماً شيب عثمان، وفَعَلَتْ ببني أُميّة ما فَعَلَتْ، وتَفْعَل بسائر أبناء الزمان.

وإذا انتهينا إلى آخر دولتهم التي لم يبق لهم بعدها إلا ما برقَتْ لهم به بارقةُ بالأندلس، فنقول وبالله التوفيق:

ثم كانت:

الدولة الأموية بالأندلس

نهض غدها وهو عاثر، ونُظم عِقدها وهو متناثر، وأضاء خَلَلَ الرماد لها وميض جمرٍ، وأطلّ لها نُهوضُ أمْرٍ، وذلك بدخول عبد الرحمن بن عبد الله[٣] بن هشام الى

---

(١) عامر بن اسماعيل بن نافع أحد بني مسيلة بن عامر، كان على مقدمة صالح بن علي فحارب عامر مروان ببوصير فقتله، انظر انساب الاشراف ٧/ ١٥٣.

(٢) انظر الخبر في مروج الذهب ٢/ ١٩٤ وكامل ابن الاثير ٤/ ٢٣٢.

(٣) كذا في الاصل، والصواب معاوية، وانظر خبر دخوله الأندلس وتأسيس الدولة الاموية فيها: كامل ابن الاثير ٤/ ٣٦٠ والتنبيه والاشراف ص٢٨٦.

الاندلس، مُصمما كالمشير في العضب، متمماً رقى ذلك الهضَب، بِهمّةٍ لو قذف بها البحر لما عبَّ زاخرهُ، أو الفلك لما دارت دوائِره، وَوَجَدَ بالأُفق الغربي مواليه، ومَنْ مر النسب العربي من يواليه، مَنْ صَدَمَ بهم صدور الخيل الشزَّب حتى أدفأ صدور الرجال العزّب، واحتبى النصر /٣٠٦/ تبرق أسِرَّته، وتُحدق مسرّتهُ، وتعبق بأطراف الأسنّة رائحته، وتعلق بأطراف الأعنّة بساتينه، واقتطع من المعمورة ذلك الاقليم الجليل، وصيَّره له دار خلافةٍ طالت ذوائبها، وصالَتْ كتائبها، ودان له أهل تلك الجهة وذلَّت له مناكبها، وظلّت تقدم لها منابرها، ويُعلن باسمه خاطبها خلافة ابتزّها من بني العباس قهراً بالأيْد، وقسْراً بالكيْد، ونصراً لم تحتج الى سُلّم ولم يحتج الى زيد ولا عمرو، أَخَذَهَا غَصْباً من أفواههم الفاغرة، ونهباً من أيديهم وأعناقهم صاغرة، بعزائم ما فلّت السيوف ضرابها، ولا ملَّتْ السيول غلابها، حتى اجتمعت له دائرتها، وارتفعتْ به نائرتها، وخَشَعَتْ الدولة العباسية خوفاً لا تهبْ الدولة الأموية وتثور ثائرتها.

وها أنا أذكر هذه الدولة ما زخَرَ به في الاندلس بحرها، وفَخَرَ بما تحلّى بهِ مآثرهم نحرُها، وأوّلها الباني لها وموج المنايا حولها متلاطم، وفوج الرزايا ببابها متزاحِم المنقضّ بأفقها عقابه القشعم، المنبت بأرضها شجاعَهُ الأرقم.

هي:

[١]

دولة عبد الرحمن(١) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل الحق المطرّف، رجل العالَمْ وبطل بني آدم، خَلَص من لهوات

---

(١) عبد الرحمن الداخل، صقر قريش، أبو المطرف، ولد بالشام سنة ١١٣هـ، هرب الى المغرب لما لجّ العباسيون بقتل الأمويين، وطلبه أمير افريقيا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فانتقل الى مكناسة، ثم أقام بمنازل نفزاوة فكاتب الامويين بالاندلس ودعاهم الى نفسه وبعث إليهم بدلاً مولاه فأجابوه، وأرسلوا إليه مركباً عاد به الى الاندلس سنة ١٣٨هـ وانتقل الى اشبيلية ثم قرطبة فقاتله يوسف بن عبد الرحمن، فغلبه الداخل وقتله، استقر أمره في قرطبة فبنى بها قصراً ومساجد وخطب للمنصور مرة، ثم قطع الخطبة، وكان عبد الرحمن من رجال العالم حزماً وعزماً ودهاءً وإقداماً، توفي بقرطبة سنة ١٧٠هـ.
انظر: جذوة المقتبس ص٨ وكامل ابن الاثير ٤/ ٣٦ والتنبيه والاشراف ص٢٨٦ ونفح الطيب ١/ ١٥٥ والبيان المغرب ٥/ ٣٨ والحلة السيراء ص٥٣.

القواضب وهفوات العدوّ المغاضب، وعبر الفرات يشقّها عوماً بذراعِهِ، ثم الفلاة يقطعها فرداً من أصحابهِ وأتباعِهِ، حتى أتى المغرب، وبَلَغَهُ اختلاف المضريّة واليمانية بالأندلس، فبعث بدراً مولاه ليستميل أي الفريقين والاه، فأتى اليمانية إثر نوبةٍ كانت للمضريّة عليهم، فاستمالهم ووعدهم عنه ومنى آمالهم، ولما أراد الحرب عقد نقيبه عبد الله بن خالد لواءه، وكان أبوه خالد عقد لواء مروان بن الحكم يوم المرج[١] فكشف لأواءه، فتيمّن بتلك النقيبة، ولهذا خص بعقد اللواء نقيبه، وخرج يوسف[٢] بن عبد الرحمن فيمن بقي من طاعتِهِ، ووقى باس التفرق من جماعتِهِ، وكان الزمان ربيعاً /٣٠٧/ لرجاء إثر جدبٍ ما مرَّ النسيم على مخلصه، ولا رَمَّ شَعَثَ الناس إلاّ ما كل نَقْله، وسارا على نهر اشبيلية كل منهما على ضَفة منه، ثم تقابلا مقابلة تكاد تكون اجتماعاً وتراسلاً لا لشيء إلاّ خداعاً، وكان ذلك يوم عرفة فبات يوسف بن عبد الرحمن همّه ذبح الجزر ونهبة الطعام، وعبد الرحمن الداخل همُّه في تسوية الصفوف وإثارة القتام، فلما أصبح يوم الأضحى جازت خيل عبد الرحمن النهر، وجادت بالحديد مثقلة الظهر، وتناوش الفريقان الحرب يشبعون شعب رماحهم ويهيجون سَغَبَ صفاحهم، وكان عبد الرحمن على فرسٍ سابق، فخاف أهل معسكره ان ينهزم[٣]، وجاء من كان له يتهم، وقالوا: شابٌ غرّ وتحته فرسٌ يرمي به المرامي، نخاف إن عضّتنا الحرب أن يطير عليه على بعض الموامي فلما نُميَ إليه هذا الخبر، استدعى بغلاً أشهب كان معه وركب عليه، لا يفارق موضعه فاطمأنّوا الى الثبات، وارجحنّوا كالجبال لولا الوثَبات، فانهزم يوسف هزيمةً لم يُر بعدها جداً مُقْبِلاً، ولا حَدّاً إلا مفلَّلاً، وَدَخَل الداخل قرطبة، وحلّ بها صدر المرتبة، ثم كان آخر أمر يوسف بن عبد الرحمن مع عبد الرحمن إنه انتظم في جُنْدِهِ، وارتطم بالأرض خضوعاً تحت بندِهِ.

---

(١) يريد وقعة مرج راهط التي كانت لمروان بن الحكم على الضحاك بن قيس سنة ٦٤هـ، وقد مرّ ذكرها.

(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، اختارته القبائل العربية بالاندلس بعد اضطراب أمر الامويين بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وتفاقم الامر بين المضرية واليمانية بافريقية والاندلس، فاستقر الرأي تقديمه باعتباره قرشياً يجمع الكلمة الى أن تستقر الامور بالشام، واستمرت امارته الى سنة ١٣٨هـ أي بعد ذهاب دولة الامويين ودخول عبد الرحمن الداخل، فحاربه يوسف فهزم واستولى عبد الرحمن على قرطبة، وبقي يوسف متردداً في البلاد فقتله بعض أصحابه سنة ١٤٢هـ.
انظر: جذوة المقتبس ص٨ وكامل ابن الاثير ٤/ ٣٦٤ والتنبيه والاشراف ص٢٨٧.

(٣) في الاصل: لا ينهزم، وانظر الخبر في اخبار مجموعة في فتح الاندلس، وذكر امرائها ص٨٩.

قال صاحب المقتبس[١]: ولما كان يوم المصارة[٢] واستحرّ القتل، مشى العلاء بن جابر العقيلي الى الصميل بن حاتم[٣]، وكلاهما من عسكر يوسف بن عبد الرحمن فقال له: يا أبا جوشن، اتق الله، فوالله ما أُشبِّه هذا اليوم إلاّ بيوم المرج، وإن عار ذلك لباقٍ علينا الى اليوم، وإن الأمور ليهتدي إليها بالأشباه والأمثال، أموي وفهري وقيس ويمن، ووزير الفهري ذلك اليوم قيسي وهو زفر بن الحارث، ووزير هذا اليوم أنت وأنت قيسي، ويوم عيد في يوم جمعة ويوم المرج يوم عيدٍ في يوم جمعة، الأمر والله علينا ما أشكُّ فيه، فاتق الله واغتنم بنا تلافيه، فلم يفد كلامه، وفي هذه الوقعة يقول ابن السنبسيّة: [من الكامل]

أهداك ربّك رحمة لعباده ... لما تضرَّمَت البلاد وقودا

/٣٠٨/ فسبقت أطراف الأسنّة في العدى ... حتى دوين فما يرون مزيدا

والخيل تعثر في القنا وكأنّما ... فوق السنابك إذْ حنين قيودا

والمشرفيّة لن تبيد صقالها ... مثلُ الكواكب يتّقدْنَ وقودا

حتّى أطِرْن جماجماً مكنونةً ... تحت المغافر فانكفأنَ سجودا

كان عبد الرحمن يدعو لأبي جعفر المنصور حتى دخل الأندلس عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم[٤] ووافى عبد الرحمن فآواه وعزّزه وكرّم مثواه، فلما حَضَرَ معه الجمعة وسمع الدعاء لأبي جعفر أنكره وقال: إن من الحكم جهلاً، وأيّ هوادة

---

(١) صاحب المقتبس هو ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، من أهل قرطبة، ولد سنة ٣٧٧هـ وتوفي سنة ٤٦٩هـ، وله: المقتبس من أبناء أهل الاندلس، في عشرة أسفار، عثر البروفسور الفرنسي بروفنسال على قطعة منها ونشرها، وأخرى عثر عليها الراهب الاسباني الأب ملنشور أنطونيا ونشرها في باريس، وثالثة قام بنشرها الاستاذ عبد الرحمن حجي في بيروت، وأخرى حققها ونشرها د. محمود علي مكي في القاهرة سنة ١٩٧١ وانظر ترجمة ابن حيان في الوافي ١٣/ ٢٢٤، ووفيات الاعيان ١/ ٤٥٧ وجذوة المقتبس ١٨٨ والبداية والنهاية ١٢/ ١١٧ والصلة لابن بشكوال ١/ ١٥٠ وانظر مقدمة نشرة الدكتور محمود علي مكي.

(٢) المصارة، من الالفاظ التي اختصت بها الاندلس وهو يعني الفضاء الفسيح الواقع خارج المدينة والذي يعد من منتزهاتها، ولم تكن مدينة اندلسية تخلو من مصارة يخرج إليها الناس في أيام الأعياد للترويح والنزهة، والمصارة هنا مصارة قرطبة التي حدثت بها المعركة بين الداخل ويوسف الفهري.

(٣) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي، شيخ المضرية بالاندلس قدمها في امداد الشام أيام الامويين، فرأس بها، وأساء إليه عاملها أبو الخطار فثار أصحابه وقبضوا على أبي الخطار وولّوا غيره، ولما قدم عبد الرحمن الاندلس انحاز الى يوسف الفهري، مات في السجن سنة ١٤٢هـ.
انظر: الحلة السيراء ص١٤٢ واخبار مجموعة ص١٠١.

(٤) انظر خبره في كامل ابن الاثير ٥/ ٨٤.

بيننا وبين هؤلاء، عدوا علينا، ولم يرقبوا إلاّ ولا ذمّة، واستحلّوا منا كلّ حرمة، وأخرجونا من أرض الله الواسعة فألجأوا فلّنا الى هذه القاصية الشاسعة، ثم هانحن الآن نساترهم فيها، ونمدّ لهم خيط باطلهم بالدعاء لهم، أُعطي الله عهداً لئن لم تحوّل الدعوة لهم الى البراءة منهم لانقلبنّ على وجهي مبادراً في هذه الأرض العريضة، وقد كان من هوى عبد الرحمن الداخل إلاّ أنّه آثر الأناة الى أن استضاء برأي ابن عمِّهِ، فترك الخطبة لأبي جعفر، وتفرّد بالدعاء لنفسه وذلك بعد سنة من دخولِهِ الأندلس.

ثم شرع في تَعْظيم قرطبة، فجدّد مغانيها، وشيّد مبانيها وحصّنها بالسور حتى أشرف بناؤه، وابتنىٰ بها قصر الإمارة والمسجد الجامع وكان سلف المسلمين قد اقتصروا عند افتتاحهم لقرطبة حتى اتخاذهم مسجدهم الجامع فيما خصّهم من شطر الكنيسة العظمىٰ بها المعروفة بشنت بحيث كما كان بدمشق، ودام الأمر على هذا التهالك الولاة بالأندلس على الامارة وهواهم في ضلال الشحناء الى أن جمع شتاتهم عبد الرحمن الداخل، وسَمَت نفسُهُ الى ما تسموا إليه أنفس الخلفاء فصالح النصارى على شطرهم بمواضع مما كان أخذه بالعنوة من كنائسهم، وذلك سنة تسع وستين ومائة، ثم لما وسَّعَ فناءه ووسَّع بناءه تخطى بنظره الى مساجد الكور بالأندلس، ثم ابتنى منية الرصافة متنزّهاً له تشبُّها /٣٠٩/ بجدّه هشام، واتخذها قصراً حسناً ودحا بها جناناً واسعةً نقلَ إليها غرائب الغراس، وأكارم الشجر من كلّ ناحية مما أتت به رسله من الشام، فمثلت أشجاراً معتمةً أثمرت بغرائب الفواكه وعجائب الثمرات، ورأى أوّل ما نزل هذه الرصافة نخلةً فذّةً ذكرته باغترابها غربتة وانثنائها عن أشباهها أحبّته، فقال[1]:

[من الطويل]

تَبَدَّت لنا وسط الرصافةِ نخلةٌ ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلتُ شبيهي بالتغرّب والنوى ... وطول انثنائي عن بنيّ وعن أهلي

نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتكِ غوادي المزن من صوبها الذي ... يسحُّ ويستمري السماكين بالوبل

---

(١) الابيات في كامل ابن الاثير ٥/ ٨٤ ومعجم البلدان ـ الرصافة.

وحكى صاحب المقتبس ما معناه: ان عبد الرحمن الداخل في سنة ثلاث وستين ومائة أشاع الرحيل الى الشام لانتزاعها من يد الدولة العباسية وإدراك ثأره، وذكر إن كُتب جماعة ممن بها من أهل بيته ومواليه وشيعته توالت عليه بضعف المسودّة وفتور فورتهم وثقل ذلّتهم على الناس، فعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفةٍ ويذهب بعامة من أطاعه ويحمل من ضروب المماليك أربعين ألفاً، فاختُرِم دون ذلك[١].

وتوفى يوم الثلاثاء لستّةٍ بقين من ربيع الآخر سنة سبعين ومائة[٢] وهو ابن سبعٍ وخمسين سنة وأربعة أشهر، ومولده قريب تدمر من الشام سنة ثلاث عشرة ومائة، ولبث من يوم بويع الى أن مات ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، ودُفن في القصر وصلى عليه ابنه عبد الله بن عبد الرحمن المولود ببلنسية، وكان يقال له صقر قريش، وكان أصهب خفيف العارضين، بوجهه خال، طويل القامة، نحيف الجسم له ضفيرتان.

وحكى الحافظ: إنه كان أخشم لا يشمُّ رائحة.

[٢]

دولة ابنه هشام[٣] بن عبد الرحمن، /٣١٠/ أبي الوليد

ولد بالأندلس، ووجد أبوه به الأنس، وكان يفضِّله على ولده الاكبر سليمان، وكان سليمان ممن ولد بالشام وقدم الشام[٤] إلاّ أنه لم يطال همة هشام، ولما مات أبوه عبد الرحمن حتى ذكره، وحُني من ورق الحديد الأخضر نصره، ونازعه أخواه فلم يجدا في قوسه منزعاً، ولا في قولِهِ الفصل مطمعاً حتى أتاه الأمر طائعاً، ووافاه سرير الملك، وقَدْ مَدَّ عُنَقَهُ خاضعاً، واستهلّ ذلك الجوّ سجاياً روى الأوام، واستقلَّ في ذلك الأُفق بدراً ينجاب عنه الظلام، وجَرَتْ له أمور، ووجبت عليه نذور لموافقة السعادة لمراده، ومؤازرة النصر لامداده، ومساورة الصواب لنجوى

---

(١) انظر الخبر في كامل ابن الاثير ٥/ ٦٣ وفيه: فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصاري بسرقسطة واشتد أمرهما فترك ما كان عزم عليه.

(٢) في كامل ابن الاثير ٥/ ٨٣ انه مات سنة ١٧٤ هـ وقيل سنة اثنتين وسبعين وهو أصح.

(٣) هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ثاني امراء الدولة الاموية بالاندلس ولد بقرطبة، وولاه ابوه ماردة، وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ١٧٢هـ ولم يكن أكبر إخوته، وكان حسن السيرة وصف بالعدل والشجاعة، توفي بقرطبة سنة ١٨٠هـ انظر: كامل ابن الاثير ١٠١/٥ وأخبار مجموعة ص١٢٠ والبيان المغرب ٢/ ٦١ ونفح الطيب ١/ ١٥٨ وجذوة المقتبس ص١٠.

(٤) كذا في الاصل، ولعله أراد: وقدم الاندلس.

فؤاده، فكان لا ينقض إبرامه مريرته، ولا ينقل مرامه عن الحسنى سريرته، فكان يُعَدُّ من خير أملاكهم حظاً سعيداً، ولفظاً سديداً، تسع الدنيا همة العوال ويجمع النعماء بعض ما يهبه من النوال، وكان على هذا كلّه تقي الورع، نقيّ المجتمع، لا تحضر مجلسَهُ الغيبة، ولا تحلّ ملبسة الريبة، مع رأي أسدَّ من السهم نفاذاً، وأشدّ من الوهم بالضمير ملاذاً، وكان أبوه عبد الرحمن يحضره مشورته، وينظره من الرأي صورته، وربما تكلّم بين يدي أبيه فقال صوابا وقاس الأمور على أشْباهها فبرع جوابا، ولهذا كان أبوه يقدّمه ويثقّفه تثقيف السمهري ويقوّمهُ، ويؤاخذه في الأمور، وما يريد إلاّ أنه يبصره ويُفهمه.

حكى صاحب المقتبس ما مضمونه: إنه كان عند وفاة أبيه عبد الرحمن بمدينة ماردة[١]، وكان أخوه بمدينة طليطلة، وكان أخوهما عبد الله البلنسي حاضراً بقرطبة، فشهد موت أبيه دونهما، وشدَّ الأمر بعده، وبادر بالكتابة لأخيه هشام يُعلمه أن أباه مات وعهد إليه وحَثَّه على البدار نحوه، فخرج من فورِهِ الى قرطبة، وتسلّم الملك، وبويع على الامارة، وكان أوّل مَنْ بايَعُهُ أخوه عبد الله على زغلٍ نواه وغِلّ بين جوانحِهِ طواه.

وحكى محمد بن حفص: انه لما انكشف وجه هشام من غمّة حروبه مع أخويه سليمان وعبد الله[٢] / ٣١١/ صَفَتْ له الأندلس جمعاً، واجتمع له طاعة أهلها طرّاً، وكانت يومئذ أكثر ما كانت، فسما لجهاد عدوّهم سموّاً استفرغ فيه وسْعَهُ، فأعطى فيهم نصراً لا كفاء له، وافتتح مدينة أربونة[٣] وبَلَغَ من تحكّمه فيهم ان اشترط على المعاهدين من أهل جلّيقية[٤] لما سألوه المسالمة نقل عددٍ من أحمال التراب من سور أربونة الى باب قرطبة، فلما أكمل نقل هذا التراب ابتنى منه مسجداً قدام باب

---

(١) ماردة: وفي الاصل باردة وهو تصحيف، تقع ماردة في غرب الاندلس عن بعد نحو مائتي كيلو متر الى شمال اشبيلية.
انظر الروض المعطار ص٣١٨ والمقتبس هامش رقم ١٩٢.

(٢) خرج سليمان وعبد الله المعروف بالبلنسي على أخيهما هشام بطليطلة سنة ١٧٣هـ، فحاصرها هشام، فاستسلم عبد الله، وهرب سليمان الى بلنسية، ثم اصطلحا على أن يخرج سليمان بأهله ويفارق الأندلس، انظر الكامل ٥/ ٨٦.

(٣) أربونة: بلد في طرف الثغر من أرض الاندلس، انظر: ياقوت ـ أربونة والروض المعطاء ص٢٤.

(٤) جليقية: ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الاندلس في أقصاه من جهة الغرب (ياقوت ـ جليقية) والروض المعطار ص١٦٩.

الجنان[١]، وهو الذي كان يصلّي فيه مَنْ حَضَر باب السلطان.

قلت: وأربونة كانت فتحت قبل هذا الفتح، ودامت بأيدي بلاد الاسلام حتى عبد الرحمن الداخل، وأُقر عليها عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عامل يوسف بن عبد الرحمن الفهري، ثم غلب عليها العدو، واجتذبها من يد الاسلام، الى أن فُتحت هذا الفتح.

وحكى محمد بن[٢] عمر بن القوطية كلاماً معناه: أن هشاماً سأل الضبي[٣] المنجّم عما تقتضيه النجامة من أمرِهِ، وكان الضبي بطليموس عصره حِذْقاً وإصابةً، فسأله الإعفاء، فلم يُجِبْهُ، فلما لم يجد بُدّاً من إخباره قال له: نعم أصلح الله الأمير، سوف يستقرّ ملكك سعيداً، وحدّك لمن ناوأك إلاّ ان مدّتك تكون ثمانية أعوام، فأطرق هشام ساعةً ثم رفع رأسه وقال: يا ضبي ما أخوفني أن يكون النذير كلّمني بلسانك ثم والله لو كانت المدة كانت في سجدة واحدة لله لقلّت طاعة له، وَوَصَل الضبي وصرفه.

ثم شمّر هشام للعمل لمعادِهِ، وضمَّر بطنه لتحصيل زاده حتى مضى وهو على جهاده، وكانت وفاته بمرض سوداوي لحقه ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من صفر سنة ثمانين ومائة، وكان ابن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، لبث بها خليفة سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام.

وكان أبيض مشربةً حُمرةً، بعينيه حَوَل.

وقال بكر الكناني يرثيه: [من الطويل]

لقد فجع الاسلام موت هشام ... نجيب قرومٍ مُنْجِبين كرام

هشام لعمري كان للدين راعياً ... بعين مراعاةٍ وحدّ حسام

/٣١٢/ إذا صال كان الليث يحمى عرينَهُ ... وغيثاً إذا ما كان يوم سلام

---

(١) باب الجنان: من أبواب قصر قرطبة الجنوبية، وهو يطل على نهر الوادي الكبير، انظر: المقتبس هامش رقم (٧٥).

(٢) ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن مزاحم، المعروف بابن القوطية، اشبيلي الاصل، كان جده الاعلى مولى لعمر بن عبد العزيز بن مروان، من العلماء بالنحو واللغة وله في ذلك كتب بقي بعضها، ومن كتبه (تاريخ افتتاح الاندلس) حققه باسكواك دي جايا نجوس، ونشره خوليان ريبيرا مع ترجمة اسبانية في مدريد سنة ١٩٢٦، توفي سنة ٣٦٧.
انظر: تاريخ علماء الاندلس رقم ١٣١٦، وجذوة المقتبس رقم ١١١ ونفح الطيب ٤/ ٧٣.

(٣) كذا في الاصل، ولعله أراد عبد الله بن الشمر بن نمير القوطي منجم عبد الرحمن بن الحكم ونديمة.

دولة

[٣]
ابنه الحكم[١] بن هشام الربضي[٢]

وكان حميّ الأنف عزماً يتوقّد صرامة، (إلي الابق غدا)[٣] لا يستسهل مراحه. لا يُستلان له جانب. ولا يُستهان به الأدهياء أو مقانب، بصوارم فلَّلَتْ الصفوف[٤] ومكارم قلَّلَت الألوف. فما أتاه جَمْعُ عدوٍّ ولامالٍ إلاّ فرّقَةُ. ولا قاواه جَلْدْ وطيش ولا لبس الاّ مزَّقَهُ، وسعد جَدُّهُ المقبِل، وصعد رفدة على الغمام المسْبِل: ولم يبق له معاند إلاّ احترق بنارِهِ أوْ صادَف جدوله فَغرِق في تيّاره، في عدة نَوب عدمت البصيرة فيها حذارها، ثم قدمت السهامُ لها إنذارها. ثم أقدمت السيوف وأبلت فيها أعذارها وخَفَقَتْ فيها أعلامها الأمويه، يرنّحها التأييد، ويصحبهاالنصر مستطيراً من برق الحديد، في حروبٍ منها ما باشَرَهُ، ومنها ما قعد عنه، وعُقِدَ له لواء لم يكن سواه ناشرُهَ،فما عادت عساكره إلاّ وقد شفت مناه، وكفت همَّة ما عناه، حتى أوْدَعَ بطون الثرى أعْداءه، وودع القيام في استقى لمنابت الرماح أنداءه.

وصفا له الأندلس من شوائب الأعداد ونوائب الإعداد للأعداء. واستقرّ سريرهُ لايُقَلْقَل له إلاّ في دور ملكه مضجع، ولا يقلّب له إلاّ بين جواريه ذِهابٌ أو مرجع، واستوفد اكرامَهُ طوائف العلماء، واستبيح كرمه قرائح الشعراء، فغصَّت أبوابهُ بالوفود. وقصَّت أجنحة زوّراه وماقصَّها سوى الجود، وكان أوّل أمويّ باحَ في الأندلس بمكنون سِرِّهِ ومضمون ماكان يُلَجْلَجُ في فكره، ولم يخش دولة بني العباس أن ترمي إليه مُدنها، أو ترسي عليه سفنها، وما راعَهُ سواد ذلك العلم، ولا أقْلَقَهُ تشكّي ذلك الألم، ولا خاف أن يُصيبه من العراق سهم، أصاب ورامیه بذي سلم[٥] كل هذا مع

(١) الحكم الربضي ثالث سلاطين بني أمية انظر ترجمته في البيان والمغرب ٢/ ٧٠ والحلة السيراء وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢٥ والنفح ١/ ٢١٩ والمغرب في حلى المغرب ١/ ٣٨ وأحبار مجموعة ص١٢٤ وجدوة المقتبس ص١٠ وكامل ابن الأثيره/ ١٠١.

(٢) في الأصل: المرتضى، وهو تحريف: والربضي نسبة إلى الربض محلّة متصلة بقصره. خرج عليه أهلها. وأوقع بهم فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم قسمي الحكم الربضي، وسيأتي ذكر ذلك.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل: فللت الصوف.

(٥) تضمين لقول الشريف الرضي:

سهم أصاب ورامیه بذي سَلَمِ ... من باالعراق لقد أبعدتِ مرماكِ

بصيرةٍ بالعواقب. كأنما ناجته بما يكون، وسريرة لا تراقب إلاّ مالم يألف من السكون، لكن الأقدار ما أسْعفَتْهُ بتمام هذا الأمل لا ولا /٣١٣/ كحّلَت له الأمر، ومن ذا الذي تمَّ أمْرُهُ أو كمل.

وكان ذا دولةٍ خَدَمتها الأكابر، وما منهم إلاّ من أُغدق كرمَهُ وشرق وغرّب مدحه.

فمنهم عبد العزيز بن أبي عبدة[1] وفيه يقول بكر بن قيس: [من الطويل]

أَلِكْني إلى عبد العزيز أخي الندا ... ثناءً وقولاً قلْته متعرّقا
لعمري لنعم المستغاث وجدته ... لَدُنْ جئت صفراً من المال مُمْلِقا
لأضحى وزيراً للخليفة حاجباً ... ترى رأيه إذا قال صَدِّقا
فهذا يرى وجه النصيحة قوله ... وهذا يرى وجه النصيحة موثقا
لفازت لبثوا حسان منه بسابقٍ ... هنيئاً مريئاً أن يفوز ويسبقا

ومنهم: عبد الكريم[2] بن مغيث، وهو الذي امن طليطلة، وبذله لأهلها مع القدرة من غير مسألة، إلا إنه اشترط عليهم شروطاً خافوا منها العنت لكتابِ جاءه من الحكم جارية فيما احتكم، وفيه يقول غربيب بن عبد الله: [من البسيط]

يا فارس الناس في الهيجا ومعقلهم ... هنّاك ربك ما أعطى وأوْلاكا
حفظتَ في نسْلِهِ قيساً وحطّتهم ... كأن قيساً بنا إذْ مات أوْ صاكا
إن كان سرّك ما جاء البريد بهِ ... فلا لعمر أبي ماسرّ ناداكا
بَلْ سرّنا منك نعماءٌ بدأت بها ... ماكان ضرَّك لو أتممت نعماكا

وفي أيامه في سنة سبع وتسعين ومائة، كانت الشدة التي عمّت أرض الأندلس أجمعها ومات منها اكثر الخلق واجْتاز بعضهم البحر إلى ارض العدوة لانتجاع خصبها وارتجاع ما فاتها بأرض الأندلس من جَدْبِها.

---

(١) هكذا ورد اسمه في المغرب ١/ ٤٤ وهو في المقتبس تحقيق د. محمود علي مكي) ص١٦٨ عبد العزيز بن هاشم الملقب سُعاد قال ابن سعيد انه حجب للأمير عبد الرحمن بعد عبد الكريم بن عبد الواحد، وقال ابن حبان: إنه من وزرائه.

(٢) هو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من وزراء عبد الرحمن، دخل جدّه مغيث بن الحارث الاندلس مع طارق بن زياد وحجب ابوه عبد الواحد لعبد الرحمن الداخل ثم لهشام ابنه، رولي عبد الكريم كورة جيان وقاد يعض الغزوات وولي سرقسطه وتطيلة رشفه، وغزا بلاد البه والبشكنس. وأخمد ثورة الربض سنة ٢٠٢هـ توفي سنته ٢٠٩هـ انظر الحلة السيراء ١/ ١٣٥ والبيان المغرب ٢/ ٤٨ والمغرب ١/ ٤٠، ٤٤، ٥٠.

قال صاحب المقتبس: وكان المقلّون يطوفون الايام دون تعلل بطعام.

وفي سنة اثنتين ومائتين. كانت الوقعة العظمى بقرطبة، وهي المعروفة بوقعة الربض[١]، وهي نوبة كانت من أهل قرطبة، هاجوها يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شهر رمضان غبّ أحقاد حملوها على الحكم بن هشام فحملوا السلاح بغتةً وَزَحَفُوا إلى قَصْرِهِ جملةً فلم يتزحزح عن سريره وإنما بعث مواليه وأهل ولائه فقاتلوهم /٣١٤/ حتى هزموهم، واستمروا بالطلب لهم ولزموهم وأمسك منهم خلْقاً كثيرة وصَلَب منهم ثلثمائة رجل صفوفاً أمام قصرِهِ، وأعْظَم فيهم الحادثة، وأفشىٰ المثلة، ثم أَمَرَ بالكف ونادى فيهم بالجلاء فتفرّقوا في بلاد الأندلس أيدي سبأ، وعَبرَ إلى بر العودة منهم فلّ مَمّن لا قتل ولا سبى.

وقال الحكم في ذلك[٢]: [من الطويل]

رأبْت صُدُوع الأرض بالسيْف راقعا ... وقدماً لأمْتُ الشِّعْب مُذْ كنت يافعا

فسائل ثُغُوري هلْ بها اليوم ثَغْرَةْ ... أُبادِرُها مُسْتَنْضِي السيف دارِعَا

وسائل[٣] على الأرض الفضاء جماجماً ... كأحقافِ شِرْبان الهبيد[٤] لوامعا

تنبيك أني لم أكنْ في قِراعِهِمْ ... بوانٍ وقدماً[٥] كنت بالسيف فارعا

واني إذا حادوا جزاعاً[٦] عن الرِّدى ... فما كنتُ ذا حَيْدٍ عن الموتِ جازِعا

حَميتُ ذماري فاستبحتُ ذِمارهم ... ومَنْ لا يحامي ظل خَزْيان ضارِعا

ولما تساقينا سجال[٧] حروبنا ... سقيتهُم سَجْلاً من الموت ناقعا

وهلْ زدْتُ أنْ وفّيتهم صاع قرْضِهِم ... فلاقوا منايا قُدِّرت ومصارعا

فهاك سلاحي أنني قد جعلتها[٨] ... مهاداً ولم أترك عليها منازعا

---

(١) انظر عن وقعة الربض: المغرب في حلى المغرب ١/ ٤٢ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ص١٣٠ وجذوة المقتبس ص١٠ وكامل ابن الأثير ٥/ ١٧٢.

(٢) الأبيات في المغرب ١/ ٤٤ وأخبار مجموعة ص١٣٢ وأبيات منها في نفح الطيب ١/ ٢٢٠.

(٣) في المغرب وأخبار مجموعة فشافه.

(٤) الهبيد: الحنظل.

(٥) المغرب: والي.

(٦) المغرب: سراعاً.

(٧) المغرب: نهال.

(٨) في اخبار مجموعة: فهاك بلاءي انني قد توكتها.

وحكى عامر بن المثنى النحوي[١] المؤدب قال: قدم علينا بعد الوقعة عباس[٢] بن ناصح قرطبة أيام عبد الرحمن بن الحكم، فاستنشدني شعر الحكم بن هشام في الهيج فأنشدته إياه: فلما بَلَغْتُ قوله: وهل زدت فيهم أن وفيتهم صاع قرضهم.. البيت قال عباس: لو أن الحكم حُوجيَ للخصومة بينه وبين أهل الربض لقام بعذره هذا البيت.

وقال أبو بكر بن القوطيّة: لم يتملّ الحكم حلاوة العيش بعد وقعة الربض وامتحن بعلّة صعبةً طاوَلَتْهُ أربعة أعوام في آخر عمره فلّت عزمه وأطالت ضناه، واحتجب فيها آخر مدّته: واستناب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه، فمات أسيفاً على توبة من ذنوبه، وندم على ما اقترف، وعرضت له رقة شديدة ألانَتْ صلابته، وطفق يكثر الذكر، ويفرغ إلى استقراء القرآن ويأنس بالتلاوة إلى أن مات على حاله تلك / ٣١٥/ فكانوا يرجون له خيراً.

ولما أحَسَّ بدنوّ المنيّة عهد إلى ولديه عبد الرحمن والمغيرة عهداً أشهد عليه الأشهاد، ثم نزل المغيرة لأخيه عبد الرحمن عن طيب نفس وإذعان، ونقل الحكم ابنه عبد الرحمن إلى القصر، وقام بالاحكام معه ودونه.

وأوّل ما أحدثه وأبوه الحكم حيّ أن صلب ربيع بن ندار رأس النصارى بقرطبة، وكان جديراً بالصلب والمثلة لسوء أثره في المسلمين.

فقال في ذلك عبد الله بن الشمر النديم[٣]: [من الرمل]

يا ولي الامر من بعد الحكمْ ... بك جاد الصنع للخلق وتمْ

خُذْ بشكرٍ نعمة الله التي ... هي من خير العطايا والقِسم

واشكر الله على نعمته ... أن في الشكر مزيداً للنعم

فلقد قربت قرباناً به ... تلج الفردوس من طاغي العجم

كافراً سلّمه أشياعُهُ ... وبه حلّت من الله النّقم

(١) في أخبار مجموعة ص١٣٣: عثمان بن المثنى القيسي القرطبي رحل إلى المشرق ولقي جماعة من أهل اللغة ورواه الغريب وقرأ على أبي تمام ديوان شعره توفي سنة ٢٧٣هـ. انظر: المغرب ١/ ١١٢ وبغية الوعاة ص٣٢٤.

(٢) عباس بن ناصح: أبو العلاء الجزيري الثقفي الأندلسي لغوي وشاعر محسن ولي القضاء في الجزيرة مع شذونة. توفي بعد٢٣٠هـ. انظر الوافي بالوفيات ١٦/ ٦٤٤ ونفح الطيب (انظر الفهرس).

(٣) عبد الله الشمر بن نمير القرطبي، منجم عبد الرحمن بن الحكم ونديمه، انظر: المغرب في حلى المغرب ١/ ١٢٤.

ثم تخلّى له أبوه الحكم عن النظر في أمور الخلافة، واراد أن يُخلى له قصر الامارة، فأبى ابن عبد الرحمن وقال: بل اكتفي بالقعود على باب السُّدة مقعد صاحب المدينة، فاستحسن رأيه، وبدأ بتغيير المنكر، وأمر بهدم الفندق السلطاني المعد لبيع الخمور وسكن المومسات الخواطىء، فهدمت بنيته وصُبّت أشربته، وكُسرت آنيتُه، وخُليت من العواهر أفنيتُهُ، فضجّ الناس بالدعاء له، وعَلَتْ أصْواتهم حتى سمعها الحكم، فارتاع وسئل عما أوْجَبَ ضجيج الرعاع فلما أُعلم بما صنع ابنه سَكَنَ وقال هو أعلم بما صنع.

وتوفى الحكم يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ستٍ ومائتين ومولده سنة أربع وخمسين ومائة، ومدة خلافته نحو ستٍ وعشرين سنة وشهر ونصف شهر وسِنُّهُ ثلاث وخمسون سنة وصلّى عليه ابن عبد الرحمن (وكان)[1] طوالاً أشم نحيفاً لا يخضب.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

[٤]

دولة ابنه عبد الرحمن[١] بن الحكم، أبي المطرف

/ ٣١٦/ كان أثيراً عند أبيه الحكم، كثيراً مما يظهر به من الحكم، أَشْبَهَ في حكمته المأمون، وفي حرمته هارون، وتطلّب الكتب القديمة، وتطبب بها من عدوى الأفهام السقيمة، وطالع كتب الأوائل، وطالب بإقامة الدلائل، وبعث إلى العراق في طلب الكتب الحكمية، وغالى في أثمانها، ووالى في ذخائر البيوت استخراج جمانها، رغبةً في إقامة براهينها، وإدامة الوقوف على قوانينها، حتى نأى بها إلى الاندلس عن أوطانها. ورأى بالعقل أنه لا ينفذ إلاّ بسلطانها، فَغَلَبَ بحججها القاطعة، وبلغ الغاية بأنوارها الساطعة.

وكان هو أوّل من أدْخل الاندلس الحكمة بثَّها في أقطارها، وقدَّ إليها بعثها حتى جاس خلال ديارها، فأعاد عصر الأوائل جديدا، وعصر الفضائل رأد ضحى قرِيباً بعيداً، بل زاد حتى سطا بارسطاطاليس، وفلَّ افلاطون بجيش لا يفلّه الخميس، فما جاء معه أبقراط بقيراط، وبطل بطليموس فيما أحاط به علماً وما لا أحاط، فذكت قريحته، وزَكت صيحته، وكان أبوه الحكم لما سمع كلامه في هذه الدقائق، وعرف مرامه في معرفته هذه الحقائق يتضاعف به سروره، ويتماثل لديه أموره، لهذا انتعش لديه حظه من خاطِرِهِ، وجاد أفقه صوب ماطِرِهِ، فكان لا يبرح يحبوه من الشكر بعاطِرِهِ ويجلوه في حلل اغنته عنها قطره هذا مع استقلال بجنودِهِ صاب نوؤه، وأصاب شدَد الظلام ضوؤه.

قال الرازي[٢]: عبد الرحمن بن الحكم، أول من فخم الملك بالأندلس من

---

(١) انظر ترجمته في المغرب ١/ ٤٥ والبيان المغرب ٢/ ٨٢ وابن خلدون ٤/ ١٢٧ والنفح ١/ ٢٢٢، والحلة السيراء ص٦١ وأخبار مجموعة ص١٣٥ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٠٣ والوافي بالوفيات ١٨/ ١٤٠ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣١.

(٢) الرازي، أحمد بن محمد بن موسى؛ اندلسي. اصله من الري. له في اخبار ملوك الأندلس وغزواتهم كتاب كبير وألف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتاباً. وله كتاب في انساب مشاهير أهل الاندلس في خمسة مجلدات فخام. توفي سنة ٣٤٤هـ انظرك جذوة المقتبس (رقم ١٧٥) والوافي بالوفيات ٨/ ١٧١ وبغية الملتمس (رقم ٣٣٠) وبغية الوعاة: ١٧٢.

خلفاء بني مروان، وكساه أُبهة الجلالة للأعمال، واستوزر الأكفاء فعظم شأنه، وكاتبته ملوك البلاد، ثم شيَّدَ القصور واتخذ المصانع وجلب الماء.

وحكى معاوية بن هشام انه كان يتشبّه بالوليد بن عبد الملك في شرف نفسه وعلاء همَّتِهِ، وفخامة سلطانِهِ ودعةِ أيّامِهِ، وما شاد من البناء، وشقَّ من الأنهار، وغرس من الأشجار. وزاد في المسجد الجامع.

وفيه قال عبد الله بن الشمر[1]: [من الطويل]

بنى مسجداً لم يُبْنَ في الأرض مثله ... وهل مثلُه في حوزة الأرض مسجدُ
/٣١٧/ له عَمَدٌ حمرٌ وخضرٌ كأنّما ... تلوح يواقيت بها وزبرجَدُ

قال الرازي: وفي أيامه أحدث بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس الطرز لأنواع الكسوة والوطاء، واستنبطت فيها الأعمال. وتدرج فيها إلى التجويد في ذلك. وقال الرازي: وفيها اتخذت بقرطبة السكّة، وقام فيها ضرب الدارهم، ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها العرب. وإنما كانوا يتعاملون بما يُحمل إليهم من دراهم أهل المشرق.

قلت: وهذا أوان صارت الأندلس مصراً، وصارت تُعد بستاناً وقصراً، وبعد أن مَضَتْ برهةٌ من الدهر لا يوصف إلا بأنه يُصفق في جنباتها النهر.

وكان عبد الرحمن أشمّ أقنى. أعْين، أسود العينين، طوالاً ضخماً. مسبلاً عظيم اللحية.

[٥]

دولة ابنه محمد[2] بن عبد الرحمن

وهي المتصرمة عن افتراق الجماعة المقسّمة في آخرها بفراق الطاعة، المسلمة من يده إلى الإضاعة المحوّله لا إلى مَنْهَلٍ عذْبٍ.

المحوّله رداها لا بمنصلٍ عضب، بل بنجوم النفاق بكل وجه، وعدم الوفاق على ماتكون به السرائر مرفهة لقضاء سبق علمه. لا لاقتضاء بسوء فعلٍ إلا أنه قسّمه، وقد كان ذا كرمٍ، غمر اليدين، وهممٍ تسع صدر الفرقدين.

---

(١) عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي مضت ترجمته.

(٢) ولي سلطنة الاندلس سنة ٢٣٨ إلى سنة ٢٧٣هـ. وانظر ترجمته وأخباره في المغرب ١/ ٥١ والبيان المغرب ٢/ ٩٦ والحلة السيراء ص ٦٤ وابن خلدون ٤/ ١٣٠ والنفح ١/ ٢٢٥ وأخبار مجموعة ص١٤١ وكامل ابن الأثير ٥/ ٢٩٢ وجذوة المقتبس ص١١.

وبصيرة ثاقبة، وسريرةٍ لله مراقبةٍ، إلاّ أنها الأقدار لا تُعاند، والأسرار لا تبيد ذممها ولا تعاهد.

استخلف يوم مات أبوهُ. ودخل القصر على ملأ من الناس وحماءٍ ممن يريد هدم ذلك الأساس. وقيل بل دخل متخفياً، ثم أصبح على السرير جالساً. ثم علا صهوة المنبر فارساً، وتولى أخذ البيعة له ابن شهيدٍ[1] لمشهدِهِ واستناب يده له عن يدِه، وقام لدية مؤمن[2] ابن سعيد منشداً: [من الطويل]

وزلـزلـهـا مـوت الإمـام وفـقـده   فـقـال لـهـا الله اسـكـني بـمـحـمـدِ
تـهـلّـل بـطـن الأرض لـمـا ثـوى بـهـا   إمام الـهـدى الـثـاوي بـهـا بـطـن مـلْـحِـدِ

/٣١٨/ ثم كان من أكثر القواد تأنياً، وأوفر لما في النفوس تمنياً، وصفا العيش في ظلٍّ خلافته. وكفى المسيء اعتذاراً فضل رأفته، وكان له في مدته الآثار الجملية والفتوح العظيمة، والعناية التامّة بمصالح المسلمين والاهتمام بالثغور وحفظ الأطراف، والتحرز من قبل البحر.

قال الرازي: كان لايجري في رتبة الوزارة جارية إلاّ عن معرفتِهِ.

قال: وهو الذي قسم مراتب أهل الخدمة، وأعْلا رتبة الوزارة، ورجح اهل الشام على أهل الأندلس. وأعلا رتبة الوزراة منهم في الجلوس. انتهى كلامه.

قال صاحب المقتبس: وزاد في توسعة الجامع بقرطبة فقال العباس[3] ابن فرناس: [من البسيط]

مـحـمـدٌ خـيـرُ مـسـتـرعـى ومـؤتـمـنٍ   لـلـمـسـلـمـين جـمـيـعاً حـيـثـمـا كـانـوا
بـنـى لـهـم مـسـجـداً جـلَّـت عـجـائـبـه   لـولا الـسـمـاء لـمـا ضـاهـاه بـنـيـان

---

(١) هو عيسى بن شهيد، صاحب عبد الرحمن، ذكره ابن حيان في المقتبس، قال نقلا عن ابن القوطية: لم يختلف أحد من شيوخ الأندلس في أنه ما خدم ملوك بني امية فيها أحد اكرم من عيسى بن شهيد عليه. ولا أكرم اصطناعاً ولا أرعى لذمة توفي سنة ٢٤٣ وانظ المغرب ١/ ٥٠.

(٢) مؤمن بن سعيد بن ابراهيم بن قيس. مولى الامير عبد الرحمن الداخل، شاعر، فحل من كبار شعراء قرطبة توفي في السجن سنة ٢٦٧هـ. وكان كثير الهجاء حتى سمي بدعبل الاندلس. وانظر: المغرب ١/ ٢٣٣ وبغية الملتمس ص٤٥٦ وجذوة المقتبس من ٣٣٠ ويتيمة الدهر ١/ ٣٧١ ونفح الطيب ٢/ ٢٥٥ و٥/ ٣٦١.

(٣) العباس بن فرناس التاكرني. وصف بأنه حكيم الاندلس، فيلسوف حاذق، شاعر محسن ، وعارف في علوم شتى، توفي سنة ٢٧٤هـ. انظر: المغرب في حلى المغرب ١/ ٣٣٣ والجذوة٣٠٠ واليتيمة ١/ ٣٦٨ وبغية الملتمس ص٤١٨ واورد له المغربي في النفح شعراً ١٠١.

قال: وكان مجبول الطباع على حب البنيان، مشغوفا بتشييد مبانيه، مبالغاً في اتقانه، سخيّاً بالإنفاق عليه، منه قصور قرطبة والرصافة ومنية كيتس. وفيها يقول أحمد[١] بن عبد ربه: [من الطويل]

ألِمّا على قصر الخليفةِ وانظرُا ... إلى منية زهراء شيدّت لأزهرا
مروّقة يستودع النجم سترها ... فتحسبه يَصغي إليها لتخبرا
بناءُ إذا ما الليل حلَّ قناعَهُ ... بدا الصبح من أعرافِهِ الشمس مُسْفرا
ترى المنية البيضاء في كلّ شارقٍ ... تَلَبَّسَ وجْه الشمس ثوباً معُصْفَرا
ودونك فانظر هل ترى من تفاوتٍ ... به أوْ رأت عيناك أحسن منظرا
تذكّر بالفردوس من كان لاهياً ... وتُلهي بالفردوس من قد تذكّرا
كأن السماء استوهبت لون أرضها ... وأنجمها من نُورِها حين نوّرا

وكان ممدحاً، وفي قال فيه عماد بن المنبي[٢]: [من الطويل]

غدا في أسارير الأمير محمد ... إمام الهدى بدرٌ وفي كفّهِ بحرُ
فلو ملَّك الله الرعيّةُ عُمْرَها ... لكان له من ذلك العُمُرِ الشطرُ
/٣١٩/ إذا ذَخر الاملاك مالاً فمالُهُ ... سوى المجد فبالمعروف كنز ولا ذخر
مهيبٌ إذا أبصرت غرّة وجهه ... تكاد له مِنْ هيبةٍ يصدع الصدرُ

وكان كثير الخروج إلى الصحراء للتنزه في نواحيها، والتوسع في سعة ضواحيها، وكان معجبا بدربد وهو مكان قتلى اشبيلية. مرجْ اخضر كأنه زمردٌ شاربٌ. ونهر يتكسّر ماؤهُ كأنه عَسلٌ ممزوج لشارب.

فابتنى به ابنية رفيعةً إلا أنها خيام. وقرّ هناك قراره إلا أنه هيام، فقال الوزير تمام بن أحمد: [من الطويل]

لعمري لما يوم من الدهر كلّه ... بأنعم من يوم عللنا بدربدِ
لدن روضة خضرا ما إن تخالها ... لعمرك إلاّ معدناً للزمرّدِ

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأديب الشاعر صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة انظر: يتيمة الدهر ١/ ٣٦٠ البداية والنهاية ٨١/ ٢٩٣.

(٢) سبق وان ورد اسم عامر بن المنبي المؤدب في ص٣١٤ من المخطوط ووجدت خبره في اخباره مجموعة، واسمه فيه عثمان بن المثنى وترجمة في المغرب ١/ ١١٢ وبغية الوعاة ص٣٢٤.

ودام في بَلَهْنيةٍ من الملك إلى أن ثارت إليه الثوائر. ودارت عليه الدوائر. وسار إلى مغالبتهِ كلٌ سائر، وطار لمواثبته في البر والبحر كلٌّ طائر. ولم يكْفِيهِ انفتاق الفتوق. وانبثاق البثوق. واختلاف كلمة أهْل ملكهِ حتى قصدته ملوك الكفار، وأجهدته بالنهود إلى الاسفار. وما رُمي بأهل الصليب على انفرادهم حتى مُني بالمجوس من أقصى بلادِهم. وكان في هذه النوائب تارةً وتارة، ومرةً ومرة، آونةً حلاوة وآونةً مرارة. وفي بعض غزواتهِ التي أثخن فيها في أهل الخلاف، أمعن في زيادة الاختلاف، قال مؤمن بن[1] سعيد: [من البسيط]

دع اللهى يفتها محمدَّها ... اسنى بني غالبٍ وأمجدها
أشياع لب سنابلٍ خشعتْ ... أعناقها فالسيوف تحصدها
دانوا وهو واردٌ بهم ... حياض حَتفٍ يعاف موردها
كعابد النار وهي تحرقُهُ ... بُعداً لمثواه حين يعبُدُها
ساؤوا ملوكاً هم لهم خَوَلٌ ... وهل يسامي الملوك أعْبُدُها
أضحوا أحاديث للمواسم عن ... ظبى السيوف استفاض مُسْنِدُها

وعارضَه محمد بن عبد العزيز القيسي فقال: [من البسيط]

/٣٢٠/ دع الوغى لم يزل محمدها ... يوقِدُ نيرانها ويخمِدُها
فليس تروى السيوف إن ظمئت ... إلاّ إذا علّها محمدها
سيف هدى تشهد السيوف له ... يوم الوغى أنه مهنَّدُها
تقيلُ في ظلِّه المنون إذا ... هاجرة الحرب مار موقِدُها
فتلك دار العدوّ خاليةً ... أو حين نور الأنيس معهدها
أطْفأ عنا بسيفهِ فِتناً ... أوْقدها في البلاد أعْبدها

ثم طغت الفتنة ومَرَدَ النفاق، وانبعث الفساد، ودبَّ الوهن في أقطار الدولة حتى وَهَتْ أركانُها. وهَوَتْ أقمارها وعمي المبصر وصمّ السامع، وخرس الناطق، وعمَّ الأندلس بلاءٌ أطلَّ سحابُهُ وعُظُمُ شتاتٍ لم يدْير له امرؤ كيف ذهابه.

ثم توفي محمد بن عبد الرحمن ليلة الخميس لليلة بقيتْ من صفر سنةَ ثلاث

---

(١) مضت ترجمته.

وسبعين ومائتين[١]، ومولده في ذي القعدة سنة سبع ومائتين، وَبَلغَ مـن السنّ خمساً وخمسين سنة وثلاثـة أشهر، منها مدة خلافته نحو أربع وثلاثين سنة وأَحَدَ عشر شهراً.

وكان أبيض مشرباً حمرة، مستدير الوجه، ربعةً، تام اللحية أصهَبُها، به شيءٌ من وقصٍ[٢] يخضب بالحنّاء والكتم.

[٦]

دولة إبنه المنذر[٣] بن محمد

استفتح خلافته بالاحسان، واستمنح رأفَتَهُ كلٌّ إنسان، فاستصبح الهلالُ بجبينِهِ، واستُصْلح الاختلال بجود يمينهِ، واستقبح مقابلته العدوّ خوفاً وما أصْحَرَ ليثُهُ من عرينهِ، زمانه ما طال، وليانه ما خلا فجره الكاذب من مطال، على أنه منذ ولي شدَّ نطاقَهُ واحتزم وجدَّ انطلاقه واعتزم. حتى كاد يستقيم الأود، ويستديم صلاح مافَسَد. وكان على نقص حظّه من الأدب مُكرم أهله الكرام إكراماً تتطامن له الأقدار، وتتفاطن به الأغمار، لكرم كان عليه مجبولاً وجودٍ كان بهِ / ٣٢١/ كلفاً متبولاً. قدم قرطبة بعد موت أبيه. فَصَحّ المعتلّ. وصلح المختلّ. وخَضَعَ مَنْ كان رفع أسه، وخَلَعَ نجاده من تقلّد السيف وقرت أفراسُهُ، وبويع البيعة العامة، وتتبع التبعة الطامة، وبقي ينقب عمَّن قصده عنادا، وقصّر على البغي مراداً، وكان يتدفق مروءة، أحدق ببني مروان موكبها، وأشرق من عبد شمس لبعد شمسٍ كوكبها، فما ورثها من أبائه الغطاريف الأُلى، عن كلالةٍ، ولا استحقّها إرثاً بالولا.

قال صاحب المقتبس: وكان سبب وفاته انه افتصد يوم السبت للنصف من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو يوم العنصرة مهرجان الأندلس، وكتم موته وأبردوا بريداً إلى أخيه عبد الله بن محمد، فوافى سريعاً، وبادر بدفن أخيه المنذر بن محمد، وكانت خلافته سنتين إلاّخمسة عشر يوماً، وكان سنة ستاً وأربعين سنة وكان أسمر

---

(١) في الاصل: ومائة.

(٢) الوقص: قصر العنق خلقة.

(٣) ولي سلطنة الاندلس سنة ٢٧٣ إلى سنة ٢٧٥هـ. وانظر ترجمته في: المغرب ١/ ٥٣ والبيان المغرب ٢/ ١١٦ والحلّة السيراء ص٦٥ وابن خلدون ٤/ ١٣٢ والنفح ١/ ٢٢٦ وأخبار مجموعة ص١٤٩ وجذوة المقتبس ص١١ والكامل لابن الأثير ٦/ ٦٥.

طوالا أجْعَدَ الشعر. كث اللحية، بوجهه آثار جدري يخضب بالحناء والكتم.

[٧]

دولة أخيه عبد الله[١] بن محمد

أتاه نعي أخيه وهو غائب، ووافاه الطلب بالخلافة وهو آيب، فلما فشى في العسكر موت أخيه الذاهب، تفرَّقت أهواؤهم، وشقشقت أنوارهم، ورام كلٌّ منهم أمراً قصياً لم يدرك تمامُهُ. وراض صعْباً أبياً لم يملك زمامه، ولم يبق إلاّ مَنْ نزا به شيطانه، ونزل بداره سلطانهُ، ظناً هَوَوْا في أوْدِيتهِ، وحَووا سوء الذكر في أنديتهِ، حتى أشار عليه بعض نصحائه بعض برحائه ومواراة أخيه الهالك هناك واللحاق بقرطبة مُسْرعاً، والسباق إليها قبل الاّ يجد موضعاً، فقال: هيهات أن أتدنَسّ بهذه الدنيّة، أو أَتلبسّ بقبح هذه المزيّة، ثم سار ومعه جُثة أخيه على أناته واستقام أمره على هناته. ودخل قرطبة وصلى / ٣٢٢/ على أخيه بها، وأوْدع ذهبه المكنوز في تربها. ودَفَنَهُ في القصر بالروضة مقبرة الخلائف، مأثرة تلك اللطائف، ثم بويع البيعة التي استقامت له على ظَلَعِها، واستدامت على وَلَعِها، وأخَذَ في حَسْم أدواء الخلاف وحصد رؤوس منهم أيْنَعَتْ لقطاف[٢] وكان أمر الفتنة قد استحكم واستفحل داؤه فلم يُحْسَم. وكثرت على مثل أولئك وأشباههم، وكبرت منهم كلمة تخرج من أفواههم. فأعيا سُقْمُها الطبي المداوي، وأعدا فيها ذا الرشد الغاوي، ونبح في كل نائحةٍ نابح إلاّ أنه العاوي، ونضنض[٣] أفعى إلاّ أنه لا يدخل في سلّةِ الحاوي:

وذكر صاحب المقتبس عن الرازي عن أبيه قال: كانوا يعدّون عبد الله من أصْلح خلفاء بني أمية بالأندلس وأمثلهم طريقةً، وأتمَّهم معرفة وأمتنهم ديانةً، كان يتهجد بالليل، ويقوم لبالي شهر رمضان بالنافلة مع الأئمة المرتبين لها بالمسجد الجامع، وكانت نيّتهُ في ذلك نيّة المخبت[٤] الوَرِع الراغب في الخير.

وحكي عن بعض الفتيان الخاصة: أنه كان كثير التلاوة للقرآن مثابراً على درسِهِ

---

(١) عبد الله بن محمد. ولي بعد أخيه وكان مولدة سنة٢٣٠هـ وفي أيامه امتلات الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلّب إلى أن مات سنة ٣٠٠هـ، وكان دينا ورعاً، فصيحاً يقول الشعر ويرويه انظر: جذوة المقتبس ص١٢ وكامل ابن الأثير ٦/ ١٤٣ ونفح الطيب ١/ ١٦٦ واخبار مجموعة ص١٥٠.

(٢) تضمين لقول الحجاج لأهل العراق: إني لأرى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها.

(٣) نضنضه: استخرجه شيئا فشيئاً.

(٤) المخبت: الخاشع الورع.

محبّاً لمن حفظه. وقال: وكان لا يقدم أمْراً ولا يؤخّره إلاّ عن مشورة أهل العلم والفقه.

قال أبو صالح أيوب بن سليمان[١] أنه كان متصرفاً في فنون العلم محققاً للسان العرب، بصيراً بلغاتها وأيامها، حافظاً للغريب، آخذاً من الشعر بِنَصيب، ولم يسمع أُحدٌ مثل إيجازه إذا أملَّ ولا مثل بلاغته إن (تمثل)[٢]وكان على كمال فضائله مُسْرِعاً إلى سفك الدماء حتى من ولديه وأخويه وخاصة صحبه.

وتوفي في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلثمائة لبث منها خليفة خمساً وعشرين سنة ونصف.

[٨]

دولة ابن ابنه عبد الرحمن[٣] بن محمد بن عبد الله بن محمد الناصر

ولي بعد جدّه، ووطىء أسارير مَهْدِهِ، ووافق زمانه زمان المقتدر[٤]، وقد، ضعفت الخلافة ببغداد، ووهنت قواها، وَوَهَنتْ الدولة العباسيّة حتى طمع فيها من سواها، فأبرز عبد الرحمن ما عنده وباح وقال علوة[٥] وكشف الغطاء واستراح، وأظهر التسمية بالخلافة بأمير المؤمنين، وهو أوّل مَنْ تسمّى في الأندلس بها، وسما بالتحلّي بلقبها، وكان رجل حزمٍ ورجل عزم وبارق مضاء وسابق قضاء، وبطل إقدام

---

(١) أيوب بن صالح بن سليمان بن صالح. ابو صالح المعافري القرطبي، المالكي: كان إماماً في مذهب مالك. وكان منصرفاً في البلاغة والنحو والشعر، وولي الحسبة فأحسن السيرة، توفي سنة ٣٣٢هـ.
انظر: الوافي بالوفيات ١٠/ ٥٢، وفي مصادر أخرى اسمه أيوب بن سليمان بن صالح، أبو صالح وفيها أيضاً أنه توفي سنة ٣٠٢هـ انظر: بغية الوعاة ١/ ٤٦٠ والديباج المذهب: ٩٨.

(٢) تمثل، لم ترد في الاصل. واقترحتها تتمة الكلام.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي، أبو المطرف. ولي بعد وفاة جده سنة ٣٠٠هـ، وكان جده قد قتل أباه وعمره عشرون يوماً، فنشأ يتيماً. وكان من ذوي الدهاء، طموحاً، وهو أول من تسمى بالخلافة من ملوك بني امية في الاندلس. وتلقب بالناصر، حكم أكثر من خمسين سنة توفي سنة ٣٥٠هـ.
انظر: جذوة المقتبس ص١٢ وكامل ابن الاثير ٦/ ٢٥٩ والتنبيه والاشراف ص٢٨٨ المغرب في حلى المغرب (٨).

(٤) المقتدر بالله العباسي جعفر بن أحمد المعتضد، بويع سنة ٢٩٥ هـ ابن ١٣ سنة وخلع مرتين وقتل ٣٢٠هـ. وانظر مختصر ابن الكازروني ص١٧٢.

(٥) كذا في الأصل.

وعطل مقدام، وسيف جِلاد، وطيف رعب تجنّه ضمائر بلاد، فلهذا قدح لهذا الراي زنده، وفتح الباب لمن جاء بعده، ولم يكن في سباقِهِ من كشف هذا العطاء ولا كف عن ذروةِ السرير هذا الامتطاء. وإنما كان الواحد منهم وإن عظم شأنه وكرم سلطانه لا يزيد في التسمية على الأمير ولا يريد أكثر من هذا الخطاب المميز الممير، حتى اتخذها هذا الناصر عبد الرحمن عليهم علماً، وأَنْطَلق بها لساناً وقلَماً، وتسيَّرها في الآفاق كلما، صيرّها في الأندلس شبيهةً بالعراق مثلما، وقد ترجم له صاحب المقتبس وقال:

ذكر الدلالة على عظم شأن الخليفة الناصر في سلطانه. واجرائه على الايفاء على من تقدَّمه من الخلفاء، وجدُّهُ في جمع الأموال. وبذله لها في ابتغاء دُول الآمال. وتوسعُهُ في الحال، وقسره لتعويض الأشياء. وتفخيمه لصنائع الميناء. وسدّ الفروج دون الأعداء، وتوقّله لقلل الاعتداء.

وكان لا يهيب خَطَراً يركبُهُ، ولا يستكثر شيئاً يهبُهُ، وبنى المباني العجيبة والمنارة البديعة، وشيّد الخلافة بقرطبة وعمل الناعورة المحكمة الصنعة، المضروب بها المثل، البيضاء والزهراء، وغير ذلك مما ذكره وفي منبرة هذه الناعورة قال أبو عثمان عبيد الله بن يحيى[1]: [من الطويل]

تبوّأ بين الحَزْنِ والسهل منزلاً ... بأفيح فضفاض البساط على النهر

تصَعَّد في ساحته الخضر ماؤه ... تصعّد أنفاس المتيّم بالذكر

/ ٣٢٤/ ترقى بها في الجوّ ثم تعيده ... إلى مستقرّ الأرض ناعورةٌ تجري

تُغرِّدُ تغريد الطيور وتارةً ... ترجع ترجيع الأهازيج في الزَمْرِ

وكان ممدحاً، فمما قال فيه أبو عثمان هذا، وقد رآه في موقف حرب أبان فيه قمراً من وجْهِهِ يغطى ضوء القمر ويُخْفيه: [من الكامل]

---

(١) عبيد الله بن يحيى بن ادريس الوزير أبو عثمان وكان وافر الادب كثيرالشعر جليلا في أيام الناصر عبد الرحمن.
انظر: جذوة المقتبس ص(٥٨٢).

أغمامة بين البوارق تَهْمعُ ... أم شارقٌ وسط الكتائب يَلْمعُ
أم غرّة القمر المنير يحفّها ... زهر النجوم أم الهصور الأرْوَعُ
لا بل هو الملك الذي في درعه ... ونجادِهِ هذي الصفاتُ الأربَعُ

وتوفي الناصر عبد الرحمن في شهر رمضان سنة خمسين وثلثمائة.

[٩]

دولة ابنه الحكم(١) المستنصر بن عبد الرحمن الناصر أبي العاص

وهو الحَكَمُ العادل، والعالم الذي لا تطاوله الجنادل. والكرم الذي لا يصغي إلى قول العاذل، ولا يبغي طاقة الباذل، نطق منذ كان صبياً بالحكم وصدق. فكان في بيته يؤتي الحكم. ونفقتْ في أيامه سوق الفضائل، ووثقت بأنعامه الطائل. ولم يكن فيه عيب إلاّ قصر أيامه، وقصور مدته عن مرامه، وأهل الأندلس تعدّه من أصلح خلفائها، وأرجح أهل وفائه بها، ولم يكن من أهل الفضائل إلا من يزدلف إليه بما لديه، ويقرب كرمه السابغ عليه من يديه، وكان الناظر لا يكاد يرى إلا عالماً ومعلماً أو مقدماً أو متقدّماً، وما بقي من رعاياه إلاّ من رعاه حرمُه ودعاه كرمُه، فلم يدع منهم إلاّ راضياً عن زمانِهِ، أو قاضياً له منه بأمانِهِ، ثم ما زال مزيداً في الصلاح ومتجدداً به عموم الفلاح حتى أتاه اليقين وأراه موضعه في أماكن المتقين.

وأجرى مرّةً خيله للسباق. فأحرز قصباته وغبر في وجوه السباق فقال محمد بن حسين الطبْني(٢): [من الرجز]

أعارضٌ عجلان في البحر خَفَقْ
أم نَفَس الريح تجارى واستبق
/٣٢٥/ أم الجياد أُحضرت بلا عَنَق
تطلب عند البعد ثاراً بحنق

---

(١) انظر ترجمته في المغرب في حلى المغرب ١/ ١٨٦ ونفح الطيب ١/ ١٨٠ وجذوة المقتبس ص١٣ والبيان المغرب ٢/ ٢٤٨ والحلة السيراء ١٠١ وكامل ابن الأثير ٧/ ٨٣.

(٢) محمد بن حسين التميمي الطُّبني، قدم الأندلس من طبنة في بلاد المغرب سنة ٣٣١هـ وتولى الشرطة لبني عامر، وكان شاعراً محسناً أديباً عالماً بأخبار العرب وأنسابهم توفي سنة ٣٩٤هـ، انظر: بغية الملتمس ص٥٨ والجذوة ص٤٧ والمغرب في حلى المغرب ١/ ٢٠٦.

وطارت الحصباء عنهن فلق

وثار مجموع الغبار وافترق

يرفع ثوب الصدع من ثوب الغسق

لو خطرت على لياهٍ[1] لاحترق

من لهب الشدِّ وحرِّ المنطلق

حتى إذا ما سكبت ماء العرق

وسِرْنَ سير الطير ينفضن اللثق

قد بَلَغت من زَبدٍ انسى البلق

وانغَمَسَ الأدْهم في لونٍ نهق

كالورق المنسوخ أمثال الورق

وماح[2] منهنّ الهواء والتصق

وازدحمت فيه عليهنَّ الحدق

من زمَنٍ لو سابق الريح سبق

طرفُ كلحظ الطرف أوهى فرتق

أو لحظة البرق مع الريح برق

أو خطفة الجنّي للسمع استرق

أو سرعة الطيف إذا الطيف طرق

من نازحٍ يُعدي الكرى على الأرق

لعبشميّ كان بالسبق أحقّ

كأنما غرّتُه نور الفلق

نواله في الناس فيضٌ ودَفَق

ممسكةٌ من كلِّ نَفْسٍ برمق

للمرتجي أَمْنٌ وللمال فرق

---

(١) في الأصل لياه غير معجمة ولم اهتد لمعناها.

(٢) ماح: مال.

وبأسُهُ أشبه شيء بالصعق
إذا تدافعن الرماح والذرق
كأنما ماذيُّه إذا نطق
يبثُ في الناس أفانينَ العبق
مستنصر بالله يَرعى مَنْ خَلَقْ
لخيله فضلْ على الخيلِ نسق
كفضل ما بين الملوك والسوق

وحكى صاحب المقتبس عن المستنصر هذا سعادة فيما يطلبه من الأمور.

وما عقد له به لواء الظفر والتأييد، وأنشد كثيراً مما مدح به في وقائعه التي كان له فيها الغَلَب، وبان لأعين النظّارة له فيها حسن المنقلب، فمنها قول محمد بن المحاسن: [من الطويل]

أقمت حدود الله حتى تحدَّدت ... معالمهُ فينا واشْرَق نورُها
وألْبَسْتَ دُنيانا شباباً وبهجةً ... فراق جمالا سوءها وسرورها
/٣٢٦/ وجرَّدت سيف الحق في كلّ بدعةٍ ... معفّى على آثاءها وثبيرها
نهجت لغاويها الطريق فلم يجد ... ولا ضل أعماها فكيف بصيرها
وثقنا مُذ استنصرت بالله أنه ... نصيرك مما تتقي ونصيرها
عن الله ترمي فهو عنك مدافعٌ ... ودائرة السوء على مَنْ يديرها

ومنها: قول سعيد بن عبد الملك: [من الطويل]

إمام جلا عن أرضنا الظلم عدلُهُ ... فعاد إلى معناه من كان جاليا
إذا ما بدا يوماً لعينٍ فقد رأتْ ... به كلَّ شيء يملأ العين باديا
من العبشميين الذين أكفهُّم ... سحائب تنسيك السحاب الغواديا
لقاؤهم يغنيك إن كنت مُمْلِقاً ... وبِشْرُهُمُ يرويك إن كنت صاديا

ومنها: قول محمد بن شُخيص[1]: [من الطويل]

---

(١) محمد بن مطرف بن شخيص، أبو عبد الله، أديب من الشعراء المحسنين له ترجمة في بغية الملتمس ص١٤٩ وجذوة المقتبس رقم ١٤٤ ويتيمة الدهر في ١/ ٣٧٣.

كـأنـك الـيـوم الـمـعـجّـل لـلـعـدى بـوضـع الـحـبـالـى أوْ تـشـيـب الـمـراضـع
تـواضَـعْـتَ كـي تـزداد عـزّاً وإنّـمـا يـقـدم عـن الله عـزّ الـتـواضـع
وقُـمـتَ بـمـا أدى عـن الله أحـمـدُ وأدَّيْـتَ حـقـاً ضـائـعـا غـيـر ضـائـع
رأى ولـد الـفـاروق بـيـعـة جـدّه فـبـايـع تـبـصـيـراً لـمـن لـم يـبـايـع
وقـد زمَّـهـا مـروان فـي يـوم راهـطٍ بـرأيٍ لأهـواء الـجـمـاعـة جـامـع
ورأيُـهُ شُـورى لـو أُعـيـدَتْ لـمـا دَعَـتْ لـدعـوتِـهِ الاذان دعـوى مـنـازع
ولا شـاع فـي مـصـر لـصـحـبِ مـحـمـدٍ أذىً لـم يـكـن مـن قـبـل فـيـهـا بـشـائـع

ومنها: قول يوسف[1] بن هارون الرقاشي ملمحاً في بعض أغزالِهِ، وملحاً بها لحلو مقالِهِ، وقد أبرز للقاء جعفر الفارق لمعد صاحب إفريقية جيشاً أبرقت مناصله، وبرزت سهامه كأنها لواحظ أغيد لا تخطىء مقاتله، وهو: [من الكامل]

ولـقـد عـجـبتُ لـغـفْـلَـةِ الـمـسـتـنـصـر إذا بـرز الـجـيـش الـلّـهـام لـجـعـفـرِ
ولـو أن مـن أهْـواهُ يُـبْـرِزُ وجْـهَـهُ قـامـت لـواحـظـه مـقـام الـعـسـكـر

/ ٣٢٧/ وقد ذكر صاحب بلغة الظرفاء الحكم المستنصر وأوْرَدَ له شعراً ورد به منهل الشعرى، وهو قوله: [من الطويل]

ألـسـنـا بـنـي مـروان كـيـف تـبـدّلَـتْ بـنـا الـحـال أوْ دارتْ عـلـيـنـا الـدوائـر
إذا وُلِـدَ الـمـولـود مـنـا تـهـلّـلَـتْ لـه الأرض واهـتـزَّت إلـيـه الـمـنـابـرُ

بويع المستنصر في رمضان سنة خمسين وثلثمائة. ولد مستهل رجب سنة اثنين وثلثمائة، وتوفي في صفر سنة ستٍ وستين وثلثمائة، وكانت مدّته نحو ست عشرة سنة، وكان أبيض، طوالاً شثن اليدين جسيماً، وسيماً أسود العينين، أصهب، عظيم اللحية، يخضب بسواد.

(١) يوسف بن هارون الكندي، ابو عمر يعرف بالرمادي. قال الحميدي اظن أحمد آيات كان من رمادة، من الشعراء الادباء. مدح الحكم المستنصر وولي عهده هشام وترجمته في جذوة المقتبس (٨٧٨) والمغرب في حلى المغرب ١/ ٣٩٢.

[١٠]

دولة ابنه هشام[١] المؤيد بن الحكم

امتدّت الأيدي لمبايعته وسنّه لعشرة أعوام. وغصْنُهُ ما أميطت من تمائمه الأكام. قوى عزيمة ابيه الحكم على العهد إليه النساء والخدم. فَعهَدَ إليه. ثم داخَلَه الندم، فما استحسن ان يخلع عن معطفيه ذاك الرداء. ولا أن يقطع عن المنابر من اسمه ذاك النداء. وقد كانت طوائف الشعراء عرضت بذكر هشام لأبيه تقرّباً إلى خاطِرِه، وتحبّباً إليه ان لا يخرج عنه شطر مشاطرِهِ.

فمنها: قول محمد بن حسين الطبني[٢] مما يخاطب به أباه: [من الكامل]

حَسِنٌ به دين النبيّ محمد ... وأرقم به أوَدَ الزمان الأعوج
لهجت بيعتيه النفوس فاخذها ... من أوْجَبِ الأشياء إن لم تَلْهجِ
عود النبوة والخلافة عودُهُ ... فالقرعُ من تلك العروق الوشَّجِ
وإذا تبلَّج وجهُ صُبحٍ مقبل ... فالشمس تحت ضيائهِ المتبلِّجِ
هو زهرةُ الدنيا وباب سرورها ... فاعهد وسُرَّ به البريّة وابهج
وارم المشارق باسمه فليفتحن ... ما بين مصر إلى بلاد الزنج
يارَبّ بلّغه جميع رجائه ... لأبي الوليد وزده مالم يرتجي
/٣٢٨/ لِيَدُم سراج اللد في هذا الورى ... فضياؤه من نور المسرج

وفيه يقول أيضاً: [من الكامل]

وأشِد بذكر أبي الوليد فشد بهِ ... مجداً هشامياً عزاً غبطا

---

(١) هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر المؤيد أبو الوليد، بويع بعد موت أبيه سنة ٣٦٦هـ. فاستأثر بالتدبير حاجبه منصور بن أبي عامر، ثم ابنه المظفر عبد الملك، ثم ابنه الثاني عبد الرحمن الملقب بالناصر، وقد طلب عبد الرحمن هذا من الخليفة أن يوليه عهده، فأجابه، فحدثت ثورة، خلع المؤيد على أثرها وبويع محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ولقبوه المهدي وقتلوا عبد الرحمن الوزير، ثم كانت فتن انتهت بعودة المؤيد سنة ٤٠٠هـ فقتل المهدي، ثم امتلك سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين قرطبه، ومات المؤيد سنة ٤٠٣هـ.
وانظر كامل لابن الاثير ٧/ ٣٨ ونفح الطيب ١/ ١٨٧ والبيان المغرب ٢/ ٢٥٣ و٣/ ٣ وجذوة المقتبس ص١٧.

(٢) مضت ترجمته.

مــافــوق بــيــعــتــه مــدى امــنــيــةٍ فيمن تسامى في المنى وتشطَّطا
نـعـم الـذخـيـرة لـلـعـزائـم يـنـتـضـي دون لـخـلافـة والـمـنـابـر تُـمـتـطـى
نـظـرت قـريـش فـي كـريـم نـظـامـهـا فـرأتـه مـنـهـا فـي الـقـلادة أوسـطـا
هـي بـيـعـة الـرضـوان يـجـنـي كـل مـن أصـفـى ويـقـبـل سـعـيـهـا من خـلّـطـا
أربـط بـهِ الأيـدي فـإنَّ قـلـوبـنـا مـكـفـيّـةٌ بـودادهـا ان تُـرْبـطـا
شـرطـت مـحـبّـتـه عـلـى أُهـل الـنـهـى مـا لايـكـاد مـوثـق أن يـشـرطـا

ثم لما مات الحكم وبويع ابنه هشام المؤيد، لان جانبه حتى ذلَّ، وكثر حِلْمُهُ حتى قلّ، وعقد انتقامه بالعفو فحلّ، واستقام بقدمِهِ على منهج المسالمة فزلّ، على أنه أول مَنْ[1] بويع بالخلافة. كان يخلط بالعسل صابه، وبالشفاء أوْصابهَ. وفيه قال محمد بن شخيص[2]: [من الطويل]

وجـدنـا هـشـامـاً لـلأئـمـة عـاشـراً إذا كـمـل الـتـسـعـيـن فـالـمـلـك تـاسـع
أتـانـا بـتـصـديـق الـروايـة مـذ أتـى بـه أوّل الـشـهـب الـدراري رابـعُ
فـسـارت بـأعـراق الـنـجـابـة إذْ سَـرَتْ مـن الـحـكـم الـمـهـدي فـيـه طـبـائـع
تـحـلّ بـه نـجـم عـلـى أنـجـم الـدجـى مـنـيـفُ ومَـنْ شـرح الـخـلافـة طـالـع
ومـن فـخـره إن الـعـبـيـد بـظـلّـه مـلـوك كـمـا أن الـمـلـوك صـنـائـع
وشـافـع آمـال الـبـريّـة أنـهـا إلـى عـهـده الـمـأمـول صـور بـوازع

وكان المؤيد مغلّباً منذ ولي، استحجب المنصور أبا عامر محمد بن[3] عامر فَحَجَبَهُ، وقام دونه، ثم استحجب ابنه المظفر عبد الملك[4] بن محمد بن عامر فسلك

---

(١) لعله أراد: أول ما بويع.
(٢) محمد بن مطرف بن شخيص. مضت ترجمته.
(٣) أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر القحطاني المعافري. قدم قرطبة شاباً يطلب العلم فبرع واستقضي على كوره (رية) ثم عهد إليه وكالة هشام المؤيد فولي النظر في أموالها وعلت مرتبته فولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه بأشبيلية فلما مات الحكم المستنصر وكان المؤيد صغيراً تكفل لامه سكون البلاد واستقرار الملك لابنها وقام يشؤون الدولة مدة ستة وعشرين سنة، مات في احدى غزواته سنة ٣٩٢هـ انظر: البيان المغرب ٢/ ٣٠١ وتاريخ قضاة الاندلس ص٨٠ ونفح الطيب ١/ ١٨٩ والوافي ٣/ ٣١٢.
(٤) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر. ولي بعد موت أبيه المنصور: فكانت مدة ولايته سبع سنين، قيل قتله أخوه عبد الرحمن بسم في تفاحة. وتولى عبد الرحمن بعده، وفي أيامه حدثت =

سبيل أبيه، ثم استحجب ابنه المظفر عبد الملك بن محمد بن عامر فسلك سبيل أبيه، ثم استحجبَ أخاه عبد الرحمن، وكان ثالثهما، وغزا أسابية[(١)]، وأوْغَلَ في بلاد الجلاهقة. فحمل يقدم على لقائه وتحصّن منه في رؤوس الجبال ولم /٣٢٩/ يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الأنهار وكثرة الثلوج، فأثخَنَ في البلاد التي وطئها، وخرج موفوراً، فبلغَهُ في طريقه ظهور محمد[(٢)]بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر بن عبد الرحمن بقرطبة، وأخذه المؤيد اسيراً، ففرق عنه عسكره. ولم يبق إلاّ في خاصّته فسار إلى قرطبة ليلاً في ذلك الخطب، فخرج عسكر محمد بن هشام فقتلوه وحملوا رأسه إلى قرطبة، وطافوا به ثم صلبوه، وكان ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار ومعه اثنا عشر رجلاً، فبايعه الناس. وتلقّب بالمهدي، وملك قرطبة، وأخذ المؤيد وتركه في محبسه حيث لا جليس له سوى رَجْع نفسه، وقام هذا محمد بن هشام بن عبد الجبار بالأمر ستة عشر شهراً برز بها سرير الملك قهراً ونجّسه لولم تجِدُ له بماء الماضيات طُهراً.

حكى ابن الأثير[(٣)] إن محمد بن[(٤)] بن هشام بن عبد الجبار أَخَذَ المؤيد وحبسه معه في القصر، ثم أخرجه وأخفاه، وأظهر أنه مات، وقد كان مات إنسان نصراني يشبه المؤيد، فأبرزه للناس في شعبان وذكر لهم أنَّه المؤيّد، فلم يشكّوا في موته، وصلّوا عليه ودفنوه في مقابر المسلمين، ثم أنه أظْهَرَهُ على ما نذكره، وأكذَب نفسه. وكانت مدّة المؤيد هذه إلى أن حُبس ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر.

اضطرابات كثيرة انتهت بقتله.

انظر ترجمته في: بغية الملتمس ص٣٨٣ والجذوة ص٢٨٨ والمغرب ١/ ٢١٢ والذخيرة ٤/ ١/ ٧٨ والبيان المغرب ٣/ ٣ الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٠٠.

(١) النص في كامل لابن الأثير ٧/ ٤ روقيه: وغزا شاتية.

(٢) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي، أمير أندلسي، خرج على المؤيد بقرطبة سنة ١٩٩ وبايعه الناس وتلقب بالمهدي. وحبس المؤيد في القصر واظهر أنه مات، ثم انتقض عليه سليمان بن الحكم وتغلب عليه، فسار محمد بن هشام إلى طليطلة وجمع بها عسكراً وعاد إلى قرطبة فأخذها وجدد البيعة بها لنفسه ثم دخل إليه جماعة فأسروه وأخرجوا المؤيد فأجلسوه مجلس الخلافة وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه فأمر بقتله سنة ٤٠٠هـ.

انظر: كامل ابن الأثير ٧/ ٢٤٨ وجذوة المقتبس ص١٨ والبيان المغرب ٣/ ٥٠.

(٣) كامل ابن الأثير ٧/ ٨٤.

(٤) في الاصل: ابن محمد بن هشام: والصواب محمد بن هشام وليس ابنه.

وخرج هشام[١] بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن عليه لأن أهل الأندلس أبغضوا ابن عبد الجبار، فاخرجوه من داره وبايعوه ولقبّوه بالرشيد في شوال سنة تسع وتسعين. واجتمعوا بظاهر قرطبة. وحضروا ابن عبد الجبار وترددت الرسل بينهم، لينخلع ابن عبد الجبار من الملك على أن يؤمنه وأهله، ثم إن ابن عبد الجبار جمع أصحابه، وأخذ هشاماً أسيراً فقتله ابن عبد الجبار وكان عم هشام ثم إن سليمان[٢] بن الحكم بن سليمان بن الناصر، وهو ابن أخي هشام المقتول خرج وتلقّب بالمستعين، ثم تلقب بالظاهر، وساروا إلى النصارى فانجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة، فاقتتلوا هم وابن عبد الجبار بقنتيج، وهي الوقعة المشهورة غزوا فيها، وقتل / ٣٣٠/ ما لا يُحصى فانهزم ابن عبد الجبار وتحصّن بقصر قرطبة. ودخل سليمان القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة أربعمائة، وبقي بقرطبة أياماً، وكان عدة القتلى بقنتيج نحو خمسة وثلاثين ألفاً.

ثم لما اختفى ابن عبد الجبار سار سرّاً إلى طليطلة وأتاه واضح العامري[٣] في أصحابه، وجمع له النصارى، وسار بهم إلى قرطبة فخرج إليهم سليمان فالتقوا بقرب عقبة الورق فاقتتلوا أشدّ قتال، فانهزم سليمان ومَنْ معه، منتصف شوال سنة أربعمائة. ومضى سليمان إلى شاطبة. ودخل ابن عبد الجبار قرطبة، وجدد البيعة لنفسه، وجعل الحجابة لواضح، وتصرف بالاختيار.

ثم إن جماعة من الفتيان العامرية منهم: عنبر وعمرون وغيرهما كان مسلمين، فارسلوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم وأن يجعلهم في جملة رجاله، فأجابهم فلما كان تاسع ذي الحجة سنة أربعمائة اجتمعوا بالقصر فملكوه. وأخذوا ابن عبد الجبار أسيراً واخرجوا المؤيد من محبسه، وأجلسوه في صدر مجلسِهِ وبايعوه بالخلافة ثانيةً وتابعوه سراً وعلانيةً، وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه، فعدّد ذنوبه عليه، ثم قتله، وطيف برأسِه في قرطبة وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة.

---

(١) انظر خبره في كامل ابن الأثير ٧/ ٨٤. والمؤلف ينقل عنه.
(٢) انظر خبره في كامل ابن الأثير ٧/ ٨٤.
(٣) انظر خبر واضح العامري في كامل ابن الأثير ٧/ ٤٨، ونفح الطيب ١/ ٣٨٦، ٣٩٨، ٨، ٤.

قلت: وهذه الأخبار شرطها كان أن تذكر مفصَّلَةً، وقد ذكرناها الآن جملةً لتعلّق بعضها ببعض، وسأذكر من تخلَّلَ في اثناء دولة هشام المؤيد بتراجم مفردة. ثم ألمّ بذكر هشام المؤيد ثانياً حيث عادت دولته، وانتهت إليه في الملك ثانياً نوبته.

حكى ابن الأثير[1] في حوادث سنة أربعمائة. وقد ذكر عود هشام المؤيد ما معناه، وكان عوده تاسع ذي الحجة وكان الحكم في دولته الى واضح العامري، وأدخل إليه أهل قرطبة فوعدهم ومناهم وكتب إلى بربر سليمان بن الحكم ودعاهم إلى الطاعة فلم يجيبوه، فأمر بالاحتياط ثم شعر بأن نفراً من الأمويين [بقرطبة قد كاتبوا سليمان وواعدوه ليكون بقرطبة في السابع والعشرين من ذي الحجة ليسلموا له البلد][2] فركب هشام إليهم، فعاد البربر واستنجدوا بملك الفرنج، فأرسل يعلم هشاماً بذلك ويستنزله / ٣٣١/ عن حصون تجاوره، ففعل فيئس البربر من إنْجاد الفرنج فِنزلوا قريب قرطبة، وجعلت خيلهم تغير يمينا وشمالاً، فعمل هشام على قرطبة أمام السور الكبر سوراً وخندقاً، ثم نازل سليمان قرطبة، ثم الزهراء. فسلّمه بعض الحفظة باب الزهراء، فملكها، واشتدَّ الأمر بقرطبة، وظهر في هذه المدة بطليطلة عبيد الله[3] بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها، فسيّر إليهم هشام جيشاً، فعادوا إلى الطاعة وأخذ عبيد الله وقتل في شعبان سنة إحدى وأربعمائة. ثم قاتل هشام البربر فقتل منهم أمماً وغرّق في النهر مثلهم، فرحلوا إلى إشبيلية، فجهز هشام جيشاً فحماها، فسارت البربر إلى قلعة رباح[4] فملكوها وغنموا ما فيها، واتخذوها داراً، عادوا إلى قرطبة فحصروها وملكوها، ودخلها سليمان بن الحكم عنوة وأخرج هشام من القصر، وحمل إلى سليمان في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة. وبويع سليمان، ثم جرت لهشام المؤيد معه قصص طويلة ثم خرج إلى شرق الأندلس، فكان آخر خبره ونهاية أمرِهِ، ثم عمي الخفاء على أثره، وها أنا أذكر:

---

(١) الكامل ٧/ ٢٤٨.

(٢) ما بين قوسين سقط من الاصل. والتتمه عن ابن الأثير الذي ينقل عنه المؤلف.

(٣) انظر خبره في كامل ابن الأثير ٧/ ٢٤٩، والمؤلف ينقل عنه.

(٤) قلعة رباح: مدينة بالاندلس من أعمال طليطلة، وهي في غربي طليطلة وبين المشرق والجوف وقرطبة (ياقوت: قلعة رباح).

[١١]

دولة محمد[١] المهدي بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر

المتخلّلة لدولة المؤيد هشام، المخلّة بشروط الوفاء والذمام، قد ذكرنا، نأتي على المقصود منها في تلك الترجمة، ونُجْلي بصباح البيان أمورها المظلمة.

كان هذا محمد المهدي خفيف العقل، طائش الرأي لا يتمسّك بدين ولا يتنسَّك كالمهتدين.

قال ابن الأثير عنه ما معناه: انه اتخذ النبيذ في بيعة حتى سمّى نباذاً، وتصرَّمت أيامه على هذا. وابتز الملك وما هني بما لبسه، ولا هييء له إلاّ المآتم ليلة عرسه. وبما تقدّم اكتفاء لمن أراد الوقوف على خبره وجلاء البصيرة من لم يره حقيقةً ببصره، وكان خليقاً إن لا يذكر مستقلاً، ولا يذكر إلاّ في بعض حوادث دولة هشام، بل لا. وأما ما كان بعد هشام المؤيد فسأذكره بمشيئة الله تعالى فأقول:

[١٢]

/ ٣٣٢/ دولة سليمان[٢] بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر

قد قدمنا ما كان بينه وبين هشام من نوب الأيام، ثم لما كانت له هذه الكرة ودانَتْ له قرطبة هذه المرة، وهي ولايته الثانية، وإيالته الدانية، تلقبّ بالمستعين. وتغلب بعدما غلب بعد حين، وكانت ولايته هذه منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة، وبايعه الناس بيعة عنوة لا عناية، وخافوا تبعة السيف تصريحاً لا كناية، وكان أديباً خطيباً شاعراً، فاتكاً باتكا داعراً خرج إليه أهل قرطبة للسلام عليه، فلما مثلوا بين يديه ابتدأ مثلاً، وانشد متمثلاً[٣]: [من الطويل]

---

(١) مضى ذكره.

(٢) انظر خبره في كامل ابن الأثير ٧/ ٢٦٨، وفيه كان اديباً شاعراً بليغاً، واريق في ايامه دماء كثيرة.. وكان البربر هم الحاكمون في دولته، قتله علي بن حمود سنة ٤٠٧هـ انظر الكامل ٧/ ٢٨٤.

(٣) انظر الخبر في كامل ابن الاثير ٧/ ٢٦٨ والبيتان لجميل بثينة من قصيدة في ديوانه ص٢١٨ طبعة بيروت١٩٩٦.

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيّةٍ   يقولون مَنْ وقد عرفوني
يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً   ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

ثم تمت له المبايعة، وانقادت له أهل قرطبة بأنفس طائعة، ونخوةٍ أحماها ما كانت بالكفّ قانعة. وبالصغار تحت غطاء الذلّ مصانعة وقد حكى صاحب بلغة الظرفاء انه تلقّب أولاً بالمستعين، ثم تلقب بالظافر بحول الله. وأُنشد قول هارون الرشيد رحمه الله(١): [من الكامل]

ملك الثلاث الآنسات عناني   وحَلَلْنَ من قلبي بكلّ مكان
مالي تطاوعني البريةُ كلُّها   وأطيعهنّ وهنَّ في عصياني
ما ذاك إلاّ أن سلطان الهوى   وبه قوينَ أعزّ من سلطاني

فقال سليمان المستعين:

عجباً يهابُ الليثُ حدّ سناني   وأهاب لحظ فواتر الأجفانِ
وأقارع الأهوال لا مُتهيِّباً   منها سوى الإعراض والهجرانِ
وتملكت نفسي ثلاثٌ كالدمى   زُهْرُ الوجوه نواعمُ الأبدان
ككواكب الظلماء لُحن لناظرٍ   من فوق أغصانٍ على كثبانِ
هذي الهلال وتلك بنت المشترى   حُسْناً وهذي أخت غصْن البانِ
/٣٣٣/ حاكمتُ فيهنّ السُلوَّ إلى الصبا   فقضى لسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي للحمى وثنينني   في عزّ(٢) ملكي كالأسير العاني
لا تَعْذلوا مَلِكاً تذلَّلَ في الهوى   ذُلُّ الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني(٣)
إن لم أطِعْ فيهنَّ سلطان الهوى   كلفاً بهنَّ فلستُ مِنْ مروانِ

قلت: وخلا المستعين هذا يوماً بلذاتِهِ، واقتصر على لذاته، وقد برز الجو في مُمْسِكٍ طرازُهُ قوس قزح، والنور قد قلّد جنِدُه من لؤلؤ الطلّ سُبَح، وقد مدّ الغمام ستارةً طرزت رفرفيها البروق، وطرفت جانبي يومها كؤوس الصبوح والغبوق. ثم وافى الليل فَصَدَم جيشه كتائب تلك السحائب فمزّقها، ولطم بحره أفواج تلك الأمواج

(١) الأبيات والخبر في جذوة المقتبس ص٢١.
(٢) في الأصل: «عن» وما أثبتنا عن الجذوة.
(٣) بعده في الجذوة:

ماضرّ أني عبد هن صبابةً   وبنو الزمان وهنَّ عن عبداني

ففرَّقها. وتوقّدت لوامع النجوم للاقتباس. ولاح الهلال لخأنه شطرُ طوقٍ في جيد زرقاء اللباس، فقال: [من الكامل]

عرّى النهارُ الليل ملبس دجنهِ   وغزا غمائمه بجيشٍ مقبل
عجباً له من سيف يوم مذهبٍ   لولا الظلام يدوسه لم ينجلِ
أو ما ترى زُهْرَ النجوم كأنّها   هي والهلالُ اسِنَّةٌ في قسطْلِ

قال ابن الأثير[١] ما ملخصه: أن خيران[٢] العامري لم يكن راضياً بولاية سليمان بن الحكم لأنه كان من أصحاب هشام المؤيد. فلما ملك انهزم وكاتب له كاتب[٣] ثم أتى شرق الاندلس فكثر به جمعه وقاتل البربر وملك المرية[٤] وترأس هو وعلي[٥] بن حمود العلوي صاحب سبتة[٦]، ووافقه على ان المؤيد كان قد عهد إليه ودعا له بولاية العهد. فعبر علي بن حمود إليه، وأتى مالقة فسلَّمها إليه عامر بن فتوح[٧] ثم سار خيران إليه وتلاقيا بالمنكب[٨] سنة ست واربعمائة، وبايعوا علي بن حمود على طاعة المؤيد هشام الأموي، فلما بلغوا غرناطة وافقهم أميرها وساروا إلى

---

(١) الكامل ٧/ ٢٨٤.

(٢) الكلمة في الأصل غير معجمة، وهو خبر العامري الصقلبي من موالي آل أبي عامر، له حروب ووقائع. وثب على المرية واستقل بها إلى أن مات سنة ٤٠٩هـ.
البيان المغرب ٣/ ١٦٦ وكامل ابن الاثير ٧/ ٢٨٤ ومابعدها.

(٣) كذا ورد في الأصل. وبدله في كامل ابن الأثير٧/ ٢٨٤ فما ملك سليمان قرطبة انهزم خيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين وتبعهم البربر وواقعهم فاشتد القتال بينهم وجرح خيران عدة جراحات. وترك على انه ميت، فلما فارقوه قام يمشي فاخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه فبرأ وأعطاه مالا وخرج منها سراً إلى شرق الأندلس.

(٤) المرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من اعمال الاندلس وكانت هي وبجاية بابي الشرق ومنها يركب التجار. وفيها مرفأ ومرسى للسفن (ياقوت مرية).

(٥) علي بن حمود بن أبي العيش بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وقيل في نسبة غير ذلك مع اتفاق على صحة نسبه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام (كامل ابن الاثير ٧/ ٢٨٤) وقد مضى خبر دولته في هذا الكتاب).

(٦) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب بها مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس. وبين سبتة وفاس عشرة أيام (ياقوت ـ سبتة).

(٧) عامر بن فتوح وزير المؤيد، انظر خبره في كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٤.

(٨) تقرأ في الأصل: المثلث، والتصويب عن كامل ابن الاثير ٧/ ٢٨٥، والمنكب على ما في الروض المعطار ص٥٤٨ مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك. ومنها إلى إغرناطة أربعون ميلاً.

قرطبة، فخرج /٣٣٤/ إليهم سليمان بالبربر. فالتقوا واقتتلوا، فانهزم سليمان، فاخذ أسيراً فحمل إلى ابن حمود. ودخل ابن حمود قرطبة في المحرم سنة سبع وأربعمائة.

وداروا القصور طمعاً أن يكون بها المؤيد فلم يجدوه. ورأوا قبراً منبوشاً وجدوا به جثة ميتٍ قالوا إنه المؤيد ولم يكن به. وإنما قالوه خوفاً من علي بن حمود، لأنه طمع بالاستقلال، فاخذ ابن حمود سليمان بن الحكم فقتلهُ واستولى ابن حمود على قرطبة، وبدّلت الخلافة الأموية بالخلافة العلوية[1] على ماذكر في مكانهِ ثم إنه تنكر لخيران فتنكر له خيران، وأظهر عليه الخلاف، وأرسل يسأل عن بني أمية، فَدُلّ على عبد الرحمن[2] بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وقد كان خرج لخيران جيان[3]، وكان اصلح بني أُمية فبايعه خيران ولقّبهُ المرتضى، وراسل (شرف طه)[4] والثغر الأعلى وشاطبة[5] وبلنسية وطرطوشة[6] فأجابوا إلى بيعته، ثم ساروا إلى صنهاجة على قصد غرناطة. وحصل من المرتضى إعراض عن خيران فتخلّى عنه وانجلى حصارهم لغرناطة عن هزيمتهم وقتل المرتضى. ثم استقلّ علي بن حمود. ثم القاسم ثم يحيى بن علي بن حمود، ثم عادت دولة بني أميّة على ما نذكره، فكان أولها بعد الدولة العلوية:

[١٣]

دولة المستظهر عبد الرحمن[7] بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر

أبي المطرف، وكان سبب ملكه ما قدّمناه، وموجب تقديمه التيمُّن بسناه، وحب

---

(١) الصواب: بدلت الخلافة العلوية بالخلافة الأموية لأن الباء تكون مع المتروك.

(٢) انظر خبر عبد الرحمن بن عبد الملك الأموي في كامل ابن الأثير ٧/ ٢٨٥ والمؤلف ينقل عنه.

(٣) في الأصل حبان، والتصويب عن الكامل، وجيان مدينة بالاندلس في سفح جبل عال (الروض المعطار ص ١٨٣).

(٤) كذا في الأصل وهو تحريف، وفي الكامل ٧/ ٢٨٥ والمؤلف ينقل عنه: وراس خيران منذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة والثغر الاعلى... الخ.

(٥) شاطبة: مدينة شرق الاندلس وشرقي قرطبةوهي مدينة كبيرة قديمة (ياقوت ـ ناطبة).

(٦) طرطوشة: مدينة بالاندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرق بلنسية وهي على نهر ابوه ونهر ولاية واسعة وبلاد كثيرة (ياقوت ـ طرطوشة).

(٧) المستظهر الأموي. عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أبو المطرف. ولي امارة قرطبة أيام ضعف الدولة الاموية سنة ٤١٤هـ فثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وقتله =

أهل قرطبة لبني أمية الحب الذي تمكّن في حشاهم وملأهم به شغفا وحشاهم، فلما غشيهم موج الفتنة وغشّاهم، وأرْجَلَ / ٣٣٥/ ذلا فوارسهم ومُشاهم، صافحوا بالبيعة يُمناه، ونافحوا من حال دون ما تمناه، هوى أموياً علقوه. وجوىً خفيّاً عاهدوا الله عليه لو صدقوه.

بويع في شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة، وعمره اثنان وعشرون سنة. واختانَ القدر ملكه وما مكّنه، وأظن الأدب أدركَهُ، بحرفته وأملكه. بذنب معرفته لأنه كان شاعراً مجيداً رقيق الطبع، لا تبلى بأيدي من دموعه الربع. ولم تتم ولايته ولم يُقم للخلافة حوايته وكانت مدته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً، ثم قتل ورد عهده بعد ان قُتل، وكانت جالبة حمامه وخالبة روحه باغتلاق سمامة، جهالة أركبه الشيطان غرورها. واكْسَبَه محذورها. وكان السبب انه أخذ جماعة من أعيان قرطبة فسجنهم لميلهم إلى سليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. واخَذَ أموالهم فسعوا عليه من السجن، وصدعوا جباله مزقاً كالعهن. وألّبوا الناس عليه، وتأهّبوا لاستلال روحه من بين جنبيه، فأهانهم صاحب شرطته فأُهين، وجُرع كأس ردائه في الحِين، وكان ممن وافقهم على فعلتهم وواثقهم على مثل مثلتهم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الأموي في جماعةٍ كثيرة وطاعة جُعلت إلى الأمر مصيرة، وكان أبيض أشعر أعْينَ العين شثن الكفِين رحب الصدر.

[١٤]

دولة محمد[١] بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر

أبي عبد الرحمن المستكفي، ولم يكن من رجال بيته في شيء من الأشياء ولا كان إلاّ سيئاً في صورة الأحياء، لعدم صرامته وعظم خمود لشهامة / ٣٣٦/ ما كانه

= بعد أقل من شهرين من ولايته.

البيان المغرب ٢/ ١٣٥ والذخيرة ١/ ٣٤ وجذوة المقتبس ص٢٤ وكامل ابن الاثير ٧/ ٢٨٧.

(١) انظر ترجمته في المغرب ١/ ٥٤ والبيان المغرب ٣/ ١٤٠ وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٥٢ والنفح ١/ ٢٨٢ وكامل ابن االاثير ٧/ ٢٨٧، والمؤلف ينقل عنه.

قد مَرّ مروان أمامه. ولا قدم عبد الرحمن الداخل قدامه، لا عُدّ من هذا البيت هشامه. عدا عبد الملك فعلا. ومعاوية فضلاً وكان همهُ فرجُهُ وبطنهُ، وعزمُهُ عينهُ وأذنُه، لا يفكّر في شيء الا مايهمّه ولايلمُّ إلاّ بما لايفارقه ملمّه. الا انه ممن أقامه الحظ السابق على من تقدّمه حتى تأخرّ لامتداد الأجل وقدمه.

بويع في ذي العقدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، وبقي سنة وأربعة أشهر واياماً، ثم خلعوه خَلْعَ الحذاء، ودفعوه دفع الذباب عن الغذاء، فخرج في جماعة ممن حفظ عهده المضاع. ولَحَظَ ودّه ملاحظة الطفل لأيّام الرضاع، فأتى بهم مدينة سالم[(١)] وأقام بها غير مسلّم ولا سالم فضجر منه بعض أصحابه ممن هجَر أوان اتساع رحابه، فعمد إلى دجاجةٍ (نُماً)[(٢)] فشواها، وعمل فيها سُمّاً رمى بها مهجته فأصاب شواها، فأراح الدنيا من تخلّفه، وخفّفت اثقالها بما كانت تحمله من تكلفه.

وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة (سبع وأربعمائة)[(٣)] وكان ربعة أشقر أزرق مدور الوجه، ضخم الجسم قارب في العمر خمسين سنة ثم اقيمت الدعوة ليحيى[(٤)] بن علي بن حمود، ثم آل آخره إلى أن قطعت دعوته، ومُنعت أن يُستجاب لها دعوتُهُ. ثم أُعيدت الدولة أمويةً، وجدَّت عهودها المذكورة بسحب الدموع الرويّة. وها أنا أذكرها فأقول:

[١٥]

دولة هشام[(٥)] بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

أبي بكر، قام بنصر أبي[(٦)] الحزم جهور، وقام بالحزم وما تهوّر، راسل أهل

---

(١) سالم مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة، وكانت من اعظم المدن وأشرفها، وكان طارق بن زياد لما افتتح الاندلس الفاها خراباً فعمرت بعد الاسلام (ياقوت: سالم).

(٢) كذا في الأصل، ولم اتبين معناها.

(٣) كذا في الأصل. والصواب سنة اربع عشر واربعمائة. وواضح أن المؤلف وقع في وهم سببه أن نقل عن كامل ابن الاثير ٧/ ٢٨٨ قوله: (فمات في ربيع الآخر من هذا السنة) ويريد سنة ولايته وهي ٤١٤هـ وليس احداث السنة ٤٠٧ التي تضمنت اخباره وانساق فيها إلى ولايته.

(٤) مضى خبره في هذا الكتاب وانظر خبره في كامل ابن الأثير ٢٨٨.

(٥) هشام الثاني، ولي الخلافة في الاندلس في السنة ٤١٨ إلى سنة ٤٢٢هـ. انظر ترجمته في البيان المغرب ٣/ ١٤٥ وابن خلدون ٤٠/ ١٥٤ والنفح ١/ ٢٨٥ والمغرب ١/ ٥٥.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: أبو، وهو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الكلبي، مولى بني أمية =

الثغور المتغلّبين فوافقوه. ورأوا رأيه وما وافقوه. /٣٣٧/ كتبوا ببيعتهم إلى هشام بن محمد، وكان مقيماً ببعض الثغور. منذ قتل أخوه الرضى. وقيل قد أغْمد سيفَهُ المنتضى. ثم أَصفقَتْ أيدي الناس ببيعته، وصانَتْ عهده المحفوظ من ضيعته، ولقّب أصفقت وكان أسنَّ من أخيه المرتضى، وأشدَّ منه في كل مقتضى، فنهض إلى الثغور وطلع فيها نجمه لا يغور، وجَرت له بها فِتَنْ عَقَدتَ بالسماء عنان عجاجتها، وعلقت في مجرى الأسماء بنان مجاجتها، وقوى هنالك هيج الاضطراب وأخذ موج السيوف في الضراب، ثم ساروا إلى قرطبة وسالوا في تلك الشعاب، سيلان جيش قحطبة[١] فأتاها مثل أوله ووافاها حالاً في صدر منزلِهِ، وأقام منذ بويع نحو خمسين سنة حتى خُلع رداؤه، وقطع عن مسامع المنابر نداؤه، وكان موجب النقمة عليه سوء تدبير وزيره ابي العاص بن سعيد[٢] لأنه أخذ أموال التجار وأعطاه البربر. فنفرت خواطر أهل قرطبة لهذا وانكروه، ووضعوا عليه أُناساً قتلوه. ثم خلعوا هشاماًو نَبَذَ عهده فريق منهم، واتخذ عهده الوثيق ما رفعه قلم التكليف عنهم، وقام ابنه[٣] عبد الرحمن بن هشام في جماعة من الأحداث. فتسوروا القصر وعلوا شُرَفاته، وتصوروا له أمراً أدْركه وفاتَه، وبايعه كثير من سواد الناس، ونهض بهم فما قام منهم جَسَدٌ بلا رأس، فقال له بعض أهل قرطبة نخشى عليك أن تقتل في هذه الفتنة، فإنّ السعادة قد ولّت عنكم، فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غدا، فأنفذ أعيان قرطبة اليه وإلى ابنه المعتمد بالخروج عن قرطبة، فاودَع المعتمد أهله وخرج إلى حصن ابن الشوب[٤]، فاعتقلوه ثم أخرجوه /٣٣٨/ إلى حصن آخر فحبسوه

كان من وزراء الدولة العامرية موصوفاً بالدهاء. توفي سنة ٤٣٥هـ. انظر: المغرب ١/ ٥٦ والجذوة ص ١٧٦ والذخيرة مجلد٢ و١٨/ ١١٤ وابن خلدون ٤/ ١٥٩ والحلة السيراء ص ١٦٨ والكامل ٧/ ٢٩٠.

(١) يريد بن قحطبة بن شبيب الطائي الذي قاد الجيوش من خراسان إلى العراق إبان انتصار الدعوة العباسية.

(٢) كذا ورد اسمه في الاصل، وهو في كامل ابن الاثير ٧/ ٢٩٠: أبو عاصم سعيد القزاز قال فيه لم يكن له قديم رياسة، وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب في اخذ اموال التجار وغيرهم.

(٣) كذا في الأصل وفي الكامل ٧/ ٢٩٠ أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر: وفي جذوة المقتبس ص٢٥: ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة أراذل العوام، فقتل عبد الرحمن بن هشام.

(٤) كذا في الأصل وفي الكامل ٧/ ٢٩٠: وخرج إلى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة فبقي معه إلى أن غدر اهل الحصن بمحمد بن الشور، فقتلوه واخرجوا المعتمد إلى حصن آخر حبسوه فيه.

وقد ذكر ابن الأثير فيما بعد من أخبار أمية: أنه اختفى بقرطبة: فنادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض =

فيه، فتحيّل للخروج حتى خرج منه ليلاً.

وسار إلى سليمان[(١)] بن هود الجذامي وبقي عنده حتى مات في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن في ناحية لارده، وسكَنَ بها صوب سُحُبِهِ الراعدة، وماتت دولة بني أمية في الاندلس وسائر أقطار الأرض بموته، وخمد حسّها اسمه صوته، فسبحان الحي الباقي، وكل شيء هالك. الملك الدائم ملكه، بعد ذهاب ملكة الملوك والمالك ونعوذ به ونتوكل عليه، ونسأله من خير ما لديه. انه لا حول ولا قوة لنا إلا بهِ[(٢)].

وقال ابن بسام: وقد ذكر قصر مدة المستظهر عبد الرحمن الذي تقدم ذكره: لم ينشر له فيها طاعة، ولا تتامت جماعة، وكان على حدوث سنه ذكياً يقظاً لبيباً أديباً حسن الكلام حاد القريحة، يتصرف فيما شاء من الخطاب بذهنه ورويته، ويصوغ قطعاً من الشعر مستجادة بطهارة أثواب وعفةٍ وبراءةٍ من شراب النبيذ سرّاً وعلانية، وكان نسيج وحده، وبه ختم فضل أهل بيته الناصريين.

ومن شعره: [من مجزوء الرمل]

طال عمر الليل عندي ... مُذْ تولَّعْتُ بصدّ

يا غزالاً نقض الودَّ ... ولم يوفِ بعَهْدِ

أنسيت العهد إذ ... بتنا على مفرش وَرْدِ

واجتمعنا في وشاحٍ ... وانتظمنا نظم عِقْدِ

ونجومُ الليل تحكي ... ذهباً في لازِوَرْدِ

وقد تقدم[(٣)].

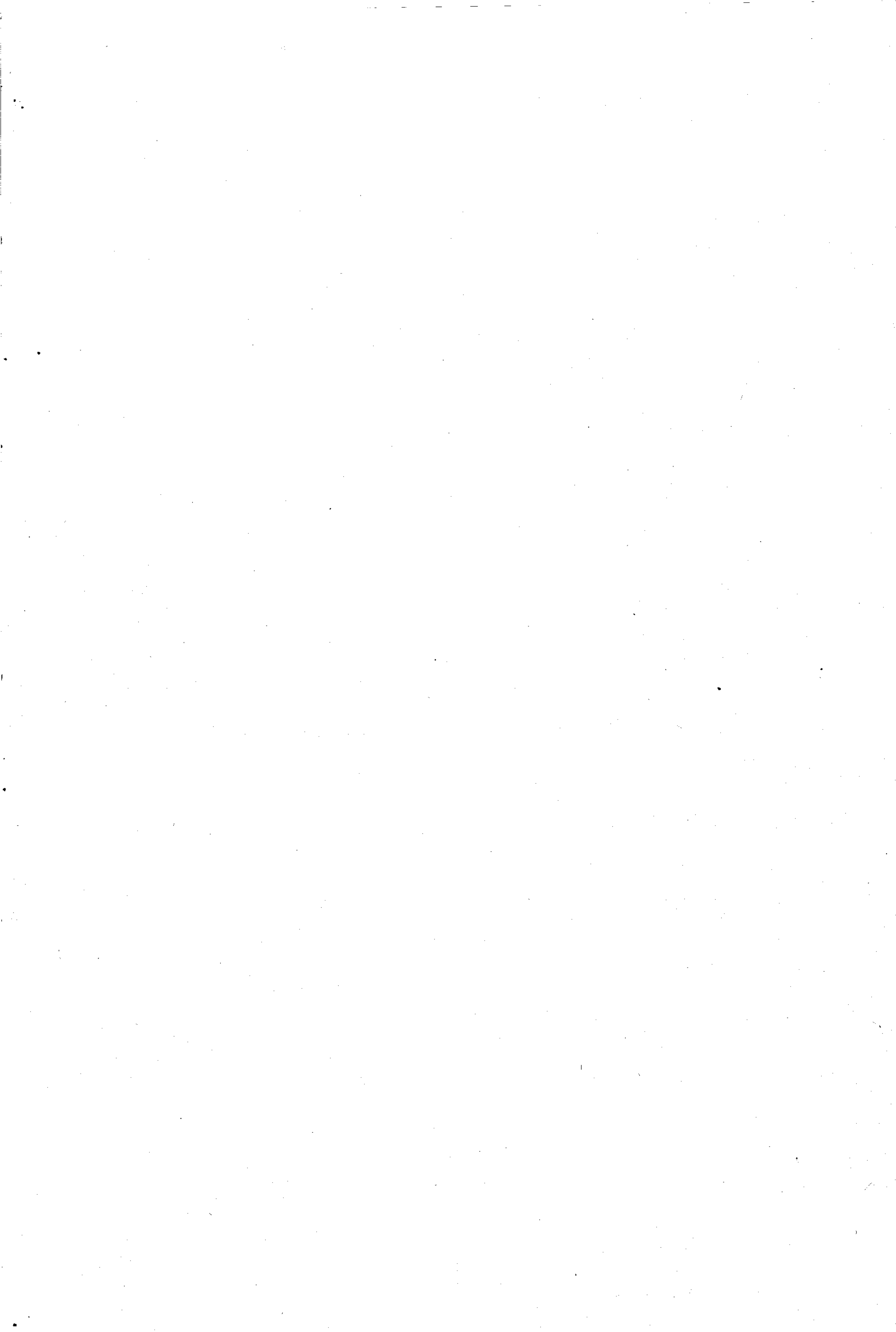
* * *

= ان لا يبقى أحد من بني امية بها. ولا يتركهم عنده أحد: فخرج أمية فيمن خرج وانقطع خبره مدة، ثم اراد العود اليها فعاد طمعاً في ان يسكنها فأرسل إليه شيوخ قرطبة من منعه عنها، وقيل: قتل وغيّبَ وذلك في جمادى الآخر سنة أربع وعشرين.

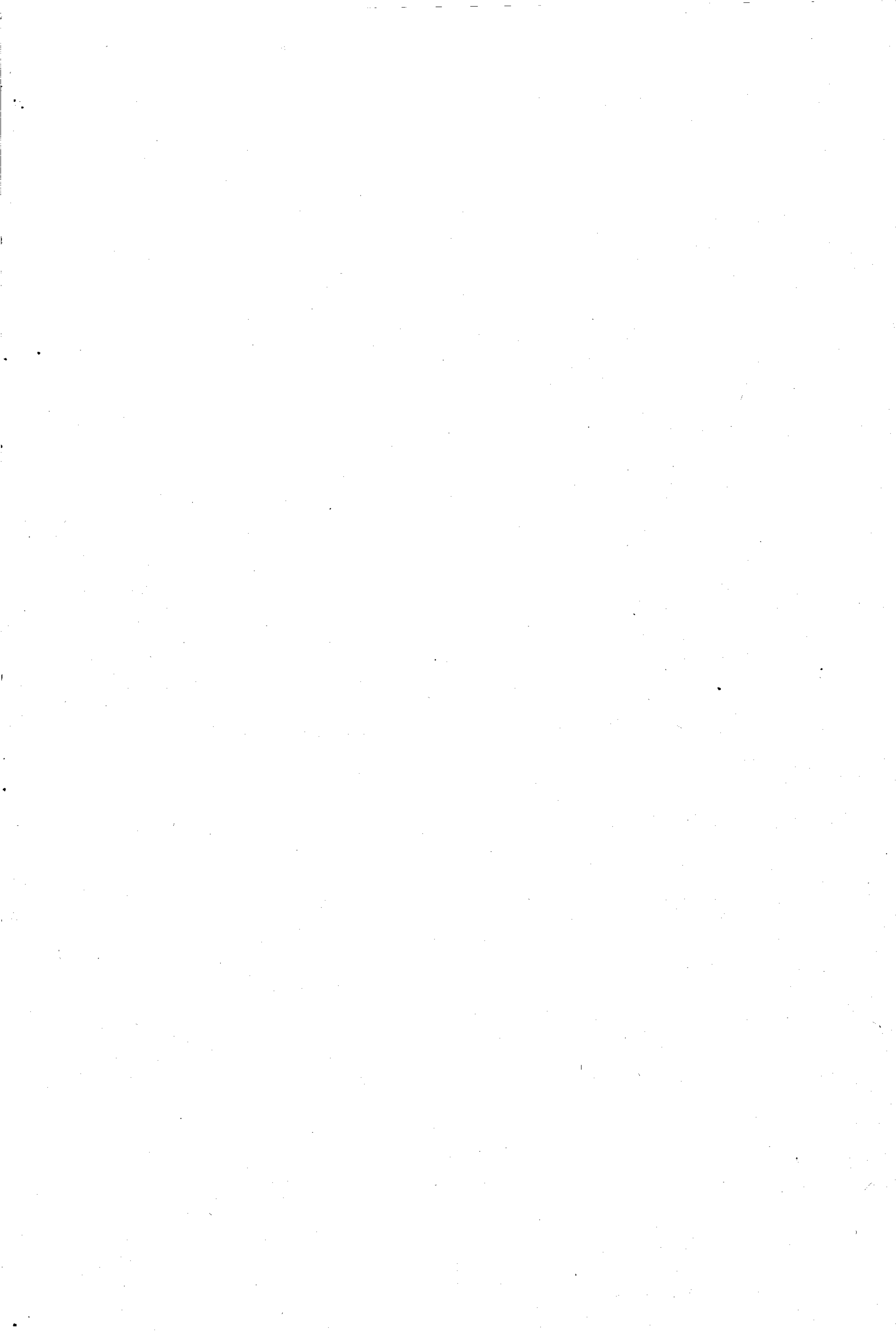
(١) سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن موسى، مولى أبي عبد الله الجذامي، أبو ايوب مؤسس دولة آل هود، من ملوك الطوائف بالاندلس. كان مقيماً في تطيلة. معدوداً من كبار الجند، فلما اضطرب امر الأمويين استولى عليها سنة ٤١٠هـ، وتلقب بالمستعين بالله. وملك لاردة ثم سرقسطة سنة ٤٣١ وانتقل إليه وانتظم له الامر، وضخم ملكه فقسم البلاد على أولاده الخمسة واستمر إلى أن مات سنة ٤٣٥هـ.

(٢) نهاية نسخة أيا صوفيا، وبعدها: «تم السفر الرابع والعشرون من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بحمد الله وعونه ومنّه، وهو المرجو في بدار كماله وإبدار هلاله، ويتلو في الذي يليه، وقد تقدم، الحمد لله وحده، وصلى الله على نبيه المصطفى من خلقه، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين، حسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) نهاية نسخة أحمد الثالث. وهي بدون إشارة إلى انتهاء الجزء، واسم الناسخ وتأريخ النسخ.



مصـــادر ومراجع التحقيق



مصادر ومراجع التحقيق

- اتعاظ الحفاظ بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي. تحقيق د. جمال الدين الشيال. القاهرة ١٩٦٧.
- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده: لمؤلف من القرن الثالث الهجري، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري ود. عبد الجبار المطلبي بيروت. ١٩٧١.
- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر ود. جمال الدين الشيال ط١ القاهرة: ١٩٦١.
- أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، لمؤلف مجهول، منشورات محمد أسامة الكرم. دمشق.
- الأخبار الموفقيات: للزبير بن بكار، تحقيق: د. سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧٢.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر النميري القرطبي بهامش الإصابة دار إحياء التراث العربي.
- الاستبصار في عجائب الامصار: لمؤلف مجهول من القرن السادس الهجري. تحقيق سعد زغلول عبد الحميد بغداد.
- الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني. دار إحياء التراث العربي.
- الأعلام خير الدين الزركلي. الطبعة الرابعة ١٩٧٩.

• أشعار أولاد الخلفاء: محمد بن يحيى الصولي: تحقيق: ج هورث دن. دار المسيرة. بيروت، ١٩٧٩.

• الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني. مصوّرة عن طبعة دار الكتب القاهرة.

• الإمامة والسياسة: لإبي محمد عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري. ط ٣، ١ القاهرة ١٩٦٣.

• أنساب الأشراف، للبلاذري أبي جعفر أحمد بن يحيى بن جابر، تحقيق محمود الفردوس العظم دمشق ١٩٩٧.

• إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، لابن أبي عذيبة، نُسخة مصورة في الدار العراقية للمخطوطات.

• البداية والنهاية لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي، بيروت.

• بهجة المجالس وأنس المجالس: يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق د. عبد القادر القط. القاهرة.

• البيان والتبيين: للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق محمد عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٤٨.

• البيان المغرب في أخبار الاندلس المغرب، لابن عذارى المراكشي محمد بن محمد. طبع الجزءان ١و ٢ في ليدن ٤٨ ـ ١٩٥١. والثالث في باريس ١٩٣٠ والرابع في ليدن ١٩٥٦.

• تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان. ترجمة: د. عبد الحليم النجار. دار المعارف بمصر.

• تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، بيروت.

- تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ١٩٦٣.
- تاريخ الفرقة الزيدية. فضيلة عبد الامير الشامي، بغداد.
- تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، النجف ١٩٦٩.
- تاريخ اليعقوبي لابن واضح اليعقوبي، النجف، ط٣، ١٩٦٣.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لابن مسكويه ـ ط ـ بيروت.
- تاريخ بني ملوك الأرض والأنبياء. حمزة بن الحسن الأصفهاني. بيروت.
- التنبيه والاشراف: لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد.
- ثمرات الأوراق، تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٧١.
- ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الإسلامية: مهدي عبد الحسين النجم. بيروت ٢٠٠٣.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الأزدي القاهرة ١٩٩٦.
- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية لحميد بن أحمد الشهيد. مخطوطة في الدار العراقية للمخطوطات.
- الحماسة البصرية: لعلي بن أبي الفرج البصري، حيدرآباد، الدكن.
- حماسة أبي تمام، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح بغداد ١٩٨٠.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة: المنسوب لابن الفوطي، تحقيق مهدي عبد الحسين النجم. دار الكتب العلمية بيروت. ٢٠٠٣.
- خطط المقريزي كتاب المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار. للمقريزي أحمد بن يحيى بن عبد القادر، طبعة كتاب التحرير، القاهرة عن جامعة بولاق ١٢٧٠هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق. القاهرة.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبي الحسن الباخرزي، تحقيق سامي مكي العاني الكويت ١٩٨٥.
- ديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي ، طبعة بالاوفست عن المطبعة الأدبية بيروت ١٣٠٧هـ.
- ديوان الفضل بن العباس اللهبي: جمع وتحقيق مهدي عبد الحسين النجم. بيروت ١٩٩٩.
- ديوان محمد بن صالح العلوي: جمع وتحقيق مهدي عبد الحسين النجم بيروت ١٩٩٩م
- الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري تحقيق د. إحسان عباس ط٢. بيروت ١٩٨٥.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي بيروت ١٩٨٨.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي دار المسيرة بيروت ١٩٧٩.
- شعر الراعي النميري دراسة وتحقيق نوري محمود القيسي وهلال ناجي. بغداد ١٩٨٠.

• شعر ابن المعتز: صنعة أبي بكر بن يحيى الصولي تحقيق د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧٨.

• شعر (أبو نخيلة) تحقيق عباس توفيق، المورد مج٧، ج٢ ١٩٧٨.

• الشعر والشعراء: لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق أحمد محمد شاكر ط٣ ١٩٧٧.

• شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: أحمد إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٨.

• صلة تاريخ الطبري: لعريب بن سعيد، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

• صبح الأعشى في صناعة الانشا: أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب المصرية.

• طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، ط دار المعارف بمصر.

• طبقات فحولة الشعراء لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة.

• طبقات ابن سعده طبعة كتاب التحرير ـ القاهرة.

• العسجد المسبوك والجوهر المملوك، للملك الاشرف الغساني تحقيق شاكر محمود عبد المنعم بغداد ١٩٧٥.

• عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، لابن عنبه، طبعة دار الأندلس، النجف.

• عيون التواريخ، لمحمد بن شاكر الكتبي. تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، بغداد.

• الفخري في الاحكام السطانية، ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا القاهرة ١٩٢٨.

• الكامل في التاريخ: ابن الأثير علي محمد بن محمد الجزري، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨.

• مختصر التاريخ، لابن الكازروني: علي بن محمد البغدادي، تحقيق الدكتور مصطفى بغداد ١٩٧٠.

• مختصر تاريخ الدول: لابن العبري غريغوريوس بن هارون، تحقيق الأب انطون لحاني اليسوعي بيروت ١٩٨٣.

• المختصر في تاريخ البشر لابي الفداء إسماعيل بن علي ط مصر ١٣٢٥هـ.

• مروج الذهب ومعادن الجوهر لابن الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة كتاب التحرير ١٩٦٦.

• مشاهير علماء الامصار لمحمد بن حبّان البستي. تحقيق م. فلايشهمر. القاهرة. ١٩٥٩.

• المعارف لابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري تحقيق د. ثروت عكاشه القاهرة ١٩٦٠.

• معجم الادباء. ياقوت الرومي الحموي طبعة دار صادر بيروت.

• معجم الشعراء للمرزباني. محمد بن عمران. تحقيق أحمد عبد السلام فراج القاهرة ١٩٦٠.

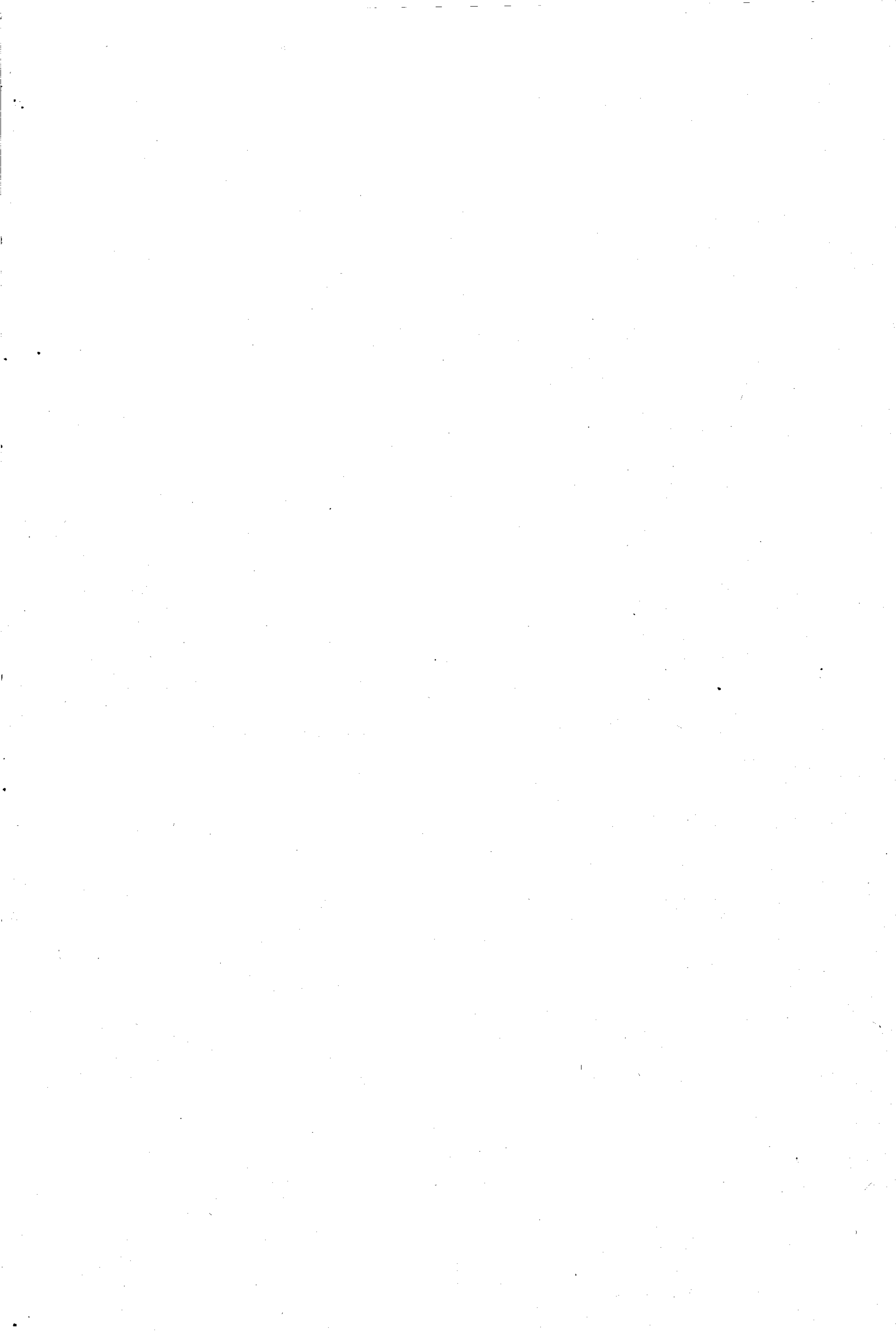
• مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني تحقيق أحمد صقر. بيروت.

• المغرب في حلى المغرب: لابن سعيد المغربي، تحقيق د. شوق ضيف دار المعارف بمصر.

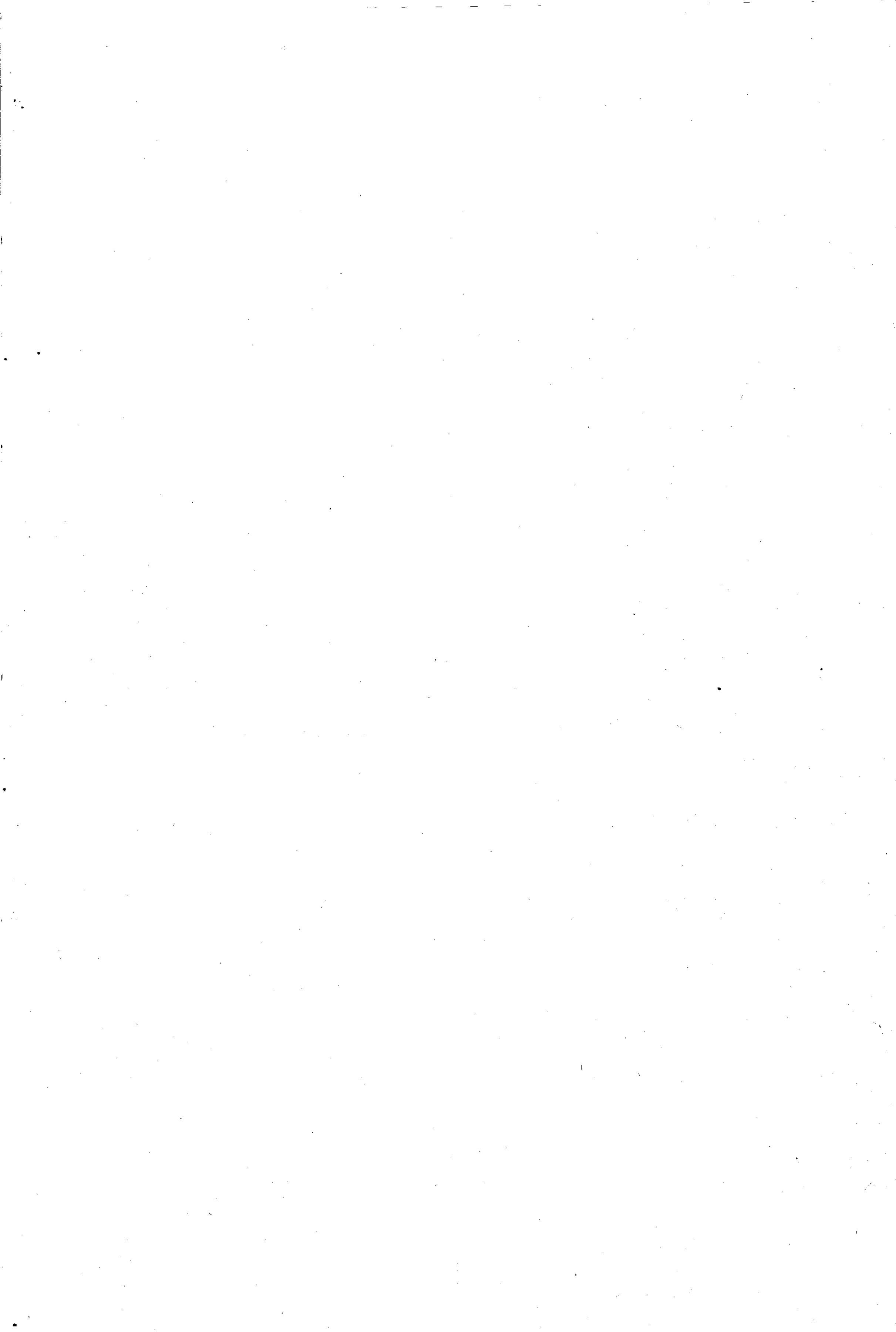
• الموسوعة الميسرة: لنخبة من الباحثين.

- النجوم الزاهرة في حلى القاهرة: لابن سعيد المغربي تحقيق د. حسين نصار. دار الكتب ١٩٧٠.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين يوسف بن تغري بردي. نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية.
- نفح الطيب من غصن الأندلس، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي. دار الكتب العلمية بيروت.
- نهاية الأرب في فنون الادب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق د. محمد محمد أمين ود. محمد حلمي محمد أحمد القاهرة. ١٩٩٢.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي نشر جمعية المستشرقين الالمانية. بيروت.
- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق د. احسان عباس. دار صادر بيروت.

* * *



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات